

قيام دولة شاهات خوارزم

(٤٧٠ - ٦١٧ هـ / ١٠٧٧ - ١٢١٩ م)



دكتورة

حنان مبروك اللبودي
أستاذ التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب جامعة الإسكندرية



مؤسسة شباب الجامعة
40 ش د / مصطفى مشرفة
تليفاكس: 4839496 الإسكندرية
Email: shabab_elgamaa@yahoo.com

قيام دولة شاهات خوارزم

«٤٧٠-٥٦١٧هـ/١٠٧٧-١٢١٩م»

دكتورة

حنان مبروك اللبودي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

٢٠١٣

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

إسكندرية - تليفاكس : ٤٨٣٩٤٩٦

Email:Shabab_Elgamaa@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا
عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾

{سورة البقرة : الآية ١٥١}

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى روح أستاذي

الأستاذ الدكتور

سعد زغلول عبد الحميد

فهرست الموضوعات

<u>رقم</u> <u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١١	تقديم
١٥	المقدمة
١٧	أ - أهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات السابقة عليه
٢٢	ب - دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث
٤٩	الباب الأول البلاد والسكان ونشاطهم البشري
٥١	الفصل الأول البلاد
٥٥	• خوارزم
٧٠	• ما رواء النهر
٨٤	• المياه للجارية
٩٩	• الجبال
١٠١	• الصحاري
١٠٥	الفصل الثاني السكان
١٠٩	١- الفرس
١٣٨	٢- الترك
١٦٠	٣- العرب
١٨٢	٤- الطوائف الأخرى

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
	الفصل الثالث
١٨٥	النشاط البشري
١٨٩	أولاً : الزراعة
١٩٦	ثانياً : الثروة الحيوانية وحرفة الرعي
٢٠١	ثالثاً : المعادن والثروة المعدنية
٢٠٥	رابعاً : الصناعة
٢١٣	خامساً : التجارة
	الباب الثاني
٢٣٩	التطور السياسي والتاريخي لإقليم خوارزم
	«٢٠٥ - ٥٦١٧ / ٨٢٠ - ١٢١٩م»
	الفصل الأول
٢٤١	التاريخ السياسي لإقليم خوارزم وبداية قيام دولة شاهات خوارزم
	«٢٠٥ - ٥٥٥١ / ٨٢٠ - ١١٥٦م»
	١- أثر الموقع الجغرافي والمقومات السابقة على تطور إقليم
٢٤٥	خوارزم
٢٤٦	٢- أوضاع إقليم خوارزم قبل قيام الأسرة المأمونية
٢٥١	٣- الكيانات السياسية شبه المستقلة في إقليم خوارزم
٢٧٩	٤- تولية شاه ملك إقليم خوارزم وانتهاء حكم الأسرة الثانية...٢٧٩
٢٨٣	٥- خوارزم وتبعيةها للسلاجقة
٢٨٧	٦- بداية قيام دولة شاهات خوارزم

<u>رقم</u> <u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
	الفصل الثاني
٣٠٧	دولة شاهات خوارزم
	«٥٥٢ - ٥٦١٧ / ١١٥٦ - ١٢١٩م»
٣١١	أولاً : السلطان إيل أرسلان بن آتسز خوارزم شاه
٣٢٠	ثانياً : أبو المظفر علاء الدين تكش خوارزم شاه
٣٥٤	ثالثاً : علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه
	الفصل الثالث
٤٠٧	نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية
٤٠٩	مقدمة تمهيدية
	١- نظم الحكم والإدارة المتوارثة في خوارزم حتى قيام الدولة
٤١١	الخوارزمية
٤١١	٢- نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية
٤١١	أولاً : البلاط السلطاني
٤١٨	ثانياً : الدواوين
٤٣٩	ثالثاً : حكام الأقاليم
٤٤١	الخاتمة
٤٤٩	قائمة المصادر والمراجع

تقديم

تناولت تلك الدراسة الحديث عن العوامل التي كانت وراء قيام دولة شاهات خوارزم بين عامي (٤٧٠ : ٦١٧ هـ ، ١٠٧٧ : ١٢١٩ م) ، والتي تمثلت في موقع أقليم خوارزم الجغرافي المتميز وتجانس سكانه من فرس وعرب وترك ، ونشاطهم البشري الذي ساعد على ظهور ذلك الاقليم المتطرف في أقصى الشمال على مسرح الاحداث السياسية .

ثم للتاريخ السياسي لتلك الإمارة وحرص أمرائها الأوائل ومن بعدهم سلاطينها الذين جاهدوا من أجل تحقيق استقلالهم من تبعية تلك الدول التي تعاقبت عليها سواء أكانت الدولة الغزنوية أم الدولة السلجوقية. ولقد قسمت الدراسة إلى بابين :-

الباب الأول : فقد تناولت فيه "البلاد والسكان ونشاطهم البشري".

وقد اشتمل على ثلاثة فصول:-

- الفصل الأول : للبلاد .
- الفصل الثاني : السكان.
- الفصل الثالث : النشاط البشري .

الباب الثاني : ويتناول : "التطور السياسي والتاريخي لإقليم خوارزم بين

عامي (٢٠٥ : ٦١٧ هـ ، ٨٢٠ - ١٢١٩ م).

ويشتمل على ثلاثة فصول:-

- الفصل الأول : التاريخ السياسي لإقليم خوارزم وبداية قيام دولة

شاهات خوارزم بين عامي (٢٠٥ : ٥٥١ هـ ،

٨٢٠ - ١١٥٦ م) .

- الفصل الثاني : دولة شاهات خوارزم بين عامي (٥٥٢ :

٦١٧ هـ ، ١١٥٧ - ١٢١٩ م).

- الفصل الثالث : نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية .

ثم تختتم الدراسة بأهم نتائج البحث

د. حنان مبروك اللبودي

المقدمة

المقدمة :

أ - أهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات السابقة عليه.

ب - دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث :

- مقدمة تمهيدية.
- المصادر الجغرافية.
- كتب الرحلات والمعاجم.
- كتب التاريخ العام.
- كتب التاريخ الخاص.
- كتب الطبقات.
- الكتب الحديثة ، وتشمل :
- ❖ المراجع الفارسية.
- ❖ المراجع الحديثة.

المقدمة :

أ - أهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات السابقة عليه :

يتناول البحث الذي يقدم في تلك الرسالة «قيام دولة شاهات خوارزم في الفترة الزمنية منذ عام «٤٧٠-٦١٧ هـ / ١٠٧٧-١٢١٩م».

الغرض من هذه الدراسة :

هو تتبع العوامل والظواهر التي كانت وراء قيام دولة شاهات خوارزم في تلك الإمارة المترامية الأطراف ، وأثر تلك العوامل المباشرة وغير المباشرة في قيامها وامتدادها حتى صارت إمبراطورية واسعة الأرجاء شاملة خراسان ، وما وراء النهر ، وغزنة ، وبلدان أخرى ، منها : كرمان ، ومكران ، والسند.

كذلك من أهداف هذه الدراسة التعريف بالدراسات السابقة التي تناولت بشكل مختلف تاريخ تلك الدولة ، ومنها رسالة حافظ أحمد حمدي بعنوان «الدولة للخوارزمية والمغول - غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية» ، وقد طبعت كتاباً عام ١٩٤٩م ، وقد تناول الدولة الخوارزمية وعلاقاتها بالمغول منذ بداية احتكاكهم بالدولة وقضائهم عليها ، وتضمن ذلك معلومات متفرقة عن نشأة الدولة ، وموقفها من الخلافة العباسية ، علاقاتها بالقراخطاي ، ثم نبذه عن الحياة الاجتماعية لتلك الدولة ، أيضاً رسالة طبعت كتاباً لعفاف صبره بعنوان «التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية» عام ١٩٨٧م ، ثم رسالة ماجستير لفوزي حامد عباس بعنوان «علاقة خوارزم بالعالم الإسلامي خلال العهدين البويهى والسلجوقي» ، وقد نوقشت عام ١٩٩٥م.

وعلى الرغم من تلك الموضوعات التي تناولت تاريخ الدولة الخوارزمية والتي سبق ذكرها ، وعلى الرغم من استفادتنا من تلك البحوث السابقة إلا أننا عالجنا بشئ من الاستفاضة ذلك الموضوع ، وحاولنا إضافة شيء جديد من حيث المنهج والموضوع.

وقد قسمنا تلك الدراسة إلى بابين :

الباب الأول : الذي جاء تحت عنوان «البلاد والسكان ونشاطهم البشرى» فقد قسمته إلى ثلاثة فصول ، أما **الفصل الأول :** فيحمل عنوان «البلاد» وقد تحدثنا فيه عن أهمية الموقع الجغرافي لإقليم خوارزم ، من حيث إنه همزة الوصل بين شرق آسيا وغربها حيث الممرات والطرق التجارية واثّر ذلك والذي جعلها فيما بعد ثغراً من الثغور الإسلامية مثلها في المكانة مثل سمرقند وبخارى.

أما الفصل الثاني : الذي جاء تحت عنوان «السكان» فقد بينا فيه تمتع تلك المنطقة بتجانس بشرى واضح ، ومن سكانها الفرس وقد تحدثنا عن أصولهم وصفاتهم والدولة الفارسية الموجودة آنذاك ، مثل الدولة المادية ، والهخامنشية «الاخمينية» ، والساسانية ، وتبعية خوارزم لهم منذ القدم ودخولها ضمن نطاق حدودهم ، وحرص تلك الدول على طبع تلك الولايات المترامية الأطراف بنظمها الفارسية ، ثم الترك فتناولنا أصولهم والترك الخوارزمية والقبائل المجاورة لتلك المنطقة ونبذه بسيطة عن الحياة الاجتماعية لهؤلاء الترك ، والعرب : حيث ركزنا على تواجدهم في إقليم خوارزم ، وخاصة في فترة الفتوحات العربية الإسلامية لتلك المنطقة ، ومحاولة الولاة تثبيت التواجد العربي بها من خلال وضع حامية عربية يرأسها راليان : أحدهما عسكري خاص بالأمر العسكرية ، والآخر خاص بشئون الخراج «الأمر المالية» ، وتعتبر تلك البذور الأولى للتواجد العربي ، إلى جانب الحكومة المحلية الفارسية الأصل في خوارزم.

ولقد ركزت في تناولي للعنصر العربي على سياسة الدولة الأموية في تلك المنطقة والمناطق المجاورة وتغييرها لولاتها من آن إلى آخر ،

وكذلك تحدثنا عن العباسيين ودعاتهم في خوارزم وسياستهم المختلفة عن الأمويين ، وذلك بتركيز حكم تلك المناطق في يد أسر ارستقراطية تابعه لهم ، وما لبثت تلك التبعية أن صارت اسمية فقط ، وبذلك سنحت الفرصة لقيام دول مستقلة.

وختمت الباب الأول بالفصل الثالث : وعنوانه «النشاط البشري» وبيتنا فيه مدي اهتمامهم الشديد بحرفتي الزراعة والرعي ، وبراعتهم في تصنيع المادة الخام بالمنطقة التي امتازت بطبيعة أرضها الخصبة وتوفر مياه أنهارها ، وازدهارها بالثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية.

ويحمل الباب الثاني عنوان «التطوير السياسي والتاريخي لإقليم خوارزم» «٢٠٥ - ٥٦١٧ هـ / ٨٢٠ - ١٢١٩ م» وقد قسمته إلى ثلاثة فصول وكان الفصل الأول تحت عنوان «التاريخ السياسي لإقليم خوارزم وبداية قيام دولة شاهات خوارزم ٢٠٥ - ٥٥٥١ هـ / ٨٢٠ - ١١٥٦ م» حيث تناولنا الكيانات السياسية شبة المستقلة في خوارزم ، وهي من العوامل المباشرة التي ساعدت على قيام دولة شاهات خوارزم ، وتتمثل في الأسرة المأمونية التي حكمت إمارة خوارزم منذ عام «٣٨٥ - ٤٠٨ هـ / ٥٩٥ - ١٠١٧ م» أي ما يقارب من ثلاثة وعشرين عاماً ، وتبعيتها للدولة الغزنوية ، ومحاولات أمرائها المستمرة في الحصول على الاستقلال الكامل لمنطقتهم ، ثم الأسرة الالتوننتاشية ، والتي حكمت منذ عام «٤٠٨ - ٥٤٢٩ هـ / ١٠١٧ - ١١٣٧ م» ، وحصول بعض أمرائها على الاستقلال ولو لفترات قليلة جداً ، حتى انتقلت تبعية تلك المنطقة للسلاجقة.

واستكمالاً لتلك الكيانات التي وضعت البذور الأولى لقيام دولة شاهات خوارزم أوردت الباحثة فضل مؤسسها أنوشتكين غرجه ، وابنه

قطب الدين محمد ابن انوشتكين ، وحفيده الأمير آتسر الذي جاهد من أجل الحصول على استقلال تلك الدولة الناشئة من خلال صراعاته وحروبه المتعددة مع السلطان الأعظم سنجر السلجوقي ، وتحقق ذلك بوفاء السلطان السلجوقي ، وانتهاء تبعية تلك الدولة الناشئة إلى الأبد وبداية استقلالها وقيامها الحقيقي.

أما الفصل الثاني من هذا الباب فهو بعنوان «دولة شاهات خوارزم ٥٥٢ - ٦١٧هـ / ١١٥٦ - ١٢١٩م» وقد تناولت فيه جهود سلاطين تلك الدولة ، وذلك منذ عهد السلطان ايل أرسلان الذي يعتبره المؤرخون أول السلاطين العظام المستقلين في خوارزم ، وكذلك علاء الدين تكش ، وعلاء الدين محمد في توسيع أملاك تلك الدولة ، وذلك من خلال صراعهم مع سلاجقة الغرب ، وطمعهم في تملك أملاكهم في العراق العجمي «إقليم بلاد الجبل» ، ونجاحهم في ذلك ، كذلك قضاء سلاطينها على تلك الدولة القوية المجاورة لهم ، مثل القراخطاي في ما وراء النهر ، والغوريين في غزنه ، ونجاحهم في ذلك لتثبت أنها دولة عسكرية من الطراز الأول استطاعت في أقل من مائة وأربعين عاماً أن تصل إلى أقصى اتساع لها أيضاً علاقاتهم مع العباسيين والخلافة العباسية في بغداد التي اتسمت في البداية بالود والتعاون ، ثم تبدلت تلك العلاقات بسبب طمع الخوارزميين في أملاك الخلافة وعاصمتها بغداد ، وفشلهم الذريع في تحقيق ذلك.

أما الفصل الثالث فهو بعنوان «نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية» والذي وفقنا إلى حد ما في إعطاء نبذة مبسطة عن نظم حكم تلك الدولة من خلال معالجة البلاط السلطاني الذي كان على قمته السلطان الخوارزمي ، يليه الموظفون التابعون له ومنهم ، الوزير ، والحاجب ، ووكيل الباب ، وغيرهم ، ثم معالجة الدواوين المتعددة في الدولة ، ومنها

ديوان الوزارة ، والبريد والشرطة ، والحسبة ، والقضاء ، وغيرها .
والتي أن دلت على شيء فإنما تدل على مدى اهتمام رجال تلك الدولة
بنظم دولتهم وسياساتهم الداخلية ، وحرصهم الشديد على توافر الأمن
والأمان لكي تتاح لهم فرصة توسيع إرجاء تلك الدولة ، ثم اختتم البحث
بخاتمة ذكرت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج من خلال البحث .

وفي النهاية أتوجه بخالص شكرى لأستاذي القدير سعد زغلول
عبد الحميد - أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتفرغ بكلية الآداب -
جامعة الإسكندرية ، الذي تتلمنت على يديه في مرحلتي التمهيدى
للدراست العليا ، ومرحلة الماجستير ، فاستفدت من علمه ومنهجه العلمي
الواضح ، كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى للعلامة الكبير الأستاذ
الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور - أستاذ تاريخ العصور الوسطى
المتفرغ بكلية الآداب - جامعة القاهرة ، ورئيس اتحاد المؤرخين العرب
، والذي نشكر الله ﷻ الذي مّن علينا من وقت الأستاذ الدكتور عاشور
لكى يشارك في مناقشة رسالتى هذه ، وذلك لكى استفيد من ملاحظاته
وتوجيهاته والتي تدل على كونه ينبوعاً لا ينضب من الخبرة والعلم ،
فجزاه الله عنى كل الخير ، كما أتوجه بخالص شكرى وعرفانى لأستاذتى
القديرة والعزيزة الأستاذة الدكتورة/ نبيلة حسن محمد - أستاذ التاريخ
الإسلامى بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية ، والتي شرفت بموافقتها
على مناقشة رسالتى هذه ، لكى انتفع من توجيهاتها ، فجزاها الله عنى
خيراً ، كما أتوجه بالشكر إلى أستاذتى وزملائي الذين استفدت من
ملاحظاتهم وتوجيهاتهم لإتمام ذلك البحث .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

ب - دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث المقدمة :

المصادر التي نرجع إليها لدراسة موضوع البحث تتمثل في المصادر الجغرافية ، وما يرتبط بها من كتب الرحلات ، والمعاجم ، وكتب التاريخ العام ، سواء أكانت مشرقية متمثلة في الطبري ، وابن الأثير ، والنويري وغيرهم ، أم مغربية مثل ابن خلدون ، وكتب التاريخ الخاص «المحلية» وأخيراً الكتب الحديثة التي عالجت الموضوع من زوايا مختلفة.

المصادر الجغرافية :

تعتبر تلك المصادر من أهم المراجع بالنسبة لموضوع البحث ، وذلك لأن الجغرافية العربية وثيقة الصلة بالتاريخ ، وبمرور الوقت استطاعت الجغرافية أن تتفصل عن التاريخ انفصلاً غير تام على كل حال.

وتنقسم كتب الجغرافيا إلى قسمين :

- أولهما : الجغرافية الرياضية : وتشمل فرعين هما «علم الأطوال والعروض ، علم تقويم البلدان».
- ثانيهما : الجغرافية الوصفية : وتضم فرعين هما «علم المسالك والممالك ، علم عجائب البلدان»^(١).

وتكمن أهمية كتب الجغرافية في أنها «تكمل كتب التاريخ» التي اهتمت بالأحداث السياسية بشكل خاص - من حيث اهتمامها ، إلى جانب

(١) سعد زغول عبد الحميد : ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين « ٦ ، ١٢/٥٧ ، ١٣م » ، نقد للمصادر «مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، المجلد الثامن ، ١٩٥٤م ، ص ٩١.

وصف الأحوال الطبيعية والبيئية بإمدادنا بمعلومات ذات طبيعة متنوعة ،
منها الاقتصادية والاجتماعية وما يختص بعادات الشعوب وتقاليدها ...
الخ^(١).

وتصنف تلك المصادر الجغرافية إلى كتب جغرافية مشرقية منها
- على سبيل المثال لا الحصر - ابن خرداذبة «ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م» ،
اليعقوبي «ت ٢٧٨هـ/٩٨١م» ، ابن رسته «ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م» ،
الإصطخرى «ت ٣٤٠هـ/٩٥١م» ؛ المسعودى إلى جانب بعض الكتب
المغربية ، مثل الإدريسي «ت ٥٦٠هـ/١١٦٦م» ، والزهرى «توفي
أواسط القرن السادس الهجرى/أواسط القرن الثاني عشر الميلادي» ،
والحميرى «توفي في القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادي».

ولقد تناولت أغلب كتب المشاركة في متن صفحاتها العديد من
المعلومات المتناثرة والتي تكمل بعضها البعض منهم عن جغرافية
خوارزم وما وراء النهر شاملة الحديث عن مناخها ، مدنها ، أنهارها ،
وان انفراد ابن خرداذبة^(٢). دون غيره من الجغرافيين القدماء بوصف
طرق التجارة وخط سيرها إلى جانب ذكره لبعض المعلومات التاريخية
والحضارية والتي تمثلت في ذكره لبعض ألقاب الملوك ومنهم لقب
خوارزم «خسرو خولارزم».

وبجانب ما سبق هناك بعض الكتب الهامة ذات أهمية عظمى
بالنسبة لموضوع البحث وخاصة في الفصول الأولى من الرسالة والتي

(١) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور
الاستقلال «طبييا ، تونس ، الجزائر ، والمغرب» ، الإسكندرية ، ١٩٧٩ ،
ص ٥١.

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، (دار صادر ، بيروت ، ١٨٨٩م).

تمثلت في جغرافية المنطقة «خوارزم» ، وما وراء النهر وسكانها ونشاطهم البشري ، وسوف نوضح ذلك بالتفصيل مع الإشارة إلى مواضع الاستفادة على وجه الخصوص ، وسوف نراعى بجانب أهميتهم ، ترتيبهم الزمني من الأقدم إلى الأحدث وهم :

١ - اليعقوبي «ت ٨٩١/٥٢٧٨م» :

البلدان^(١).

هو من أشهر الجغرافيين الرحالة العرب ، يمتاز أسلوبه بكونه عملياً سهلاً مبسطاً ، نشعر من خلاله نزعة الكاتب للتحليل العقلي ، لذا اعتبره أبو الفدا مصدراً موثقاً به ويعتبر كتابه ن كُتب الجغرافية الوصفية.

وتناول في كتابه الحديث عن خوارزم والأنهار التي يعتمد عليها الإقليم ، مع ذكره لإشارات بسيطة إلى المسافات التي تربط عاصمتها بالمدن المجاورة لها.

(١) طبعة بيريل ، ١٨٩١م ، وهو معروف في مخطوطة فريدة جلبها مخلصت A- Mukhinski من المشرق عام «١٨٠٨-١٨٧٧م» وهي الآن بميونخ ، ومخطوطة أخرى يملكها للمستشرق «ف - كرن F.Kern» «١٨٧٤/١٩٢١م» ، وبعدها دخلت المكتبة الملكية الروسية ، ولم تدرس بعد ، واليعقوبي كتب أخرى منها تاريخ لليعقوبي أخبار الأمم السابقة ، مشاكل الناس لزمانهم ، خير الدين الزركلي ، الإعلام قاموس ، وتراجم ، الطبعة الثانية ، د.ت ، ج ١١ ، ص ٩٠ ، كراتشوفيسكى : تاريخ الأدب الجغرافي ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص ١٥٩.

٢ - ابن رسته « ت ٨٢٩٠/٩٠٢م » :

الاعلاق النفيسة^(١).

وقد استفاد في الحديث عن أنهار منطقة ما وراء النهر وخاصة نهري جيحون وسيحون ، متضمناً منبعهما ومصبيهما ، ومدى استفادة المناطق المجاورة منهما ، وخاصة إقليم خوارزم وتأثير نهر جيحون الايجابي والسلبي عليها وعلى ما يجاورها ، وهو شيء دقيق يفوق الوصف ، واعتمد في مؤلفه على الفرغاني ، وأبي معشر وابن خردادبة في طريقة العرض^(٢).

٢ - المسعودي « ت ٨٢٤٥/٩٥٦م » :

مروج الذهب ومعادن الجوهر^(٣).

امتاز هذا على سابقة باشماله على العديد من المعلومات الجغرافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية ، حيث تناول وصفاً جغرافياً كاملاً لمنطقة دراستنا ، وكذلك ذكره للفرس وأصولهم القديمة وطبقاتهم ، وايضاً الترك وأجناسهم وذلك ما اعتمدنا عليه أثناء تناولنا للفصل الثاني «السكان» وتحدث عن القبائل العربية ، ولكنه لم يشر إلى تحديد دقيق للتواجد العربي في خوارزم ، ولكن إشارات بسيطة فقط.

ولقد اعتمد في المقام الأول على معلوماته من خلاله هو كشاهد عيان عبر أسفاره في الصحراء والبر والبحر من الصين إلى أقصى الشرق وإلى الشام ومصر والمغرب.

(١) المجلد السابع ، طبعة بيريل ، ١٨٩١م ، وهو كتاب ضخيم يشتمل على بضعة مجلدات ، صدر منه مجلد واحد وهو السابع في المكتبة الجغرافية العربية الخاص بالفلك والجغرافيا.

(٢) كراتشوفيسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٢م

ومن كتبة أيضاً التتبيه والإشراف^(١). الذي تحدث فيه عن فيضان
نهر جيحون ، وحدد ذلك في أول كانون الثاني ، وكذلك بحيرة خوارزم
متتبعاً أصل مياهها والأنهار التي تصب فيها.

كذلك تعريفه لبعض المصطلحات ، ومنها : الميل ، الذراع ،
الإصبع ، الفرسخ ، الكورة «والتي تشمل عدة طساسيج» ، الطسوج :
«يقصد بها الناحية مع ملاحظة تغير ذلك من آن لآخر».

٤ - الاصطخري «ت ٥٢٤٠/٩٥١م» :

المسالك والممالك^(٢).

وتكمن أهمية ذلك المصدر كونه تحدث عن إقليم خوارزم شاملاً
أغلب المعلومات المتعلقة به وذلك من خلال عواصمه ، ومنها الجرجانية
متجر الترك الغزية ، تخطيط تلك العواصم المعماري ، طرق خوارزم
وأبوابها والمسافات بينها وبين المدن ، وإن كان من الصعب تحويل تلك
المسافات بمقاييسنا الحالية ، وذلك لمخالفتها للواقع ، وعدم توصل
الجغرافيين لحقيقة تلك المقاييس مثل المرحلة ، الميل ، تجارة خوارزم
وخاصة من الرقيق والأوبار ، والصناعات التي قامت بها مثل صناعة
المنسوجات القطنية والصوفية ، وكذلك صناعة أدوات الحرب.

(١) اعتنى بتصحيحه ومراجعته عبدالله إسماعيل الصاوي ، مكتبة العصرية ، بغداد ،

١٩٣٨/١٣٥٧م

(٢) ط بيريل ، ١٩٣٧م.

٥ - المقدسي^(١) «ت ٩٨٥/٥٣٧٥م» :

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم^(٢).

يعتبر هذا الكتاب خلاصة ما شاهده وعاينه في رحلاته وأسفاره الطويلة في ديار الإسلام وخدماته للملوك ، ومجالسته للقضاة ، وتحصيله للعلم على يد الفقهاء والعلماء ، إلى جانب الجغرافيين السابقين ، مثل : ابن خرداذبة ، والجيهازي ، والبلخي الهمداني ، ويعتبر أسلوبه من أصعب أساليب مكتبة الجغرافيين العرب.

ولقد تناول في مجلده الحديث عن خوارزم ، وعلى الأخص عاصمتها الجرجانية «گرجانج» معابرها وتجاراتها المتعددة والتي سوف نوضحها في الفصل الثالث من الرسالة ، كذلك سكان إقليم خوارزم من يهود وأصناف المجوس والنصارى^(٣). ولقد انفرد عن سابقيه من المؤرخين الجغرافيين بذكر تلك المعلومة ، وإن كان قد أكدها من بعده بسنوات عديدة القلقشندي «ت ٨٢١/١٤١٨م» ، صبح الأعشى^(٤). ثم لم يأت بجديد عما ذكره سابقيه من الجغرافيين حول نهر جيحون منبعه ومصبه والأنهار المتفرعة منه.

(١) وهو من كبار الجغرافيين العرب وأكثرهم أصالة في الأدب العربي في القرن الرابع الهجري/١٠م ، وهو ختام المدرسة الكلاسيكية الجغرافية العربية.

(٢) مجلد ١ ، الطبعة الثانية ، بيرل ، ١٩٠٦م.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٣.

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وإفية ، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والطباعة والنشر والترجمة (د.ت) ، ج ٤ ، ص ٤٥٤.

٦ - الارديسي «ت ٥٥٦٠/١١٦٦م» :

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق^(١).

والذي سبق وصنف ضمن كتب الجغرافية المغربية والتي تناولت بعض تاريخ المشرق تنوعت مادته وخاصة فيما يتعلق بموضوع البحث ما بين المعلومات الجغرافية والحضارية فتحدث عن خوارزم حيث أطلق لفظ الإقليم عليها ، وتتبعه لها حتى بحيرة خوارزم «بحر آرال» من حيث تجارتها ، وتحدث عن صفات أهل خوارزم ولسانهم إلى جانب معالجته لمنطقة ما وراء النهر شاملة طبيعة أراضيها وبساتينها ، قراها والمسافات بينهما ، وطرقها الرئيسية والفرعية.

وإلى كتب الجغرافيا تضاف كتب الرحلات «الرحلة» ، وتتميز تلك الكتب بتسجيل المعلومات وليده التجربة ومشاهدة العيان^(٢).

أهم الرحلات بالنسبة لموضوع البحث :

١ - ابن فضلان «ت ٣٩٠٩٩٩م»

رسالة ابن فضلان^(٣).

ولقد تناول في رسالته الحديث عن خوارزم والمسافات بينها وبين مدن ما وراء النهر ، إلى جانب انفراده بالحديث عن تجمد نهر جيحون ، وعلى الأخص تحديده للفترة الزمنية لذلك التجمد وهي ثلاثة أشهر وسمك ذلك ، وذكره لدواب وحيوانات تلك المناطق ، والتي تستخدم في التنقل والترحال ، وهي : البغال ، الحمير ، الخيول ، الجمال.

(١) مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٥٤.

(٣) رسالة ابن فضلان : في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، (دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م).

وبجانب تلك المعلومات السابقة نجد المعلومات الحضارية التي تتحدث عن سكان خوارزم ، ووصفهم بشكل عام بكونهم أوحش الناس في الكلام والطباع ، فشبه كلامهم بالزراير ، كذلك دراهمهم المستعملة لديهم ، وهي : «المزيفة ، والطازجة ، والكعاب ، والدوامات ، والدراهم» ، ذكراً مقدارها بالدانق ، وهو الأكثر استعمالاً وتداولاً فيما بينهم.

وتعتبر تلك الرحلة مرجعاً أساسياً للجغرافيين في المقام الأول ، وذلك لوصفه القائم على المشاهدة والمعاينة ، ومن هؤلاء : الإصطخرى ، والمسعودي ، وياقوت الحموي.

٢ - ابن بطوطة^(١). «ت ٧٢٩/١٣٧٧م» :

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار^(٢).

ولقد جمع ابن بطوطة معلوماته عن طريق مشاهدته ومحادثاته مع شخصيات تعرف عليها من خلال رحلته ، فكانت تلك الرحلة وصفاً

(١) من أعظم الرحالة العرب ، رحل من موطنه عام ٧٢٥هـ لأداء فريضة الحج ، لكن قدر أن يقضى ثلاثين عاماً في رحلات متواصلة زار خلالها جميع ديار الإسلام ، بالإضافة إلى سيلان ، والهند والصين وآسيا الصغرى وبلاد القرم ، وزار كذلك خوارزم ، بخارا ، سمرقند من بلاد ما وراء النهر ، وترمز وبلخ وهراة وطوس ونيسابور من خراسان ، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل ذهب إلى فارس والأندلس ثم عاد إلى فاس مرة ثانية ، حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته ، (تحقيق ودراسة وتحليل) ، (دار المعارف ، القاهرة ، دت ، ص ١٢).

(٢) هذا الكتاب ليس من تصنيف ابن بطوطة ، ولكن وفقاً لرواية ابن بطوطة أن الذي وضع له الصياغة الأدبية للفتحة هو ابن جزي الذي انتهى منه عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م ، حيث لم يعمر ابن جزي طويلاً ، وتوفي في العام التالي نفسه ، نبيلة حسن محمد : انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتى القرن التاسع الهجري ، رسالة ماجستير ، (الإسكندرية ، ١٩٧١) ، ص ٢٩.

للمجتمع الإسلامي والشرقي بشكل خاص ، وهي لا تشتمل فقط على معلومات جغرافية وتاريخية بل جمع فيها حضارة ذلك العصر من خلال عرضه لجميع الظروف الاجتماعية من مراسيم البلاطات وأزياء الشعوب وتقاليدها وأصناف الأطعمة بها^(١).

ولقد افرد ابن بطوطة حديثاً خاصاً عن خوارزم تناول فيه معلومات قيمة قد بلغت إفادتها على مدار فصول البحث ، وخاصة في الباب الأول فنجد وصف طبيعة أرض خوارزم ، وتلك الصحراء التي بينها وبين بخارا ومسيرتها ثمانية عشر يوماً في رمال ليس بها عمارة إلا بلدة واحدة ، كذلك نهر جيحون ، وذلك باعتباره نهراً من أنهار الجنة الأربعة ، ذاكراً جموده واستمراره لمدة خمسة أشهر ، وبذلك فقد اختلف مع ابن فضلان كما سبق ووضحنا من قبل. ثم عاد وتحدث عن ثروات خوارزم وخاصة النباتية ومنها بطيخ خوارزم ، ودوره في التجارة وتصديره إلى أسواقها ووصفها نظراً لمروره بتلك الأسواق ومنها «سوق الشور ، القيسارية»

وأضاف فيما يتعلق بالمعلومات الحضارية ، بذكره لسكان خوارزم حيث لم يجد أحسن أخلاقاً من غيرهم وذلك عكس ما ذكره ابن فضلان من قبل.

(١) كراتشوفيسكى : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص ٤٣١.

وبجانب الرحلات تضاف المعاجم ، ومن أشهرها :

ياقوت الحموي^(١) . «ت ٦٢٦/٥١٢٢٩م»

معجم البلدان :

والذي تناول في معجمه بشكل عام الحديث عن الأقاليم السبعة شاملاً مدن كل إقليم ، خطوط طوله ودوائر عرضه ، والتعريف ببعض المصطلحات الجغرافية الأخرى ، مثل الكورة ، الرستاق ، وهو ما استفدنا به أثناء تعريفنا بتلك المصطلحات في فصول الرسالة.

أما فيما يختص بمنطقة دراستنا وهي خوارزم فقد تناولها من خلال ذكره السبب وراء تسميتها بهذا الاسم ، عواصمها القديمة ، وتأثير النهر على تلك العواصم ، وكذلك أنهار تلك المنطقة مع تتبع جغرافي لكل نهر على حدة ، وحديثاً عن بحيرة خوارزم من حيث منبعها.

ومن خلال ما سبق نلاحظ تتبعه لتلك المناطق وملاحظة وتدوين تطورها التاريخي منذ الفتح العربي وحتى الغزو المغولي ، موضحاً الفرق بين ما كانت عليه وما أصبحت عليه. ولقد تناول معلوماته من كتب الجغرافيا وكتب التاريخ الموجودة لديه ، ويتميز بالأمانة العلمية حيث يذكر مصدر كل مادة أخذها منه.

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، (بيروت ١٩٥٥م) ، ٥ مجلدات

كتب التاريخ العام :

١ - الطبري «ت ٣١٠هـ/٩٢٣م» :

تاريخ الرسل والملوك^(١).

ويعتبر هذا الكتاب من أشهر كتب التاريخ العام المشرقية ، حيث نقل الطبري الكثير من كتاب المغازي الأوائل الذي لم تصل إلينا أعمالهم مثل الواقدي وآخرين^(٢).

ولقد استفدنا من كتاب «الرسل والملوك» وعلى وجه الأخص من الجزء الرابع حتى الجزء السابع فيما يتعلق بالأحداث الأولى في إقليم خوارزم حول بداية التواجد العربي فيه من خلال الحملات الثغرية لذلك الإقليم منذ عام «٣٢٠هـ/٦٥٢م» ، وحملة القائد الأحنف بن قيس على خوارزم ، ثم تكرار تلك المحاولة من قبل القائد سلم بن زياد عام «٦٨٠هـ/٦٨٠م» ، ثم الفتوحات المنتظمة لذلك الإقليم على يد القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي عام «٩٣هـ/٧١١م» واستقرار العرب إلى حد ما ، وإقامه حكومة عربية في خوارزم^(٣).

وتناول الطبري كذلك - وعلى الأخص في الجزء السابع - بدء ظهور الدعاة العباسيين في إقليم خوارزم ، وترك ولاية على ذلك الإقليم ، وذلك في عهد والي نصر ابن سيار «١٢١هـ/٧٣٨م» ومنهم : أبو حفص بن علي ختة ، وكذلك مسعدة بن عبدالله الإشكري عام «١٢٦هـ/٧٤٣م»^(٤).

(١) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم : الطبعة الرابعة ، منقحة ومعدلة ، ١٩٦٥م.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ص ٣٣ ؛ بديع محمد جمعة : من روائع الأدب الفارسي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ١٤.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٦٩-٤٧٦ ؛ وانظر : الفصل الثاني من الرسالة ، ص ١٢٣-١٢٦.

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ١٥٧ ، ٢٧٩-٢٨٠.

٢ - البيروني «ت ٥٤٢٠/١٠٤٨م» :

الأثار الباقية عن القرون الخالية^(١).

لقد انفرد هذا الكتاب ، (وذلك لكونه معاصراً لأمرأء الأسرة الثانية في خوارزم ومن أبناء ذلك الإقليم) بمعلومات لم تذكر في أي مصدر آخر ومنها الحديث عن أهل خوارزم وبداية تأريخهم لإقليمهم بأول عمارتها ، وذلك على وجه التحديد قبل الإسكندر بحوالي ٩٨٠ عام ، وأخذهم بتورد سياوش بن كيكافس ، ثم تملك كيسخرو لها ، وذلك بعد عمارتها بحوالي مائتي وتسعين عاما «٢٩٠ عام» ، كذلك اقتداؤهم بالفرس في التأريخ العام «على نرية كيسخرو والمسمى بالشاهية».

فتوحات قتيبة بن مسلم ومقدمهم للمرة الثانية لذلك الإقليم بعد ارتدادهم ، وعين عليهم شخص يدعى «إسكجموك بن ازكاجوارين» وبذلك خرجت الولاية من نسل الأكاسرة ، وبقيت الشاهية لكونها مورثة ، ثم انتقل التاريخ إلى الهجرية على رسم المسلمين وسياسة القائد العربي المتبعة ، وتركه للحكومة المحلية كما هي مع وجود والٍ وحامية عربية بها.

كذلك احتوى كتابه على جداول منها جدول يحمل كل ألقاب الملوك ومنهم ملوك خوارزم «خوارزم شاه» إلى جانب معلومات حضارية ذات قيمة عظيمة سوف نستعين بها عندما نستكمل الجانب الحضاري لإقليم خوارزم في دراسة قادمة أن شاء الله.

(١) دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٣م.

٣ - ابن العماد الحنبلي «ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م»

شذرات الذهب في أخبار من ذهب^(١).

تحدث عن بداية قيام دولة خوارزمشاه وذكره للأمير محمد بن انوشتكين «مولى الأمير ميكائيل السلجوقي» ولقبه «خوارزم شاه» وذلك عام «٤٩٠هـ/١١٩٧م» وفي كل من الجزأين الرابع والخامس تناول باستفاضة الحديث عن شاهات خوارزم ، وصراعاتهم على العرش ، فتوحاتهم وتوسعاتهم ، وعلاقاتهم وصراعاتهم مع السلاجقة ، والقراخطاي والغوريين.

٤ - ابن الأثير «ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م»

الكامل في التاريخ^(٢).

يعتبر ابن الأثير مؤرخاً محققاً موهوباً ، حيث يمتاز بشده التثبيت فيما ينقل من حوادث إلا أنه له السبق في النقد التاريخي على ابن خلدون ، ومن هنا جاءت أهمية كتابه ليس فقط في العصور الإسلامية القديمة ، وليس بالنسبة للمشرق فقط بل للبلاد الأخرى من المغرب والأندلس^(٣).

ولقد اتبع طريقة الحوليات في عرض الأحداث ، حيث لخص كتاب الطبري وإن كان قد اختلف معه حيث تفادى القضاء على الوحدة التاريخية للحادثة ، كما كان يفعل الطبري ، فجعل لكل حادثة ترجمة ، أما الحوادث الصغيرة فقد جمعها في فترة زمنية واحدة.

وعلى الرغم من كونه لخص كتاب الطبري إلا إنه فيما يتعلق بموضوع البحث ولم يذكر استعانة ملك خوارزم بالقائد العربي قتيبة بن

(١) الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٢) دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

(٣) سعد زغلول عبدالحميد : المرجع السابق ، ص ٣٤.

مسلم الباهلى ، وتحدث عن بداية الدعوة للعباسيين في إقليم خوارزم ، ودعوة الجهم بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم لإظهار الدعوة العباسية بها في رمضان لخمس بقين منه.

ومن المعلومات القيمة التي ذكرها ابن الأثير ، وخاصة فيما يتعلق بالكيانات السياسية شبة المستقلة في إقليم خوارزم ، وهو ما سوف نعالجه في الفصل الأول من الباب الثاني عن تبعية خوارزم لكل من السامانيين ومن قبلهم الطاهريين ، ثم الأسرة الأولى في خوارزم «المأمونية» ومعاصرتها للدولة الغزنوية ، الأسرة الثانية «الالتونناشية» ، واستعانتهم بالسلاجقة ، وتمكن السلاجقة من الاستيلاء على خوارزم عام «٤٢٥م/١٠٣٣م» ، ثم تناول قيام دولة شاهات خوارزم ، وذلك عام «٤٩٠هـ/١٠٩٦م» منذ عهد مؤسسها وحتى آخر ملوكها المستقلين جلال الدين منكبرتي وسياستهم الخارجية مع السلاجقة والقراخطاي والغوريين ، وكذلك الخلافة العباسية وخاصة على عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، وتطلعهم إلى الخلافة في بغداد.

٥ - ابن العبري «ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م»

تاريخ مختصر الدول^(١).

لقد تركزت معلومات ابن العبري فيما يتعلق بموضوع البحث حول الكيانات السياسية شبة المستقلة في إقليم خوارزم ، فذكر وفاة الأمير مأمون بن محمد خوارزم شاه «مؤسس الأسرة الأولى» ، وكذلك مقتل أبي العباس مأمون بن مأمون ، وتملك السلطان محمود الغزنوي لإقليم خوارزم عام «٤٠٧هـ/١٠١٦م» ثم انتقل للحديث عن قيام دولة شاهات خوارزم ، ذكراً الحروب الدائرة بين القراخطاي والأمير آتسز ووفاته ، وتولى ابنه من بعده سلطان شاه محمود ، وطعم ذلك التاريخ السياسي بنبذات عن حضارة ذلك الإقليم.

(١) دار المشرق ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٩٢م.

وملاحظتنا عن كتاب ابن العبري تناول له لبعض الحوادث السياسية والحضارية المتعلقة بدولة خوارزم شاه ، ولكن ليس في توسع واستفاضة ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ».

٦ - النويري «ت ٥٧٢٢/١٣٢٢م»

نهاية الأرب في فنون الأدب^(١).

قبل تناولنا للأجزاء الهامة والتي تناولت موضوع البحث ، نذكر الأجزاء الأولى من موسوعة النويري ، وهي عبارة عن موسوعة عامة كبرى في الأدب والجغرافيا والتاريخ والاجتماع ، ولقد اقتصرنا على مدى استفادتي منها على بعض المعلومات الطفيفة ، مثل : تعريف لبعض المحاصيل الزراعية مثل البطيخ^(٢). وكذلك الحيوانات مثل القاقم^(٣).

أما الجزء السادس والعشرون فقد تناول فيه مقتل خوارزم شاه أبي العباس مأمون بن مأمون عام «٤٠٧/١٠١٦م» ، وما ترتب على ذلك من شغب في الإقليم ، كذلك أسرة التونتاش وعلاقاتهم بالسلجقة وخاصة عام «٤٢٦/١٠٣٤م» وتبعية الإقليم للسلجقة ، القراخطاي وعلاقتهم بالدولة الخوارزمية ، منذ عهد أميرها آتسز وحتى القضاء عليهم على يد السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد واستحواذه على أملاكهم ، الباطنية الإسماعيلية وقضاء السلطان تكش على نفوذهم إلى حد ما.

أما الجزء السابع والعشرون ، وخاصة في الباب الحادي عشر من القسم الخامس ، والذي خصصه في أخبار الدولة الخوارزمية ،

(١) تحقيق : محمد فوزي العنتيل ، مراجعة : محمد طه الحاجري ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٤٠٥/١٩٨٥م ، ج ٢٦-٢٧.

(٢) النويري : نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للنشر والتأليف والترجمة والطباعة ، القاهرة ، د.ت ، ج ١٠ ، ص ٣ ، ١١.

(٣) النويري : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣١٩.

فتناولها من حيث ملوكها «أي فرع ينتمون إليه ، وصول الأمير محمد بن أنوشتكين لخوارزم ، تسلسل هؤلاء الشاهات منذ عهده وحتى أواخر سلاطينها» ، كذلك السلطان الخوارزمي الأعظم علاء الدين محمد ، وتوسعاته ، الصراعات على العرش بين أبناء هؤلاء السلاطين واستعانتهم بالقوى المجاورة للدولة مثل القراخطاي والغوريين ، ومحاولة السلطان علاء الدين محمد الذهاب إلى بغداد ، ومراسلة الخليفة العباسي وطلبه ملك آل سلجوق ، ورد فعل الخليفة الناصر لدين الله على ذلك ، وتقسيم علاء الدين محمد لإمبراطوريته على أولاده قبل وفاته.

٧ - ابن خلدون «ت ٨٠٨/١٤٠٦م»

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم^(١).

يعتبر كتاب ابن خلدون من أهم المصادر ، وذلك للسببين المعروفين اللذين اختص بهما ابن خلدون ، وأولهما : ملكة المؤرخ العبقرى الموهوب التي جعلته يفهم التاريخ بمعناه الحقيقي الشامل الذي يتلخص في أن الحدث التاريخي أكبر من أن يكون حدثاً سياسياً فقط ، بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل السياسية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك النفسية أيضاً ، وهذا ما دعا ابن خلدون إلى الكلام عن كل هذه الفنون في المقدمة فجعل مفهوم التاريخ أشبه ما يكون بمفهوم الحضارة أي جعله تاريخاً للأمم والشعوب بدلاً من سير الملوك والأمراء أو طبقات الأعيان وهذا ما سماه البعض فلسفة التاريخ ، وهو في الحقيقة ليس إلا التاريخ كما ينبغي أن يكون^(٢).

(١) بيروت ، لبنان ، ١٣٣٥/١٩٣٦م.

(٢) سعد زغلول عبدالحميد : تاريخ المغرب العربي ، ج ١ ، ص ٣١.

ولقد توزعت استفادتي من تلك الموسوعة حتى شملت كل البحث منذ بدايته وحتى قيام دولة شاهات خوارزم وتوسعاتها ، فتحدث عن الأقاليم بما فيها إقليم خوارزم شاملاً أنهاره وبحيرة خوارزم ، كذلك العرب وفتوحاتهم في خوارزم ، ودعاه الدولة العباسية بها ، والكيانات السياسية شبه المستقلة بالإقليم وذلك منذ تبعيته للطاهريين والسامانيين ، وقيام الأسرة الأولى والثانية ، وبداية قيام دولة شاهات خوارزم منذ عهد مؤسسها وحتى آخر سلاطينهم مع ترتيبهم وأعمالهم وصراهم على العرش وتوسعاتهم على حساب الدول المجاورة من القراخطاي والغوريين والخلافة العباسية.

كتب التاريخ الخاص :

ثم ننقل بعد هذا العرض لكتب الجغرافيا وكتب التاريخ العام من مشرقية ومغربية مما يرجع إليه في دراسة موضوع البحث نعرض بعض كتب التاريخ الخاصة ، ومنها :

١ - أرمنيوس فامبري :

تاريخ بخارى^(١).

حيث تركزت معلوماته فيما يتعلق بالكيانات السياسية شبه المستقلة في خوارزم ، وخاصة حول الدويلات التي استقلت عن الدولة العباسية ، مثل : السامانية وبسط سلطتهم على خوارزم وما وراء النهر عام « ٢٨٠هـ / ٨٩٣-٨٩٤م » ، الأسرة المأمونية وكذلك الأسرة الالتونناشية ، وإشارات بسيطة حول ذلك ، وعلاقة الأخيرة بالدولة الغزنوية ، وظهور السلاجقة نظراً لاستعانة الأسرة الثانية «الالتونناشية» بهم.

(١) ترجمة : أحمد محمود الساداتي ، مراجعة وتقديم : يحيى الخشاب : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،

تحدث عن خوارزم من حيث «صفاتها ، عرضها فهي ثمانون في ثمانين ، بها مساحات كثيرة ، دائماً حاضرة الملوك العظام ، ولقد جاء ذلك في سير ملوك الفرس من أحد أقارب بهرام گور الذي أتى إلى هذا الإقليم ، وكان قائداً لملك الفرس واستولى على هذا الإقليم حتى مجيء العرب ويذكر أن خوارزم كانت دائماً لملك مستقل ولم تكن جزءاً من خراسان».

ولقد تحدث باستفاضة عن الأسرة الأولى في خوارزم «الأسرة المأمونية» والذي كان معاصراً لتلك الأسرة ، لذا كانت معلوماته موضع ثقة ، ولقد استقى تلك المعلومات أيضاً من كتاب البيروني السابق الحديث عنه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» الذي تحدث عنهم ، والأسباب التي

(١) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م ، وهو مصدر ذو أهمية لتاريخ العصر الغزنوي ، وكذلك باعتباره تاريخاً لبلاد ما وراء النهر من قبل فهو معلم بارز من معالم التاريخ الإسلامي ، لما كان ينعم به مؤلفة في البلاط المسعودي الغزنوي ، وهدفه من هذا الكتاب هو البحث في معرفة الواقعة وأحداثها ونتائجها ، وهو في ذلك يعتمد على الوثائق في رصد الحدث التاريخي ، ولقد كتب في ثلاثين مجلداً ، ولم يبق سوي الجزء الخاص بالسلطان مسعود ، «١٠٣٠م - ١٠٤١م» ، وانتهى من كتابة هذا الجزء عام «٤٥١هـ / ١٠٥٩م» حقق ونشر في طهران عدة مرات أكثرها تحقيقاً تلك التي حققها قاسم غني ، وقام يحيى الخشاب وصادق نشأت بنقله للعربية عن النسخة المحققة ، وطبع أكثر من مرة ، إقبال عباس الاشتياني ، تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة الطاهرة حتى نهاية الدولة القاجارية «٢٠٥هـ / ٨٢٠م - ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م» ، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه : محمد علاء الدين منصور ، راجعه : السباعي محمد السباعي : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، مقدمته.

أدت إلى زوال إمارتهم على ذلك الإقليم عندما استولى السلطان محمود الغزنوي عليها ، وكذلك آخر أمرائها ، الذي ظل البيروني في خدمته سبع سنوات ، والصدقة والمصاهرة التي كانت بينه وبين السلطان محمود الغزنوي.

كل ما سبق ذكر لدى البيروني تحت مقدمة بعنوان «المسامرة في أخبار خوارزم» وانقلاب الأمور عام «٤٠٧هـ/١٠١٦-١٠١٧م» وتولى الحاجب التونتاش وحتى آخر أمرائها وهو هارون بن إسماعيل خندان الذي استعان بالسلاجقة لمساعدته ضد أعدائه من داخل البلاد وهو وزيره عبد الجبار وأعوانه.

تناول كذلك الألقاب التي كانت تطلق على الأمراء والسلاطين في تلك الأسرة الثانية ، ومنها على سبيل المثال : لقب ولدي ومعتدى الذي أطلقه سلاطين الدولة الغزنوية على ابن التونتاش.

٣ - عطا ملك الجويني « ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م »

جهان كشا «فاتح العالم»^(١).

جمع في مادته ما بين التاريخ السياسي والذي تمثل في الحديث عن الدولة الخوارزمية منذ بدايتها ، سنوات بقائها كدولة ، حكامها ، وموقعها باعتبارها في منتصف الطريق ، وبالتالي فقد عهد إليها بدور كبير في التجارة ، آتسز وحروبه مع السلطان سنجر السلجوقي ، القراخطاي ودولتهم وتمكن الخوارزميين منهم ، وخاصة في عهد السلطان الخوارزمي الأعظم علاء الدين محمد ، وحروبه مع الغوريين.

(١) ترجمه للعربية السباعي محمد السباعي : (دار الزهراء للنشر ، القاهرة ،

١٤١٢هـ/١٩٩١م).

انفراده باستعراض كامل للعلاقات القديمة بين ملوك الدولة الخوارزمية والخلافة العباسية منذ أيام علاء الدين تكش وأطماعه التوسعية المنافسة لأهداف الخلافة التي أوشكت على الانهيار ، التي لم يبق لها سوى نفوذها الروحي ، وامتدت حتى عهد السلطان علاء الدين محمد ، ورغبته في ملك بغداد ، وذلك عام «٦١٤هـ/١٢١٧م» وفشلها فشلاً ذريعاً.

أما مادته الحضارية فقد تمثلت في ذكره للتنظيمات الإدارية الغزنوية ، والتي استمرت في خوارزم ، وكذلك التنظيمات في عهد السلاجقة التي أخذت شكلاً محلياً ، ومدى استفادة الخوارزميين من ذلك وان كانت قد اختلفت عنهم ، وخاصة أن الخوارزميين في عهد السلطان علاء الدين تكش الخوارزمي قد اعتمدوا على قوة القبائل ، لذا قوى نفوذ رؤساء تلك القبائل الذي ساعد على ظهور الدولة ، ومن ناحية أخرى ساعد على إضعاف قوة الدولة المركزية ، أما السلاجقة فقد أشركوا الشعب في الأعمال الإدارية والاجتماعية.

كتب الطبقات ، وهي نوعان :

كتب طبقات عامة ، مثل «وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان» ، وكتب عامة «إقليمياً» مثل : طبقات المالكية والشافعية والحنفية والحنابلة ، وطبقات الصوفية ، وطبقات الأطباء والحكماء واللغويين والنحويين والقضاة والفقهاء ، وكتب خاصة ، وميزة هذه الكتب تتلخص في أنها تهتم بالتاريخ الاجتماعي والحضاري أكثر من اهتمامها بالتاريخ السياسي^(١).

(١) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٥٤-٥٥.

١ - ابن خلكان^(١). «ت ٥٦٨١/١٢٨٢م» :

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان^(٢).

٢ - الصفدي «ت ٥٧٦٤/١٣٦٢م»

الوافي بالوفيات^(٣).

والذي تناول الحديث عن السلطان الخوارزمي محمد بن تكش ،
وتوسعاته لمد حدود دولته ، ومدى اهتمامه بالعلم والعلماء ، ومعلومات
أخرى متفرقة عن التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، وكذلك الدولة
الغورية : نشأتها ومؤسستها ، بالإضافة إلى ذلك تناوله للعديد من تراجم
للشخصيات الموجودة في منطقة خوارزم ، سواء من العرب اللذين نزلوا
بها واستقروا فيها ، وكذلك علمائها وأدبائها ونتائجهم العلمي ، وهو ما
سوف نعالجه في دراسة حضارية قادمة للمنطقة أن شاء الله.

(١) قاضى القضاة ، شمس الدين أبو العباس البرمكي الأربلي الشافعى ، ولد بأربل
عام ثمانية وستمئة ، وكان فاضلاً بصيراً بالعربية ، علامة في الأدب وأيام
الناس.

(٢) المجلد الثالث ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٠-١٩٧١م ، المجلد الرابع ،
دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م ، وهو يقع في ثمانية مجلدات ، وإن
كانوا ليسوا مرتبين ترتيبياً أبجدياً.

(٣) باعثناء هلموت ريتز ، الطبعة الثانية ، ج ١ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، باعثناء س.
ديرنينغ ، الطبعة الثانية ، ج ٦ ، د.ت ، ولقد اخذ الصفدي في التأليف حيث جمع
تاريخه الكبير الذي سماه الوافي بالوفيات ، وذلك في ثلاثين مجلداً مرتبين على
حروف المعجم ، ولقد أفرد منه أهل عصره في كتاب اسماء «أعوان النصر
وأعيان العصر» في ستة أجزاء ، وله كتب أخرى عديدة ، ولقد سمع منه شيوخ
عصره : الذهبي ، ابن كثير الحسيني ، وغيرهم ، وترجم له السبكي في الطبقات
، مقدمته تحت عنوان «ترجمة مؤلف هذا الكتاب» ص:ز.

الكتب الحديثة وتشمل :

أ - المراجع الفارسية

محمد بن برهان الدين خاوند شاه «ميرخواند»^(١). «ت ٥٩٠٣/١٤٩٧م»

روضة الصفا^(٢).

لقد ألفه في سبعة مجلدات ، ولم يمهله القدر ليتم الجزء السابع وأكماله حفيده من بعده «خاوندмир» ولقد تركزت المعلومات الخاصة بموضوع البحث في المجلد الرابع ، حيث تناول تاريخ الخوارزميين ، ومنها على الأخص - الأمير آتسز وصراعه مع السلطان السلجوقي سنجر ، مع إضافة بعض الأبيات الشعرية التي تؤيد وتؤكد تلك الأحداث ، كذلك الصراع القائم بين السلطان علاء الدين تكش والسلطان السلجوقي طغرل الثالث على العراق العجمي «إقليم بلاد الجبل» وتولية السلطان علاء الدين محمد لعرش خوارزم ، وبعد ذلك تناول العلاقات بين الدولة الخوارزمية وسلاطينها العظام وبين القوى المجاورة لهم ، وهم القراخطاي ، والغوريون ، والخلافة العباسية.

(١) يعتبر مؤرخ هذا المرجع من أكبر مؤرخي تلك الفترة منذ عام «٥٨٣٧/١٤٢٣م» حتى عام «٥٩٠٤/١٤٩٨م» ، ولد ببليخ واستقر في بلاط الشاعر «عليشير نوائي» وزير السلطان حسين بلقرا ، فأتاح له ذلك اللقاء مع العلماء والفضلاء ، واستفاد من علمهم وبعدها انصرف إلى التأليف.

(٢) ميرخواند : تاريخ روضة الصفا ، المجلد الرابع ، ازانتشارات ، كتابفروشيهای : ١٣٣٩ هـ ، ولقد اشتمل هذا المؤلف على ستة مجلدات ، هم على التوالي ، المجلد الأول : تاريخ الأنبياء والسلاطين القدامى لإيران ، المجلد الثاني : الرسول والخلفاء الراشدون ، المجلد الثالث : أحوال الأمويين والعباسيين ، المجلد الرابع : تاريخ الطاهريين والصفاريين والسامانيين والغزنويين ، الديلم ، الإسماعيلية ، السلاجقة والخوارزميين ، الأتابك ، ملوك خلع ، ملوك تيمروز ، المجلد الخامس : جنكيزخان وأحواله وأولاده ، المجلد السادس : تيمور ووفاته وأحداثه وأولاده.

٢ - غياث الدين بن همام الدين الحسيني «خواندمير» «ت ٥٩٤٢/١٥٣٥م»

حبيب السير في أخبار أفراد البشر^(١).

تناول الحديث عن أحوال ملوك شاهات خوارزم ، وذلك منذ عهد مؤسسها انوشتكين حتى نهاية عهد تلك الدولة على يد المغول في عهد السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتي.

ومن أكثر الموضوعات التي تتعلق بموضوع البحث ، ووفائها ذلك المرجع ، ذلك الصراع المتكرر بين الأمير آتسز والسلطان السلجوقي سنجر ، وإن كان لم يختلف عما ذكر لدى روضة الصفا ، كذلك الصراع الدائم الذي ظل في دولة شاهات خوارزم ، وكان سمة من سماتها المميزة وهو الصراع بين أبناء السلاطين حول ولاية العهد ، وحروبهم المتعددة مع القراخطاي والغوريين والخلافة العباسية ، ولقد دعم تلك الأحداث ، وإن لم يكن أغلبها بالأبيات الشعرية.

٢ - حبيب الله شالموني

تاريخ إيران ازما تابهلوي

ليس لدينا معلومات عن تاريخ وفاة هذا المؤلف ، ولا ترجمة له ، ولا تاريخ تأليف هذا المرجع وبالرغم من ذلك فقد عالج التاريخ السياسي لتلك الإمارة منذ نشأتها الأولى منذ عهد الأسرة الأولى وحتى قيام الدولة الخوارزمية الثالثة وتوسعاتها ، فنجدته تناول في حديث مختصر الأسرة الأولى «المأمونية» محدداً أمراءها وتواريخهم ، ولم يختلف عن السنوات

(١) المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، تهران ، ١٣٥٣ هـ ، ويقع ذلك الكتاب في ثلاثة

مجلدات ضم فيها كل ما ذكرته المصادر التاريخية السابقة ، ولقد جمع في

المجلد الثالث الأحداث حتى عام «٩٣١/١٥٢٤م» وخواندمير من أعيان القرن

التاسع ومشاهيره ، وبداية القرن العاشر ، ومن كتبه «دستور الوزراء» والذي

تحدث فيه عن وزراء الدولة الخوارزمية.

التي ذكرت في المصادر العربية ، إلى جانب الإشارة إلى علاقاتهم بالسلطان محمود الغزنوي ، كذلك الأسرة الثانية «الالتوننتاشية» ومدة حكمها منذ عام «٥٤٠٨-٥٤٣٤» والتي انتهت بتولي أمر الإقليم للسلاجقة. ثم أسهب في الحديث عن الدولة الخوارزمية وقيامها وتوسعاتها ، موضحاً الفترة الزمنية التي تولاها كل سلطان ، فعلى سبيل المثال مدة حكم السلطان علاء الدين محمد تبلغ اثنين وعشرين عاماً ، ثم صار بعد ذلك على نفس منوال الكتب الفارسية ، وإن كان قد ركز على الظروف والأحداث السياسية متضمناً المعارك ، والعلاقات بين سلاطين تلك الدولة والقوى المجاورة لهم ، والتي سبق واشرنا إليها سالفاً ، ولكنه لم يشر إلى تلك الأبيات الشعرية وبعض الملامح الأدبية التي ذكرت من قبل لدى ميرخواند ، وخواندمير.

ب - المراجع العربية الحديثة

١ - محمد ابن أحمد بن علي بن محمد النسوي^(١). «ت ٦٢٠/١٢٢٢م»

سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي^(٢).

يعتبر من المراجع الهامة في تاريخ الدولة الخوارزمية حيث تناول ما يلي : الأحداث السياسية الهامة في عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، وابنه من بعده السلطان جلال الدين منكبرتي ، وكذلك العلاقات القائمة بين السلاطين العظام الخوارزميين ، والخلافة العباسية ، وأتابكة فارس وأنربيجان والإسماعيلية الحشيشية.

(١) نشر وتحقيق : حافظ أحمد حمدي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، وهو

يعتبر من الكتب الهامة لدراسته تلك الفترة من تاريخ الإقليم ، وذلك منذ عام

٦١٥-٦٢٩هـ/١٢١٨-١٢٣١م.

(٢) كان معاصراً لأحداث تلك الدولة الخوارزمية وذلك لأنه كان كاتباً للسلطان جلال

الدين منكبرتي.

ولقد تخلل ذلك بعض الإشارات عن الوظائف الموجودة في الدولة الخوارزمية والتي أفردنا لها فصلاً خاصاً بها في نهاية البحث ، وخاصة أن المصادر العربية لم تشر إلى معلومات وفيرة عن هذا الجانب إلى جانب مصداقية تلك المعلومات الخاصة بذلك الجانب في ذلك المرجع ، وذلك لكونها قد ذكرت عن طريق شاهد عيان معاصراً إلى حد ما لهؤلاء الشاهات العظام ، ومن ذلك النظم نجد الدواوين ، ومنها : ديوان الجيش ، والإنشاء ، والوزارة ، والقضاء.

٢ - حافظ أحمد حمدي

الدولة الخوارزمية والمغول غزو جنكيز خان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية^(١).

تناول في ذلك المرجع الدولة الخوارزمية ، وإن كان الهدف الأساسي من وضع ذلك الكتاب هو دراسة تلك العلاقات التي كانت قائمة بين الدولة والمغول منذ بداية احتكاكهم بالسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد حتى قضائهم على الدولة الخوارزمية ومن بعدها الخلافة العباسية. ولقد تركزت استفادتنا منه فيما يتعلق بأعمال بعض هؤلاء الشاهات ، وكذلك نبذات بسيطة عن بعض نظمهم وسياساتهم الداخلية والتي اعتمد المرجع نفسه في تلك النقطة على المرجع السالف الذكر «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي»

(١) دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

٢ - فاسيلي فلاديمير وقتش بارتولد

تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي^(١).

وهو من المراجع الهامة التي استفدت منها على مدار البحث وذلك ابتداء من الفصل الأول والذي عالج فيه جغرافية ما وراء النهر بشكل عام وخوارزم بشكل خاص شاملاً جميع النواحي سواء من الناحية الطبيعية والاقتصادية ، كذلك تناوله للقوى التي كان لها علاقات مع الدولة الخوارزمية ، وهم : القراخطاي ، والغوريون ، وغيرهم فتناول بطريقة طويلة علاقاتهم منذ عهد إيل أرسلان حتى نهاية تلك الدولة.

(١) نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم ، أشرف على طبعه : قسم التراث العربي ، ط ١ ، الكويت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

الباب الأول

البلاد والسكان ونشاطهم البشرى

الفصل الأول

البداية

محتويات الفصل الأول البلاد

خوارزم :

وتشتمل على :

- ١ - موقع خوارزم.
- ٢ - عواصم إقليم خوارزم.
- مدينة كاث.
- مدينة الجرجانية.
- مدن بلاد خوارزم.
- قري بلاد خوارزم.

ما وراء النهر

وتشتمل على :

- ١ - موقع ما وراء النهر.
- ٢ - كور ما وراء النهر.
- كورة بخارا وأهم مدنها.
- سمرقند وأهم مدنها.
- الكشانية.
- إشتيخن.
- أشروسنة وأهم مدنها.
- كش ، ونسف.
- كورة الختل والوخش.
- الصغانيان والقواديان.

المياه الجارية :

وتشتمل على :

- ١- نهر جيحون وخاصة الأنهار التابعة لبلاد خوارزم.
- ٢- نهر الصغد.
- ٣- نهر سيحون.
- ٤- البحيرات «بحيرة خوارزم» أو بحر آرال.
- ٥- العيون والآبار.

الجبال.

الصحاري

فهرس الخرائط المتعلقة بالفصل الأول

الفصل الأول البلاد

خوارزم^(١) :

١ - موقع خوارزم:

تقع بلاد خوارزم في الإقليم^(٢). الخامس الجغرافي الواقع في بلاد
التركستان الغربية شرق بحر آرال ، ويشمل بشكل عام مصب نهر
جيجون وبحيرة آرال بشكل خاص ، وذلك في المنطقة ما بين دائرتي

(١) خوارزم : وتفسيرها خوار بمعنى اللحم ، رزم تعنى الحطب : المقدسي : أحسن
التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بيريل ، ط ٢ ، ١٩٠٦م ، ص ٢٨٤ ، وتذكر الرواية
حول ذلك أن ملك الشرق منذ القدم غضب على أربعمئة (٤٠٠) رجل من
حاشيته ، فأمر بحملهم على مسافة مائة فرسخ منهم ، حيث يذكر أن موقعهم كان
مدينة كاث ، وبعد فترة أراد معرفة أخبارهم ، فوجدهم قد بنوا كخاخات
ويعيدون السمك ويتقوتون به حيث الحطب المتوافر لديهم ، وأخبر الملك
بحالهم ، وسألهم عن تسمية السمك لديهم ، فقالوا : خوار ، والحطب رزم ،
فذكر اسم تلك المنطقة وقال خوارزم ... المقدسي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ ،
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، ١٩٥٥م ، المجلد الثاني ،
ص ٤٨٠.

(٢) إقليم : ذكر أنها عربية الأصل فهي مأخوذة من قلم الشيء (أي قطعة) فكان كل
إقليم مقلوم أي مقطوع من الأرض التي تتاخمة ، أي تعنى البلد أو القطر أو
المنطقة الجغرافية وفي موضع آخر ذكر أنها مشتقة من الكلمة اليونانية كليما
«Klima» ومعناها ناحية أو صقع ، ولقد تنوعت دلالتها في مختلف الأقطار
والأمصار ، ففي الشام تعنى الجهة أو القطر ، وفي فارس حيث قسم الفرس
بلادهم «ايرانشهر» إلى سبعة أقسام أطلقوا عليها لفظ كشورات «جمع كشور»
أي خطوط مستقيمة.

ولقد قسم الإبريسي الأقاليم إلى سبعة أقاليم وهو تقسيم بطليموس ، فالإقليم لدية
منطقة عالية عامة ، ليست سياسية ولا إدارية ، بطرس البستاني : دائرة
المعارف ، قاموس عام لكل فن ومطلب ، مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٨٠م ،
المجلد الرابع ، ص ٩٣-٩٤ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد
الأول ، ص ٢٣٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب ، ١٨١٠م ، ج ٤ ،
ص ١٣٥.

عرض ٤٠° ، ٤٥° شمالاً ، وخطى طول ٦١° ، ٩٦° شرقاً ، وتقع على مفترق الطرق إلى بلاد خراسان جنوباً ، وإقليم ما وراء النهر شرقاً ، وتحيط بها المفاوز والصحراء من الشرق والغرب^(١).

وهي منطقة جليلة واسعة الأرجاء ، ذات مدن كثيرة ممتدة العمارة^(٢). فمحيطها «ثمانون في ثمانين فرسخاً في الكبير»^(٣).

ولقد أيد ياقوت الحموي ما ذكرته المصادر السابقة عند زيارته لإقليم خوارزم عام «١٢١٦هـ/١٢١٩م» حيث قال : «فما رأيت ولاية قط أعمر منها على ما هي عليه من رداءة أرضها وكونها سبخة كثيرة النذور

(١) ابن رسته : الاعلاق النفسية ، بيريل ، ١٨٩١م ، المجلد السابع ، ص ٩٨ ؛ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفاسي الاصطخرى : المسالك والممالك ، بيريل ، ١٩٣٧م ، ص ٢٥٣-٢٥٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، بيريل ، ١٩٣٨م ، ص ٤٧٧ ؛ أبو عبدالله محمد بن إدريس : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت. ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٧ ؛ القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الأنشا ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، د.ت. ، ج ٤ ، ص ٤٥٢ ؛ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، ص ٤٨٨ ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، معجم جغرافي ، مؤسسة ناصر للثقافة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م ، ص ٢٢٤ ؛ جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٣م ، ج ٢ ، ص ٤٦ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٩ ، ص ٣.

(٢) ابن رسته : المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ؛ الاصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٥٣-٢٥٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٧ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٧ ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٥٢ ؛ القزويني : المصدر السابق ، ص ٤٨٨ ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص ٢٢٤.

(٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٦.

متصلة العمارة متقاربة القرى كثيرة البيوت المفردة والقصور في صحاريها قل ما يقع نظرك في رسائيقها على موضع لا عمارة فيها مع كثرة الشجر بها»^(١).

٢- عواصم إقليم خوارزم.

■ مدينة كاث.

تعنى باللغة الخوارزمية «الحائط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء»^(٢). وإن كان يقصد من ذلك شدة حصانتها. وهي مازالت موجودة حيث أطلالها الآن هي مدينة تعرف باسم شيخ عباس ولي (وإن كان حصنها الحديث البناء لا يشغل إلا ربع القلعة القديمة بها ، إلى جانب منارة وبقايا سور قديم)^(٣).

وهناك اختلاف في تحديد موقع مدينة كاث ، فربما كانت مدينة فيل القديمة ، أو مدينة المنصورة (الموجود بها قصر خوارزم شاه) والتي ظهرت في أواخر العصور الوسطى ، وهي التي أطلق عليها الاسم الخوارزمي «كاث»^(٤).

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٢٨٢.

(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٢٢٢.

(٣) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، نقلة للعربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد : مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٥٨م ، ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم : قسم التراث العربي ، الكويت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٢٥١.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٨٧ ؛ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، المشترك وضعا والمفترق صقعا ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، د.ت ، ص ٤٠٤ ؛ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري «شيخ الربوة» ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مطرپورغ ، ١٢٨١هـ / ١٨٦٥م ، ص ٢٣٣ ؛ مؤكداً «أن المنصورة مصرها ثم أتت بعدها الجرجانية».

عمارة مدينة كاث :

وهي القصبه الأولى لخوازم وباب تركستان^(١). ولقد صارت في نظامها العمراني على النظام الإيراني القديم ، وكذلك معظم مدن خوارزم وما وراء النهر ، نظرا لوقوع اغلب تلك المدن تحت تبعية الإمبراطورية الفارسية في إيران ، تتمثل تلك العناصر المعمارية في الشهرستان «المدينة» كاث ، القهندز^(٢). «القلعة» وهي أحصنها ، وكما ذكر البيروني أن «الفير» قلعة على طرف مدينة خوارزم مبينه من الطين اللبن مكونة من ثلاثة حصون فوق بعضها متوالية في العلو وفوقها قصور خوارزم شاه^(٣).

وعلى ظهر القهندز كان المسجد الجامع والحبس ودار الإمارة (التي كانت واقعة على نهر جردور أحد أفرع نهر جيحون) ، وسوقها (على جانبي النهر وطوله نحو ميل) ، وربضها^(٤).

(١) مؤلف مجهول : حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص ٩٤.

(٢) القهندز : وهو تعريب كهندز ، ومعناه القلعة القديمة (كهن : تعني العتيق ، دز : أي قلعة) ، وهو اسم جنس لكل حصن في وسط المدينة ، وقل أن يخلو بلد من بلدان فارس من قهندز ، الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر : دار الكتب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، ص ٣١٥ ، حاشية ١ : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص ٣٦٣.

(٣) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٣م ، ص ٣٥.

(٤) الربض : وهي تلك الضاحية القائمة بين المدينة القديمة والحائط الذي بنى في عهد المسلمين ولا تستعمل المصنفات الفارسية كلمة للدلالة على هذه الناحية إلا الكلمة العربية الربض ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ ، ص ٤٠٣.

وبين مدينة كاث ومدينة خيوه مرحلة (أي سنة فراسخ وثلاثا فرسخ) وكذلك القرية الحديثة «بنكيت» وعلى الرغم من كونها من أفخم المدن إلا أنها تفتقر إلى النظافة ، كما توصف بأنها أقذر من أردبيل في أنربيجان ، نظرا لعادات أهلها السيئة ، وهي تغطهم في الشوارع.

ولقد أتى نهر جيحون على مدينة كاث فلم يتبق منها شيء وابتنى الناس مدينة جديدة إلى الشرق من المدينة الأولى وعلى مسافة من جيحون لحمايتها من عواقب فيضانه.

وفي ختام المائة الرابعة الهجرية فقدت مكانتها ومركزها كعاصمة لخوارزم ، فصارت مدينة ليس لها شأن^(١). لتحل محلها العاصمة التالية ، وكان ملكها من ملوك الأطراف ويدعى «خوارزم شاه»^(٢).

■ مدينة الجرجانية (گرجانج) :

تقع على الجانب الغربي لنهر جيحون (أي الجانب الفارسي) ، أما الجانب الشرقي والذي كانت تقع عليه مدينة كاث فيطلق عليه «الجانب التركي»^(٣). وهي الآن مدينة أركنجج^(٤). على بعد مسافة قليلة من المدينة القديمة.

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٠-٣٠١ ؛ محمد على حيدر :

الدويلات الإسلامية في المشرق ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ١٨٤.

(٢) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٩٤.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٧٨ ؛ شيخ الربوه : المصدر السابق ،

ص ٢٢٥ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٥٤ ؛ دائرة المعارف

الإسلامية ، ج ٩ ، ص ٣ ؛ علي الشابي : الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ،

تونس ، ١٩٦٥م ، ص ٥٧ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٠.

(٤) أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي : زين الأخبار ؛ ترجمة :

عفاف السيد زيدان : الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٦٢ ، حاشية ١ ؛

كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٨٩.

وهي مدينة عظيمة مشهورة من أمهات المدن الجامعة لجميع الخيرات وازدادت مكانتها بعد فقدان العاصمة الأولى كاث لمكانتها كمتجر ومعبر للقوافل الآتية من بلاد الغز ، فحلت الجرجانية محلها^(١).

وترتب على ما سبق انتقال أهل خوارزم لها فبنوا بها المساكن والدور ونزلوها وعلى بعد عشرة أميال منها مدينة گرگانج الصغرى^(٢). حيث تقع على مسافة فرسخ من نهر جيحون ، وهو أهم موضع عليه . ولم تشر المصادر إلى التخطيط المعماري لتلك المدينة وإن كانت بعض المؤشرات تشير - وبصورة واضحة - إلى وجود تلك العناصر المعمارية السالفة الذكر والتي من المرجح أن يكون فيضان نهر جيحون قضى عليها.

وقد وصفها المقدسي بأنها «قصة ناحية خراسان على جيحون حيث أن الماء يمس جوانبها ، واحتالوا في رده بالخشب والخطب وهي في كل يوم في زيادة» ، وأضاف كذلك بأن للبلد أربعة جوانب ومن أبنيتها قصر بناء المأمون على باب الحجاج «وإن كان لم يوضح من هو المأمون» ، ولهذا القصر باب ليس بجميع خراسان أعجب منه ، ومن بعده بنى ابنه قصرأ مواجهها للآخر وأمامه ميدان^(٣).

ولقد وصف بارتولد المدينة بأن لها أربعة أبواب وإن كانت لا توجد معلومات عنها بسبب فيضان نهر جيحون ، وأكد ذلك تلك القنوات التي تصل إليها والتي أقيمت من أجل تفادي مخاطر نهر جيحون ، وإن كانت لم تدخل في المدينة لضيق مساحتها^(٤).

(١) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٩١ .

(٢) گرگانج الصغرى : تقع على بعد ثلاثة فراسخ من القصة «الجرجانية» ومن المرجح أن تكون خوارزم الجديدة قد اختير لها موضع هذه المدينة ، ثم سرعان ما صارت خوارزم هي قصة الإقليم الذي حمل اسمها وذلك في القرن ٨/١٤م بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٢ .

(٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(٤) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

وهي تقع على طرف نهر كبير يتفرع من نهر جيحون ، ويأخذ منه من جهة الغرب ، وتجري فيه السفن^(١).

وتحدث ابن فضلان عن مدينة الجرجانية ذاكرًا بردها الشديد لوقوعها في أقصى الشمال ، وكذلك إحاطتها بالمفاوز مؤكداً أنه إذا أراد أحدهم إكرام شخص قال له : «تعال إلى نتحدث فإن عندي ناراً طيبة».

ولقد تغلبوا على ذلك بتوفر الحطب لديهم ورخص ثمنه ، وكذلك ارتدائهم أكثر من نوع من الثياب الثقيلة ، مثل القرطق^(٢). الخفتان^(٣). البوستين واللبادة^(٤). والبرنس^(٥). والسراويل^(٦). واللان والقلانس ، وكانت بيوتهم في جوف بعضها البعض لالتقاء حدة هذا الطقس^(٧).

■ مدن بلاد خوارزم :

لقد ذكر الإصطخرى مدن خوارزم دون قصباتها ، وهم درغان ، هزاراسب ، خيوه ، خشميشن ، اردخشميشن ، سافروز ، نوزوار ، كربران ، خواس ، كرد ، قرية براتكين ، مزمينييه ، مرداجقان^(٨).

(١) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٢٠.

(٢) القرطق : تعريب لكلمة «كرته» وتصغيرها قريطق ، وهو قميص أو معطف قصير يصل إلى منتصف الجسم ؛ ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت ، ١٣٧٥هـ/١٩٦٥م ، المجلد العاشر ، ص ٣٢٣ ؛

R.P.A. Dozy : dictionnaire detaille des noms des vêtements, Amsterdam, 1845, p.2-3.

(٣) الخفتان : القفطان أو الجاكيت ، هو صدرية تحت الثياب ؛

R.P.A Dozy : Op.cit., p.29.

(٤) اللبادة : يلبس من اللبود وقاية من البرد ؛ Ibid, p.29.

(٥) البرنس : وهو معطف طويل له قلنسوة ملتصق به ويغطي الرأس ؛ Ibid,

(٦) السراويل : لباس يستر النصف الأسفل من الجسم ؛ Ibid, p.29.

(٧) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، حققها وعلق عليها وقدم لها سامي الدهان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م ، ص ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٧.

(٨) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق

ص ٤٧٨ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٢٢٣.

أما المقدسي فقد قسمها حسب موقعها على المجرى الأعلى لنهر جيحون وهي :

أولاً : المدن الواقعة على الجهة الشرقية للنهر وهي : غردمان وأنجان أرذخوة ، ونوكفاغ ، وكردر ، ومزداخكان ، وخشير ، وسدور ، وفرزدوخ ، وقرية براتكين ، ومزمينية ، ذاكرا أن سائر المدن الهياطلية عامرة ومحصنة.

ثانياً : المدن الواقعة على الجهة الغربية للنهر ، وهي : نوزوار ، وزمخشر ، وروزند ، وزارمند ، ودسكا خاز ، وخاس ، وخشمين ومدامئين ، وخيوه ، كردرانخاس ، وهزاراسب ، وجغربند ، وجاز ، ودرغان ، وجيت ، والجرجانية الصغرى ، وسدفر ، وكاردار ، وآندريستان^(١).

أولاً : المدن الواقعة على الجانب الشرقي لنهر جيحون :

١ - نوكفاغ :

مدينة حسنة قرب المفازة ، وسط الأنهار المتشعبة من نهر جيحون وتعود بالنفع على بلاد خوارزم^(٢).

٢ - أرذخوة «خيوق» :

مدينة في أول المفازة ، واسعة ، مقامة على إحدى الشعاب المتفرعة من نهر جيحون وموقعها تحت جبل ، بها حصن بباب واحد وجامع^(٣).

(١) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٥.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٨٨ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٠ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٥٨ ؛ كى سترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٣.

قال عنها ياقوت الحموي : «أنها بلدة من نواحي بلاد خوارزم ، وحصن في الوقت نفسه» ، وهو ما ذكرته المصادر السابقة ، ولقد أضاف المسافات بينها وما حولها من المدن التابعة لبلاد خوارزم فبينها وبين أيخان برید «أي أربعة فراسخ» وبين سافردرز خمسة عشر ميلاً وذلك في القرن ٥٧/١٣م ، ولقد أطلق عليها أهل خوارزم اسم «خيوة» وهو الاسم الحالي لمدينة خوارزم^(١).

٣ - إِيخان :

مدينة تتضح من وصف المؤرخين لها كونها مدينة عسكرية ، وذلك لأن بها حصناً وخنديقاً ، ووجود حواجز «عردات» على أبوابها ، وهي على بعد مرحلة من الشمال ، ولقد أيد بارتولد المقدسي فيما ذكره ، وإن اختلف معه - فقط - في كونه اعتبرها «قرية»^(٢). وعلى نسقها كانت غردمان وإن كانت الإضافة في وجود خندق سعته رمية سهم ، ولها بابان^(٣).

٤ - كردر :

مدينة أكبر من نوکفاغ وأحصن ، ولها نهر خاص يستمد مياهه من أسفل مدينة خوارزم على بعد أربعة فراسخ ، أي (١٢ ميلاً) من أربعة مواضع ويصبح نهراً بعدها.

ويذكر أن مجرى نهر جيحون القديم كان في تلك المواضع ، ودليلهم على ذلك أنه إذا قل الماء في جيحون تقل الماء في هذا الفرع^(٤).

(١) ياقوت الحموي : المرجع السابق ، المجلد الثاني ، ص ٢٣٥.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٨٨ بارتولد : المرجع السابق ص ٢٥٨ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٥٩.

(٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٨٨ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان المشهورة ، جامعة البصرة ، وزارة التعليم والبحث العلمي ، ١٩٩٠م ، ص ٣٠٦.

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٢ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٨.

واختلف معهم ياقوت الحموي وجعلها ناحية من نواحي خوارزم أو ما يجاورها من نواحي الترك ، وأشار إلى وجود قوى بها ، وإلى أن أهلها «أناس لا يتكلمون باللسان الخوارزمي ولا التركي»^(١). وإن كان من الواجب أن نضع في الاعتبار الفترة الزمنية ، والتي من الجائز أن يكون قد تطور وضع تلك المدينة وتحولها من كونها مدينة إلى ناحية كبيرة تشمل أكثر من مدينة وقرية.

٥ - مزارخان «مزبخقان» :

وهي رستاق^(٢). يقع بين نهر كردر وجيخون بحذاء الجرجانية^(٣). بينها وبين نهر كردر فرسخان ، ووصفها المقدسي بأنها رستاق ومدينة كبيرة بها اثنا عشر ألف حصن وربض ، وهي تقارب الجرجانية في المساحة وهي أكبر المدن الهيتيلية^(٤).

٦ - سدور :

تقع على حافة نهر جيخون ، ومن خلال وصفها المعماري يتضح كونها مدينة مكتملة العناصر المعمارية فلها حصن وربض ، وكذلك الجامع في وسط البلد داخل الحصن ، وهي الآن أطلال مدينة سدفر «Sadver»^(٥).

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ص ٤٥٠.

(٢) رستاق : فارسي معرب عن رزதாக أو رزداق ، ولقد ذكر في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق ، موضع فيه مزارع وقرى ، حيث لا يقال ذلك على المدن كالبصرة ، وبغداد ، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد ، وهي اخص من الكورة والاستان ؛ الجواليقي : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ ، حاشية ٤ ، ص ١٢٣ ، حاشية ١ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٣٧.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٣ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٠.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٨.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨.

٧ - مزمينية :

مجاورة لمدينة كيت «جيت» داخل المفازة بحوالي فرسخ في الجانب الشمالي الشرقي ، بينها وبين نهر جيحون أربعة فراسخ أي «اثنا عشر ميلا» ولقد تحول نهر جيحون من نهر كردر فقطع ما بين كيت ومزمينية لذا صارت من الجرجانية ولا يوجد على الشط بعدها عمارة تذكر^(١).

٨ - براتكين :

اعتبرها العديد من المؤرخين قرية وفي الوقت نفسه وضعوها ضمن المدن الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحون.

أما المقدسي فاعتبرها مدينة كبيرة في مفازة بالقرب من جبل لم يحدد اسمه تحمل منه الحجارة لاستخدامها في أغراض عديدة ، بنيانها من الطين اللبن ولها سوق عامر ، أما الإصطخرى فجعلها ثغرا من الثغور الهامة وهي قليلة السكان^(٢).

٩ - غردمان :

تقع على بعد مرحلة ن مدينة كاث^(٣).

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٣ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٠ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٦٠.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٣ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٨٧ ؛ مؤلف مجهول : حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، ص ٩٥.

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٦.

ثانياً : المدن الواقعة على الضفة الغربية لنهر جيحون :

١ - الطاهرية :

ومن الملاحظ على الجانب الغربي لنهر جيحون امتداد العمارات عليه من حد مدينة الطاهرية حتى مدينة هزاراسب ، وسبب ذلك نهر جيحون ودوره في عمران تلك المناطق ، وتعتبر أولى المدن في تلك الناحية على جيحون ، وهي ظاهرة الحسن ، وتحتوى على كثير من المزارع والخيرات^(١).

٢ - درغان :

من أكبر المدن بعد مدينة الجرجانية ، بها مسجد جامع على شط نهر جيحون لا مثيل له في المنطقة بأجمعها ، مزينة ومنقوشة بالحجارة الكريمة والذهب ، وهي الآن أطلال مدينة درغان «Daeghanste».

وصفها ياقوت الحموي عام «٦١٦هـ/١٢١٩م» بأنها «مدينة على شاطئ جيحون ، وهي أول حدود خوارزم من ناحية أعلى نهر جيحون على طريق مرو ، تقع على جرف عال ، وهي على سن الجبل وبناحية البر منها رمال ، بينها وبين جيحون ميلان»^(٢).

٣ - ارثخشميشن

مدينة كبيرة كثيرة الخيرات وافرة لأهلها ، من أعمال خوارزم ، وهي في حجمها قدر حجم نصيبين ، وإن كانت أعمر منها ، بينها وبين الجرجانية مقدار ثلاثة أيام^(٣).

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠١ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٦ ؛ ياقوت الحموي : المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ٢٩١.

(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٤٥١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨.

(٣) ابن فضلان : المرجع السابق ، ص ٦٨ ، حاشية ٧ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ١٤١.

٤- جگربند :

يذكر أنها مثل خيوه على شط نهر جيحون كثيرة الشجر والبساتين ذات سوق عامر إلى جانب وقوع جامعها في وسطه فهي بذلك تمثل موقعا تجاريا هاماً^(١).

٥- كرير أنخاس :

تقع في بداية المفازة «فم المفازة» على فرع من الفروع الخارجة من نهر جيحون ، واسعة بالرغم من قلة سكانها ، وبها جامع عامر^(٢).

٦- هزاراسب :

تعنى بالفارسية «الألف فارس» ولقد ظلت محتفظة بهذا الاسم منذ الفتح الإسلامي حتى يومنا هذا ، وهي في حجمها مثل مدينة خيوه ، وإن كانت أقرب من ضفة نهر جيحون اليسرى من خيوه ذات ، شأن عظيم لها أبواب خشب ، وكذلك خندق.

ولقد وصفها القلقشندى بكونها قلعة حصينة ، واقعة في الإقليم الخامس ، بينها وبين كاث ستة فراسخ وأيده ياقوت الحموي عام «١٢١٦هـ/١٢١٩م» وأضاف بأنها مدينة جيدة في موارد مائها ، وذلك لإحاطته بها مثل الجزيرة.

وقد أضاف بوجود طريق واحد على سمرقند قد أنشئ بحيث يصل إليها من نواحي اركنج الجديدة قاطعاً تلك السهلة الممتدة من ضفاف نهر جيحون^(٣).

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٤٨ ؛ قطحان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص ٣٠٤ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٤.

(٢) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ١٤٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠١ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٨ ؛ القلقشندى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٥٥ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ص ٤٠٤.

٧ - نوز وار :

مدينة صغيرة ، بها سور ذو أبواب حديد ، وإن كان المقدسي قد ذكر أن (أي المدينة) لها بابان ، وكذلك جسر يرفع كل ليلة لحماية المدينة من هجوم الترك المجاورين لهم ، بالإضافة إلى حصن وخنق بها ويوجد على الباب الغربي للمدينة حمام ليس بالإقليم كله مثله ، ووجود جامعها في أسواقها وهو مغطى بأكمله ما عدا القليل منه^(١).

٨ - زمخشر :

قرية صغيرة بها حصن وخنق وسجن وأبواب محدودة إلى حد ما ، وكانت مثل مثيلتها السابقة بها جسر ترفع كل ليلة للأمن والحماية ، وخاصة أن كل المدن والقرى التي يشقها الأنهار تبني فيها تلك الجسور ، وذلك لربط جانبي المدينة ويوجد جامعها في سوقها ولقد بلغت مكانه عظيمة في القرن «١٢/هـ» فصارت قرية كبيرة من قري خوارزم^(٢).

٩ - جيت «جيت» :

ولقد ذكرها الإصطخرى وابن حوقل والإدريسي تحت لفظ «كيت» وهي من قري خوارزم ، توجد على بعد خمسة فراسخ من كوجاغ بالقرب من جبل (لم تشر المصادر إلى اسمه) والذي وراءه مفازة ، ليس بعدها عمارة تذكر ، بها مياه وفيرة وعيون جارية ، بالرغم من كونها قرية إلا أنها ثغر محصن على حد الغز ، ومدخل إليهم أيضا^(٣).

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٩.

(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ؛ شكرى فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧١/هـ ١٩٥٢م ، ص ٤٥٢.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٢ ؛ ابن حوقل ، المصدر السابق ،

ص ٤٧٩ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق

، المجلد الثاني ، ص ٦٩٧.

وفي الختام - بالنسبة لمدن خوارزم - نذكر أن المدن السابقة الذكر هي التي ذكرت في المصادر الجغرافية ومن الملاحظ على تلك المدن - مع وجود التفصيلات القليلة التي ذكرت - أنه نادراً ما توجد مدينة خالية من الحصون والقلاع والأسوار ، وكذلك الجسور ، ويدل ذلك على مدى تأثير الطبيعة الجغرافية المتمثلة على الأخص في نهر جيحون وفيضانه والضرورة الواجبة وراء إقامة تلك الجسور لحماية الإقليم بشكل عام ، والمدينة بشكل خاص ، وكذلك الأهمية العسكرية لذلك ، وخاصة أن معظم تلك المدن تعتبر مدخلا رئيسياً للأتراك لقرب موقعهم من بلاد خوارزم مما يستوجب قيام تلك الأسوار والجسور للحماية.

■ قري بلاد خوارزم

❖ غارابخشته : : وهي قرية على نهر جيحون على بعد ستة فراسخ من نهر كاوخواره جنوب مدينة الطاهرية^(١).

❖ غرنيز ، وكذلك فرينغشان : وهي من قرى بلاد خوارزم ، تقع على بعد فرسخين من العاصمة الأولى مدينة كاث^(٢).

❖ سويرنى : من قري خوارزم على بعد عشرين فرسخاً من ناحية شهرستان.

❖ منقشلاغ : ولقد وزعت ضمن قرى خوارزم ، وهي قلعة حصينة ، تقع في آخر حدود بلاد خوارزم ، بين خوارزم المدينة وسقسين ونواحي الروس قرب البحر الذي يصب فيه نهر جيحون ، وهو بحر طبرستان^(٣).

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠١.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٣٥٧.

(٣) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ٢٧٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٥ ، ص ٢١٥.

❖ **برقان :** من قرى مدينة كاث ، تقع شرقي نهر جيحون على شاطئه ، بينها وبين مدينة الجرجانية يومان ، ولقد خرب معظمها وتحولت إلى مزرعة^(١).

ومن قرى بلاد خوارزم والتي لم تشر إليها المصادر بأيـه معلومات نجد آمش ، وباف ، وتمرتاش ، وروذان ، والسعب^(٢).

ما وراء النهر :

ذلك الاسم الذي أطلقت العرب على المنطقة الواقعة في حوض نهر جيحون «OXUS» أو «Amau - Daria» ، ونهر سيحون «Sir - Daria».

ووفقا لمفهوم الجغرافيين المسلمين لم تكن تلك المنطقة ضمن تركستان ، لأنها يطلق عليها الأصقاع المترامية الأطراف التي تمتد بين بلاد الإسلام ومملكة الصين ، حيث يقطنها الرُّحْل من الترك والمغول^(٣).

١. موقع ما وراء النهر

يحد من الشرق : فامر والراشت ، وما يجاور الختل من ارض الهند ، ومن الغرب : بلاد الترك الغزية والخرلخية (من حد طراز حتى تنتهي إلى فاراب وبيكند وسغد سمرقند ونواحي بخارا وخوارزم حتى بحيرتها) ، ومن الشمال : الترك الخرلخية من اقصى بلد فرغانه إلى طراز على خط مستقيم ، ومن الجنوب : نهر جيحون من بنخشان حتى بحيرة خوارزم^(٤).

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ٢١٥.

(٢) قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ٣٠٩ ، ٣١١.

(٣) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥١٤ ، ذاكراً أن «تركستان اسم جامع لجميع بلاد الترك وحدها من الإقليم الأول ضارب في الشرق عرضاً إلى الإقليم السابع» ؛ أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، المجلد الأول ، ص ٤٥٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٦٤٥.

(٤) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٨٦ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٥٩ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص ٤٥ ؛ =

٢- كورما وراء النهر :

لقد كان لليعقوبي السبق الأول في ذلك ، وأتى بعده الإصطخري وابن حوقل وغيرهم ، فكانت أولى تلك الكور بخارا ويتصل سائر السغد «الصغد» المنسوب إلى سمرقند وأشروسنة والشاش وفرغانه وكش ونسف والصغانيان وأعمالها الختل ، إلى جانب ما يمتد على نهر جيحون من الترمذ والقواني وأخسيسك وخوارزم ، فجمع أسبيجاب إلى الطراز وإيلاق إلى الشاش وخجند إلى فرغانه ، وأضاف قائلاً : «وجمعنا ما بين واشجرد والصغانيان إلى عمل الصغانيان ، وجعلنا الختل بماء وراء النهر ، لأنها ما بين نهري وخشاب وجرياب ، أما بخارا وكش ونسف فيجوز أن يجمعها كلها إلى السغد ، ولكن فرقناها ليكون أيسر على التفصيل»^(١).

بلاد الصغد :

لقد بدأنا به نظراً لأهميته الجغرافية التي سوف نوضحها فيما بعد وقربه من بلاد خوارزم واهتمام شاهات خوارزم فيما بعد بتلك المناطق ، وخاصة بخارا وسمرقند ، ومحاولتهم المستمرة ضمة لمملكتهم ونجاحهم في ذلك ، وإن كنا لن نعرض لكل بلاد الصغد بل سنركز على بعض الكور ومدنها وعواصمها الهامة وسبب تسميته هو نهر السغد (الصغد) ، حيث تركز عليه قصبنا الصغد : بخارا وسمرقند ، بجانب العديد من الكور والمدن والقرى التابعة له^(٢).

= جرجى زيدان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، قائلاً : «إقليم ما وراء النهر آخر بلاد الإسلام شمالاً شرقياً ، يحدها من الشمال تركستان وبلاد الهند ، ومن الغرب الجنوبي خراسان يفصل بينهما نهر جيحون ، ومن الشمال الغربي خوارزم ، ومن الجنوب طخارستان» ، وما هو إلا اختصار واضح لكلام كل من الإصطخري وابن حوقل وكذلك أبي الفدا ، تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص ٤٤٧ ، الذي أضاف قائلاً : «أما حدود ما وراء النهر من الشرق والشمال فلم يتضح لي»

(١) اليعقوبي : البلدان ، بيريل ، ١٨٩١م ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٢ ؛ الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٧٤ .

(٢) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٣ ؛ أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١٥ ؛ الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

موقع بلاد الصفد :

من الشرق : خجند ، ومن الغرب : بخارا ، ومن الشمال : بلاد جغانيان وكش ونسف ، ومن الجنوب : بلاد غرجه وطخارستان المتصلة ببذخشان^(١). وهي من أشهر بقاع خراسان خضرة ، حيث قيل أن جنات الدنيا ثلاث وهي : نهر الأبله ، وغوطة دمشق ، وصفد سمرقند^(٢).

■ كورة بخارا^(٣):

أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها^(٤). فهي المركز الديني لبلاد الصفد^(٥). وإلى الغرب منها آمل الشط ، وهي معبرها من خراسان ، بينها وبين جيحون يومان.

(١) شيخ الربوه : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ١٧٨.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٩٣.

(٣) بخارا : صيغة تركية للكلمة السنسكريتية وهار «بهار» ، تعن الصومعة (الدير) ومنها النوبهار = المعبد الجديد ، ولقد ورد لدى لغة الزند لفظ بخارا بمعنى الحكمة والعلم ، يؤيد ذلك خواندمير ، وتعنى في لغة المجوس مجمع العلم ، وأكد ذلك عطا ملك الجوينى : بخارا مشتق من بخارا وبخر ، وهي بلغة المغان جمع مغ ، (هو رجل الدين الزرادشتى) ، مجمع العلوم ، ومن خلال ما تقدم يتضح أن بخارا لم تكن اسم علم لهذا المكان ، لكنها صفة له ، ومن الجائز أن يكون للمجوس في ذلك المكان معبد للعبادة ومجمع لمناقشة الأمور الدينية ، ويؤيد ذلك معنى كلمة بهار ومعناه معبد البونيين ؛ لمزيد من المعلومات انظر : دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٦ ، ص ٣٤٦-٣٦٤ ؛ عطا ملك الجوينى : جهان گشا ، دار الزهراء للنشر ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ٨٦ ؛ خواندمير : حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، تهران ، ١٣٥٣هـ ، المجلد الثاني ، ج ١ ، ص ١٧ ؛ طه ندا : بخارى ، مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٦٥م ، مجلد ١٩ ، ص ٣٧.

(٤) ولقد اعتبرها قدامة بن جعفر ، وابن رسته من كور خراسان ، واختلفت معهما الإصطخرى فجعلها من كور ما وراء النهر وصار على نهجه كل من المقدسي وياقوت الحموي والقزوينى ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعه الكتابة ، مطبعة بيريل ، ١٨٨٩م ، ص ٢٤٣ ؛ ابن رسته : المصدر السابق ، ص ١٠٥ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٥ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٦١ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٣٥٣ ؛ القزوينى : المصدر السابق ، ص ٥٠٩.

(٥) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٤.

وقد اختلفت بخارا عن سمرقند في كونها حافظت على تخطيطها المعماري القديم على نسق المدن الإيرانية القديمة كما سبق ووضحنا. ولم يكن بمدينة بخارا ولا قهندزها «القلعة» الذي على مقربة منها ماء جار نظراً لارتفاعها^(١).

وتميزت بخارا دون سائر مدن ما وراء النهر بالهواء الجاف المتقلب باستمرار ، ومرجع ذلك قربها من المناطق الجبلية ، وشتاؤها بارد طويل حيث تتكاثر الثلوج ، وربيعها ممطر ، وصيفها حار جاف ، أما خريفها فيتميز بالاعتدال ، ويتميز صيفها وخريفها بالقصر ويرجع تقلبها إلى الصحاري التي تحيط بها ، حيث صحاري خوارزم وصحراء فرغانة من الشرق مما أدى إلى هجرة بعض سكانها إلى السهول والوديان لصعوبة المعيشة هناك. وتتركز منطقتها الخصبة إلى الشرق ، حيث يقع معظمها ، لذا فهي المركز الرئيس للزراعة في ضواحي بخارا^(٢).

أهم مدنها :

أولاً : أهم مدنها الواقعة داخل سورها

١- بومجكث :

قصبه بخارا ، ولقد شابته الفسطاط في العفن وسواد الأرض وسعة الأسواق ، وعلى شاكلة دمشق في البنيان وضيق البيوت وكثرة

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ١٩٣.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٢ ؛ أبو محمد بن جعفر النرشخي ،

تاريخ بخاري ، عربة عن الفارسية وقدم له وحققه وعلق عليه : أمين عبد

المجيد بدوي ، ترجمة : نصر الله مبشر الطرازي : دار المعارف ، القاهرة ،

١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، ص ٤٦ ، ٩٣ ؛ أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري :

يتيمة الدهر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ، ج ٤ ، ص ١١٨ ؛

الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥.

الأضرحة^(١). وهي مدينة على مسافة قصيرة من جنوب نهر السغد بناؤها من الخشب.

ويتضح من خلال المصادر أنها مثل مدينتها في عناصرها المعمارية بدليل وجود قلعتين بها : أحدهما داخل المدينة ، وبابين يطلق على الأول باب الغورية «دروازه غوريان» وهو الباب الشرقي «وصار يطلق عليه باب الجامع المؤدي إلى المسجد الجامع ، ثم الباب الغربي «باب الصحراء» دريكستان أو باب السهلة والذي سمي فيما بعد بباب العلافين^(٢). (در علف فروشان).

وتقع القلعة الثانية في الرض خارج المدينة^(٣). ويحيط بها سور سعتة فرسخ وبه سبعة أبواب ، وهم : المدينة ، نور ، حضرة ، الحديد ، القهنذر ، أسد ، مهر^(٤). بنى سعد.

٢- طواويس

من أكبر المدن بعد قصبة بخارا السابقة ، مثلها مثل بقية مدن ما وراء النهر في التخطيط المعماري فلها قهنذر وسور عظيم ومسجد جامع^(٥). ولقد ذكرها النرشخي «طوايسة» واسمها «أرقود» والاسم مأخوذ من حيوان الطاووس الذي تكثر تربيته بها^(٦).

-
- (١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٣ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٠ ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٣٤ .
- (٢) ارمنيوس فامبري : تاريخ بخارى ، ترجمة : أحمد محمود الساداتي ، مراجعة وتقديم : يحيى الخشاب ، ص ٣٩ .
- (٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٥-٣٠٦ ؛ النرشخي : المرجع السابق ، ص ١١٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .
- (٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٣ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٠ ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٣٤ .
- (٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٣-٣١٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥ .
- (٦) النرشخي : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

٣- بمجكث :

تقع شمال مدينة الطواويس على بعد اثني عشر ميلا عامرة متحضرة لها سور ترابي^(١).

ثانياً : أهم مدنها الواقعة خارج سور بخارا :

١- بيكند :

تقع على ربوة مرتفعة بها سور حصين ومسجد جامع به محراب بالغ في الزخرفة ، ليس بما وراء النهر محراب أحسن زخرفة منه ، أما عن رباطها فليس في بلدان ما وراء النهر أكثر عددا منها فعددهم ألف رباط^(٢).

٢- كرمينية

نكرت لدى ابن الفقيه تحت إسم «كرمانية» واعتبرها من مدن بلاد الصغد^(٣). بينها وبين الدبوسية خمسة فراسخ ، أكبر من مدينة الطواويس وأكثرها خلقا وكذلك أخصب أرضا وأطف هواء ، تحتوى على مسجد جامع ومنبر وكثير من القرى^(٤).

ومن الطبيعي أن يكون لتلك المدن السابقة الذكر العديد من القرى ومنها أغزون ، وأفرخش ، وأندق ، وبراكند ، وبرسخان ، وبرفشخ ، وخرمئين ، وخزوان ، وزرخش ، وشرغ وغيرها^(٥).

(١) الإصطخرى : المصدر السابق، ص ٣٣٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٠ ، ٣١٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٤٩٥.

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، بيريل ، ١٣٠٢هـ / ١٨٩١م ، ص ٣٢٧ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٧٦.

(٤) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٢٦ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٤٩٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٦.

(٥) قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ٤٧٧ : ٤٧٩ ، ٤٨٣-٤٨٧.

■ سمرقند وأهم مدنها

تقع جنوب وادي السغد وهي أكثر منه ارتفاعاً فتبعد عن فرغانة ثلاثة وخمسين فرسخاً تقريباً وعن أشروسنة ستة وعشرون فرسخاً ، فهي ملتقى الطرق التجارية القادمة من الهند مارة ببليخ ، ومن إيران مارة بمرور من أرض الترك ، إلى جانب خصوبة أرضها لوقوعها في وادي السغد وهذا يعتبر المركز السياسي لإقليم السغد^(١). ولقد وصفها اليعقوبي بأنها «مدينة السغد العظمى ، وهي من أجل البلدان ، وأعظمها قدراً ، وهي في نحر الترك»^(٢).

أما الإدريسي فقال أنها مدينة لها شوارع ومبان وقصور سامية وفنادق وحمامات وخانات كثيرة^(٣).

صارت في تخطيطها المعماري على نسق سابقتها بخارا وهي : الشهر ستان «المدينة» ، حيث بلغت مساحتها نحو ألفي جريب^(٤). القهندز ، دار الإمارة التي ظلت مقراً للأمرأ حتى عهد إسماعيل الساماني ونقلت بعد ذلك إلى بخارا^(٥). ثم المسجد الجامع أسفل القهندز بينه وبينها عرض

(١) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٢٩-٣٠ ؛ قدامه بن جعفر : الخراج وصنعه للكتابة ، ص ٤٩٢ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٦ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٩٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٧٠ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣.

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩٣.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٧.

(٤) الجريب : قيمته ثلاثة آلاف وستمائة نراع مكسورة ؛ المانوري : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٩٤.

(٥) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٨ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٧١ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ٢٤٧-٢٤٨ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣.

الشارع بناؤها من الطين والخشب يحيط بها خندق بنى على منطقة عالية من الأرض ويجلب إليها الماء من الجنوب على باب كش ، وهو نهر بنى له قنطرة عالية على الأرض في بعض المواضع تطوعا^(١). ثم الربيض الذي تبلغ مساحته حوالي ستة آلاف جريب ، تتركز فيه أسواقها وبه السور الخاص بالربض إلى جانب سور المدينة الأصلية نفسها ، ومشربهم في الربيض هو رأس الطاق ، وهو نهر جاهلي وسط السوق ، وهو أعمر موضع بسمرقند^(٢).

مدن سمرقند ورساتيقها :

ولقد قسمها الإصطخرى إلى قسمين : الأول ، يقع جنوب وادي السغد ، ويشتمل على (ورغسر ، ومايمرغ ، وسنجر فغن ، والدرغم ، وبنجيكت ، وجبال الساودار ، وأبغي) ، والآخر شمال وادي السغد ، ويشتمل على : (ياركت ، ويوزغد ، وبزماجن ، وكبوننجكت ، وذار ، والمرزيان)^(٣).

(١) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٧ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٧-٤٩٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٧٢ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، ص ٢٤٨.

(٢) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٦-٣١٨ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٠-٣٢٣ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٦ ؛ حيث ذكر الرساتيق نفسها التي ذكرها الإصطخرى مع اختلاف بسيط في الرساتيق الجنوبية فبدلاً من أبغر ذكرت «أوفر» ولم يشر إلى جبال الساودار.

■ الكشانية^(١):

بلدة بنواحي سمرقند شمال وادي السغد ، بينها وبين سمرقند اثنا عشر فرسخا وهي قلب مدن الصغد^(٢). وأكبرها عمراناً بعد سمرقند^(٣).

هي ومدينتها إشتيخن متقاربتان في الكبر ، ولكن قصبتها أكبر وأعمر وقراها أكثر ، أما أهلها فهم أيسر وأجمل وأظهر من جميع مدن الصغد^(٤).

■ إشتيخن^(٥):

مدينة جليلة ذات حصون ورساتيق ، امتازت بالبساتين والقرى والضياح^(٦).

وتمثل إشتيخن والكشانية وحدة إدارية تامة بذاتها إلى الشمال الغربي من سمرقند فتبعد عن سمرقند سبعة فراسخ ومن الكشانية إلى إشتيخن مرحلة يحدها من الشمال جبال ساغرج^(٧).

(١) اعتبرها بن خرداذبة وابن الفقيه ضمن سمرقند حيث قالوا : «سمرقند قهندز ولها من المدن الدبوسية ، وارنبجن ، وكشانية ، وإشتيخن ، وكش ، ونسف ، وخنجد» ؛ المصدر السابق ، ص ٢٦ ؛ ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٧ ؛ أما الإصطخرى والمقدسي فقد جعلها من مدن الصغد جنوب الوادي الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٦ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٠-٥٠١ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٦ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٩.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢١٦ ، ٣٢٣ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٨٨.

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٤٦١.

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٠ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٦١.

(٥) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ ؛ وذكرها تحت اسم «اشتاخنج».

(٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٣٢٣ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٩.

(٧) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٨٧.

■ أشروسنة

بلدة كبيرة تقع في ما وراء النهر وهي من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند ، بينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخاً^(١). يحدها من الشرق : بعض فرغانه وفامر ، ومن الغرب : حدود خراسان ، ومن الشمال : الشاش ، ومن الجنوب : بعض حدود كش والصغانيان وشومان وواشجرد والراشت^(٢). وأرض إقليم اشروسنة عبارة عن سهول وجبال لا يتخللها انهار كبيرة^(٣). وإن كان للإصطخرى رأي آخر مخالف حيث قال قال : أن هناك نهراً كبيراً يجري في المدينة الداخلة^(٤).

بونجكت :

قصة أشروسنة ومدينتها الكبرى ، تلك التي يسكنها الولاية^(٥). وهي تسير مثل مثيلتها من مدن ما وراء النهر على التخطيط المعماري الإيراني حيث «الشهرستان» المدينة داخلها مدينة أخرى ، بناؤها من الطين وسقوفها من الخشب^(٦). وبها كذلك القهندز والمسجد الجامع الذي تقام فيه حلقات العلم وربضها الواسع الذي يحيط به السور الكبير الذي يبلغ قطره نحو فرسخ ، وبه أربعة أبواب ، وهم باب زامين ، وباب مرسمندة ، وباب نوجكت ، وباب كلهباد^(٧).

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ المقدسي : المرجع السابق ، ص ٢٦١.

(٢) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٤ ؛ أحمد عطية الله : المرجع السابق ، ص ١١٦.

(٣) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥١٧ ؛ محمد علي حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص ١٨٦.

(٤) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٥.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٤.

(٦) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٤.

(٧) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٦-٣٢٧ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٤ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٧ ؛ الإدريسي : المصدر -

وأهم مدنها

ارسبانيكت^(١). ديزك^(٢). زامين^(٣). ساباط^(٤).

■ كش ، ونسف

كش^(٥).

من مدن ما وراء النهر ، تبلغ مساحتها مقدار ثلث فرسخ أي «ميل ونصف ميل» بناؤها من الطين والخشب^(٦).

ويتضمن تخطيطها المعماري مدينة داخلية ذات أبواب خشب مصفحة بالحديد ، وكذلك القهndز ، والحبس والمسجد الجامع ، أما دار الإمارة فهي خارج المدينة في مكان يسمى المصلى ولها ربضان تتركز فيهما معظم الأسواق وهي مدينة خصبة تتضج بها الفواكه أسرع من أي مكان آخر بمدن ما وراء النهر ، وبها مياه جارية وبساتين ومع ذلك فهي وبئة.

وبجانب المدينة الداخلية هناك كذلك المدينة الخارجة ولها بابان (باب المدينة الداخلية ، وباب يركنان ، وهو منسوب إلى قرية)^(٧).

= السابق ، ص ٥٠٤ ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص ٦٠ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٨٠.

(١) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٥٠٤.
(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٤.

(٣) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٢٧ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٨٠.

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤١٥ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٧.
(٥) أحيانا تكتب «كس» وهي شهر سنبر الحالية ، وينطقها الأهالي شرسنبر ؛ ابن

خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٢٦ ؛ قدامه بن جعفر : المصدر السابق ، ص ٢٤٣ ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ ؛ ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٣٨.

(٦) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠١ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٥٠٠ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٣٨.

(٧) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٤-٣٢٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٥ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق المجلد الأول ، ص ٥٠٠ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٣٨.

ومن رساتيقها : رستاق كش ، وبوزماجن ، وخزار ، خزاروود ،
ومنكورة الداخلة ، ومنكورة الخارجة ، وما يمرغ ، وسيام أو سنام ،
وخزوذة ، وكشك وأرغان^(١).

نسف^(٢). «نخشب»

من مدن ما وراء النهر تقع ما بين نهر جيحون وسمرقند بينها
وبين جيحون مفازة لا جبل بها وبينها وبين سمرقند ثلاث مراحل.

وبها ربض وقهندز وسور له أربعة أبواب وفي وسطها تقع دار
الإمارة والحبس والمسجد الجامع وهو يقع على شاطئ النهر الذي يشق
ويجري وسط المدينة في مكان يعرف «رأس القنطرة»^(٣).

رساتيق مدينة نسف :

ومنها يزدة : على بعد ستة فراسخ من نسف^(٤). وكسية (حيث
المسافة بينها وبين نسف حوالي أثنى عشر ميلاً)^(٥). وبها العديد من المدن
المدن ، وعلى الرغم من عدم كفاية الماء بها طوال العام وذلك لانقطاع
مياه نهر كشكادريا إلى جانب عدم وجود ماء جار بها ، لذا فقد اعتمدت
على مياه الآبار ، وإن كانت تعتمد في معظم الأحيان على الرطوبة

(١) هو الاسم الذي اطلقت العرب ، والاسم المحلي نخشب ؛ اليعقوبي : المصدر
السابق ، ص ٢٩٠ ؛ ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ وهي حالياً
«قرش» ولم تتخذ المدينة اسماً لها إلا في القرن «١٤/٥٩م» عندما بنى الخان
كيك من آل جغتاي قصراً على مسافة فرسخين ونصف من المدينة وهي تعنى
بلغة المغول قصر ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٠.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ ؛
ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، ص ٧٨١.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ،
ص ٥٠٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٠.

(٤) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : نفسه ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٣
ص ٢٨٣ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٠ ؛ بارتولد :
المرجع السابق ، ص ٢٤٠.

(٥) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : نفسه ؛ الإدريسي : نفسه.

الجوية ، وبالرغم من تنوع موارد المياه بها إلا أنها تمتعت بالسعة والخصب في جميع نواحيها^(١).

■ كورة الغتل والوخش

وهي أول كورة على جيحون فيما وراء النهر ، وهما الاثنان مجموعتان في واحد ، يقعان في الربض بين نهري جريان ووخشاب^(٢).

الغتل «ختلان ، وخطلان»^(٣):

وهي البقاع الجبلية العظيمة في تلك المنطقة التي يؤلفها نهر وخباب مع جيحون^(٤) ، مدينتها العظمى هي «واشجرده» ، والتي تحتوى على ما يقارب من سبعمائة حصن ، ويقع جامعها في وسط المدينة ، وبها مستقر السلطان ، بناؤها من الطين^(٥). مشربهم من نهر عذبيي وهي أصغر من الصغانيان المجاورة لها^(٦). وأشهر مدنها أندريجاراغ (ومن المحتمل أن تكون في موضع قلعة ومر الحالية)^(٧). ومنك : التي تقع شمال شمال هلبك وشرق تمليات^(٨). وهي مدينة خصبة ومرجع خصبها إلى أحاطتها بالأنهار وفروعها من جيحون^(٩).

(١) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : نفسه ؛ الإدريسي : نفسه ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٨٠.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٦٧ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧.

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٣٦.

(٤) كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٨١.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٧٩.

(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٧) كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٨٢.

(٨) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٨.

(٩) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٧.

الوخش :

كورة انضمت إلى الختل في عمل واحد^(١). ومن مدنها هلاورد الواقعة على نهر وخشاب.

■ الصغانيات^(٢).

تقع غرب نهر وخش (وخشاب) ، ومن الجنوب نهر جيحون^(٣). وتتصل تلك الناحية بأرض الترمذ حيث تتوع السطح ما بين السهول والجبال.

وهي أكبر من مدينة الترمذ ، حيث تسير على نفس نمط المدن الإيرانية القديمة في تخطيطها المعماري ، وتشمل المدينة ، والربض ، والقهنذر ، إلى جانب المسجد الجامع ورساتيقتها^(٤).

ولقد تميزت مساكنها وشوارعها بالسعة ، لذا فهي شديدة العمارة ، كثيرة الخيرات ، ويعتمد أهلها في مشربهم على انهار تمتد على النهر الرئيسي ، وهو نهر جيحون وبها ما يقارب من ست عشر ألف قرية^(٥). ووصفها اليعقوبي بأنها «بلد جليل واسع فيه كور وعدة مدن ومن كورها: جردان ، ومهاران ، وكاسك»^(٦).

(١) الإصطخرى : نفسه ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٦ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٨٢.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٨٨ ؛ والصغانيان هي مدينة سراسيا الحديثة ، ومن المحتمل وجودها في أعالي نهر الصغانيان أو نهر زامل ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٨٣.

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩٢.

(٤) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٩.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ٣٨٤ ؛ ذكر أنها مدينة «طيبة من نحو جيحون ، عامة أهلها صوافون يعلمون الأكسية ، مشربهم من نهر ، والجامع وسط الأسواق ولهم نهر آخر طرف البلد».

(٦) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩٢.

مدن الصغانيان :

ومنها : دارزنج : وهي ناحية الجبال ، رحبة ، وكثيرة البساتين
ودستكرة : وتقع بين نهريين من شعب جيحون ، وهي كذلك نحو الجبال
كثيرة البساتين^(١). والواشجرد : والتي اعتبرها الإصطخرى من النواحي
التابعة للصغانيان ، حيث قال : أنها مدينة نحو الترمذ^(٢). في حين ذكرها
اليقوبي سابقا - من مدن الختل^(٣).

■ القواذيان^(٤):

هي تمثل القسم الشرقي من ناحية الصغانيان ، على أول نهر
يلتقي بجيحون غرب وخشاب فوق الترمذ ، أي بينها وبين الختل^(٥).
المياه الجارية :

نقصد بها نهري جيحون وسيحون ، وما يتبعهما من روافد
ونهرات متفرعة منهما ، وإن كنا سوف نركز على تلك الروافد النابعة
من نهر جيحون وتفيد بلاد خوارزم.
وترجع أهمية تلك الأنهار في هذه المنطقة إلى ندرة الأمطار بها ،
وخاصة أنه لا توجد سوى مدينة واحدة قد اعتمدت في زراعتها على
الأمطار ، والباقي اعتمدوا على الأنهار والرى الصناعي والعيون والآبار
النابعة من جبال المنطقة القليلة.

(١) ناصر خسرو علوى : سفر نامه ؛ ترجمة : يحيى الخشاب : تصدير عبد الوهاب

عزام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م ، ص ١٥٨.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٧-٢٩٨.

(٣) اليقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٢.

(٤) ذكرت في المصادر الجغرافية بأسماء متعددة ، منها : قبانيان ، القواذيان ،

والقواذيان ؛ اليقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٩١ ؛ الإصطخرى : المصدر

السابق ، ص ٢٩٥ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ ؛ كى لسترنج :

المرجع السابق ، ص ٤٨٢.

(٥) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٨٢.

١- نهر جيحون آمودريا «Amou – Daria»^(١):

يعد نهر جيحون الحد الفاصل بين تلك الأقوام الناطقة بالفارسية والأخرى الناطقة بالتركية أي الإيرانيين والتورانيين ، وهذا لا يعنى كونه حداً جغرافياً ولا إدارياً ففي شماله أقاليم أطلق عليها العرب اسم الهياطلة الذين كانوا في المائة الخامسة للميلاد أعداء الدولة الساسانية ، وإن كان العرب لم يتقيدوا في استعمال اسم الهياطل «الهياطلة» وإنما أطلقوا اسم التورانيين على كل شعوب ما وراء النهر^(٢).

ولقد تعددت الآراء حول منبع نهر جيحون ، وإن كان هذا التعدد والاختلاف مجرد اختلاف لفظي ، أما المضمون فهو واحد حيث ينبعث من بحيرة التبت الصغرى (مقدار عرضها وطولها أربعون ميلاً) تجتمع

(١) جيحون : وهو بالفارسية (به روز) ، ولقد أطلق العرب في العصور الوسطى على نهري : أوكسس «Oxus» ، وجكزرتس «Jaxartes» ، اسمى جيحون وسيحون ، وهما كندجة والفرات يعدان حسب ما يروي من أنهار الجنة ، وينتاب الغموض أصول هذه الأسماء فيبدو أن العرب قد اقتبسوها من اليهود ، فهما لم يكونا سوي صورتين لاسمي النهرين المذكورين في سفر التكوين (٢ ، ١١ ، ١٣) جيحون (كيحون Aihon) ، فيثون (بيسون Pison) وفي أواخر العصور الوسطى كاد يبطل استعمال هذين الاسمين ، وظهر نهر أوكسس آمودريا (أموية) ، أما (جكزرتس) فعرف «سيردريا» ولفظ آمو (أموية غير معروف) ، ومن المحتمل تفسيره إلى المدينة من المدن التي تقع على ضفة النهر ، وهي أمل (مدينة غربي جيحون ومدخلة إلى ما وراء النهر) ، ومن أسمائه كذلك نهر بلخ ، وهي مدينة تقع على بعد بضعة أميال من ضفته الجنوبية والمدخل لما وراء النهر ، أما اسم أكسس فقد أطلقت اليونان عليه ؛ ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ١٧٣ ؛ القلقشندي : صبح الأعشي ، ج ٤ ، ص ٤٤٤ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة ، د.ت ، المجلد الأول ، ص ٢٧٠ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٧٧-٤٧٨.

(٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٣١٤ ؛ كي لسترنج المرجع السابق ، ص ٤٧٦.

من أنهار الوخش والختل ، ويمر من خلالها ببذخشان حيث عموده الأول وهو نهر جرياب^(١).

ويجري من الشرق إلى الغرب إلى أعلى حدود بلخ ، وبعدها ينعطف إلى ناحية الشمال فيصير إلى الترمذ ماراً بزم متجهاً إلى «آمل» من بلاد خراسان حتى يصل إلى بلاد خوارزم فيشق قصبته ثم يتجاوزها ويتشعب منه أنهار وخلصان ذات اليمين واليسار ، ثم يخرج منها مياه تصير عموداً واحداً يجري مقدار عشرين فرسخاً حتى يصب في بحر آرال (بحيرة خوارزم) ، ومقدار جريه من مبدئه حتى منتهاه مائة وثلاثة وستون فرسخاً^(٢). ويطلق على ساحلة بالفارسية «الروذبار»^(٣).

أما الرافد الثاني لنهر جيحون (نهر وخشاب) وهو المعروف الآن بنهر سرخان (النهر الأحمر)^(٤). منبعه من بلاد الترك الخركانية ، فيسير إلى بلاد فامر والراشت ، ويمر بين جبلين فيما بين واشجرد ورستاق من

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك، ص ١٧٢ ؛ ابن رسته : الاعلاق النفسية ، ص ٩١ ؛ المسعودي : التتبيه والإشراف ، ص ٥٦ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٧٨.

(٢) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ١٧٣ ، ذاكراً أن «مجرى النهر حتى خوارزم ثم قال حتى يصب إلى بحيرة كردن» ؛ اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ، «حيث جعل مخرج هذا النهر من جبل الباميان» ؛ المسعودي : المصدر السابق ، ص ٥٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨١ ؛ شيخ الربوة المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص ١٨٥ ، أحمد بن علي بن عمر بن صالح بن أحمد بن سليمان ابن إدريس إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم الطرابلسي الأصل المنيني المولد : الفتح الوهبي في شرح تاريخ أبي نصر العتبي ، «دم ، د.ت» ، ج ١ ، ص ١٩٣ ، ١٧١-١٧٢.

(٣) الروذبار : معناه بالفارسية (موضع النهر) ولقد نقل الحموي عن السمعاني أنها لفظة لمواضع عند الأنهار الكبيرة في بلاد متفرقة ، فقال روذبار بلخ ، ثم قال وبالشاش أيضاً قرية لها روذبار من وراء نهر جيحون ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثالث ، ص ٧٧ ؛ النويري : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٧١ ، حاشية ١.

(٤) كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٧٩.

أرض الختل يسمى تمليات ، ويستمر في جريانه حتى آخر أرض الختل ،
ويصبح بعدها في جيحون عند موضع يعرف بجبله فوق الترمذ^(١).

وبعد انعطاف جيحون حول بذخشان واتجاهه إلى الغرب يستقبل
في ضفتيه اليمنى نهري الطايقان وقندز من طخارستان وأطلق عليها ابن
رسته نهري ختلاب ووتداب (نهر ضرغام) وبعد تكملة مسيرة في
الصغانيان تصب فيه عدة أنهار من جبال البتم وسنام ونهام وخاور تسمى
(كروذ ونهام روذ وخاور روذ)^(٢). وهي أنهار من الصغانيان
والقواني^(٣).

ويطلق عليها ابن رسته نهر زامل في ضفتيه الشمالية على آخر
حدود الصغانيان ، ويصب في جيحون فوق الترمذ ويطلق على نهر
وخشاب حيث تلك الجبال بين زامل ووخشاب القوايديان ، ويستكمل
مسيرته أعلى حدود بلخ^(٤) حتى خوارزم ، وما أن يسير جيحون في
مجراه الأعلى نجد عمارة ذلك النهر في جنوبه أكثر من شماله حتى ينتهي
إلى قرية غارابخشة (جنوب الطاهرية أول مدن خوارزم بعد ستة فراسخ

(١) ابن رسته : صورة الأرض ، ص ٩٢-٩٣ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ،
ص ٢٧٩ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٥٩ ، ٤٧٥ ؛ المسعودي :
المصدر السابق ، ص ٥٦ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ، المجلد الأول ،
ص ٤٨٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٥٣.

(٢) ابن رسته : المصدر السابق ، ص ٩٣ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٧٩ ؛
بارتولد : المصدر السابق ، ص ١٥٥ ، حيث يعلق على كلام ابن رسته قائلاً :
يذكر ابن رسته أسماء كمروذ ، نهام روذ ، خاور روذ ، بأنها روافد كافرنيهان
وأنها تتبع من جبال سنام ونهام (داري نهام من جبال حصن روخاور من
مرتفعات البتم ، والواقع أن هذه الأنهار الثلاثة المعروفة الآن باسم قراطاغ -
دريار طوبلنك - وسنكردك دريا ليست سوي المجرى الأعلى لنهر سرخاب).

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ،
ص ٤٧٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٢ ؛ كي لسترنج
المرجع السابق ، ص ٤٧٩.

(٤) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ، ص ٩٣.

من نهر كاوخواره) ، وقبل بلوغه هذا النهر بحوالي ثلاثة فراسخ يقطع جيحون جبل في وسطه قطعاً فيضيق النهر حتى يصبح عرضه الثلث ويطلق على ذلك الموضع «أبو قشة» وهو موضع يخاف على السفن منه نظراً لشدة جريانه وخطورته عند مخرجه^(١).

الأنهار التابعة لبلاد خوارزم :

أما عن الأنهار المتفرعة من المجرى الرئيسي لنهر جيحون والتي تستفيد منها مدن خوارزم ، فمنها :

١- أنهار الجانب الشرقي من جيحون :

أ - نهر كاوخواره «أكل البقر» :

وهو أول الأنهار العظيمة فيها يستمد مياهه من ضفة جيحون اليمنى في موضع بإزاء درغان عرضه خمسة أذرع (أي خمسة عشر شبراً ، حيث الذراع الواحد ثلاثة أشبار) وعمقه نحو قامتين ، صالح للملاحة ، يجرى شمالاً فيسقي كثيراً من المزارع ، وبينه وبين المجرى الرئيسي للنهر بقع رستاق كاث ، والذي تبعد عنه تلك المدينة نحو اثنا عشر فرسخاً^(٢).

ب - نهر كرية :

وهو مما يلي مخرج نهر كاوخواره بحوالي خمسة فراسخ ، فيكون بداية هذا النهر ، حيث يعمر بعض الرساتيق ، ومن الملاحظ على مدن الجانب الشرقي من جيحون قلتها ، فبين الواحدة والأخرى نحو مسافة يوم في الرساتيق جنوب كاث^(٣).

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠١ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٧٨ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٣٠٤.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٠.

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٥-٤٩٦.

٢- أنهار الجانب الغربي لنهر جيحون في بلاد خوارزم :

حيث تبدأ الكثافة بعد مدينة هزاراسب وإن كانت الطاهرية - كما سبق وذكرنا - هي أول مدن بلاد خوارزم على شط نهر جيحون إلى هزاراسب ، وتلك المسافة أشبه ما تكون معدومة ، والسبب وراء ذلك هي المفاوز والصحراء ، وكذلك ضيق مجرى النهر ، والذي ما يلبث أن يعود مرة ثانية لمجراه حتى يتسع عند مدينة هزاراسب نحو مرحلة إلى مقابل مدينة ، ويضيق مرة ثانية حتى يصير بالجرجانية نحو فرسخين حتى ينتهي إلى قرية كيت (جيت) التي تقع على بعد خمسة فراسخ من گرگانج ولا توجد بعدها عمارة بل جبل ومفاوز^(١).

أ - نهر هزاراسب :

وعلى ضفته مدينة هزاراسب ، ويطلق على هذا النهر لفظ قنوات حيث أصلة من نهر جيحون ، والسبب وراء ذلك هو تفادي فيضان هذا النهر وتغير مجراه من آن لآخر ، ويترتب على ذلك خراب معظم مدن ضفافه مثلما حدث لمدينة كاث ، ومن قبلها المنصورة وقلعتها «فيل» ومياهه من نهر جيحون نحو آمل ، وهو نصف كاوخواره ، ويحمل السفن نحو فرسخين ويعنى ذلك صلاحيته للتنقل فيه بالمراكب والجمال ، وذلك عند تجمده في فصل الشتاء ويسقي هذا النهر رساتيق مدينة هزاراسب.

ب - نهر كردران خواش :

يقع على بعد فرسخين شمال هزاراسب وأصل مياهه من نهر جيحون ويمر على مدينة تحمل اسمه ، وإن كان كما سبق وذكرنا من قبل أن الأنهار هي التي تحمل أسماء المدن والعكس وذلك نظرا لقدمها. وموقع تلك المدينة «وهي خواش» في نصف الطريق بين هزاراسب وخیوه ، حولها خندق ولها أبواب من الخشب وهو أكبر من نهر هزاراسب.

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٣.

ج - نهر خيوه :

يقع شمال سابقة وهو أكبر منه ، تجرى فيه تلك السفن الآتية من تلك المدينة التي تحمل الاسم نفسه.

د - نهر مدرا :

أو (ندري) كما ذكر الإدريسي ، ومن قبل بن حوقل وهو ينسب إلى المدينة ، وهي مدينة حسنة عامرة ذات سوق وسور ، ونهرها ضعف نهر كاوخواره ، وتجرى فيه السفن إليها ، ويكفي المدينة من مياهه وما يجاورها ، والمسافة بينه وبين النهر السابق عليه نحو ميل.

هـ - نهر جردور :

من الطبيعي أن يكون موضع هذا النهر مع انهار الضفة الشرقية لنهر جيحون ، حيث توجد عليه مدينة كاث العاصمة الأولى لإقليم خوارزم ولكن لأن أغلبية مياهه من ضفة نهر جيحون الغربية ، واليسير من جنوب المدينة من ضفتها الشرقية لذا صنف ضمن انهار الجانب الغربى لنهر جيحون.

و - نهر وذاك الكبير «وداك أو ودان» :

يحمل السفن إلى مدينة الجرجانية القصبة الثانية لإقليم خوارزم ومخرجة على نحو ميل من نهر مدرا ، ونجد المسافة بين وذاك وخوارزم حوالى فرسخين.

ز - نهر بوه «بوية» :

ومخرج هذا النهر من جبل في بداية المفازة ، يقع أسفل على مقربة من درغاس حيث يجتمع كل من ماء نهري بوه ووداك في الشمال الغربي على حد قرية تعرف بأندريستان وهي على نحو مرحلة يوم من جنوب الجرجانية ، وحيث تجرى فيه السفن إلى الجرجانية ، وهو اصغر من سالفه. وبالقرب من الجرجانية يوجد سكر يمنع ويعوق سير السفن ، ومن مجمع مياه هؤلاء إلى الجرجانية حوالى مرحلة ، وبين نهر

كاوخواره والمدينة حوالي اثني عشر فرسخاً وعرض نهر خوارزم على أربعة فراسخ من أربعة مواضع ، فيصير نهراً واحداً مثل بوه ووداك إذا اجتمعا ، هذا ويقال أن جيحون كان مجراه في هذا الموضع حيث إذا ما قل ماء نهر جيحون يقل الماء في هذا النهر^(١). وإذا ما انحدر هذا النهر من مدينة الجرجانية إنشعبت منه أنهار وفيوض ذات اليمين واليسار فصارت منها بطائح وآجام ومروج أسفل مدينة خوارزم نحو أربعة فراسخ ، ثم يمر مستقبلاً من خوارزم فيما بين الجرجانية والمزداخكان ، فالأولى في غربية والثانية في شرقية ، حيث الأولى أسفل من المزداخكان بحوالي أربعة وعشرين فرسخاً.

وفي المزداخكان حيث شاطئها الشرقي توجد قرية «هرواز» ثم قرى أخرى مجاورة لها ، وما أن ينحدر من هذا الموضع حتى تتشعب منه شعبة ذات اليسار ويمضي إلى موضع يسمى «ورغده» أسفل الجرجانية بأربعة فراسخ تقريباً ، ثم إلى قرية «دار بيض» فتسير منه إلى أسفل القرية بطائح كثيرة تسمى خلجان وهو موضع لاصطياد الأسماك المجلوبة من خوارزم إلى بقية النواحي ، ثم تتجه إلى بحيرة خوارزم (بحر آرال)^(٢).

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠١-٣٠٣ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ص ٤٨٠ ، ٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٧-٦٩٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ ، ٣٠٤ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٦.

(٢) ابن رسته : المصدر السابق ، ص ٩١-٩٢ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ؛ ابن حوقل المصدر السابق ، ص ٤٨١ ؛ المسعودي : التتبيه والإشراف ، ص ٥٧-٥٨ ؛ مطهر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ، اعتنى بنشره وترجمته من العربية إلى الفرنسية : كلمان هوار : طهران ، ١٩٦٢م ، ج ٤ ، ص ٥٩ ؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ؛ ص ٩٤ ؛ الحميري : الروض المعطار في خير الأقطار ، ص ١٨٥.

ويتضح مما سبق أن طول مجرى نهر جيحون من مبدئه إلى مصبة في بحيرة خوارزم نحو أربعمئة فرسخ وقيل أكثر وفي مواضع أخرى قيل أقل^(١).

صلاحيات نهر جيحون :

كان البلدانيون الأولون يعدون تجمد نهر جيحون في الشتاء من العجائب ، حيث يتم ذلك في الجزء الأعلى منه (أي عند منطقة خوارزم) ويرجع ذلك إلى قسوة الطقس وشدة البرودة التي تتصف بها المنطقة ، وخاصة كلما اقتربنا من الشمال ، وتتقارب مدة تجمده من شهرين إلى خمسة أشهر ، ويبلغ سمكه ما يقارب من خمسة أشبار ، لدرجة أن أهل خوارزم كانوا يحفرون بالمعاول آباراً في النهر ويسقون منه كما يسقون من البئر ، وكانوا يخزنون المزيد منه في الجرارات لحين الحاجة إلى ذلك ، كذلك يستغلونه في تنقلاتهم وذلك كما ذكر ابن فضلان ، ومن بعده ابن بطوطة ، فكانوا يجعلون الخيول والبغال والحمير تجتاز عليه وكأنه طريق ثابت^(٢).

وعلى الرغم من تجمده طوال تلك الفترة إلا أنه صاحب الفضل الأعظم على تلك المناطق ، وذلك يتضح من تركيز معظم الرساتيق المشهورة بالحاصلات الزراعية في الجانب الغربي من نهر جيحون ، والأنهار المتفرعة منه والتي من أهميتها أن كان لكل من تلك المدن نهر

(١) المسعودي :المصدر السابق ، ص ٥٨ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٩٤ ، (وان كان قد اختلف في تقدير مقدار جريان نهر جيحون من مبدئه إلى مصبه بحوالي ثلاثمئة وستين فرسخاً).

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ١٩٧ ؛ كسى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٨٧ ؛ ابن فضلان : المرجع السابق ، ص ٨٣ ، قال (أن سمك جمود نهر جيحون حوالي سبعة عشر شبراً ، ويجمد من أوله إلى آخره) ؛ ابن بطوطة : تحفه النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، (رحلة ابن بطوطة) ، ص ٣٧٥.

خاص بها ، وكان لذلك دور رائع في ذلك الإقليم المتطرف المحاط بالمفاوز في كل مكان.

أما عن مجراه الأدنى فكان صالحا لسير السفن والملاحة^(١)، وخاصة لوجود مدينتي بلخ ومرو فهما بمثابة المدخل لما وراء النهر مدينة بخارا وأسواقها ويفيض إلى طواحين وضياح والفائض يكون في مجمع مار يجاور بيكند بالقرب من فرير ويسمي «بسام خسواس» ، أو «بسام خواش»^(٢).

ونظراً لارتفاع المدينة فلا يوجد بها ولا بقلعتها ماء جار كما سبق ووضحنا ، لذا فاعتمادهم الأول على نهر الصغد الذي ينتهي إلى بخارا ويدخل قصبته من كلاباذ ، لذا فقد جعلوا له مدخلاً واسعاً وأقيم فيه الخشب ، ففي الصيف ومع غزارة المياه يقومون برفع ذلك السد من الخشب الواحدة تلو الأخرى حسب زيادة الماء فينقلب أكثره من المدخل ، ثم يمر إلى بيكند ، ويطلق عليه (أي الفتح الأول) اسم «ناشون» والآخر أسفل المدينة ويسمي «رأس الورغ» ليحمي المدينة من غرق الضياح والرساتيق^(٣).

ويتشعب من هذا النهر في منطقة بخارا انهار عديدة وهي : نهر قشيديزة ، ونهر جويياريكار ، ونهر جوغشج ، ونهر بيكند ، ونهر نوكنده ، ونهر كشته ، ونهر الطاحونة ، ونهر الريكستان ، ونهر رياح ، ونهر زغاركنده^(٤).

(١) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٨٧.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٦ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٣ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٤ ، «وإن كان قد اختلف معهم في مكان تجمع الماء فأطلق عليه اسم بسامجن».

(٣) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ١٩٨.

(٤) لمزيد من المعلومات عن تلك الأنهار انظر : الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٠-٣٠٩ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٣-٤٨٥ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، ٢٠٠.

وكذلك يتشعب من عمود نهر الصغد في حد بخارا ولكن خارج قصبته من الحائط الخارجي من ناحية الطواويس إلى أن ينتهي إلى باب المدينة انهار كثيرة متفرقة في القرى والمزارع فتقوم عليها عمارة قرى بخارا وهم : نهر سافري ، ونهر خرغان روذ ، ونهر بنجار جغر ، ونهر بنو كنده ، ونهر فرخشة ، ونهر كشته ، ونهر فرواز السفلي ، ونهر باروان ، ونهر فرواز العليا ، ونهر خرمة ، وهر تينكان.

والملاحظ على تلك الأنهار كونها متصلة ببعضها البعض ، فعلى سبيل المثال : نجد نهر فراوز السفلي يسقي قراة حتى ينتهي إلى فاراب ، ونهر باوران يسقي قرى فاراب حتى ينتهي إلى بانذ ... الخ ، وما يتبقى من الصغد فانه يجرى في نهر يعرف بالذر ذلك الذي يشق ربض بخارا ، ومنه انهار المدينة ، ومعظمها تحمل السفن ، وتكون إلى حد ما صالحة للملاحة.

هذا إلى جانب آثارها الإيجابية في خصوبة الوادي ، إلا أن لها آثارها السلبية المتمثلة في قرب مياه بخارا من التربة فهي مفيض لنهر الصغد ، لذا صارت التربة ضعيفة ، ولا تحتل الأشجار الكبيرة مثل الجوز ، الدلب ، بل زرعت الشجيرات الصغيرة غير المعمرة طويلا بها وبالرغم من ذلك فواكهه بخارا أصح وأذ فواكهه ما وراء النهر كلها^(١).

٢- نهر الصغد :

يعتبر من الأنهار شديدة الأهمية لوادي الصغد بوجه خاص ، ومنبعه من جبال البتم على ظهر الصغانيان ، حيث تخرج المياه من عيون تطرد من تلك الجبال وتتجمع في منتقع يسمى ورغسر^(٢). ومن الأنهار التي تتواجد في جهة الشرق عند مفارقة ورغسر :

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣١٠-٣١٢ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ص ٤٨٦-٤٨٧.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٠ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٩٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٩٨-٩٩.

١- نهر بارمش : وهو محاز لنهر برش من جهة الجنوب ، عليه عمارات وقرى عامرة من أوله إلى آخره ، وهو - إلى حد ما - صالح للملاحة.

٢- نهر بشيمين : يتشعب منه نهيرات عديدة من الصعب إحصاؤها ، تعمر تلك القرى والضياح من ورغسر إلى آخر رستاق وهو الدرغم.

٣- نهر يوزماجن.

٤- نهر اشتيخن : ويسقي سبعة وعشرين ميلا « ٢٧ ميلا » حتى ينتهي إلى المدينة التي تحمل اسمه فيعمر رساتيقها وهو من أعظم تلك الأنهار ، ويتشعب أسفله نهر كينجكت الذي يسقي مدينة كينجكت والمرزبان ، وغير ذلك حتى تنتهي إلى الكشانية ويجاوزها إلى حدود حائط بخارا.

٥- نهر القصارين واسروزد : مخرجهما من جبال سيام وهي مسقي مدينة كش ، ويجري الأول جنوب المدينة ، والآخر في شمال المدينة.

وبجانب تلك الأنهار انهار أخرى تسقي منها المدينة ، ومنها نهر خروذة ، ونهر بخشك رود ، على طريق بلخ وهو على بعد فرسخ من المدينة^(١). ويتجمع الفائض من تلك المياه حتى يصل إلى مدينة نسف^(٢). وفي بعض الأحيان تتقطع مياه الأنهار في بعض الفترات على مدار السنة ، لذا يكون اعتمادهم على الآبار حتى عودة مياه الأنهار.

ويذكر الإصطخرى كثرة عدد الأنهار برستاق سمرقند لكثرة عدد قراها فمن الممكن أن يكون للقرية الواحدة نهران أو ثلاثة ، ويكثر بها انشعاب الأنهار بحسب عدد الدور والقصور والبساتين^(٣). وآخرها بهر الصغد حيث يشق ربض

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠١ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٠.

(٢) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠١.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٢.

٣ - نهر سيحون (سيردريا) :

وهو الحد الفاصل بين بلاد ما وراء النهر وبين التركستان منبعه من تجمع انهار في حدود الترك الخرخية ، وتصير عموداً حتى يظهر في حدود أوزكند من بلاد فرغانه^(١).

وأحيانا ينسب هذا النهر «قرادريا» إلى مدينة أوزكند الواقعة على هذا النهر ، وتفيض معظم مياهه لعدم وجود جسر عليه لحفظ الماء والتحكم في جريانه^(٢).

ويجتمع إليه نهران : الأول : نهر خرشاب الذي يعتبره ابن حوقل مصدر الصدارة بين الروافد الكبرى لنهر سيحون أو «أورست» ؛ والثاني: نهر جدغل والذي في امتداده يصل حتى القرية الحديثة ويبلغ ثلث نهر جيحون وعن طريقة تحمل المير إلى القرية الحديثة ، حيث أغلب سكانها مسلمون ، ومن تجار خوارزم على الرغم من كونها موطن ملك الغز واستقراره في فصل الشتاء هي ومدينتا جند وخواره ولكن القرية الحديثة أكبرها حيث المسافة بينها وبين خوارزم عشر مراحل^(٣).

ومن روافده كذلك نهر هرك «برك - parak» ، كذلك نهر جبرجيق له منبعان : أحدهما يخرج من رستاق جدغل والآخر من جبال بسكام ، وأصل منبعهما من بلد الترك الخرخية ، حيث ينتفع وادي الشاش منه.

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٩ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٩٤ ، «وإن كان الأمر قد اختلف بالنسبة لمبدأ هذا النهر حتى يصل إلى حدود أوزكند حيث يقول : أن المجرى الأعلى لنهر سيردريا هو نهر قرادريا ، الواقع في الجزء الجنوبي من فرغانه فاصل مياهه من نهر قراكلجة ونهر تار ، وهما اللذان يتألف منهما نهر قرادريا حيث منبعهما من بلاد الترك ، ويطلق = على قسم من فرغانه الواقع بين نهري قراكلجة ونهر تار باسم ميان روزان (أي ما بين النهرين) وهو تعبير يتفق مع المسمى الحالي وهو بالتركية «ايكي صوار» ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١١ ، ص ٣٥٧ ؛ النويري : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٧١.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١١ ، ص ٣٥٧.

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥١١ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٦ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٤٥ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٧٠-٢٧١ ، ٢٩٤ ، حيث تحدث عن قرية بنكيت أو القرية الحديثة ، وهي إطلال جنيكنت Janjent على ثلاثة أميال من قلعة إمارة خيوه المعروفة الآن جات قلعة.

ويذكر المسعودي أن نهر الشاش «مفيض وجوب لا يسقي بلاد الشاش ، وإنما مشربهم من نهر عظيم يعرف بنهر ترك ، وهو حالياً أنكرين ، إلى جانب نهر ايلق فهو أيضاً مشرب وادي الشاش»^(١).

ولم يبق من روافد سيحون في الوقت الحالي سوي نهر خرشباب أما بقية الروافد فتصب كلها في القناة المعروفة الآن باسم شاهرا يخان تلك التي تشابه القنوات الأخرى التي مدت من قرادريا في القرن ٩م^(٢).

٤. البحيرات والعيون والآبار

بحيرة خورازم^(٣).

تقع على بعد أربعين فرسخاً من الغرب والشمال ، بين دائرة عرض ٤٦° ٤٥' - ٤٣° ٥٠' شمالاً ، وخط طول ٧٦° ٧٩' - ٧٥° ٢٧' شرقاً وهي بحيرة شكلها مثلث ، مشهورة ماؤها مالح ، يصل طولها إلى مائة فرسخ ومحيطها ثلاثمائة فرسخ^(٤).

(١) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ١٧٨ ، ويضيف إلى نهر ترك نهر سياواه ، طرازاب وغيره مما يجري فيه السفن العظام من الترك إلى الصين ، أي من الشرق إلى الغرب ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٥٧ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٠٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٤-٧٠٥ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ ؛ ذاكرة رستاق جدغل وهو حالياً جتكل Chatkal جبال بسكام هي بسكم Pskem.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٧١.

(٣) بحر آرال «بحيرة خوارزم» : بحيرة كبيرة غربي التركستان ، مالحة ، بلغت مساحتها عام ١٩٤٢م ٦٠,٥٤٨ كم^٢ منها ٢,٣٤٥ كم^٢ جزائر أكبرهم جزيرة «توقمان أطمه» تجاه مصب نهر آمودريا وهي بالروسية «ostrowvoztozdenigo» «جزيرة البعث» ومن قبل كانت تسمى جزيرة نيقولاس لشت ، مساحتها ٢١٦ كم^٢ وجزيرة بارما كلمز «الوصول بلا عودة» مساحتها ١٣٣ كم^٢ ، ولها عدة جوان وجزائر صخرية ، أما مستوى الجزيرة في عصور ما قبل التاريخ فيعلو أربعة أمتار عن مستوى مائها الحالي وكان مستوى الماء في البحيرة في الأزمنة التاريخية غير ثابت ، وكذلك تغيرات الشاطئ وخاصة في الشرق والشمال الشرقي غير ثابت ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١ ، ص ٤٢ ؛ النويري : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٥٠.

(٤) ابن رسته : الأعلام النفيسة ، ص ٩٢ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨١ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ١٤ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٩ ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٦٩ ؛ النويري : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٥٠.

يصب فيها نهر جيحون في موضع يسكنه الصيادون حيث لا توجد قرية ولا بناء ، ويطلق عليها خلجان ، ويحاط بها أهل الغزية الذين يأتون إلى خوارزم حيث كانت بينهم علاقات قديمة سواء من قرية براتكين أو من الجانب الآخر من الجرجانية ، وبمنطقة الخلجان يوجد العديد من البطائح والمستنقعات الواقعة في مجرى نهر جيحون الأدنى ، حيث يصطاد كميات كبيرة من الأسماك حيث تصدر من خوارزم إلى البلاد المجاورة^(١). ومن هنا جاءت أهمية تلك البحيرة ، والتي استمرت حتى الوقت الحالي ولكن ليس فقط على اصطيد الأسماك ولكن الصناعات القائمة على تلك الأسماك^(٢).

ومن جهة أخرى يصب فيها نهر سيحون فتجري فيه السفن المحملة بالمير والأمتعة إليها وإلى البلاد الأخرى ، ونجد أن مسافة ما بين مصب نهر جيحون وسيحون مسيرة عدة أيام (أي ما يقرب من أربع مراحل) ، إلى جانب استقبالها للأنهار الأخرى ، وإن كان ذلك لم يغير من درجة ملوحة مياهها^(٣).

وعلى الشاطئ الشرقي للبحيرة تحيط بها غياض ذات شجر كثيف ملتف لا يمكن لأحد اختراقها وسلوكها إلا في طرق ضيقة وعرة حيث اتخذتها الخنازير البرية مسلكاً لها^(٤).

٥- العيون والآبار

نجدها قليلة جداً إذا ما قورنت بسابقتها من المجاري المائية فهي في أماكن متفرقة ، وعلى الرغم من قلتها فهي تمثل أهمية عظيمة في المنطقة التي تتواجد بها.

ففي سمرقند ، وعلى الخص في رساتيقها الشمالية حيث توجد «باركث» وهي متاخمة لأشروسنة ، ماؤها ليس من نهر الصغد ولكن من العيون^(٥).

(١) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٠ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٨٩-٦٩٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٣٥١ ؛ بارتولد : المصدر السابق ، ص ٢٦١.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١ ، ص ٤٥.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨١ ؛ المسعودي : المصدر السابق ، ص ٥٧ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٣٥١.

(٤) ابن رسته : المصدر السابق ، ص ٩٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٦١.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٢.

ولم ترد إشارة عن تلك العيون ولا موضعها ، أما مصدرها فهو أما الفائض من مياه النهر أو من الأمطار القليلة الهطول في تلك المناطق أيضا ، كذلك سوسنده في أشروسنة ، وهي على طريق فرغانه إلى السغد وأيضا «ديزك» وهي مدينة في السهل بها العديد من الخانات والرباطات وماؤها ينبع من عين^(١).

مدينة نسف : والتي تعتمد على تلك الأنهار المتجمعة من كش ، ولكن وقت انقطاعها تعتمد على الآبار في سقاية بساتينها حتى تعود مياه النهر إلى جريانه^(٢).

هذا ما وجد في تلك المنطقة من آبار وعيون ، ويذكر القلقشندى وجود عين بخوارزم في جبل يطلق عليه جبل الخير ، وتعرف به العين أيضا ، حيث يقصدها ذوى الأمراض المزمنة ، ويقيمون فيها سبعة أيام في كل يوم يغتسلون بها بكره وعشية ، ويشربون منها عقب كل اغتسال حتى يحدث البرء^(٣). وفي المفازة التي تحيط بخوارزم وهي من حدود بلخ حتى بحر خوارزم ، لا توجد بها أنها وإنما بها آبار^(٤).

الجبال

من الصعب تحديد الأماكن التي تنتشر فيها الجبال في بلاد خوارزم وما وراء النهر.

الجبال الموجودة على مجرى نهر جيحون الأعلى :

وهي توجد عليه قبل بلوغه نهر كاوخواره بثلاثة فراسخ تقريبا ، وهو يقطع نهر جيحون ويوسطه في موضع يسمى «أبو قشة» فيضيق الجبل حتى يمر بخانق فيضيق مجرى النهر بنحو من الثلث^(٥).

المرتفعات المحيطة بالشاطئ الغرب لبحر آرال :

نجد «سياه كوه» أي الجبل الأسود ، وذلك على حد قول ابن رسته ، ولكن الإصطخرى يطلق عليه «جغراغر» ، ولعل هذا الاسم يمكن ربطه باسم قبيلة «جغراق» أو «جغراق» التي ورد ذكرها لدى البيهقي على اعتبار أنها من جيران خوارزم^(٦).

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٥-٣٢٧.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٥.

(٣) القلقشندى : المصدر السابق ، ص ٢٨٣.

(٤) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٨٣.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ،؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٩.

(٦) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٨٣٨ ، ويطلق عليه جبل نغراغن ، وإن كان من خلال =

ويتصل به جل القبق مما يلي بحر الخزر ، حيث يمتد فيمر خلف بلاد الخزر ، مارا ببلاد الغزية متجها إلى الشرق من وراء بحيرة خوارزم ، ويتصل بأرض فرغانة إلى أن يلحق بجبال الصين^(١).

الجبال المحصورة بين نهري جيحون وسيحون في مجراه الأدنى وفيما وراء سمرقند :
أ - جبال البتم :

وهي جبال شاهقة منيعة ، الغالب عليها النزهة والخضرة ، بها قرى عامرة بالسكان ، وللبتم جبال تعرف بالبتم الأول والأوسط والخارج حيث ماء سمرقند وبخارا والسغد ، بقية مدن السغد من البتم الأوسط من مكان يعرف بجن «مجنى» حيث يبلغ نحو ثلاثين فرسخا تقريبا أي حوالي «٩٠ ميلا» ويجرى منه أيضا إلى برغر ، وتختلط بماء سمرقند مياه نهر الصغانيان ونهر فرغانة من قرب رأس ماء جن ، ويغلب عليها البرد وبها من المعادن الذهب والفضة والزاج والنوشادر ، الذي حمل منه الكثير من الأماكن والبقاع المختلفة في الأرض^(٢).

ب - جبال الشاوذار «الساودار» :

على جنوبي سمرقند ، فليس برستاق سمرقند ما هو أصح هواء ولا أجود زرعا ولا أحسن فاكهة منه ، وأهله اصح أهالي هذه الناحية ، طوله زيادة عن عشرة فراسخ ، وهي من أنزه الجبال وأحسنها وبها عمارة لا تنقطع ، وغلاتها متصلة مما يدل على شدة خصبها.

وبالشاوذار منتجع للنصارى وهم من نصارى العراق ، ويطلق عليه «يوزكرده» ، ولتلك الجبال مخرج «فجاج» فيه أنهار جارية إلى ضياع ، مما يجعلها حسنة ، وتزداد خصبها وفي فقارها العديد من الصيود المختلفة الأجناس^(٣).

وبالإضافة إلى ما سبق هناك جبال قرية من سمرقند ، بينها وبين تلك مرحلة واحدة ، وعلى مقدار نصف ميل تتصل تلك الجبال بجبال

= استكمال كلامه في موضع آخر يفهم منه أنه يفرق بين جبل سياكوه وجبل نغراغن وما ذكره ينطبق على جبال سياكوه.

(١) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٨٢٩.

(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٤٨ ، ٥٠٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، = المجلد الأول ، ص ٣٣٥-٣٣٦ ؛ أنم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله للعربية : محمد عبد الهادي أبو ريده : القاهرة ، ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م ، ج ٢ ، ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٧٣.

«كوهلك» يعنى الجبل الصغير وهو حالياً «جوبان آنان» يمتد طرفة إلى سور سمرقند ، وهو مقدار نصف ميل في الطول ، ومنه أحجار بلدهم^(١). كذلك جبل «وركة» وهو اقرب الجبال إلى بخارا ومنه حجارة بلدهم وأبنيتهم ، وكذلك طين الأواني ولا يوجد بعد هذا في بخارا ولا حائطها من الخارج جبل ولا مفازة^(٢).

ج - جبال سيام «سنام» :

وهي جبال كش ، وكما يذكر بارتولد أن هذا الاسم تحمله الجبال التي تتبع منها قراطاع - دريا مما يرجح أن يكون المراد بها إنما هو القسم الشمالي جميعه لسلسلة جبال الحصار ، وينبع منها نهرا اسرود ، والقصارين حيث يستخرج منهما الكثير من الترنجين ، ولقد كان بتلك الجبال حصن قد اعتصم به المقنع^(٣).

الصحاري

واستكمالاً لوحدة الطبيعة لإقليم خوارزم وما وراء النهر ، نجد الصحاري التي تحيط بإقليم خوارزم ويطلق عليها مفازة^(٤) خوارزم التي تحيطها من الشرق والغرب ، وتسمى كذلك مفازة سيفانه الواقعة غربي النهر ، وهي ممتدة في حدود بلخ إلى بحر خوارزم ، تبلغ سعتها مرحلة واحدة ، وسبع مراحل في مكان آخر^(٥).

ويحيط بتلك المفازة من الشرق حدود مرو حتى يصل إلى جيحون وجنوبها حدود باورد ونسا وفراوة ودهستان ، وتمتد إلى بحر الخزر حتى حدود آمل ، وشمالها يحاذي نهر جيحون وبحر خوارزم وحدود الغور حتى حد البلغار^(٦).

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٧٣.

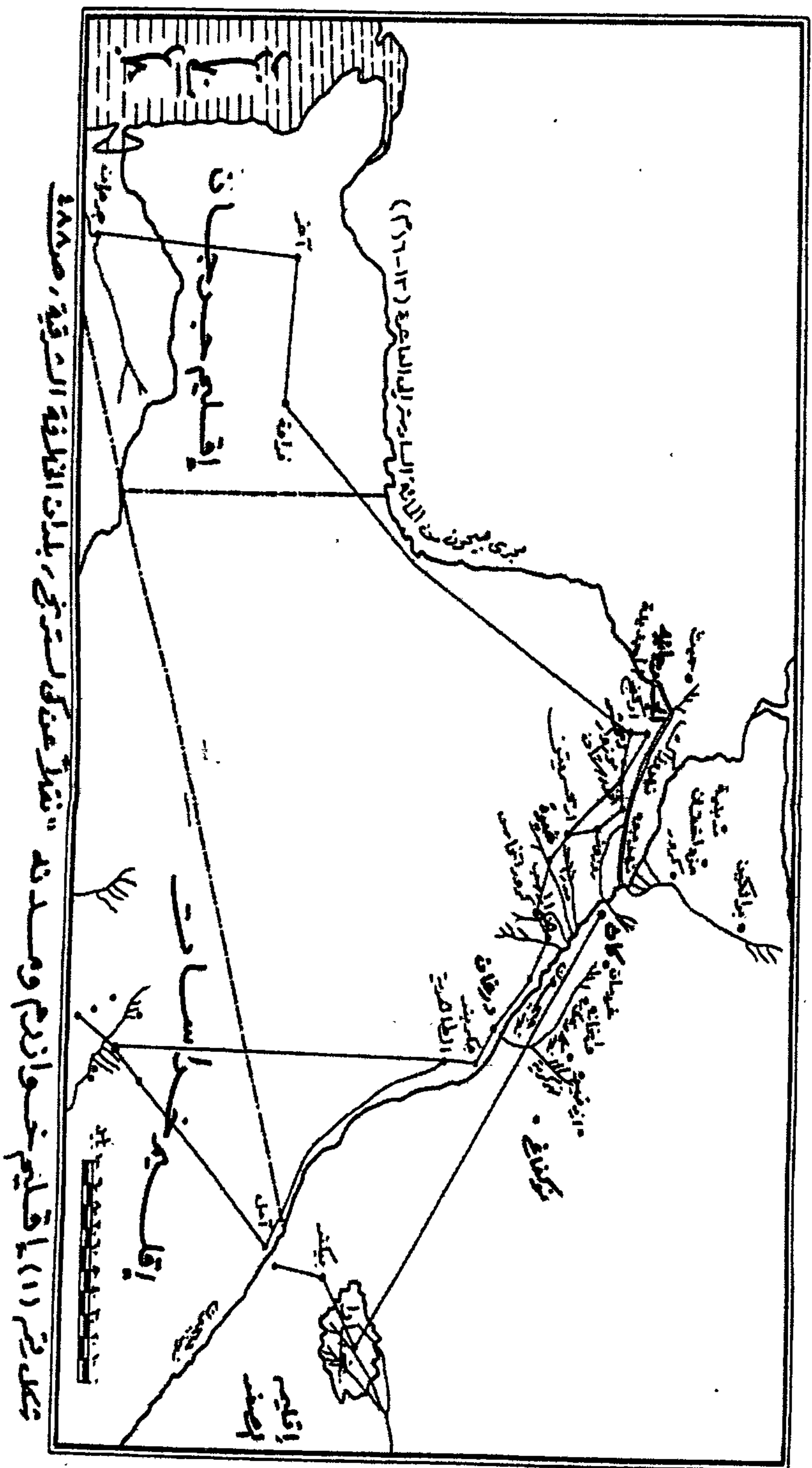
(٢) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٢.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٠ ، بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٣٧.

(٤) المفازة : أي الفيف والفيفاء ، والمفازة أيضاً هي التي لا ماء فيها مع الاستواء والسعة «أي الصحراء الملساء» ؛ ابن منظور : لسان العرب ، المجلد التاسع ، ص ٢٧٤.

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٨٣ ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٤٤-٤٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٥.

(٦) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٤٦.



الفصل الثاني

السكان

محتويات الفصل الثاني السكان

أولاً : الفرس :

- التفسير اللغوي «الاصطلاحي» للفرس.
- التفسير العرقي.
- موطن الفرس.
- هجراتهم وأسبابها.
- سماتهم الجسمانية وصفاتهم.
- الدول الفارسية القديمة وعلاقاتها بولاياتها.
- طبقات الفرس.
- التركيب السكاني لإقليم خوارزم.
- الحياة الدينية عند الفرس.

ثانياً : الترك :

- التعريف اللغوي «الاصطلاحي» للترك.
- التفسير العرقي.
- الحياة الاجتماعية عند الترك.
- الحياة الدينية عند الترك.
- بلاد الترك.
- القبائل التركية.
- أقدم الشعوب التركية
- أ - الطخارية.
- ب - الهياطلة.

ثالثاً : العرب :

- الوضع السياسي والاجتماعي في إقليم خوارزم.
- الفتوحات العربية لإقليم خوارزم.
- القبائل العربية ومشاركتها في الفتح المنظم لخوارزم.
- المواطن الأصلية لتلك القبائل.
- كيفية إدارة إقليم خوارزم.

الطوائف الأخرى :

- أ - اليهود.
- ٢ - المسيحية.

الفصل الثاني

السكان

مقدمة :

تميزت منطقة دارستنا منذ القدم بكونها موطناً للعديد من الأقوام (وهم من الأقدم للأحدث الفرس ، الترك ، العرب) ومهداً لحضارات كثيرة^(١). وذلك لكونها منطقة عبور في وسط آسيا بين الترك والفرس : شرقاً وغرباً والروس والصقالبة : شمالاً والهند جنوباً.

أولاً : الفرس :

- التفسير اللغوي «الاصطلاحي» للفرس :

تعددت المسميات التي أطلقت على الفرس وتركزت في اسمين ، وهم الإيرانيون والفرس ، وإن كان مرجعهم إلى قطر واحد بعد هجرتهم من أواسط آسيا.

فالإيرانيون : مرجعهم إلى إيران^(٢). وهي لفظة منقلبة عن آريان ومفردتها آرية ، «ذكرت في الفارسية القديمة Ariya ، والسنسكريتية Arya ، وفي الافستا آريا Ariya»^(٣). لذا أطلق على موطنهم الجديد اسم «إيرايانا فيجا» أي موطن الآريين والإيرانيين^(٤).

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية ، ص ١١٧ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاجيكستان ماضيها وحاضرها ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٠.
(٢) عبد النعيم حسنين : الإيرانيون القدماء ، دار الرائد العربي ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ١١.

(٣) محمد حسنين بن خلف تبريزي تخلص ببرهان : برهام قاطع ، تهران ، ١٣٤١ هـ ، المجلد الأول ، ص ٣٣ ، حاشية ١.

(٤) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١ ، حاشية (١١) ، ذاكرا ، ورد في الافستا كتاب زرادشت المقدس ، الذي وضع في القرن ٧ ق.م ، اسم «إيرايانا فيجا» على موطنهم الجديد ، أي موطن الآريين لكون الإيرانيين من الشعب الآري ، ثم تطورت وأصبحت سهله وهي بلاد إيران ، وهناك تفسير آخر ينكر أن إيران اخذت من إير وهو ايرج احد أبناء أفريدون بعد تقسيم مملكته على أبنائه ، ص ١٨ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٢٥٥-٢٥٦.

والفرس : نسبة إلى إقليم فارس^(١). وهو جزء من إيران متاخم لبلاد العرب ، إلى جانب شأنه العظيم في حوادث التاريخ القديم وخاصة مع اليونان ، لذا أطلقوا على بلاد إيران اسم Persis وما زال الاسم اللاتيني يدل على ذلك وهو «Persia»^(٢).

- التفسير العرقي :

تعدد الروايات حول الأصول العرقية للفرس تبعاً لاختلاف النسابة ، من عرب وفرس وما قام بينهم من التفاخر ، فهم عند النسابة العرب يرجعون إلى ولد فارس ابن أرم بن سام بن نوح^(٣).

والشائع - والذي يغلب عليه الطابع الأسطوري - كونهم من ولد إيران بن أفريدون^(٤). «من الأسرة البيشداوية» ، وذلك يعنى اختلافهم ما بين الساميين أولاد سام ، والإيرانيين من أولاد يافت.

(١) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١٨ ، حاشية ١ ، ذاكرا ، (سميت إيران باسم فارس نسبة للإقليم الذي شمل عواصم الدولة الاكمينيه والساسانية ، والآن ساد الاسم الأعم وهو إيران) ، دونالد ولبر : إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة : عبد النعيم حسنين : (دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ، د.ت ، ص ١).

(٢) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، (بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١٠).

(٣) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزهرى : كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد صادق : (مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت) ، ص ٦٧ ؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٢٥٥ ؛ (ومنهم من زعم أنهم من ولد فارس بن ياسور بن سام) ؛ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل : المختصر في أخبار البشر ، (الطبعة الحسينية المصرية ، ط ١ ، د.ت) ، ج ١ ، ص ٨٢ ؛ عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ، ص ٢٢٦.

(٤) أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بيروت ، د.ت ، ص ٣٤٨-٣٤٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ ؛ ولقد ذكر ابن خلدون انساب عديدة لهم منها إيران بن شوذ ، غليم بن سام ، لاوذ بن أرم بن سام ، إديم بن لاوذ ، يوسف بن يعقوب بن اسحق ، ويذكر أن الساسانية فقط من ولد اسحق وجدهم منوشهر بن منشحر بن فرحس بن وترك ، ووصفها بكونها غير مضبوطة.

أما علماء الفرس فذكروا أن نسبهم يرجع إلى كيومرث «جيومرث» وهو يعنى «حي ناطق مائت» ، ويلقبونه بكلشاه ، وتعنى «ملك الطين» أو «ابن الطين»^(١).

ولقد أيد المسعودى كل ما سبق ذاكراً ، أنهم تنازعوا فهناك من زعم أنه ابن آدم وأكبر أولاده ، وطائفة أخرى تضيف بجانب ما سبق أنه أميم بن أرم بن سام بن نوح وذلك لكونه أول من جاء بفارس من ولد نوح^(٢).

- موطن الفرس :

تحدث ابن صاعد عن موطنهم ، موضحاً حدودهم الرئيسية وما يتضمن ذلك من مدن وأقاليم ذاكراً « أن أمه الفرس مسكنها في الوسط المعمور ، فحد بلادهم من الجبال في شمال العراق المتصلة بعقبة حلوان إلى بلاد خراسان كنيسابور ومرو وسرخس وهراة وخوارزم وبلخ وبخارا وسمرقند وفرغانه والشاش ، وغيرها من بلاد خراسان إلى بلاد تيجستان وكرمان وفارس والأهواز وأصبهان ، وما تصل بها من كل هذه البلاد ، كانت مملكة واحدة لسانها واحد ملكها واحد إلا أنهم يتباينون في شتى يسير من اللغات ...»^(٣).

(١) شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ ؛ القرماني : المصدر السابق ، ص ٣٤٧ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٥ ، ص ٤٨١ ، ذكر أنه (أول البيشداوية «الفيشداوية» حيث يطلق على كل ملك فيشداد أي «سيرة العدل»).

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادل الجوهر ، المجلد الأول ، ص ١٨٩.

(٣) أبو القاسم صاعد بن أحمد صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، (بيروت ، ١٩١٢م) ، ص ٦٢٥ ؛ محمد عبد المنعم الشرقاوى : المسألة الآرية نشأتها وأطوارها ، (مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، ١٩٣٤م) ، المجلد الثاني ، ج ٢ ، ص ٢٤٩-٢٥١ ، قائلاً : «أن من الآراء المؤيدة لهذا الموطن اعتقادهم بأن آسيا هي مهد الجنس البشري نظراً لوجود أقدم اللغات الآرية وهي : (السنسكريتية ، والزندية) ، التي تتكلمها تلك الشعوب ، لذا لا بد أنها قد وصلت إلى إقليم «بنجاب» آتية من الشمال الغربي مختربة إقليم كابل Cabul ، ومن ناحية أخرى : ما كان =

وإن كان بعد فترة زمنية طويلة ظهر رأي جديد تضارب مع الرأي الأول وهو كونهم ساكني أوربا باعتبار أن السهل الأوربي هو الموطن الذي نشأ فيه الجنس الآري ، فارضاً وقوعه بين خطي عرض ٤٥°-٦٠° شمالاً ، ومدى ملائمة ذلك لهم ، إلى جانب الطبيعة الجغرافية المساعدة للانتشار من الشرق إلى الغرب^(١).

وأكد ذلك عبد النعيم حسنين ذاكراً «أن أغلب الظن أنهم يقيمون في القوقاز شمال سيبيريا ، وشمال أوربا ووسطها ، وشمال روسيا وشرقها ، وشمال الهند وأيضاً المنطقة الواقعة بين بحيرة أورال ونهر جيحون^(٢)».

- هجراتهم وأسبابها :

هجراتهم :

هاجر هؤلاء الآريون^(٣) عام ١٥٠٠ ق.م تقريباً إلى جنوب الهضبة الإيرانية وغربها ، وتلتها هجرة أخرى من الإيرانيين عام ٩٠٠

= سائد بين أهل الافستا «avesta» فتذكر أنهم قد جاءوا إلى مناطقهم من إقليمهم الأصلي عند سفوح جبال بلورتاج ومستاج «Blurtag-Mustag» قبل أن يتفرقوا شعباً ، وكانت الجماعات الهندوأوربية «Indoe_Iranian» تعيش عيشه رعوية في الإقليم الواقع بين نهري سيحون وجيحون ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١ ، حاشية (١).

(١) محمد عبد المنعم الشرقاوي : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠.

(٢) أرمنيوس قامبري : تاريخ بخاري ، ص ٤٤ ذاكراً «ما يقوله العلامة خانيكوف من أن مجال الشعب الإيراني هو في الوديان الخصبة بين الهندوكوش وسلسلة جبال بغمان وكوه باب مقبول حين نمد مهد الشعب الإيراني حتى المناطق الخصبة بشواطئ كوهك اوزرقشان ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١.

(٣) محمد حسين بن خلف تبريزي : برهان قاطع ، ص ٣٣ ، ذاكراً أنه اسم طائفة من الهندوأوربية الذين يعيشون منذ عهود محيقة مع بعضهم البعض ، ثم انقسمت إلى قسمين : أحدهما ظل في الهند ، والآخر جاء إلى إيران ، ومن المحتمل أن تكون تلك التي نحن بصدد الحديث عنها.

ق.م ، وعاشوا حياة مستقرة وبعدها أخذوا في حياة البداوة والتجوال ، حتى أسسوا قرى في إيران وصارت موطناً لهم ، وتحدثوا اللهجة الهندية الأوربية «Indo-Europen» ولقد اشتملوا على طوائف عدة ، منها طائفة الميديين ، الفرس ، البارثيين ، الباكثريين «Bactrian» «أهل بلخ والسغديين» ، والساكا والسيزيين «scgthion»^(١). وصارت كل منهم في الانتشار ، وتحديد البقعة المناسبة لها ، وأصبحت الوديان تسمى بأسماء تلك القبائل^(٢). وكان الميديون في الغرب ، والفرس في الولايات الجنوبية الغربية^(٣).

بالإضافة إلى وجود قبائل أتت عن طريق خوارزم إلى بلخ وما حولها واتجهت إلى الإقامة على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية لإيران ، وبعدها تم الانتشار في أجزائها المختلفة^(٤).

أسباب هجراتهم :

ازدياد ضغط السكان على الموارد الطبيعية ، ندرة سقوط الأمطار وحدوث الجفاف ، ولقد استمرت تلك الهجرات الواحدة تلو الأخرى حتى أواسط الألف الثاني ق.م^(٥).

-
- (١) دونالد ولبر : إيران ماضيها وحاضرها ، ص ٢٦ ؛ بوكشيشيفسلى : بإشراف : كازانسكى : جغرافية الاتحاد السوفيتى «الطبيعة ، السكان ، الاقتصاد» ، (موسكو ١٩٧٦م) ، ص ٢٤١ ؛ ذاكرا أن السكان القدماء وعلى الأقل في القسم الجنوبي من هذه المنطقة كانوا يشكلون فيما مضى من أقوام وقبائل إيرانية اللغة.
- (٢) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١ ، عبد المنعم ماجد : للتاريخ السياسي للدولة العربية ، (ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٠م) ، ج ١ ، ص ١٨٨-١٨٩ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١١.
- (٣) دونالد ولبر : المرجع السابق ، ص ٢٦ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١٢.

(٤) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١.

(٥) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٩ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص ١١ ؛ محمد عبد المنعم الشرقاوى : المرجع السابق ، ص ٢٨٢.

- سماتهم الجسمانية وصفاتهم :

يتصفون بطول القامة والعيون الزرقاء والشعر الأصفر ، وجمال الوجه والرأس المستطيلة^(١). إلى جانب سرعة العدو وقوة الساعد وحدة السمع والبصر ، أقوىاء يعتنون بالزراعة نظراً لبيئتهم الخصبة وطبيعتهم الجبلية ذات البأس والقوة والبطش والشرف^(٢).

ثيابهم :

تتميز ثيابهم بأنها مفتوحة من الجانبين والأمام فتخفق مع الهواء وبالرغم من ذلك لا ترى أجسامهم عارية^(٣).

ومن الطبيعي مع استمرار تلك الهجرات أن تنشأ دول ما تلبث أن تتحول إلى إمبراطوريات واسعة الأرجاء ، تفرض سيطرتها على من يجاورها ، ومن ضمن تلك الدول نجد :

- الدول الفارسية القديمة وعلاقاتها بولايتها :

١- الدولة المادية «الميدية»^(٤). «٧٠٨ ق.م - ٥٥٠ ق.م» :

من المرجح كونهم من الجنس الآري الذين استوطنوا شواطئ بحر قزوين ، ثم سكنوا بخارى وسمرقند وبعدها هاجروا ق.م بأكثر من

(١) محمد عبد المنعم الشرقاوي : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ ؛ آرثر كريستسن : إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة : يحيى الخشاب : دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٤٦ م ، ولقد ذكر صفات معارضة لما سبق ، وذلك من خلال ما ذكره أمين مارسطن فهم سمر البشرة أو داكنو اللون ، حواجب مقوسة كنصف دائرة ، لحاهم طويلة ، وكذلك شعورهم شعناء ، مشقوقو القوام.

(٢) آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ٤٩٠.

(٣) آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ٤٩٢.

(٤) الدولة الميدية : أقدم دولة إيرانية فعلية ينطقها البعض ميديا نسبة إلى الميديين ، وكذلك على وزن ليديا التي كانت معاصرة لها ، ويرجع ذلك إلى المترجمين من اللغات الأوربية فكتبوها طبقاً للنطق الغربي في اللغة الانجليزية «The Mads» وتعنى الشعب المادى و Madia وهي الدولة المادية ، ويذكر براون أن اسم ماد كان يستعمل في إيران حتى العصور الإسلامية الأولى ، ومع تحوير الكلمة تنطق ماذ وماد وبالفارسية «مادا» ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : كوروش الكبير مؤسس الإمبراطورية الهخامنشية ، (القاهرة ، ١٩٧٢م) ، ص ١١ ، ١٢.

ألف عام إلى غرب آسيا ثم إلى إيران واستقروا بها ، ومن الجائز بقاء بعضهم في إقليم ما وراء النهر «في البقعة الخصبة المحصورة ما بين نهري سيحون وجيحون» وأسسوا دولة في غرب إيران^(١).

ولقد وثقت معلومات تلك الدولة من مصادر ثلاثة وهم على التوالي النقوش الآشورية^(٢)، والمصادر اليونانية القديمة^(٣)، والنقوش الفارسية القديمة^(٤)، وأيضاً الأخبار الإسرائيلية.

(١) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١٣-١٤.

(٢) النقوش الآشورية : تناولت الدولة وتبعيتها للآشوريين بذكرها لنقش عمره ١٠٠ ألف عام ق.م للملك الآشوري تجلات يلزر ، ووجودها منذ عام ٧٠٨-٥٥٠ ق.م ، واستقلالها في القرن ٧ ق.م ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١٤ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ١٢-١٣.

(٣) المصادر اليونانية القديمة : أهمها ما كتبه هيرودوت في القرن ٥ ق.م فتحدث عن خضوعهم للآشوريين ما يقارب من ٥ قرون ، وعاصمتهم «أكباتانا» وقضى عليها كوروش عام ٥٥٠ ق.م ، وتحولت العاصمة إلى مدينه فارس ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ١٣.

(٤) النقوش الفارسية القديمة : لم تضاف أي جديد عما سبق وذكرناه ، وإنما الجديد فهو الحديث عن العواصم والمدن ، وأصول هؤلاء من الشعوب الهندوأوربية ، وموطنهم وتجوالم في منطقة ما وراء النهر وعلى الأخص بخارى وسمرقند وهجراتهم ، وعاصمتهم التي تتطرق في اللغة الفارسية القديمة باسم هكمتانه «hagmatana» همدان ، ونهايتها ؛ عبد السلام فهمي : آرامية الإمبراطورية الفارسية ، (مجلة المنتدى ، العدد الأول ، ١٩٧٨م) ، ص ١٣٥-١٣٦ ؛ عبد السلام فهمي : المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ؛ سميرة عاشور : تاريخ الفرس الاسطوري عند الطبري والفردوسي ، (الإسكندرية ، ١٩٩٣م) ، ص ٦٠.

٢ - الدولة الاكمينية «٥٥٠ ق.م - ٣٣٠ ق.م»^(١).

يطلق عليها العرب دولة الفرس الفارسية الصحيحة ، كما يطلق عليها اليونانيون الدولة الهخامنشية^(٢). ولقد اعتبرها الفرس بعد ثورتهم على الدولة السابقة ولجؤهم لقوروش^(٣). من أولى الدول الفارسية. ولقد تعرفنا من خلال مصادر النقوش الآشورية والأخبار الإسرائيلية ، وكتابات مؤرخي اليونان^(٤). العديد من المعلومات عن تلك الدولة ، والتي حكمت إيران واتسعت حدودها قبل الإسلام^(٥).

(١) الدولة الاكمينية : يطلق عليها الدولة الأخمينية على نسق الكلمة الانجليزية «Achamenianc - Achamanid» والتي صارت على شاكلتها كافة اللغات الأوروبية ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٨ ، حاشية (٢).

(٢) عبد النعيم حسنين : الإيرانيون القدماء ، ص ١٣-١٤.

(٣) نجدها بالعربية تكتب كوروش ، وينطقها البعض قورش ، وإن كان أسلمها نطقاً هو كوروش تمشياً مع النطق الفارسي الحديث ، وفي اللغة الانجليزية والفرنسية تنطق «سيروس - Syrus» أو الألمانية «Cyras» ، واليونانية «Koresch» ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ، ص ٧.

(٤) كتابات مؤرخي اليونان : يذكر على لسان هيرودوت أنه عام ٦٥٠ ق.م تقريباً قامت دولة في فارس «بارس» أقوامها من المناطق الشمالية للهضبة الإيرانية ، تابعة للآشوريين ، ثم هاجرت إلى النواحي الجنوبية ، وصاروا تابعين للدولة الميدية مقابل دفع الجزية ، وهؤلاء البارسيون عنصر آري من الأقوام الهندية الأوروبية ، يتألفون من ست قبائل ، منها قبيلة «باسارجاد» وبالفارسية «باساركاد» التي تنسب للأسرة الهخامنشية التي وحدت الهضبة الإيرانية ، وتمجيداً لمؤسسها اتخذ كوروش اسم هخامنش اسماً لدولته ، وذلك يعنى أن عناصرها من الأقوام الذين هاجروا للهضبة الإيرانية قبل الألف من ميلاد المسيح ، ويذكر هيرودوت أن شعب بارثوا قسموا إلى ست طوائف كانت تعمل بالزراعة ، وأربع طوائف تعمل بالرعى وسكن الخيام ، وكان البارساجيون من الطائفة الأولى الذين ينتمون إلى الهخامنشية ؛ عبد السلام فهمي : المرجع السابق ، ص ١٩ : ٢٣.

(٥) سميرة عاشور : المرجع السابق ، ص ٦١.

وقبل تناول تلك الدولة ومؤسستها وتبعية الولايات الشمالية لها ،
وكيفية إدارتها ، رغبت في توضيح الأسباب وراء ذلك والتي يرجع إلى
سببين :

■ الأول : موطن الفرس وهجراتهم تأكيداً لتواجد العنصر الفارسي في
منطقة خوارزم.

■ والثاني : محاولة إثبات أن تلك الهجرات التي حدثت لم تمثل مانعاً
من تواجد عناصر إيرانية في تلك المناطق ، وخاصة أن الأسباب
كما ذكرنا لم تكن لإبادة العنصر البشري بل لظروف طبيعية فقط مع
تزايد العنصر البشري.

ومن أهم أعمال مؤسس تلك الدولة «كورش» وخاصة بعد ثورة
القبائل الموجودة في الأطراف الشمالية من مملكته ، حيث تمكن من
تسخير المقاطعات الشرقية للملكة ، وكانت على رأس تلك المقاطعات
«خوارزم»^(١).

وترى الكتابة أن مفهوم التسخير في هذا المقام يعنى امتداد دولته
إلى تلك المقاطعات وسيطرته عليها وجعلها ولايات تابعة له ، إلى جانب
حرص تلك المقاطعات على إرسال الجزية السنوية المقررة عليها إلى
عاصمة الدولة ومقرها الرئيسي.

ولقد ظل هذا المؤسسة طوال فترة حكمه وحتى وفاته عام
٥٢٩ ق.م على هذا المنوال حتى وصلت حدود دولته لأول مرة في تاريخ
إيران إلى أقصى اتساع فصارت تضم البلاد الواقعة بين البحر المتوسط
ونهر السند وبحيرة أورال^(٢).

(١) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ١ ، ص ١٩٠ ؛ عبد النعيم
حسنيين : المرجع السابق ، ص ١٩ ؛ عبد السلام فهمي : المرجع السابق ،
ص ٤٧-٤٩.

(٢) عند النعيم حسنيين : الإيرانيون القدماء ، ص ٢٠ ؛ عبد السلام فهمي : المرجع
السابق ، ص ٢٥-٢٦.

ولقد ظلت تلك الدولة أكثر من قرن حتى قدوم الإسكندر وسقوطها على يديه^(١). وانتقلت إليه بالتالي سلطة الأقاليم التابعة لتلك الدولة السابقة ومنها خوارزم^(٢). ومع سقوطها انتابت إيران فترة من الضعف بلغت خمسة قرون^(٣).

والأهم لنا بالنسبة لتلك الدولة هو تناول بعض نظمها الإدارية وعلاقاتها بأقاليمها ، لنوضح وضعها مع إقليم خوارزم الذي صار من الأقاليم التابعة لها.

من نظم الحكم في الدولة الأكمينيه : حكومة الولايات :

فنذكر أن دارا الأول - أحد الملوك العظام في تلك الدولة - كان إدارياً من الدرجة الأولى قد قسم تلك الدولة إلى ولايات جعل على كل ولاية حاكماً أو والياً يصاحبه رجلان ، الأول : رجل عسكري يتولى قيادة الجيوش لحماية الولاية ؛ والثاني : يتولى ديوان الإنشاء حيث يكون على صلة بالعاصمة مقدماً لها تقريراً عن كل ما يدور في تلك الولاية التي تسمى «دبير» ويساعده مفتشون يرسلهم الملك الذي كان على رأس هذا الهرم الوظيفي ، للتأكد من سير العدل وعدم الظلم ، وبذلك السياسة الواضحة استطاع وضع تلك الولايات تحت سيطرته ، وكان الملك يلقب «خسائراً» أي المحارب ، وذلك يعنى أن الملكية الفارسية ذات صبغة عسكرية ، ويلقب كذلك بملك الملوك^(٤). ذي السلطان المطلق ، وفي حالة

(١) عند النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ٢٤-٢٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٩ ، ص ٣.

(٣) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ٢٥.

(٤) ملك الملوك : مازال هذا الاسم باقياً في لقب ملك الفرس «شاه» ، وفي لفظ «سترب» الذي يسمى به حكام الأقاليم في فارس ، وهو لفظ «كمشائرا» الدال على الطبقة الحاكمة في الهند ؛ أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين في-

احتياج الدولة لقوات حكومة الولايات يمدونهم بالمال والعتاد والسلاح ،
وبذلك اتسعت حدود الدولة إلى أقصى اتساع لها^(١).

حاكم الولاية :

والذي يعرف بـ «سترب» وهو خاضع للملك المستمد سلطانه
من إرادة الملك المستمدة من إله الخير «أهورامزدا» ، وكان سكان الولاية
ملزمين بدفع مرتبات موظفي الولاية ، إلى جانب تعهدهم بإرسال الخراج
إلى العاصمة ، ذلك الخراج الذي يحدد حسب ما تتمتع به تلك الولاية من
ثراء ، ويكون نقدياً أو عينيّاً^(٢).

النظام القضائي في الولايات التابعة للدولة الإكمينية :

هناك المحاكم المحلية المنتشرة في الولايات التابعة ، وتتركز
مهمة القضاء فيها في بحث الحقوق ، وإصدار الأحكام المدنية ، حيث
يسن القضاة القوانين بأنفسهم ، وهم في ولاياتهم يتمتعون بكافة حقوقهم
متمثلة في استعمال لغتهم الخاصة بهم ، وكذلك عاداتهم وتقاليدهم وديانهم
، وفي معظم الأحيان كانوا يبقون على الأسر المحلية في الأقاليم بجانب
الوالي وترتب على ذلك رضا بعض الولايات بهذا الحكم الفارسي^(٣).

= شبه القارة الهندية وحضارتهم ، (مكتبة الآداب ومطبعتها ، القاهرة ،
١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) ، ج ١ ، ص ٣٢ ، حاشية ١ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع
السابق ، ص ٣٣ ؛ هذا وقد قال ملك الصين : أن السبب وراء هذا المسمى يرجع
إلى فخامة الملك ومملكته وجلالتها ونفاضة قدرها وعظم شأنها ؛ ابن صاعد :
طبقات الأمم ، ص ١١.

(١) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ٣٣-٣٥.

(٢) عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ؛ آرثر كريستسن :
إيران في عهد الساسانيين ، ص ١٦.

(٣) مجدي عبد المنعم عجمية : نظام القضاء عند العرب والعجم ، (مجلة كلية الآداب
، الإسكندرية ، ١٩٩٢/١٩٩٣م) ، مجلد ٤٠ ، ص ٩٢ ؛ ذاكراً أن الحكم في
الأمور السياسية ومخالفات الأمن منوط للملك وفي بعض الأحيان يكون =

ومن خلال تناولنا الموجز لبعض نظم الحكم في ظل تلك الدولة ،
والذي من المؤكد أنه قد تم تطبيقه في خوارزم على اعتبارها جزءاً من
الدولة الهخامنشية ، ويؤكد ذلك ما وجد في نقش دارا الكبير الإكميني عام
٤٨٦-٥٢٢ ق.م في بيستون والذي ذكر فيه أقاليم بارت ، أي خراسان
وخوارزم وباختر «بلخ والصغد» على أنهم من الولايات الخاضعة له^(١).

٢- الدولة الساسانية وتبعية الولايات لها :

إمبراطورية واسعة الإرجاء ، ظهرت بعد فترة الانتكاسة
والتهور التي مرت بها منطقة فارس والأقاليم المجاورة منذ غزو
الإسكندر الأكبر والتي أطلقوا عليها عصر «ملوك الطوائف»^(٢).

= بتفويض من الملك للولاة ، ولقد بلغ من اهتمام شاهنشاه متابعته للقضاة في
إصدار أحكامهم ، ومعاقبة الجناة ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ،
ص ٣٦.

- (١) عبد السلام فهمي : تاجيكستان ماضيها وحاضرها ، ص ١٠.
- (٢) لقد اتفق العديد من المؤرخين على تقسيم ملوك الفرس إلى طبقات أو أجناس ،
هي البيشداوية ، والكيانية ، والاشكانية «ملوك الطوائف» ، والساسانية ؛ لمزيد
من المعلومات انظر : المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، ٣٤٤ ؛
الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، (مطبعة الشرق ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ) ،
ص ٦٣-٦٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ،
ص ٢٣٤-٢٣٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ص ٢٥١-٢٥٢ ، ص ٢٥٧-٢٧٦ ؛ القلقشندي
: صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، ج ٥ ، ص ٤٨١.

وبالنسبة لنظم الحكم وخاصة فيما يتعلق بحكم الولايات فلم يختلف الأمر كثيراً عن سابقتها فكان من موظفي الدولة حكام الأقاليم وهم معروفون «بالستارية أو المرازبة»^(١). وبجانبه الشهرداران^(٢). الذي لقب بالشاه ، ويقيمون بالإقليم.

ولقد ذكر أمين مرسلن بياناً بمعظم الولايات التي يحكمها بيدخشان «جمع بيدخشن» بوصفهم قواداً لفرسان تلك الولاية ، وكذلك ملوك وستارية ، وكان من ضمن تلك الولايات والأقاليم إقليم الصغد وفي القرنين الثالث والرابع الميلاديين امتدت سيطرتها على أقاليم الشمال والشرق.

(١) المرازبة : مفردا مرزبان «صاحب البلد» ، وبخاصة الثغر وذلك لأن المرز هو الثغر ، ويقال أن من المحتمل أن يكون لقب حكام الأقاليم في الأزمنة الأولى من العهد الساساني هو سترب أو بيدخش حيث لم يعم لفظ مرزبان في استعماله إلا بعد ذلك ، وإن كان يعتقد أن اللفظ لم يظهر إلا في عهد بهرام الخامس ، «٤٢٠-٤٣٨م» عند تعيينه أحد المرازبة على أرمنييه ، حيث يتم اختيارهم من بين النبلاء ، ومن مظاهر تشريفه أن يمنح عرشاً من الفضة ؛ الخوارزمي : المصدر السابق ، ص ٧٠ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ١٢٦ ، ١٢٨ ، حاشية ٢ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٧ ، حاشية ٦.

(٢) شهرداران : من الأمراء الذين يحملون لقب ملك ، أما ملك إيران فهو ملك الملوك شاهنشاه ، يحكمون الإمارات الخاصة لحماية إيران ، ونظير هذا الخضوع هو ضمان ملك الأمير وأبنائه من بعده في تلك الإمارة ، وذلك مقرون بشرط وهو وضع قواتهم تحت تصرفه وتأدية الجزية ، ويؤكد ذلك قول أردشير : كل من يجيء إلينا مقدماً فروض الطاعة لن نخلع عنه لقب ملك مادام يمضي مستقيماً على طريق الخضوع ، وهم ملزمون بالحضور إلى البلاط ... ولتقديم بيان بأعمالهم ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ٨٧-٩٠.

ومن المرجح كون خوارزم ضمن تلك الولايات^(١). ويؤكد ذلك كون أغلب سكان خوارزم من الفرس والمجوس واليهود وبعض النصاري^(٢). وكان الخوارزميون من الترك الموجودين في أقصى الشمال الشرقي من الحدود الإسلامية جنوبي بحيرة أورال أنى نهر جيحون^(٣). هذا إلى جانب ثلقب أمراء هذا الإقليم وملوكه المستقلين - فيما بعد - بلقب شاه «خوارزمشاه».

وبالنسبة للولايات وحكمها فهو يختلف في الدولة الساسانية عن الدولة الإكمينية ، فنجد الولايات ذات المساحات الصغيرة نسبياً لم يكن لها حدود ثابتة ، لذا كان الملك يرسل مرزبان عندما يحتاج إليه فيها ، فهو قائد الجيش تحت رئاسته الاصبهنيون ، وبذلك يغلب عليه الطابع العسكري^(٤).

(١) آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ١٢٦-١٢٧.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٢٣ ؛ البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢٨٨ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٢-٢١٣.

(٣) محمد عبد الهادي شعيره : الممالك الحليفة أو «ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم» ، (مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، ١٩٤٨م) ، المجلد الرابع ، ص ٤٩.

(٤) كان النظام السائد لدى الدولة هو تقسيم تلك الولايات إلى مديريات «آستاندار» ويطلق على حاكمها لقب «آستاندار» أما «بانگوسبان» فهو لقب الوالي الذي يتولى أمر وشئون جزء من الولاية ، ولقد كان لهم مثل ما للمرزبان مجموعة من الجنود تحت تصرفهم ، وكانوا كذلك مديرين للأمالك الملكية ثم كان تقسيم الكور وهي تشمل المدينة ولها شهربستان ويحكمها «شهرينگك» الذي يتم انتخابه من بين الدهاقنه ، أما القرية «دية وسواها رستيگك» يتولى أمرها «دبهينگك»؛ آرثر كريستسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص ١٢٨-١٢٩.

- طبقات الفرس :

ظهر النظام الطبقي بين الفرس منذ أيام الملك جمشيد «جم من الأسرة البيشدادية» لإيمانهم به ، فوصل الأمر إلى احتفاظ كل فرد بالطبقة التي ينتمي إليها وإذا ما حدث تجاوز فإنما يعتمد على دراية الفرد ونجابته في طبقته.

ومن الملاحظ على تلك الطبقات منذ ظهورها وحتى الدولة الساسانية كون أفرادها معروفين ، ويمكن الاختلاف في الترتيب أو اختصار المسمي الخاص بإحدى هذه الطبقات.

فهناك مقاييس لتلك الطبقات ، فنجد أيام العجم كان السن ، فأكبرهم سناً أعلاهم مجلساً ، ثم الغنى والثروة أيام الضحاك وكذلك أفريدون ، ثم الأصول والقدم على عهد منوجهر فالعقل والحكم في عهد كيكافوس ، ثم الغنى والبأس والنجدة في عهد كيسخرو ، والدين والفقہ أيام بهراسف وانوشروان ، ومن الممكن الأخذ بكل تلك الصفات ما عدا الغنى والثروة^(١).

وتلك الطبقات هي على التوالي :

١- طبقة رجال الدين.

٢- طبقة الفرسان.

٣- طبقة أهل الحرف «ويقع تحت نطاقها : البقال ، والزراع ، والبناء».

ولقد ذكرت تلك الطبقات في الأوستا داخل أناشيدها ، وإن كان الاختلاف فيما ذكر بين الأقواس ، ومن المرجح كون تلك المسميات باللغة

(١) طه ندا : دراسات في الشاهنامه ، (دار الطالب ، الإسكندرية ، ١٩٥٤م) ،

ص ٢١٢-٢١٣ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٣١-٣٢

؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ٨٥.

الافستائية التي كتب بها كتابهم المقدس ، ولقد أشارت إليها الشاهنامة
للفردوسي أيضاً^(١).

طبقات الفرس في عهد الساسانيين :

ولقد صارت في عهدهم أربع طبقات يتشعب من كل طبقة أفراد
آخرون يمثلون جهازاً إدارياً متكاملأ على رأسه الملك :

أ - طبقة رجال الدين :

يتم اختيارهم من قبيلة المغان ، ورئيسها يطلق عليه «موبدان
موبذ»^(٢). وعلى كل مركز من مراكز الدولة موبذ.

وتتمثل وظائف الموبذ موبدان في أن له السلطة العليا في المسائل
الدينية والعلمية والسياسية ، وكذلك اشتراكه في تكوين هيئات محاكم
التفتيش ، وخاصة في الأقاليم الخاضعة للدولة ، إلى جانب كونه مستشاراً
في كل الأمور الدينية.

(١) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٢١٤ ، حيث وضح أن تلك

الطبقات التي ذكرت في الافستا هي :

أ - طبقة رجال الدين والروحانيين «أثير يامن».

ب- طبقة رجال الحرب «خولنتو».

ج- طبقة الزراعة والفلاحين «ورزنا».

(٢) موبدان موبذ : قاضي القضاة ، وهي من الألفاظ الفهلوية ، موبذ أي القاضي ؛

الجاحظ : التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق : أحمد زكي باشا : (القاهرة ،

١٣٣٢هـ/١٩١٤م) ، ص ٧٧ ؛ وإن كانت قد ذكرت تحت تعريف أعلم العلماء

فمن الممكن أن يكون المقصود بذلك أنه أعلم العلماء في النواحي الدينية ؛

الخوارزمي : المصدر السابق ، ص ٧١ ، ذكراً أن الموبذ «قاضي المجوس» ،

والموبدان «قاضي القضاة».

أما الوظائف القضائية فكانت من سلطة الهربذان هربذ^(١). بوصفهم قضاة يصدرون الأحكام ، ويلقبون «دادوران» ووكلاؤهم «دستوران» ثم يليه القاضي الروحاني «سروشورزداريك» وهو الذي يتولى القضاء في الأقاليم ومهمته تنفيذ العدالة وسير القانون في جميع الأعمال.

ويتبع رجال الدين كذلك «آل وردبد» «أستاذ العمل» ، و«آل دستور» الخبير بالمسائل الدينية وهو رجل دين ومشروع يلجأ إليه الناس للحسم في القضايا المشتبه فيها ، ومنهم «ماغان أندربد» أو مكوكان أندريز «مؤدب المجوس»^(٢).

ويتواجد في كل إقليم «الدهقان»^(٣). والذي يفصل في القضايا باعتباراه المسئول عن هذا الإقليم.

(١) الهربذ : خادم النار والجمع هربذ ، وهي من لغات الفرس الفهلوية ؛ الخوارزمي : المصدر السابق ، ص ٧١.

(٢) آرثر كريستن : المرجع السابق ، ص ١٠٦-١٠٧ ؛ جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، (مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٦م) ، ج ٥ ، ص ٥٣٢ ؛ مجدي عبد المنعم عجميه : المرجع السابق ، ص ٩٦ ؛ يحيى الخشاب : فن الحكم عند الفرس ، (مجلة المنتدى ، دت) ، ص ٢١ ؛ وذلك أن زواندان تخصص في علوم الدين والفقهاء ، فصار كبير الهربذاة.

(٣) الدهقان : يذكر أن أول من تدهقن هو «وهكرت بن فروال بن سياسك بن نرس بن كيومرث الملك» ، وله عشرة أبناء كلهم دهاقنه ، لذا هو أول من وصفها ، وجعل على كل قرية دهقان وهم ملاك الأراضي ، وكانت طبقتهم تنفرع إلى خمس مراتب ، وتختلف ملابسهم على حسب مراتبهم ؛ المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ؛ القرمانى : المصدر السابق ، ص ٣٤٩ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٦.

ب - طبقة المحاربين «الفرسان»^(١).

وتتضمن الفرسان ، ومن المرجح كونهم من طبقة النبلاء ، ويطلق على ضباط الجيش الأساورة^(٢). حيث يعيشون في إقطاعياتهم التي يباشرونها في وقت السلم ولقد صار هذا اللقب فيما بعد «فارس ، سوار» له قيمة اجتماعية أعلى شأنًا^(٣).

ويطلق على رئيسهم «مير ميران»^(٤). وبحكم سلطانه يتدخل في كل الأمور المتعلقة بالجيش وتحت إمارته أربعة قواد يطلق عليهم «اصفهبذ» سباهد ، وتحت إمارته أربعة مرازية ، وتحت هؤلاء أربعة سالارية ، وتحت الأخير عشرة أساورة وهم الفرسان وخمسة من الرجال المشاة^(٥). وهناك موظف كبير يطلق عليه «مؤدب الأساورة» وهو المكلف بتعليم أبناء المحاربين في المدن والرساتيق حمل السلاح وآدابه^(٦).

(١) المنيني : تاريخ العتبي ، ج ١ ، ص ٤١ ، حيث أطلق عليها «طبقة الأصهبذية» ووصفها في الطبقة الثالثة ، وكذلك رئيس رجال الحرب «سباه» ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص ٣٣.

(٢) الأساورة : مفردا أسوار «سوار» حيث قال أبو عبيده هم الفرسان ، والأساورة أيضاً قوم من العجم ، وذكر الخوارزمي أن العجم لا تطلق اسم «أسوار» إلا على الرجل الشجاع البطل المشهور وبالتالي يكون مقابلة في الفرنسية «Chevrien» ؛ الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٧١ ؛ الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٢٤ ، حاشية (١).

(٣) آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص ١١٩-١٢١.

(٤) جرجي زيدان : المرجع السابق ، (مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠١م) ، ج ١ ، ص ١١٩.

(٥) جرجي زيدان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١١٧ ، ١١٩.

(٦) الخوارزمي : المصدر السابق ، ص ٧١.

ج - طبقة المشاة «بايكان» :

ورئيسهم «بيگانسالار» ويكونون تحت تصرف موظفي الأقاليم ،
ولشغل وظائف مماثلة كانت فرقة الرماة ورئيسها وقائدها «تيريد» تلحق
بالقرى ، وبعض أنحاء المملكة على الأقل^(١).

د - طبقة الكتاب :

ورئيسهم الذي يلقب «إيران يهرىذ» أو «إيران - دبيريذ» أو
«ديهران مهيست» ، ويقع على عاتقهم الاهتمام بالوثائق الرسمية
للدولة^(٢).

هـ - طبقة الفلاحين والزراع :

يدخل في نطاقها الزراع ، والصناع ، والفلاحين ، والتجار ،
وكافة أصحاب الحرف ، فيكون لكل حرفه رئيس خاص بها ويطلق عليه
«واستريوشان سالار»^(٣). وبجانبه الأشراف^(٤). والتي تتميز عن طبقة
العامة بلباسها وما تمتلكه من القصور والبساتين والخدم وغير ذلك.

(١) آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ١٢١.

(٢) الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٧٧ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص ٣٣ ؛ طه
ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص ٢١٥ ؛ آرثر كريستسن : المرجع السابق ،
ص ١٢١ ، ١٢٣ - ١٢٤ ؛ لمزيد من المعلومات حول ذلك.

(٣) طه ندا : المرجع السابق ، ص ٣٣ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص ٢١٥.

(٤) الأشراف : كثيراً ما يذكر في الدولة الساسانية اصطلاح «العظماء والأشراف»
وخاصة في توقيت تولية ملك جديد ، فكانوا حريصين على تقديم فروض الولاء
والطاعة ، إلى جانب دورهم الواضح في النواحي السياسية ، ثم ظهرت
مصطلحات خاصة بهم وهي «Azadhan» الأحرار ، ويقال إنهم في الأصل
اسم لغزاة الأريين ، ويعتبرهم من السكان الأصليين الذين غلبوا على أمرهم ،
ولكن مع اختلاط الأجناس وحدث العديد من التغيرات نزل كثير من تلك الأسر
إلى طبقة الحراثين المستعبدة ، وإلى طبقة أهل المدن ، ومنهم من احتفظ
بأصالته ، وكون آخرون ما يطلق عليهم النبلاء وهي طبقة أقل شأنًا ، كانت
مبعثرة في الدولة ، حيث يعمل عدد كبير منها موظفين صغار في إدارة الأقاليم
، واحتفظوا لأنفسهم بكلمة آزدان «الأشراف» وكذلك أم گنگ خوزابان «رؤساء
العائلة» ؛ آرثر كريستسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص ١٨.

- التركيب السكاني لإقليم خوارزم :

يتضح من نصوص كل من المقدسي والبيروني والخوارزمي تواجد الفرس المجوس بتلك الإمارة المترامية الأطراف ، فيذكر البيروني اتجاه أهل خوارزم للتأريخ لأنفسهم ، وكانت البداية مع أول عمارتها «قبل عهد الإسكندر بحوالى ٩٨٠ عاماً ، وبعدها اخذوا بتّورد سياوش بن كيكافوس لها وتلاه كيخسرو هو ونسله لها عندما سير أمره على ملك الترك بها. مما سبق نستنتج تبعية الإمارة - منذ بدايتها - للفرس ، فكانت بدايتها مع الأسرة الكيانية^(١).

وكان من نسل كيخسرو رجل يدعى «أفريغ» وحكم من بعده ابنه الذي بنى قصره على ظهر الفير «الفيل» ، ولقد أرخ أهل خوارزم به وبأولاده فكان تولية ابنه الذي بنى هذا القصر عام ٦١٦ للإسكندر. ولقد ظل نسلهم متواجداً في تلك الإمارة ، فكان آخرهم قبل مقدم القائد قتيبة بن مسلم الباهلي ، وهو أرثوخ بن بوزكارين خامكري بن شاوش سخر بن أزكاجوار بن إسكجموك بن سخسك بن بخره بن أفريغ» ، وظلوا حتى مقدم القائد السابق لتلك الإمارة مرة ثانية بعد ارتداد أهلها ، وملك عليهم واحد من تلك الأسرة وأخذوا لقب الشاهية منهم ، وبذلك خرجت الولاية من نسل الأكاسرة.

وبقيت حتى فترة الحاكم «الشهيد أبي عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن عراق بن منصور بن عبدالله بن تركسبانه بن شاوشغر بن إسكجموك بن ازكا جور بن سبري بن سخر ابن ارثموخ» أمير خوارزم في مدينة كاث والحامل للقب خوارزم شاه^(٢). وذلك دليل قاطع على وجود

(١) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٣٥-٣٦.

(٢) البيروني : المرجع السابق ، ص ٣٥-٣٦.

لقب خوارزم شاه : يظهر من شكل الكلمة أن لفظ خوارزمشاه ، لقب لذلك الشخص الذي يكون حاكم تلك الإقليم ، وهو بديل للفظ والى أو حاكم ، وكان حكام وولاة مختلف مناطق إيران في الفترة التي لم تكن فيها حكومة واحدة ، يتخذ كل واحد منهم لقباً خاصاً بهم ومنهم حكومة خوارزم «خوارزم شاه» =

أشهر فارسية قديمة تمارس شئونها ، وإن كان ذلك لا يمنع من تبعيتها
لذلك الدول السالفة الذكر .

وبجانب الفرس بخوارزم ، وجدت شعوب أخرى منهم الأورس ،
وعند الصين «ينى تسي» زحفوا إلى الغرب في «القرن الأول ق.م»
واتبعوا نفس الطريقة التي اتبعها من قبل الصين والسمرمت ، ويقصد بذلك
من كون وجود تلك العناصر بتلك الولاية ، أو بالقرب منها ، وخاصة بعد
تحديده لموقع هؤلاء .

وقد ذكر أنهم «شعب قديم ممتد تواجدهم فيما بين البلطيق والبحر
الأسود «بحر بنطش» ، وبعد منتصف القرن الأول ق.م اختفى ذلك الاسم
وسمى الشعب هناك باللان ، وهي الصيغة الإيرانية لكلمة «آري» في
المناطق الشمالية^(١) .

وإن كنت أرجح من خلال ما سبق كون تلك العناصر عناصر
تركية تأثرت بالعناصر الفارسية ، واندمجت معها ، وأطلقت عليها هذه
الصيغة أو اللفظة .

ومن خلال ما سبق نؤكد أن الطابع المميز لتلك الإمارات بما فيهم
إمارة خوارزم هو سيطرة طبقة الملاك «الدهاقين» من رؤساء القرية ،
فهم ينتمون إلى الأمراء المحليين ، والذين بدورهم يرجعون إلى طبقة
النبلاء أصحاب النفوذ الأعلى^(٢) . الذين انبتقوا من أصحاب الإقطاعات ،

= بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين بن

يوسف بن محمود ، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد «شيخ الحمودي» :

(دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ، ص ٩٩ ؛

محمد دبير سياقي : سلطان جلال الدين خوارزم شاه ، ترجمة : حربي أمين

سليمان : (تهران ، د.ت) ، ص ٧٣-٧٤ .

(١) آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٣٨ ؛ آرثر

كريستسن : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

ومن كبار الملاك في القرية وبشيء من التجاوز يمكن أن يطلق عليهم «طبقة الدهاقين» ويدخل فيها كل أصحاب النفوذ والسيطرة ، سواء نفوذ إداري متمثلاً في الدهاقنة أو نفوذ إقطاعي متمثلاً في كبار الملاك ، أو نفوذ عسكري الذي تمثله طبقة الفرسان^(١). بجانبهم طبقة التجار وأصحاب الحرف ، وطبقة الفرسان التي تتصف بالشجاعة وتفتقر إلى التنظيم^(٢).

- الحياة الدينية عند الفرس :

في البداية كانوا يميلون إلى عبادة القوى والظواهر الطبيعية المتمثلة - على سبيل المثال - في النهار ، والهواء وغيرها ، أما أهم القوى فكانت الشمس «مثيراً» عين الشمس ، والضوء النابع منها «عين الله» ، والثور المقدس «ها أوما» ، «أناهيئا» إله الخصوبة والأرض^(٣). ويطلق على الدين الذي اعتنقه الفرس - قديماً - الديانة المجوسية ، ومن يعتنقه مجوسي ، وإن كان حسب الرواية العربية تنسب إلى شخص اسمه «منج كوش» وكان قدومه قبل زرادشت ، ولقد تمثلت في الإله الأعلى الرامز إلى إله النور وهو «أهورامزدا» الذي يعرف في كتب أخرى باسم «يزدان» (وهي تعني خالق الخير والمعرفة) ، ويفهم منها

(١) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٢١٣.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٣) مسيو ماسبيرو : تاريخ الشرق ، ترجمة : أحمد زكي : (الطبعة الأولى ، بولاق ، ١٣١٤هـ/١٨٩٧م) ، ص ٢١٦ ؛ ذكر أن ديانة المادييين الفرس مأخوذة من عبادة الأمم الآرية القديمة ، ودليلنا على ذلك بعض كتب الهند المقدسة ، ولقد جاء في الأساطير المتداولة عند العامة كونها من صنع رجل واحد هو زرادشت أو زرتوسترأوان وهو من السلالة الملوكية ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م) ، ص ٩٩ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ١٩ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص ٢٤٠-٢٤١ ؛ على حسنى الخربوطلى : المجوسية والمجوس ، (مجلة كلية البنات ، د.ت) ، ص ١٤٧ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص ٢٤١.

تقدّيسهم للظواهر الطبيعية كوسيط للإله الأعلى ، وطريقتهم في ذلك هو اشتعال النار «آتش» في بيوت النار أو على رؤوس الجبال باعتبارها مصدر النور وأساس الخير الذي يحرق الشر^(١).

المتمثل في الظلمة والجذب ، وهم يتقربون إليه بتقديم القرابين والضحايا^(٢).

بيوت النار :

لقد حصر المسعودي بيوت النار في عشرة بيوت تقريباً ، حيث توجد في مناطق متعددة ومنتشرة فهناك بيت نار باصطخر^(٣). بيت نار بسابور من أرض فارس ، وآخر بنسا ، وآخر بنيساور من بلاد خراسان.

بيت نار خوارزم :

ونظراً لعظمة النار وأهميتها به ، نقلت إلى مدينة درابجرد من أرض فارس ، بناءً على طلب النبي زرادشت ، وكان يعظمها جم الملك ، وتلك النار هي نار خوارزم ، ويدل على ذلك أمران :

(١) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٢-١٩٣ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ، حيث أكد أن من بين الأقدمين من كان يؤمن بوجود إله واحد عظيم يسيطر على الكون يكمن وراء كل الظواهر التي يعبدها الأريسون للقديمان مثل الشمس وغيرها.

(٢) أبو الفتح عبد الكريم الشهرستاني : الملل والنحل ، (مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت) ، ج ١ ، ص ٧٢ ؛ ولمزيد من المعلومات انظر نفس المصدر ص ٦٣-٧٦ ؛ عماد الدين أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ٨٣ ؛ زين الدين عمر بن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، (دم ، ١٢٨٥/١٨٦٨م) ، ج ١ ، ص ٧٢ ؛ ذكر (أن تلك الملة التي يدين بها الفرس يطلقون على معتقها كيوثرية ، يعبدون إلهها مخلوقاً من النور «يزدان» ، والآخر من الظلمة وهو «آهرمن» فأصل دينهم قائم على تعظيم النور ، ثم تحول لعبادة النور وأنشأوا بيوت خاصة بذلك لمقاومة إله الظلمة إبليس) ؛ على حسن الخربوطلى : المرجع السابق ، ص ١٤٧-١٤٨.

(٣) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، ص ٥٤٦.

- الأول : قدم تلك النار وأهميتها.
- الثاني : تواجد العنصر الفارسي وممارستهم لعبادتهم بحرية كاملة مع تواجد عناصر وطوائف أخرى.

وكما ذكر المسعودي كان يطلق على تلك النار اسم «آزر جوى» أي نار النهر «آزر هو أحد أسماء النار ، وجوى أحد أسماء النهر بالفارسية» ، وزيادة على ذلك هو تعظيم الفرس لتلك النار على أيه نار أخرى ، فذكر أن كيخسرو عندما خرج غازياً للترك صار إلى خوارزم ومر عليها وعظمها وسجد لها ، وكذلك فعل أنوشروان - من الأسرة الساسانية - حيث نقلها إلى «الكاريان» فخافوا عليها من المسلمين فتركوا بعضها في الكاريان ، وبعضها في نسا البيضاء من كورة فارس لتظل إحداها إذا انطفأت الأخرى^(١). وأخيراً بيت نار في كاسان بمدينة فرغانه^(٢).

الديانة الزرادشتية :

ظهر زرادشت في القرن ٧ ق.م في عهد كشتاسب بن لهراسب الملك^(٣). ووقع الخلاف حول مولده ، وإن كان الشهرستاني قد أشار إلى

(١) المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٤٦-٥٤٧ ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٢.

(٢) المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٣٦ ؛ أبو المعالي محمد الحسيني العلوي : بيان الأديان ، ترجمة : يحيى الخشاب : (غرنه ، د.ت) ، ص ١٦ ، ٢٥ ؛ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة : (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٨٣٤م) ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ١٠-١١.

(٣) المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٦ ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٧ ؛ مظهر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٤٩ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٣ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ، ص ٢٣٨ ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٥٤ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ ؛ أسعد السحراني : الصابئة ، الزرادشتية ، اليزيدية ، (دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٧/١٩٩٧م) ، ص ٤٣.

أنه ولد بالري من إقليم ميديا «منطقة الجبال موطن الآريين القدماء» ثم رحل إلى بلخ ومنها انتشرت عقيدته إلى الصغد وخوارزم وجميع أنحاء فارس^(١).

وتدعو تلك العقيدة إلى عبادة إله واحد ، وهو : «أهورامزدا» وليست سوى تأكيد وتقوية لدعائم ما كان يعتنقه الفرس منذ القدم ، ذاكراً أن هذا الإله هو خالق الكون كله «فيفسر الوجود على أساس مبدأي الخير والشر» ، لذا عرفت عند العرب بالثنوية أو المزدية أيضاً^(٢).

ولقد اتخذ زرادشت النار رمزاً لإله الخير «أو النور» ، وأطلقوا كلمة زنديق على كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق^(٣).

(١) المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٦ ؛ حيث ذكر أنه (من أهل أنريجان وهو نبي المجوس الذي اتهم بالكتاب المعروف عند العوام من الناس بالزمزية ، وعند المجوس بالبستاه) ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٧ ؛ ولمزيد من المعلومات عن ظهوره ومولده انظر نفس المصدر ، ص ٧٨-٧٩ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٣ ؛ طه ندا : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ص ١٩٣ ؛ مسيو ماسبيرو : تاريخ المشرق ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ؛ على حسن الخربوطلي : المرجع السابق ، ص ١٤٨.

(٢) آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص ١٩ ، ٢٢ ؛ ذكر أن زرادشت نبيا لمذهب مزدى معدل في الشرق وربما على الأكثر تحديداً في الإقليم الذي به أفغانستان الحديثة ، ولقد ظلت الزرادشتية وعقائدها تتغلغل في الغرب ، حيث نجد أن المزدية الزرادشتية لم تنتشر عند مجوس ميديا إلا منذ القرن ٤ ق.م ، وإن كانت تختلف في بعض المسائل عما وجد في مزدية الكاثات ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص ٢٤٧-٢٤٨ ؛ عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ١ ، ص ١٩٣ ؛ على حسن الخربوطلي : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ؛ محمد توفيق صادق : ثغر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المستقلة ، (الإسكندرية ، ١٩٨٤م) ، رسالة دكتوراه ، ص ٦ ، حاشية (١).

(٣) محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص ٦ ، حاشية (١) ؛ ذكر أن كلمة زنديق والتي كانت في الأصل سامية وهي صديق ثم نقلت محرفة عند الآرامية زديق إلى الفهلوية ، وأخذها العرب بصورتها المحرفة عند الفرس زنديق وإن كانت لدى المانويين تعطي المعنى العكسي ، وهي تطلق على المؤمن المخلص من أتباع ماني.

ولقد جمع زرادشت كل تلك العقائد من تراث الأجداد في كتاب سماه «الافستا» «النص الأصلي» وعرفت فيما بعد باسم الايستاق أو الابستا^(١). ولقد امتاز بضخامته وإن كان قد تعرض للضياع أكثر من مرة ، ولم يبق منه سوى خمسة أجزاء ، وهي :

■ بسنا «وتعنى العبادة ، الحمد ، الصلاة» وتضم المقطوعات المنظومة وتعرف «كاثا».

■ وبسبرد.

■ ونديراد.

■ بشتها أو «البشتات».

■ خورده أفستا ، وهي : «الافستا الصغيرة التي تشمل كل ما تبقى من قطع الزندافستا»^(٢).

ولقد كان من أهم مبادئ تلك العقيدة هو الحث على الاهتمام بالزراعة ورعاية الماشية لكونها أشرف الأعمال ، لدرجة تحريم الصوم لكي يجدوا في الفلاحة ، إلى جانب اعتباره لكل من الماء والهواء والنهر والتراب عناصر طاهرة مقدسة لا تتجس ، ومن هنا جاء تقديس النار والماء ، وتحريم دفن الموتى في الأرض^(٣). لذا كانوا يستنجون بالدهن ، ولا يتكلمون وقت الطعام وإنما الزمزمة واجبة في ذلك الحين^(٤).

(١) مسيو ماسبيرو : تاريخ المشرق ، ص ٢١٦ ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٥٦ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٤ ؛ علي حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص ١٥٠.

(٢) لمزيد من المعلومات حول ذلك انظر : القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٣ ، ص ٢٩٢-٢٩٤ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص ٢٤٤-٢٤٧.

(٣) محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص ١٥١.

(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، (بيروت د.ت) ، ج ١ ، ص ١٥٨ ؛ أبو المعالى محمد الحسينى العلوى ، بيان الأديان ، ص ٢٥ ؛ آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ١٣٤ ؛ ذكر أن الفرس يقدسون الماء قبل كل شيء إلى حد أنهم لا يغسلون به وجههم ولا يلمسونه إلا للشرب أو ري الزرع.

ولقد سادت تلك العقيدة بلاد فارس وما جاورها حتى انتصار الإسكندر عليهم عام ٣٣١ ق.م ، لذا انحط شأنها حتى استعادت مكانتها مع قيام الدولة الساسانية ، وبقيت ديناً للفارس حتى ظهور الإسلام ، فبقيت فئة منها بفارس تمارس شعائرها تقريباً في كل ولاية فارسية ، وذلك نحو ثلاثة قرون بعد انتشار الإسلام ، وفر بعضهم إلى الهند^(١).

المانوية :

كانت من المعاول وراء ضعف الزرادشتية في إيران بعد تغلغل المسيحية ونفوذها داخل المجتمع الإيراني^(٢). تنسب لمانى الذي ولد عام ٢١٥ أو ٢١٦م في إحدى قري بابل ، وكان متأثراً بالزرادشتية ، والمسيحية ، والبوذية ، فاستمد أصولها من هؤلاء ، لذا لم يأت بجديد فأطلقوا على عقيدته الزرادشتية الحديثة ، ولقد دعا إلى عبادة النور والظلمة ، ثم عاد ثانية إلى دين المجوسية^(٣). إلى جانب جمعه ما بين النصرانية والمجوسية ، وتمثل ذلك في زعم مانى أن العالم مركب من عنصرين أصليين قديمين ، هما : النور والظلمة ، وهما مختلفان في النفس والصورة ، متضادان في الفعل والتدبير^(٤).

(١) طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص ٥٠ ؛ محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص ١٥٢.

(٢) طه ندا : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١.

(٣) المسعودي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥-٢١٦ ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨١ ؛ ابن النديم : الفهرست ، (دار المعارف للطباعة والنشر ، تونس ، سوسة ، د.ت) ، ص ٤٥٨.

(٤) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى : الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد : (المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ص ٢٧١ ؛ ذاكراً كون مانى قتل في زمن «سابور بن بهرام» ، حاشية (١) ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨١ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١.

وبذلك فقد تشابه مع الزرادشتية ، وفي الوقت نفسه اختلف معهم في تشاؤم مانى على عكس زرادشت حيث دعا إلى التقشف بقمع الشهوات والزهد ، والصيام «سبعة أيام من كل شهر» إلى جانب أربع أو سبع ساعات في اليوم ، وتناقضات أخرى عديدة.

وعلى الرغم مما سبق فقد كثر معتقوه حتى زاحموا الزرادشتية وضيقوا عليها المجال ، وظلت مزدهرة حتى عهد بهرام الأول وقتله لمانى وتشريد أتباعه ، وإن كانت قد ظلت تعاليمه مع مريديه الذي أخذوا على عاتقهم نشر تعاليمه ، والتي كانت في بابل ثم انتشرت إلى ما وراء النهر وخاصة سمرقند^(١). ولقد ألف مانى سبعة كتب شرح فيها تعاليم دينه ورحلاته بآسيا الوسطى والهند والصين^(٢).

المزدكية :

من الواضح كونها فرقة قد انبعتت من الزرادشتية مع اختلاف بسيط فهي تنسب إلى مزدك «وكان يشغل وظيفة موبذ موبدان أيام قباز بن فيروز» ظهر في القرن الخامس الميلادي عام ٤٨٧م من فارس من أهل نيسابور^(٣).

(١) ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٤٦٨ ؛ الشهرستاني : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٥ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص ٢٧٥-٢٧٦ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١ ؛ محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص ١٥٣-١٥٤.

(٢) محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص ٦ ، حاشية ٢.

(٣) الشهرستاني : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٨٦ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص ٢٧٦ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١ ؛ محمد حسنى الخربوطلى : المرجع السابق ، ص ١٥٥ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص ٦ ، حاشية (٢).

ولقد خالف زرادشت في كثير من المسائل ، حيث ناقش الصلة بين الأصلين القديمين ، وهما : النور والظلمة ، وهما أساس دين المجوس القديم^(١). وذكر أن النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى ، وإن المزج كان على الاتفاق ، وليس على القصد والاختيار ، وأيضاً الخلاص بالاتفاق دون الاختيار^(٢). ودعا كذلك إلى الشيوعية والمساواة بين كل الناس للقضاء على التحاسد والطمع بينهم ، وكان ذلك وراء مقتله على يد أنوشروان عام ٥٢٣ م وأتباعه معه^(٣).

هذا إلى جانب فرق أخرى عديدة قد تشبعت من مذاهب الفرس ، منها فرقة الديصانية ، والمرقونية ، والكينونة ، والتتاسخية^(٤).

هذا ومن الملاحظ على الحياة الدينية عند الفرس بقاء الديانة الزرادشتية ، وانتشار بيوت النار لممارسة العقيدة فيها ، بخلاف كل من المانوية والمزدكية ، والتي ما لبثت أن ظهرت ثم اختفت ، وإن كان اختفاؤها لم يكن مبرماً ، ومرجع ذلك إلى القيمة العملية لتلك الديانة بالنسبة للملك والرعية ، فمن خلالها وضعوا أسس النظام الملكي في

(١) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١-٥٢ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص ٦ ، حاشية (٣).

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٨٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ١ ، ص ٣٥٢.

(٣) ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٤٨٠ ؛ الشهرستاني : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٦-٨٧ ؛ أبو المعالي محمد الحسيني العلوي : بيان الأديان ، ص ٨٦ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص ٢٨٦ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥١-٥٢ ؛ محمد توفيق : المرجع السابق ، ص ١٥٥ ؛ أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ١٧٠-١٧١.

(٤) الشهرستاني : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٨-٩١ ؛ علي حسن الخربوطلي : المجوسية والمجوس ، ص ١٥٦-١٥٧.

فارس ، حيث ألقوا في وجدانهم كونهم ينتمون إلى سلالة الملوك الكيانيين السابقين عليهم ، وهم الآلهة الذين اصطفاهم الله لكي يحكموا العالم والأرض بتفويض منهم هو إله النور^(١). لذا وجب عليهم السمع والطاعة ، لذا فقد جعلوها الدين القومي للدولة.

ثانياً : الترك :

اتفق الباحثون على أن موضع الترك وأصولهم العرقية من الموضوعات التاريخية الصعبة ، وذلك لعدة أسباب ، وهي :

- اتساع تلك الرقعة التي تشغلها قبائل الترك في أواسط آسيا وشرقها.
- اختلاف لهجات تلك القبائل التركية وتنوعها.
- اختلاط عروق قبائل الترك بالشعوب المجاورة من الإيرانيين غرباً وإلى الصين شرقاً.

وتضيف الكاتبة إلى تلك الأسباب سبباً آخر وهو المصادر ، فأغلب من كتب عن هذا الموضوع كتب في عصور متأخرة مما يعرض المعلومات الواردة فيها للشك ، نظراً للفارق الزمني الشاسع بين تاريخ حدوث الوقائع وتاريخ كتابتها.

وإن كانت الاكتشافات الأثرية الحديثة ، وأيضاً نقوش أورخون^(٢) التي تناولت فترة تاريخه قصيرة تبلغ نصف قرن من عام ٦٨٠-٦٣٠ م ،

(١) محمد حسنى الخروطلى : المرجع السابق ، ص ١٥٧.

(٢) نقوش أورخون : نسبة إلى نهر أورخون في منغوليا ، عثر عليها عام ١٨٨٩ م ، وهي أقدم اثر حفظته الأيام من آثار اللغة التركية ، اكتشفت على ضريح مشترك لاثنتين من الأمراء ، وهما بالكاقاغان وأخيه الأصغر كلتكين ، وترجع لعام ٧٣١م/٧٣٤م ، حيث كتبت بخط شعبه الخط الرونى «الذي استعملته الشعوب الجرمانية حوالى القرن ٢م» ، فاقتبسوه من الفرس ، واستنبطوه من الخط الآرامى ؛ وكما يذكر كارل بروكلمان ، بأنها تحمل كتابات تركية قديمة منذ عام ٧٣١-٨٣٥ م ، وترجع إلى الدولة الجديدة التي حكمت إلى عام ٧٤٤ ، وإن كان قد اختلف معه بعض الباحثين الذين ذكرهم طه ندا بكونها تشمل فترة ضئيلة من تاريخ الترك تبلغ نصف قرن وتشير إلى أترك الشرق أثناء خضوعهم للصين ؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦٠ ؛ طه ندا : التوارنيون والإيرانيون ، (مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٦٩م) ، مجلد ٢٣ ، ص ٩٤-٩٥.

والتي اكتشفت في النصف الثاني من القرن ١٩م على ضفاف نهر أورخون في منغوليا قد كشفت النقاب عن أشياء عديدة عن هؤلاء الترك^(١).

- التعريف اللغوي «الاصطلاحي» للترك :

احتل هذا التعريف اهتماماً كبيراً من كل من الأتراك والأجانب ، ولقد تعددت آراؤهم حول ذلك ، فنجد الرأي الأول : وهو أن لفظ الترك تعنى «ترك» بمعنى عفا أو أخلى سبيله ، ولقد وجد الجاحظ في هذا غاية بتوثيقها من تلك الأحاديث النبوية عن الرسول ﷺ فقال «تاركوا الترك ما تاركوكم» ، وهو يعنى مسالمة الترك ، وهي أشبه بوصية موجهة للعرب جميعاً ، وإن كانت تلك الأحاديث ملفقة ، الغرض منها التباهي والتفاخر ، وهو ما عرف لدى الطوائف الأخرى بالشعبوية منادية بروح المساواة والحرية ، وإن كان الأمر مختلفاً بالنسبة للعرب ، فهي تعبر عن روح التباغض والعداوة والتي يحملها هؤلاء للعرب^(٢).

والرأي الثاني : والذي نتج من خلال الاكتشافات الأثرية أثناء العشرين أو الخمسة والعشرين عاما السابقة ، والتي ساعدت على تعزيز الدراسات التاريخية والغوية تلك التي تتراكم بسرعة من حل رموز نقوش أورخون Orhun ، فكانت كلمة الترك من الأشياء التي كادت تفصل في معناها فذكرتها بكونها اسماً شائعاً يعنى القوة أو السلطة ، وصفة تعنى رجل القوة «الأقوياء الأشداء» واستخدمت بهذا المعنى في وثيقة فارسية^(٣).

(١) طه ندا : المرجع السابق ، ص ٩٣-٩٤.

(٢) الجاحظ : فضائل الترك «رسائله» أبو الفتح بن خاقان وزير المتوكل وما اختصوه من الشجاعة وعلو الهمة وحسن البلاء في خدمة الإسلام ، (القاهرة ، ١٨٩٨م) ، ص ٧٦ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، (مجلة عالم الفكر ، الإسكندرية ، ١٩٧٩م) ، المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص ١٤٥.

(٣) يرجع تاريخها إلى عام ٤٢٠ ق.م ، وكذلك في النصف الأول من القرن ٥م ، وفي المصادر البيزنطية عام ٥١٥م.

Ibrahim Kafeso Glu : Hakkidu Rsum Jildiz Erdo Gan Morcil and Mehmet Sarary : Ashort History of Turkish-Islamic States Excluding the Ottomen State, (AnKara, 1994), p.1

والرأي الثالث : ساد بين بعض العلماء أنها ربما مشتقة من «Tu-Tu» أو «Tu-Ko» وهو الاسم القبلي لأسرة «Mon-Tun» حاكم إمبراطورية الهون Huns في الوقت المناسب كاسم لتلك الشعوب التي تنحدر من الجنس التركي الذين يتحدثون اللغة التركية ويشاركون في الميراث والثقافة التركية^(١).

- التفسير العرقي :

لقد تعددت الآراء حول ذلك^(٢). وإن كان هناك رأي قد استقرت عليه بعض مصادرنا التاريخية القديمة من كون كل أمه من الأمم تنحدر سلالتها من أحد أبناء الجد الأكبر^(٣). وهو نوح من ولد يافث بن نوح والذي قسم الأرض بين أولاده ، فكان نصيب يافث الشمال والشرق ، وهي المناطق الممتدة من سهول سيبيريا إلى وادي بحر الخزر وجبال آلتاي ، وترك زعامة قومه لأحد أبنائه^(٤).

(١) بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٨م/١٩٥٨م) ، ص ٢٨-٢٩ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥ ؛ زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت) ، ص ١٣ ؛ Ibid, p.1.

(٢) كونهم ينحدرون إلى أصل أنثى الذئب ، ومن المحتمل كونها أمراه يطلق عليها زين Zena وأحيانا بورا Bura ، ثم أنجبت طفلا انحدرت منه سلالة الترك والمغوليين ، وذلك يوضح السبب وراء ظهور هذا الحيوان في الحروب الأولى لأتراك آسيا الوسطى ، ثم صارت عند الأتراك العثمانيين فيما بعد

M.A. Czaplicka, the Turks of central Asia in History and at the present day, (Oxford, 1981), p.4.

وهناك ارتباط بين أسطورة Bazkurt التي يظهر فيها الذئب كرمز المنقذ أو المرشد وبين اعتقاد Cok-Turk بأنهم ولدوا من أنثى الذئب التي انعكست في احتفالهم السنوي التي يحملون فيها أعلام قائدتهم المتوج برأس الذئب المصنوع من الذهب ؛ Ibrahim, op.cit., p.24.

(٣) أبو بكر الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ٦٧ ؛ الغريزي : زين الأخبار ، ص ٤٣٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الرابع ، ص ٧٦٨.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الاسمي الوسيط ، ص ١٤٥ ؛ سعد زغلول : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، (مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٥٦م) ، المجلد العاشر ، ص ٦١.

ويؤكد ذلك ما ذكرته المصادر الدينية وأكدته الدراسات العلمية على مدار الخمسين عاماً الأخيرة «٥٠ عاماً» والتي تمت على بقايا الهيكل العظمى الذي عثر عليه في «Kurgans» في حجرات الدفن التي بنيت في الأراضي التركية القديمة في آسيا^(١).

- الحياة الاجتماعية عند الترك :

أولاً : صفاتهم الجسدية :

وصف الصينيون قبائل «الهونج - نو» والتي يعتبر الهياطلة فرعاً منهم ، حيث تتواجد فيهم بعض تلك الصفات ، بأنهم ذو قامة ، وجسم ربعة ، ورأس مدور ضخم ووجه عريض بارز وانف أفطس ، ولحية قليلة الشعر ، وأذنين طويلتين بهما حلقات تتركب للزينة ، ورأسهم بلا شعر سوى خصلة موضوعة في منتصف الرأس ، وحاجبين كثيفين وعينين مفتوحتين ذو حدقات حادة ، وتلك الصفات تنطبق على قبائل الهون أتيل Attila التي ذكرها الكتاب اللاتين ، ونضيف عليها ندبهم لخدودهم ولأبنائهم منذ الصغر لكي لا ينبت بها الشعر^(٢).

(١) واستكمالاً لما ذكر حول أصل الترك ، نجد هناك وجهات نظر عديدة لبعض علماء أوربا في العصور الوسطى ، فيما يتعلق بالأصل المنغولي للأتراك وإن كانت الدراسات في الهيكل العظمى لهم ، توضح عدم صلتهم بالمغول لا من الناحية اللغوية ولا الثقافية ، ولا من ناحية السلالة والعرق ، أما مفهوم الحكومة والقانون وكذلك التشابه في اللغة والملاح العرقية يرجع إلى العلاقات المتوارثة ، وكذلك الاتصالات اللغوية فيما بينهما ، ولقد أوضح الانثربولوجيون الخصائص المميزة للأتراك عن المنغوليين بعد الكشف الذي تم في شمال غرب بحيرة بيكال Baykal في سهول منشوريا Minusinsk منطقة معروفة نيفانة «سيفانة» Andronove ، حيث كان يعيش الأتراك في عصور ما قبل التاريخ. Ibrahim, A short History of Turkish-Islamic States Excluding the Ottomen State, p.2.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية ، ص ٩٦ ؛ سعد زغلول : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٤٩.

أما عن الكتاب العرب مؤرخينا فقد ذكروا الوصف نفسه ، ومنهم الطبري الذي سبق ونسبهم إلى يافث بن نوح ، وضم إليهم الصقالبة ويأجوج ومأجوج حث ذكر أنهم من ولد يافث «عظيم الوجه ، ضيق العينين»^(١).

ولقد تناول المسعودي الشيء نفسه حيث عاد ذلك إلى تأثير البيئة على صفاتهم وتركيبهم الجسماني موضحاً أن تأثير كل بقعة في الناس من النباتات وفيما ليس بنام كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم وامتد هذا التأثير على دوابهم مثل الجمال ، فقد قصرت قوائمهم وغلظت رقابهم وأبيض وبرهم ولقد شارك الطبري في هذا الرأي ذاكراً أن أرض يأجوج ومأجوج في صورهم^(٢).

ثانياً : صفاتهم العسكرية :

التركي فارس دائماً راكب الخيل ، لدرجة أنها قد تركت أثراً على تركيبه الجسماني وهو تقوس أرجله^(٣). يضرب بالسهم والقوس من على بعد ، وفي كل اتجاه ذو شدة ، صاحب توقد واشتعال ذو فطنة ، رام بارع فهو عندما يرمي فهو يرمى الوحش والطير والناس والطائر الخاطف حيث يرمي بسهم واحد ، وللتركي أربع عيون ، عينان في جهة وعينان في قفاه وإن دل ذلك فيدل على حذرة وقوة ملاحظته وتربيته وإقامته الطويلة على ظهر الخيل.

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، ص ١٠٦.

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، ص ٣٣ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٣٧٨.

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٥٠.

وعلى الرغم من كل تلك الصفات العسكرية ، إلا أنه في قتاله وصراعه لا يقاتل على بلاده ولا على دينه ولا ملك ولا أي شيء من هذا القبيل ، وإنما على السلب حيث لا يخاف الوعيد إن هرب ، كما أنه لا يرجو الموعد إن لجأ وهو في بلاده وطبقا لعاداتهم وحروبهم فهو الطالب ، وليس المطلوب ، فحياته تتمثل في الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل وطلب الغنائم ، وذلك لأنهم ليس لهم في الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة ولا شق الأنهار وجباية غلات^(١).

وهم مهرة في تربية الحيوان وخاصة الخيول حيث اعتمادهم أول والأخير عليها ، ساعدهم في ذلك تلك السهوب المناسبة لموطن تلك الخيول ، لذا فهم ملازمين لها طوال الوقت لا ينزلون من عليها إلا لمقابلة زوجاتهم وأطفالهم الذين يعيشون في تلك الخيام التي كانت في وقت السلم مثل البيوت ، وفي الحرب فهي خيام على عجلات متحركة.

وهناك وصف لتلك العجلات قد اتفق عليها كل من المتقدمين والمتأخرين ووصفوها بأنها عبارة عن عصيان خشب تتركب جنبها إلى جنب بأشرطة من الجلد ، وفي أعلاها تكون على شكل دائري حيث تغطي بالوبر أو الجلد ، وسقفه يترك مفتوحا لدخول الضوء ولخروج الدخان وذلك لكونها بيتاً لمعاشهم ومقامهم أما في الحرب فهي على شكل أسوار للدفاع وحفظ ما يتعلق بهم^(٢).

(١) الجاحظ : في فضائل الترك ، ص ٤١-٣١ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٥٢.

(٢) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٩٧ ؛ ابن عربشاه : عجائب القصور في أخبار تيمور ، (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٢٨٥هـ) ، ص ٥٩ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٧٢.

ثالثاً : طعامهم :

نظراً لكونهم قوماً من الرعاة ينتقلون من مكان لآخر وكذلك توافر الخيول عندهم ، لذا كان اعتمادهم في الطعام على لحومها وكانت لهم طريقة معينة في ذبحها بحيث لا يجعلونها تتزف ، وذلك عن طريق ضرب الواحد منهم على رأس الشاه حتى تموت أو عن طريق الخنق ، أو إدخال السكين في الجوف^(١). وقال ابن عربشاه «إنهم يأكلون الميتة والدم المسفوح»^(٢).

ويؤكد ذلك ما ذكره الجاحظ قائلاً : «ليس في الأرض أحد إلا وبدنه ينتفض على إقنيات اللحم وحده غير التركي»^(٣). والسبب في طريقتهم تلك اعتقادهم بأن اللحم يظل رطباً مع احتفاظه بقيمته الغذائية. **شرابهم :**

لقد كان المفضل لديهم لبن «الخيل» المخمر ويطلقون عليه «القمز» فلم يكن من الغريب أن تشترك النساء معهم في شربه وإن كانوا بعد دخولهم في الإسلام لم يتخلوا عن هذه العادة وإلى جانب هذا الشراب يوجد شراب العسل وذلك نظراً لكثرتة في بلادهم ، فكان الغز يشربون النبيذ ويقدمونه قرابين لمعبوداتهم ، وكذلك ترك القبشاق الذي شاع عندهم نبيذ «الدوقي» الذي يصنع من الدخن حيث يسمونه «بوزه»^(٤).

(١) الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ٤٨ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ؛ سعد زغلول : الترك والمجتمعات التركبة عند الكتاب العرب وغيرهم ، ص ٧٣.

(٢) ابن عربشاه : المصدر السابق ، ص ٢٣٧.

(٣) الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٤٨ ؛ أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد : رسالة بن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخرز والروس والصقالبة ، ص ١٢٥.

(٤) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ١٠٩-١١٠ ؛ سعد زغلول : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٦٠.

- الحياة الدينية عند الترك :

للترك العديد من المعتقدات الدينية^(١). التي تبين مدى تأثرهم واعتناقهم لتلك الديانة فتشير الأبحاث الحديثة أن العقيدة التركية تدور في ثلاث محاور ، وهم :

المحور الأول :

وهو الاعتقاد في قوى الطبيعة فنسبوا الحياة في حقيقة الأمر إلى الملامح الجغرافية ، مثل : الجبال ، والمستنقعات ، الوديان ، والبحار ، والمحيطات ، والأنهار ، والكهوف ، والغابات ، وأيضاً الظواهر الطبيعية المتمثلة في البرق ، الرعد ، السماء ، فكانوا يطلقون على هذا الاسم Yir-sub وكل تلك المعتقدات كانت لدى الشعوب التركية القديمة.

ومن الأشياء الشيقة التي تشير إليها النقوش أن تربة أوتكين Otuken ومنبع نهر Tamir حيث جد الأتراك الأول المتمثل في الذئب ، والذي اتخذه الترك الغربيين شعاراً لم يضعونه في سارية رايتهم في حروبهم «وهو عبارة عن رأس ذئب من الذهب» لذا اعتبرت تلك الأرض أرضاً مقدسة^(٢).

ويؤكد ذلك ما ذكرته المصادر الصينية أن خيمة ملك «التوكيو» كانت تفتح نحو الشرق نظراً لشرق الشمس منها مع بداية كل صباح ، وكذلك حجهم إلى جبل الذهب وهو «التون داغ» أو التاي حيث تسكن روح السماء التي أطلقوا عليها «بوت تتجري» وكان من هؤلاء الغز الذين يتوجهون نحو إله السماء «تتكري»^(٣).

(1) Ibrahim Kafeso Glu : Hakkidu Jildiz Erdo Gan Morcil and Mehmet Saray, op. cit., p.2.

(٢) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٢١٧-٢١٨ ؛ Ibid, p.2.

(٣) تتكري «السماء» Tengri : والتي يقنسها الترك ، لكونها بيت الأرواح الخيرة ، وأحياناً يسمون أنفسهم Tengri ، وكذلك من أجل اتقاء شر إله الشر ، لذا هناك مجموعة من الشاماس «Shamans» ، وهي مجموعة من رجال السدين ، وإن كان لكل قبيلة مسمى معين ، وكلهم يشتركون في طقوس شبه واحدة تشترك =

ولقد عبد الترك من أهل الصين العناصر الطبيعية الموجودة حولهم مثل الشمس ، القمر ، الجبال ، الأنهار ، وهناك قبائل عبدت البقر ، وقبائل البجناك التي بلغ عدد العناصر التي تعبدوها ١٢ عنصراً بها عناصر خاصة بالشتاء ، وأخرى بالصيف ، والمطر والشجر والناس والماء والليل والنهار ، والأرض ، وإن كان أكبر الآلهة هو تتجري «تتكري إله السماء» إلى جانب تقديسهم للماء لدرجة أن المسلمين كانوا يجدون حرجاً في استخدامهم للمياه في الوضوء ، لذا كانوا يغتسلون ليلاً. ومن الأشياء المقدسة لديهم أيضاً معدن الحديد الذي تصنع منه آلات الحرب^(١).

= فيها الطبلبة المقدسة ويطلق عليها «Tiungur» ، ولم تذكر أي إشارة عن تلك الطقوس ، إلا أن هناك تشابهاً بين تلك التي تمارس في الوقت الحاضر ، ويطلق علي تلك المراسم لدى أتراك مقاطعة «Minusinsh» وهي ربع سنوية ، وعادة في نهاية شهر يونيو ، ومن هؤلاء الأتراك بلتير Beltir Kachints وليس مسموح للنساء الاشتراك فيها ولا التحضير لها. ويتم اختيار المكان الذي تتم فيه تلك المراسم في قمة جبل حيث ينمو الزان وبعض الأشجار المقدسة ، ويوقد جنبها ناراً واحدة تسمى Ulugot أب النار الكبرى ، والأخرى Kiching أي النار الصغرى ، ولا يجزؤ أحد أن يقترب من تلك النار سواء من جهة الشرق أو من الجهات الأخرى ، فيسمح للقادة بالدخول ، ثم يتم التضحية بنعجة أوتيس دون أراقه دماء أو سماع صرخة كعادتهم في الذبح ، وفي بعض القبائل يستخدم الحصان Ulgen ، «إله» حيث يتم ذلك بين Altainan حيث يغلى الربع الأمامي على النار الكبرى ثم الأربع الخلفية مع لحم الحيوانات الأخرى غير المضحى بها على الصغرى ، بينما كبير القوم Midurba يربط «خيط طويل من الكتان مربوط بريش النسر مربوط بقطعه زان وطرفي الخيط يمسك باليد ويبدأ سيد السماء في الغناء للسماء.

M. A. Czaplicka, the Turks of central Asia, p.31,32, 140.

(١) سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، ص ٧٧.

المحور الثاني :

عباد الأجداد التي تمثلت في احترام الموتى ، وكان هذا الاعتقاد موجوداً في المجتمعات المختلفة منذ العصور القديمة ، ويؤكد ذلك تلك العقوبة التي توقع على من ينتهك المقابر ، فيذكر أن الحرب التي قامت عام ٧٩ ق.م ، كانت بسبب سرقة قبور الأتراك القدامى ، والذين دفنوا في مراسم تسمى Yog وفيها يدفن الرجال بأسلحتهم وسروجهم وأطقم فرسانهم ، أما النساء فتزين بمجوهراتهم.

وإن كنت أعتقد أن تلك العبادة قد تطرقت ووصلت إلى التضحية بالناس في مراسم الذكرى كما كان يحدث مع بعض الناس في بعض الشعوب الأخرى ، حيث أن تلك العادة لم تكن سائدة في الاعتقاد الديني لدى الترك ، حيث الجدل الذي دار ليثبت عكس ذلك من جانب بعض العلماء ، فهو لم يكن سوى نوع من التحامل على هؤلاء حيث كان يستخدم فيها « At, dan Aygir, koyundan Ko C, deveden bugra » ، وهي تعنى أن اختيار الأضحية من بين ذكر الخيول والأغنام أو الجمال^(١).

المحور الثالث :

ثم تطورت عبادة تلك العناصر إلى عبادة ثنائية قد اقتصرت على عنصرين فقط هما : عنصر السماء «تجري» ، وعنصر الأرض المرتفعة كالجبال ، وعبادة تلك السماء وهي المعروفة بعبادة الشمسنية «chomanissene» والمقصود بها عبادة إله السماء إلى جانب عبادة بعض الكواكب الأخرى كزحل والزهرة ويشبهها المسعودي في ذلك بعبادة الصائبة عند الفرس^(٢).

(1) Ibrahim, Ashort history of Turkish-Islamic States Excluding the Ottoman State, p.26-27.

(٢) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، ص ٨٢ ؛ مطهر بن طاهر

المقدسي : البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٤ ؛ حسين مجيب المصري : -

مفهوم السمنية :

هو امتلاء كل من السماء والأرض بالأرواح سواء أكانت شريرة أم خيرة وبواسطة الكاهن الذي يطلق عليه سامان ، يستطيع السيطرة على تلك الأرواح واكتساب محبة الخير بالنظر إلى السماء التي قدروا إلهيتها ، فاعتقدوا أنها خلقت العالم.

ولقد تمسك الترك باسم السماء «تجري» ، فكانت السمنية هي ديانتهم القومية «الوطنية» تلك التي تتناسب مع طبيعتهم البدوية ، وهي التي تفسر نكرهم لحبهم للحرب ، والقتل حيث ينكروا تماماً عقوبة أي شخص منهم في الآخرة بسبب قتله لشخص آخر ، ولكنهم يفخروا بذلك باعتبار الذي قتل هذا روح شريرة ، لذا فهم يضعون على قبر الميت أحجاراً بعدد ما قتل ، وهذا نوع من التشريف ، أو صور من خشب على عدد من قتل من الناس ، وذلك ليكونوا خدماً له في الحياة الأخرى^(١).

= من أدب الفرس والترك ، (القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص ٣١ ؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٧ ؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٣ ؛ ذاكراً عن تلك الشامانية : أنها نسبة إلى شامان ، حيث تعود إلى أصل سنسكريتي «كاهن» وقد عمت تلك الديانة الشعوب النازلة في منطقة جبال أورال من مغول وأتراك.

(١) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ، ص ١٣٠ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية ، ص ٨ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٦٦ ؛ وإن كان هناك رأي مخالف لما ذكر عن السمنية بعد أن اتضح أن كلمة Shaman ذات أصل هندي أوربي ، حيث تقول إن الاعتقاد الشائع بأن الأتراك كانوا شامانيين ليس له دليل على الرغم من صحة أن بعض أتراك آسيا الوسطى كانوا كذلك ، وإن كان ذلك لم يؤثر على الديانة الأصلية للأتراك ، ولكن في القرنين العاشر والحادي عشر نجد هذا التسرب قد أتى من الجنوب من الأفكار البوذية التي انتشرت بين الأقطار التركية ، وحتى أثناء Gök-Türk كان ينظر إلى الشامانية على أنها شكل من أشكال الشعوذة أكثر منها ديانة وأفكار ، مثل الأرواح الشريرة التي تسكن الإنسان =

- بلاد الترك :

تعددت الآراء حول بلادهم ، وإن كانت جميعها تحمل في مضمونها معنى واحداً ، ويكمن الاختلاف في الشمول أو الاختصار.

تركستان : « وهي المكان الجامع لكل بلاد الترك » ، وهذا يعني انتشار أمم الترك^(١). في الربع الشرقي الشمالي من المعمور فيما بين الصين إلى تركستان وخوارزم والشاش وفرغانه وما وراء النهر وبخارا وسمرقند والترمز^(٢).

وبمعنى أكثر تحديداً نذكر أن موطنهم يشمل تلك المناطق الخصبة الواقعة بين نهري جيحون وسيحون ، وإن كان ذلك ليس موطناً للترك جميعاً بل موطن الترك الغربيين ، ثم يتجاوز إقليم ما وراء النهر صوب الشمال حتى منطقة السهوب الروسية ، وتمتد قليلاً صوب الشرق حتى حدود الصين ، وقد يمتد أحياناً ناحية الشمال الغربي من بحر قزوين ويدخل منطقة القوقاز من الشمال ، وأحياناً يمتد في حوض الفولجا ، فهذا موطن الترك الشرقيين^(٣).

ولقد أطلق العرب على المناطق المعمورة التي تمتد من مشارق خراسان من أرض الإسلام إلى مغارب الصين في أقصى الشرق ، ومن شمال الهند جنوباً إلى أقصى المعمور شمالاً موطن الترك^(٤).

= في القرن السابع ، والأسئلة الخفية المتعلقة بحياة ما بعد الموت ، وهذه الأشياء لم يعتقد فيها التركي ، ولقد ظهر ادعاء أن كلمة Shaman-Kam لها المعنى نفسه ، وهو رجل الدين ولكن ثبت خطأها.

Ibrahim, op. cit. p2.

- (١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٢٣.
- (٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الرابع ، ص ٩٣٤.
- (٣) حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م) ، ص ١٣١-١٣٢.
- (٤) أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، ص ٨ ، السيد الباز العريني : المغول ، (دار النهضة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص ٣٠.

- القبائل التركية :

سوف نركز على تلك المصادر التي ذكرت تلك القبائل موضحة أجناسها وشعوبها الكثيرة إلى جانب اهتمامنا بتلك القبائل الموجودة في أقصى الشمال الشرقي لإقليم خوارزم ، وذلك لكون وجود علاقة بينهما بحكم القرب والجوار ، ووجود عناصر تركية منهم داخله في التركيب السكاني لإقليم خوارزم^(١).

ولقد ذكر ابن خلدون في مواضع عديدة من كتابه ما لهؤلاء من أجناس وشعوب كثيرة ، منهم التغرغز «اطغزغز» وهم التتر - الخطا بأرض طمغاج ، ثم كانت بلاد ملوكهم في الإسلام تركستان وكاشغر ، الخرلخية ، الغز الذين منهم السلاجقة ، الهياطلة الذين منهم الخلق ، ومن أجناسهم الغور ، القفجاق «الخفشاج» ، ، ويملك ، العلان أو اللان ، شركس ، أركش ، الخزر ، وهم التركمان من ولد توغر بن كומר بن يافث^(٢). إلى جانب أصناف عدة ، منهم التبتية ، الخرخيزية ، الكيماكية ، الجقر ، البجاناك ، الخلق ، بلغارية ، فذكر أنها كلها خلف النهر إلى جانب البحر الشرقي المظلم^(٣).

ولقد انتشر هؤلاء في الأرض وعمروها حتى كثرت أنسالهم وتمذهبوا بمذاهب شتى ، حيث الغالب على أكثرهم كونهم مجوسا ، وعلى طباعهم الجفاء ، يتضح ذلك من خلال غزوهم للمسلمين سواء العرب أو الترك الذين أسلموا فيما بعد ، والذين كانوا لا يهابون هؤلاء.

(١) محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفة أو ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم ، ص ٤٩.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، القسم الأول ، ص ١٧ ؛ القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، (دار الكتب العربية ، بيروت ، لبنان ، د.ت) ، ص ٢٥-٢٦.

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص ٥١٨.

قبيلة الغز^(١). وعلاقتهم ببلاد خوارزم :

يعتبر ترك الغز أحد الشعوب التركية التي هاجرت من أواسط آسيا وخضعوا للصين ، حيث أطلق الصينيون على جماعة الأتراك الغز المهاجرين من منغوليا إلى شرق تركستان الصينية اسم «شا - تو» أي سكان الاستبس ، وكانت مدينة «بشي - باليق» في أيدي هؤلاء منذ القرن التاسع الميلادي «٩م» ، وما إن وقع عليهم الضغط من قبل بنى جلدتهم الموجودين في الغرب لم يقوموا بأي مقاومة واتجهوا إلى الشرق ، فدخلوا الصين في القرن التاسع الميلادي «٩م» واشتركوا في قمع الثورة ، وأنقذوا عرش الإمبراطور ، ثم استقلوا عنهم وانضموا إلى إمبراطورية تومين «Tumen» فكانوا ضمن العشائر التي تكونت منها تلك الإمبراطورية السابقة في القرن السادس الميلادي «٦م» إلى جانب عشائر من ترك الغز التي كانت تنتمي إلى الأتراك الغربيين ولقد ظلوا في صراع مع أتباعهم من القبائل التركية دائمة الثورة ، وبعد انهيار تلك الإمبراطورية في القرن الثامن الميلادي «٨م» تفرق هؤلاء في اتجاهات مختلفة.

(١) الغز - الأغز - الأوغوز : من القبائل التركية ، ولقد أطلق هذا اللفظ على القبيلة الكبيرة فيما يبدو ، والتي وجدت في القرن ٦م ، حيث كانت جميع القبائل في قبيلة واحدة ، والتي امتدت من الصين إلى البحر الأسود ، وقد وردت الإشارة إليهم تحت مسمى آخر وهو التغزغز في نقوش أورخون في القرن ٨م ، ويعنى هذا «القبائل العشر» وإن كان هذا يعنى أن الأوغوز يتألفون من عشر قبائل ؛ السيد الباز العرينى : المرجع السابق ، ص ٣٠ ؛ ومما يؤكد كون الأوغوز هم الغز من خلال ذكرهم لأماكنهم ؛ ذاكرة «كانت بلاد الأوغوز تتأخم جرجان ، وهي من أملاك المسلمين في الغرب حتى فاراب واسبيجات حيث تعرف الآن تحت مسمى «سيرام» بالقرب من «جمكنت» ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ٢ ، ص ٦٦-٦٧.

وفي أواخر القرن العاشر الميلادي اتجهوا إلى مناطق الأورال والفلجا إلى الشمال الغربي من الصين ، فطردوا عناصر البجناك ، وبعد احتلالهم تلك المناطق وعبرهم من الفولجا إلى جنوب روسيا بدأت علاقاتهم بروسيا ، لذا أطلق عليهم في المصادر الصينية اسم «Tokki»^(١).

وتضيف المصادر الصينية كذلك أن هؤلاء الغز المقيمين ينقسمون إلى عشر قبائل خمس من تلك العشائر تسكن نهر أبله ، والخمس الآخر في جنوبه ، ويطلق عليها في ترجمة نقوش اورخون اسم «اون اوق» أي «السهام العشرة»

وتشترك تلك المصادر السالفة الذكر مع المصادر العربية في أنها قد اتجهت فيما بين بحر الخزر إلى أواسط نهر سيردرية.

أما عن موطنهم بالنسبة لمن يجاورهم من القبائل الأخرى فنجد : حدودهم ما بين الخزر وكيماك وأرض الخرخية وبلغار وحدود دار الإسلام ما بين جرجان إلى فاراب واسبيجاب ، ويدل ذلك على مجاورتهم للأراضي الإسلامية ، لذا كان من الطبيعي اشتباكهم مع العرب عند نهر

(١) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٥٢ ؛ قائلاً «ولا شك أن العرب قد عرفوا نواحي «بشي باليق» التي سكنها التغرغز ، ولكن بعد أن هاجروا أتى قوم آخرون من الترك وحلوا محلهم ، وظلوا يطلقون على السكان الجدد الاسم نفسه ، ولعل أوضح دليل أن كلمة طقوزاعو» كانت تطلق أول الأمر على «شا - تو» لا على الأويغور ؛ فيذكر : المسعودي : أن إمبراطور الصين استطاع بمعاونة التغرغز قمع ثورة في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي «٩م» وإن كانت المصادر الصينية تخالف ذلك قاصدة أتراك «شا - تو» الغز ، ومن هنا جاء الاختلاف فيما بينهم وإن كانت المعاصرة وبالتالي الأصدق للأحداث هي المصادر الصينية.

سيردريا ، وإن كانت الغلبة للمسلمين حتى حل القارلوق محل الغز عند
ضفتى نهر جو عام ٧٦٦م^(١).

ديانتهم :

تشير المصادر البيزنطية إلى ديانة هؤلاء ، وهي المسيحية على
مذهب الأرثوذكس ، وذلك لدخولهم ضمن فرق الإمبراطورية ، بالرغم
من اعتبارهم أعداء اعتادوا الإغارة على أراضيهم.

وإن كنت أرجح أن سبب اعتناقهم لهذا المذهب هو مجاورتهم
لإقليم خوارزم ووجود مسيحيين من الخوارزميين على المذهب نفسه إلى
جانب وجود علاقات تجارية فيما بينهم ، ودور الخوارزميين في إمكان
اعتناق هؤلاء لهذا المذهب.

ومن المرجح حدوث ذلك بعد مصالحة تمت بينهم ، ويتضح ذلك
من خلال كلام البيروني ، وذكره بأنه كان هناك يوم معين يسمى «يوم
فغبرية» من شهر أخشويورى كان يخرج ملوك خوارزم فيه ، وذلك بعد
انتهاء الصيف ومقدم الشتاء يقضونه في الخارج متعقبين أتراك الغزيرة
ليبعدوهم عن ثغورهم وحماية مملكتهم منهم^(٢).

(١) الاصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٩ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٤ ؛
المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، ص ١١٣ ؛ حمزة بن
الحسن الاصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، (دم ، دت) ،
ص ٣٠ ؛ ابن فضلان : المصدر السابق ، ص ٩١ ؛ زبيدة عطا : المرجع السابق
، ص ٥ ، ٢٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٣٧.

(٢) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٢٣٦ ؛ النرشخي : تاريخ
بخارى ، ص ١١٧ ؛ بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ١٠١ ؛
زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ،
ص ٢٢.

وقبل اعتناقهم للمسيحية كانوا كما يذكر ابن فضلًا مثل الحمير الضالة لا يدينون بدين ، ولا يرجعون إلى عقل بل إلى رئيسهم ، وعندما يسأله أحدهم في شيء يقول «يارب أيش أعمل في كذا وكذا»^(١).

وكان اعتناقهم للإسلام في القرن العاشر الميلادي ، وخاصة هؤلاء الذين عند مصب نهر سيردريا ، ويذكر أن القارلوق كان لهم دور واضح في تعليم هؤلاء الغز الإسلام وتعاليمه ، لتمتعهم بمستوى أعلى من الحضارة^(٢).

ولقد أكد ابن فضلان إسلامهم فيذكر أنه سمعهم يقولون لا إله إلا الله محمداً رسول الله تقرباً إلى من يجتاز إليهم من المسلمين ، ويدل ذلك على تظاهرهم بالإسلام ، وإن كان هذا أمراً مستبعداً بعض الشيء فيتضح ذلك من استكمالنا لحديث ابن فضلان عنهم بأنه إذا ظلم أحدهم أو حدث له مكروه رفع رأسه إلى السماء ذاكراً «بيزتكري» أي الله الواحد بالتركية ، وهذا يعنى إيمانهم بالله^(٣).

– أقدم الشعوب التركية :

أ – الطخارية^(٤) :

أطلق عليهم العرب الطخاريين ، وذلك باسم اللهجة المغولية التي يتكلمها هؤلاء ، ويسمون عند الصين «يوكش – Yue-tche».

(١) ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ، ص ٩١.

(٢) ابن فضلان : للمصدر السابق ، ص ١٠١ ؛ بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ٧٧ ؛ زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ٢٢ ؛ Ibrahim, K. op. cit. p.39.

(٣) ابن فضلان : المرجع السابق ، ص ٩٢.

(٤) الطخارية : سميت المناطق الواقعة في أعالي نهر جيحون باسم طخارستان نسبة إلى الطخاريين ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٨.

ويذكر أنهم ربما يكونون تحت ضغط من قبل الشعوب التركية المغولية^(١). التي فرضت سلطانها على السهوب الشرقية ، ورحل هؤلاء في القرن الثاني قبل الميلاد « ٢ ق.م» إلى الغرب في حوض الآلي وشواطئ سيحون العليا في فرغانه ، ومنها دخلوا إلى بلخ.

ويذكر الباحثون كونهم شعباً هندوأوروبياً ، وإن كان المؤرخون الصينيون قد عارضوا ذلك^(٢). وفي النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي ظهر شعب آخر استولى على ولاياتهم وغلبهم.

ب- الهياطلة :

أطلقت عليهم العديد من المسميات فعند الصينيين عرفوا باسم «ي- تا» «Ya-Ta» وعند البيزنطيين باسم هفتاليت «Hephthalites» وأيضاً الهون البيض «White-Hunes» وعند الفرس اسم هيتال^(٣). ولقد عرّب العرب «هتال» وأطلقوا عليهم اسم الهياطلة^(٤).

(١) سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ، ص ٦٢ ؛ حيث ذكر أن هذه الشعوب التركية المغولية قد سماها الصينيون باسم هيونج - نو Hiong-Nou بمعنى العبيد أو العصاة ، وهم اسم قريب من الهون Huns أو الهوني Hunni والهونا Huna الذي أطلقت الرومان والهنود على هؤلاء البرابرة فيما بعد ، أما فيما يتعلق بكون هؤلاء عند الصينيين هم يوتش ولكن هناك رأي مخالف ، وهو أنه في الوقت الذي كان فيه «اليو - تش» في شمال جيحون ، وجد اسم قبيلة التخاب ، ولا يعلم هل كان هذا الاسم يدل على هذه الجماعة نفسها ، وإن اليو - تش ، حينما اخضعوا التخاب أطلق اسم هؤلاء عليهم ، أو أن اسم «اليو - تش» أطلق على الهيئة الحاكمة بين التخاب ؛ آرثر كريستسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص ١٧ ؛ محمد عبد الهادي شعيرة : المرجع السابق ، ص ٤٣.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٦٣.

(٣) محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفة أو «ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم» ، ص ٤٢ ؛ سعد زغلول : المرجع السابق ، ص ٦٣ ؛ آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ ؛ إدوارد بروي ؛ موسوعة تاريخ الحضارات العام ، (ط ٣ ، بيروت ، ١٩٩٤م) ، المجلد الثالث ، ص ١٠٤.

(٤) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٦٤ ؛ آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ٢٧٦.

ونظراً لأنه من الصعب تحديد الأصل البشري لهؤلاء فقد أطلق العرب هذا اللفظ على كل البلاد التي تقع إلى الشرق من نهر المرغاب وبلاد ما وراء النهر^(١).

وحتى الوقت الحاضر لم يصل العلماء إلى رأي حاسم بالنسبة للأصل البشري لهؤلاء فيذكر البعض أنهم فرع من هيونج - نو «الهون» أي كونهم تركاً تجرى في عروقهم دماء المغول الصينيين ، لذا يصفهم الصينيون بأنهم سلالة هيونج - نو التي تحدثنا عنها سالفاً^(٢). كما يقولون عن الأتراك في القرن السادس الميلادي «٦م» إنهم من سلالة الهياطلة.

أما آرثر كريستسن فيذكر «أن الهياطلة جاءوا من الولاية الصينية «قان - صو» وغزو مناطق طخارستان التي هجرها الكداريون ، ويطلق عليهم أيضاً اسم الهون البيض ولم يكونوا هوناً حقيقيين^(٣). ولقد هبط هؤلاء من أعالي جبال آلتاي ، واستقروا في التركستان الروسي ، ثم توجهوا إلى الصغديان : سمرقند وبكتريا التي بلغوها في عهد الملك الساساني بهرام جور «٤٢٠-٤٣٨»^(٤). ومن هنا شكلوا خطراً

(١) ابن الفقيه : مختصر تاريخ البلدان ، ص ٣١٤ ؛ المقدسي : المصدر السابق ،

ص ٢٦١ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص ٤٥.

(2) H. A. R. Gibb, M. A., : The Arab Conquests in central Asia, (London, 1923), p.2.

(٣) آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ ؛ وينكر بروكوب «Procopé» ،

أن الهون البيض يمتازون عن أقوام الهون الآخرين ببياض بشرتهم ومعيشتهم المتمدنة ، حيث لم يعيشوا على شكل قبائل متقلة ، ولم تكن لهم طبيعة قاسية ، وكانوا يدفنون موتاهم ، وهذا يخالف حرق جثث الموتى الذي كان يمارسه الصينيون.

(٤) إدوارد بروي : موسوعة تاريخ الحضارات العام ، ص ١٠٤.

واسع النطاق على الدولة الساسانية ، وذلك على وجه التحديد في القرن الخامس الميلادي «م» فكانوا ألد أعداء الفرس في ذلك الحين ، وإن كانوا بعد انفصالهم عن إمبراطورية «الجوان - جوان» في منغوليا في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي «م» قد انتشر سلطانهم فشمّل حوض الآلى ، وسهوب تشو ، ومنطقة طراز ، وأقاليم سيحون حتى الارال إلى جانب احتلالهم لمنطقة ما وراء النهر ثم بلخ.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، بل خاض معهم الملك الساساني فيروز بن يزدجرد «٤٥١-٤٨٤م» معركة ضدهم وانتهت بهزيمته ومقتله بمرور عام ٤٨٤م ، وكان زعيمهم اخشنوار^(١).

ومن المحتمل أن يكون هذا تحريفا للقب الصغدي «خشوان» أي ملك وعلى أثر تلك المعركة توغل هؤلاء الهياطلة في إيران ، واستولوا على ولايات كثيرة مثل «الروذ ، هراه» ، وفرضوا على الفرس جزية سنوية^(٢).

ومع مقدم النصف الأول من القرن السادس الميلادي «م» عظمت قوتهم وامتدت دولتهم إلى بلاد الصغد وحوض جيحون والأراضي الواقعة في الشمال والجنوب من الهندوكوش^(٣).

ونتيجة تعرضهم لهجمات قوية من الفرس على يد كسري أنوشروان «٥٣١-٥٧٩م» وذلك نظراً لرغبته في تحرير بلاده منهم والتخلص من دفع الجزية ، لذا لجأ كذلك إلى عقد تحالف مع البيزنطيين

(١) محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفة ، ص ٤٥ ؛ آرثر كريستسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص ٢٨٠.

(٢) محمد عبد الهادي شعيرة : المرجع السابق ، ص ٤٥ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٨٤.

(٣) آرثر كريستسن : المرجع السابق ، ص ٢٨٠.

لتأمين حدوده الغربية وكذلك تحالف مع زعيم الأتراك الغربيين ، تلك الدولة التي ظهرت في منتصف القرن السادس الميلادي «٦م» وراء نهر سيحون^(١). ونتج عن ذلك اتجاه الهياطلة إلى الجنوب الشرقي حيث الطخارية واحتلوا كابل ، واندفعوا إلى غزو الهند^(٢). وبذلك استرجع الطخارية قوتهم وعظمتهم مرة ثانية ، وكان ملكهم يلقب بلقب جينغوية^(٣).

ونذكر أن هؤلاء الطخارية كان نفوذهم أيام الفتح العربي قد امتد إلى نهر المرغاب غرباً ويصل إلى مرو الروذ ، وفرضوا حلفهم على دهاقنة المدن الفارسية الواقعة شرق المرغاب فكتب التاريخ تذكر هؤلاء الطخارية إلى جانب الدهاقين في المدن الكبرى فيما بين المرغاب وجيحون ، وهي : «الجوزجان ، والفارياب ، الطالقان» ، حيث كانت أوسع الممالك التركية في هذه الناحية ، وإن كانت الانقسامات قد فرقّت أجزاءها^(٤). حيث كانت تشمل كل الحوض الأعلى والأوسط من نهر جيحون ، وتمتد على ضفتيه ، وتضم أرض الختل وبذغشان والطالقان والصغانيان وشومان وآخرين.

وبذلك فقد كانت تلك المملكة تحتل مركزاً وسطاً بين شرق إيران وأعلى نهر جيحون أي ما بين السهول والجبال^(٥). ويجانب تلك الممالك والشعوب توجد العناصر التركية في كل من كش ونسف «نخشب» ، وفي أقصى الحدود الشمالية الشرقية من الحدود الإسلامية ، وفي أدنى نهر

(١) سعد زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية ، ص ٦٤ ؛ محمد توفيق صادق : قتيبة بن مسلم الباهلي «شخصيته ، فتوحاته ، أعماله» ، رسالة ماجستير ، الكويت ، ١٩٧٤ ، ص ٢٤.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٦٥ ؛ آرثر كريستمن : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ ؛ إدوارد بروي : المرجع السابق ، ص ١٩٤.

(٣) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ٦٤.

(٤) محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفة ، ص ٤٣.

(٥) محمد عبد الهادي شعيرة : المرجع السابق ، ص ٤٤.

جيحون يوجد الخوارزميون ، وهم من الترك حيث حاكمها الذي يلقب بخوارزمشاه ، وعاصمته هزاراسب ومدينة الفيل أحصن مدنه^(١).

وبجانب تلك القبائل والشعوب التركية ، توجد عناصر أخرى في إقليم خوارزم تتمثل في العبيد والجواري الذين تم جلبهم عن طريق الشراء «تجارة الرقيق» أو الغزو أو السرقة ، فكان أولاد الأتراك يسرقون أو يتم شراؤهم من بدو تلك البراري في أقصى الشمال ويبعد تعليمهم وتأديبهم يأتون بهم إلى سائر بلاد الإسلام ، ويتدرجون في المناصب الإدارية حتى يصلوا إلى أعلاها^(٢).

ويذكر أن أهل خوارزم كانوا يخشون من هؤلاء ، ومرجع ذلك هو تلك الشبهة الذي بينهم وبين هؤلاء الترك.

ويذكر المقدسي أنه سأل أحدهم عن اختلاف رؤوسهم عن رؤوس بقية الناس فقالوا : أن قداماءهم كانوا يغزون الترك فيأسرونهم ، وربما وقعوا في الأسر للشبهة المشتركة بينهم ، فبيعوا في أسواق الرقيق ، لذا أمروا النساء إذا ولدن أن يربطن أكياس الرمل على رؤوس الصبيان من الجانبين حتى ينبسط الرأس ، وبعد ذلك لم يسترقوا ، ورد من وقع منهم إلى الكورة^(٣).

ومن الواضح كون هؤلاء يتمتعون باهتمام كبير في المجتمع آنذاك ، بدليل وصول الكثير منهم إلى أعلى المناصب وخير مثال على ذلك مؤسس دولة شاهات خوارزم «أنوشتكين» وهو في الأصل عبد تركي اشتراه أحد أمراء السلاجقة ونظراً لما أظهره من كفاءة صار والياً على خوارزم^(٤).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٥٧٠.

(٢) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٢ ؛ هند حسين عطية : الأدب العربي في إقليم خوارزم منذ الفتح العربي ٩٣ هـ حتى نهاية الدولة الخوارزمية ٦٢٨ هـ ، (بغداد ، ١٩٧٦م) ، ص ٥٥.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٢ ؛ هند حسين عطية : المرجع السابق ، ص ٥٧.

ثالثاً : العرب :

تناولنا بالدراسة من قبل الحديث عن الفرس والتّرك ونبّلوهم بالحديث عن العرب وهدفنا من ذلك محاولة إثبات التّواجد العربي في إقليم خوارزم.

وتلك العناصر التي سبق الحديث عنها ، لم تكن بمعزل عن العرب ، بل كانت بينهم وبين الفرس علاقات بحكم الجوار الجغرافي وتمتد جذور تلك العلاقات إلى العصور الأسطورية^(١). وتظهر بصورة جلية في العصور التاريخية سواء كانت سلمية أو حربية ، وإن كان أغلبها حربية ، وبالرغم من ذلك فقد أحدثت رقباً حضارياً لدى الجانبين.

ولقد ازدادت تلك الصلات في عهد الساسانيين ، فعلى سبيل المثال نجد الملك الساساني يزدجرد بعث ابنه بهرامگور إلى الحيرة ليشرف الأمراء على تعليمه فتعلم الشهامة العربية.

ويتخلل تلك العلاقات مواقف من العداء والحرب ، مثل موقعة ذي قار التي انتصر فيها العرب^(٢).

(١) أحمد الحوفي : صلات عريقة بين العرب والفرس ، (مجلة المنتدى ، د.ت) ، ص ٥٣ ؛ فؤاد عبد المعطى الصياد دراسات في الحضارة الإسلامية «التقاء الثقافتين العربية والفارسية» ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٦٨ ؛ بديع محمد جمعة : دراسات في الأدب المقارن ، (ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٠م) ، ص ٦٤ ؛ ذكر أن «الكتب التي عنيت بأساطير الفرس وفارس هم الشاهنامه والطبري وابن الأثير وغيرها من المصادر الموثوق بها حيث أن أول من اتصل بالفرس هم العرب ، فقالوا أن الضحّاك الملك الحميري الأسطوري استطاع حكم إيران قرابة ألف عام «١٠٠٠ عام» ، ونظراً لسطوته قام الإيرانيون بثورة عليه تزعمها رجل يدعى «كاوه» ونجحت الثورة ، وتولى أمير إيراني آخر ، وهو أفريدون ، وعلى الرغم من كراهية الضحّاك إلا أنه سرعان ما عادت العلاقات بين الشعبين العربي والفارسي فاجتهد أفريدون في تزويج أبنائه من بنات ملك اليمن في عصره وتم ذلك الزواج ، وتوطدت العلاقات بينهما.

(٢) بديع محمد جمعة : المرجع السابق ، ص ٦٤-٦٥ ؛ عبد السلام فهمي : كوروش الكبير ، ص ٥١-٥٤.

ولقد اعتبرت التجارة من العوامل التي كانت وراء توثيق تلك العلاقات فنجد منذ القدم «عبد مناف» قد عاهدوا الدول المجاورة ليترددوا عليها تجاراً ، وكانت إحداها مع الفرس والأخرى يرسل الفرس تجارتهم إلى أسواق العرب ، ويلجئون إليهم لحماية قوافلهم التجارية^(١).

واستمرت العلاقات بعد الإسلام منذ عهد الرسول ، واتضحت بصورة جلية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، حيث بدأت الفتوحات الإسلامية لبلاد الفرس ، حيث كان العرب على علم ودراية بهذا الشعب الذي تربطهم به علاقات وثيقة منذ القدم تعرفوا من خلالها على أحوالهم السياسية والاجتماعية ، وعليها خاضوا العديد من المعارك آخرها نهاوند عام «٦٤١/هـ» وبالتالي صار أمر الفرس وإمبراطوريتهم هيناً للغاية ، وانتهى أمرهم بقتل آخر ملوكهم يزديجرد في عهد الخليفة عثمان بن عفان عام «٦٥١/هـ» ولكن ذلك لم يعق تلك العلاقات ، ولا مدى الاستفادة من نظمهم الإدارية^(٢).

- الوضع السياسي والاجتماعي في إقليم خوارزم :

في الفترة الزمنية المعاصرة لبدء ذهاب العرب لتلك المنطقة ، وخاصة في المرحلة الأولى التي يطلقون عليها الحملات الثغرية «الاستطلاعية» ، وذلك بعد أن انتهى تقريباً الصراع بين العرب والفرس باستيلاء العرب على خراسان ، وعلى أثرها بدأت مرحلة الفتح الحقيقية ، وإن كان قد ظهر على مسرح الأحداث عدو جديد للعرب وهم الترك.

(١) أحمد الحوفي : المرجع السابق ، ص ٦٤-٦٥ ؛ ذكراً وإلى جانب تلك الرسائل نجد ذهاب بعض العرب إلى فارس من أجل العلم والتعلم ، وخير مثال على ذلك الحارث بن كلده النخعي الذي رحل من الطائف إلى جنديسابور وغيرها من بلدان فارس فتعلم الطب والعزف على العود.

(٢) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥٣-٥٤ ، ٥٧.

ومن قبل ذكرنا كون تلك المنطقة إيرانية لغوياً وسكانياً ، وإن كان يختلف الأمر من الناحية السياسية وخاصة بعد سقوط الإمبراطورية الساسانية المترامية الأطراف ، ولم يتبق سوى الطبقة الارستقراطية من الأسر الحاكمة من الدهاقنة التي ارتفعت فوق طبقة النبلاء «ملاك الأراضي» ثم الوكلاء في القرى^(١). إلى جانب الترك المتواجدين في تلك الإمارات ، ومنها إمارة خوارزم ، ومع بداية الفتوح اتجه الأتراك إلى توسيع ممالكهم إلى الغرب ، وذلك في عهد قابغان قاغان ، والذي يطلق عليه الصينيون اسم «متشوى» بعد تحريرهم ، واستقرار واحد منهم في سمرقند عاصمة الصغد بوصفة طرخاناً خاضعاً للخاقان الأعظم^(٢). إلى جانب البدو من القبائل التركية في أقصى الشمال ، وكانت تربطهم بخوارزم علاقات تجارية ، وبالرغم من ذلك لم تسلم من غاراتهم وإلى جانب هؤلاء الأمراء يوجد السادة المحليون حيث لا يتعدى سلطانهم حدود القرى^(٣).

ومن ذلك نرى التعقيد السياسي الشديد في تلك المنطقة ، فلا نستطيع أن نفصل من له السيادة على الآخر ، فهي عملية موازنة تعتمد

(1) J. Wellhausen : Translated by Margaret Grahame Weir, M. A., Calcutta, the Arab Kingdom and its fall, N.P., 1927, p.432.

(٢) حمزة بن الحسن الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ؛ محمد عبد الهادي شعيرة : المرجع السابق ، ص ٤٨-٤٩ ؛ الزمخشري : المرجع السابق ، ص ٢٣-٢٤ ؛ ذاكرة مدة حكمه اثنتين وثلاثين عاماً ؛ السيد الباز العريني : المغول ، ص ٥ ؛ حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ، ص ١٣٦ ؛ شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي الأول «دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية» ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، J. Wellhausen : op. cit., p.434 ؛ ص ١٦٠ ، (١٣٧١/١٩٤١م)

(٣) شكري فيصل : المرجع السابق ، ص ١٦٠-١٦١ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص ٨١-٨٤ ؛ J. Wellhausen : op. cit., p.434

في الأول والآخر على قوة المسيطر ، وكان هذا التعقيد والتفكك السياسي الذي صارت عليه تلك الولايات في صالح التواجد العربي حيث هيأ المنطقة للفتح والتواجد العربي.

- الفتوحات العربية لإقليم خوارزم :

مرت مرحلة فتح إقليم خوارزم بأكثر من مرحلة :

المرحلة الأولى : ويطلق عليها مرحلة الاستطلاع أو الغزوات الثغرية ، ولقد وصفها العديد من المؤرخين بأنها مرحلة جمع الغنائم والسلب والنهب مع قدر ضئيل من الرغبة في نشر الإسلام ، وإن كنت أرجح كونها مرحلة تمهيدية وتدرجية لمعرفة أحوال تلك المناطق الجديدة ذات الطبيعة الجغرافية المتنوعة والمختلفة اختلافا جوهرياً عن طبيعتهم ومعرفة إمكانات سكانها وطبيعة عدوهم صعب المراس ، وكيفية التعامل معه.

وكان طابع تلك المرحلة هو عدم الاستقرار والبقاء فقط في فصل الصيف والعودة إلى مرو مركز خراسان في الشتاء ، وكذلك التباطؤ ، وذلك بعدة أسباب منها :

- طبيعة أراضيهم الجبلية المختلفة عن طبيعة العرب السهلية ، لذا صعب التعامل معهم في البداية.
- وصفها بكونها مرحلة الغرض منها هو الجمع والسلب^(١). حيث أصبح من الصعب تحديد ذلك ، فيمكن وصفها بالاندفاع واستثمار النصر أكثر من اتصافها بالفتح المنظم^(٢).

(١) حمزة بن الحسن الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢٨ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٣٠٠ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ١٣٩ ؛ جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ١ ، ص ٥٢.

(٢) شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ، ص ١٦٢-١٦٣.

- التعقيد والتداخل ، وأيضاً تلك الروايات التي يتناقض بعضها مع الآخر في حدث بسيط فعلى سبيل المثال اختلاف الآراء حول أول من عبر نهر جيحون إلى منطقة ما وراء النهر^(١). والسبب في ذلك يرجع إلى الاعتماد على الروايات الشفهية التي جاءت عن طريق القصص والروايات التي غلب عليها الخلط والتناقض ، ومرجع ذلك عدم تدوينها إلا بعد عدة أجيال.
- كذلك ارتباط هذا التباطؤ بما كانت عليه خراسان في تلك الفترة ، وما كانت عليه الحياة السياسية والحربية وانعكاس ذلك على هذا الإقليم والأقاليم المجاورة ، وذلك للتجاوب الكامل الذي كان بين المنطقتين.
- وتمثلت تلك الظروف فيما يصيب الفاتحين والعلاقات بين القبائل والخلافات القبلية التي كانت موجودة بين قبائل الشمال والجنوب ، وإعلان عصيانهم على الأمراء وقسوة الأمراء عليهم ، وتغيرهم من أن لآخر كل ما سبق كان له أكبر الأثر على حركة الفتح الأولى لتلك المناطق^(٢).

(1) Gibb: The Arab Conquests in Central Asia, p.30.

ولقد قسم جب تلك الروايات إلى قيسية تدور حول ابن خازم ، وأخرى أزدية تدور حول المهلب بن أبي صفرة ، وهي أكثر الروايات شيوعاً بين العرب ، فيأخذ بها كلاً من : البلاذري : فتوح البلدان ، (بيروت ، ١٤٠٧/١٩٨٧م) ، ص ٥٤٧ ، ٥٧٨ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، الجزء الثاني ، ص ١٦٧ ؛ وروايات باهلية ، وإن كانت لم تجد قبولا كثيراً من المؤرخين ما عدا ، الطبري : الذي يعرضها في صورة تهكم ، ج ٥ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ؛ وروايات أخرى محلية يأخذ بها : الزشخي : تاريخ بخارى ، ص ٦٢-٦٣ ، فهي تصور الفتوحات بكونها قصة تاريخية تتزعمها البطلة القومية خاتون ، وبعض الروايات المحلية الأخرى ؛ للمزيد انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ ؛ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٦٠ ؛ الغريزي : زين الأخبار ، ص ١٧٢.

(٢) حمزة بن الحسن الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢٨ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ٨٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٣٠٢ ؛ شكري فيصل : المرجع السابق ، ص ١٦٢.

عام «٥٢٢ / ٦٥٢م» :

صار خوارزم في أول محاولة للحملات الثغرية الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة التميمي ، على عهد ولاية عبدالله بن عامر ، ولم يقدر عليهم ، ولم توضح المصادر الأسباب وراء ذلك بل تذكر استشارته لأصحابه فأشاروا عليه بالرجوع إلى بلخ ، وقالوا :

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجزوه إلى ما تستطيع

ومما سبق يستبعد تركه لعناصر عربية في هذا الإقليم ، وكونها حملات استطلاعية الغرض منها التعرف على الإقليم^(١).

عام «٥٦١ / ٦٨٠ - ٦٨١م» :

وهي المحاولة الثانية لفتح إقليم خوارزم في عهد يزيد بن معاوية حيث غزاها سلم بن زياد بن أبيه «وهو ابن عبيد من ثقيف»^(٢).

فيذكر أن علي بن محمد ذكر الحسن بن رشيد الجوزجاني عن شيخ من خزاعة عن أبيه عن جده ، قال : غزوت مع سلم بن زياد خوارزم ، فصالحوه على مال كثير ، وزيادة على ذلك فقد نال من هدايا خوارزم وأرسلها إلى يزيد بن معاوية^(٣).

(١) أبو عمرو خليفة بن أبي هبيرة الليثي للعصفري : تاريخ خليفة بن خياط ، حققه وقدم له : أكرم ضياء العمرى : (ط١ ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م) ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ؛ لليعقوبي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ؛ أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٨١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٣ ؛ أبو الحسن الماوردي : الوزارة «أدب الوزير» ، تحقيق : محمد سليمان داود ، فؤاد عبد المنعم أحمد : (ط٢ ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ، ص ٥٢ ، حاشية ٤.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٠٤.

(٣) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤١ ، ٢٣٦ ؛ (وإن كان قد ذكر أحداث عام ٥٦١ في عام ٥٦٢) ؛ لليعقوبي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ؛ البلاذري : المصدر السابق ، ص ٥٨١ ؛ ولقد قدر هذا المال بحوالي أربعمئة ألف «٤٠٠٠٠٠» ؛ الطبري : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧٣-٤٧٤ ؛ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ص ٧٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ١٤٣.

وتكررت المحاولة في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، وولاية يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من قبيلة أزد^(١). الذي غزا خوارزم ووصفها بكونها قليلة السلب شديدة الكلب ، وصالح أهلها ، وأصاب سبياً وذلك في فصل الصيف ، ولقد كرر غزوته مرة ثانية في الشتاء ، ولكنه لم يتحمل بردها ، إذا اخذ ثياب الأسرى حيث ارتداها جنوده ، فمات السبي من البرد^(٢).

وهنا احتمال نستنتجه من تلك العبارة الأخيرة وهو بقاءه مدة في خوارزم لاستطلاع أمرها ومعرفة ظروفها وإن كانت المصادر لم تشر إلى أي نوع من التواجد العربي بخوارزم ولا أماكنهم ، ويؤكد ذلك ما فعله رؤساء وحكام المناطق من اجتماعهم بمدينة مما يلي خوارزم ليتعهدوا على ألا يغزو بعضهم بعضاً ، يتناسوا الخلافات ويتشاوروا في أمورهم ، ويعاهدوا على مقاومة عدوهم في تلك الغزوات^(٣).

ومن المحتمل أن يكون الحكام المحليون لهذا الإقليم قد تعرفوا - ولو بشكل مبدئي - ما كان عليه هؤلاء القادة العرب من قوة وبأس ، وإعجابهم بفروسيتهم وكرمهم وسماحة خلقهم ، وبالنسبة للعرب فقد تعرفوا - ولو بشكل ضئيل - على طبيعة ذلك الإقليم الباردة وتأقلموا عليه ، ودليلنا على ذلك إقامتهم في بعض الأحيان وقيامهم بتلك الغزوات «والتي كانت سنوية في شكل صوائف ، وفي بعض الأحيان في شكل شواتٍ تبعاً للضرورة» ، كما حدث في الغزوة الأخيرة ، وذلك يعنى

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٦ ، ص ٢٧٨.

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٨٦ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ،

ص ٣٩٧-٣٩٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٩٧.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٠٤-٥٠٥ ؛ حسن أحمد محمود :

المرجع السابق ، ص ١٤٣ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص ١٠٧.

تكيفهم مع هذا المناخ ، ومعرفتهم بعض الشيء مقدرات هذا الإقليم العسكرية والمادية ، ومراكز الضعف والقوة فيه ، وكذلك العناصر التي يمكن أن يستعينوا بها - أحياناً - ضد العرب ، وإلى جانب أثر تلك الحملات الخاطفة التي أرهقت ذلك الإقليم مادياً من خلال عهود الصلح ، وما يتقرر فيها من مقدار دفع الجزية^(١).

- القبائل العربية ومشاركتها في الفتح المنظم لخوارزم :

حيث يدخل إقليم خوارزم في مرحلة جديدة من الفتح المنظم ، وذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وإلى العراق وخراسان والحجاج بن يوسف الثقفي والقائد قتيبة بن مسلم الباهلي الذي ينسب إلى قبيلة باهلة^(٢). ودوره الواضح في إقليم خوارزم ومحاولته تثبيت التواجد العربي بها ، وسياسته التي صار عليها من جاء بعده من الولاة في حكم تلك الأقاليم.

(١) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٥٨٤ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٠٣ ، ٣٦٩ ؛ ج ٧ ، ص ٧١ : ٧٩.

(٢) يذكر أن باهلة امرأة ، وهي باهلة بنت صعبة وزوجها معن ، حيث يطلق على قبيلة معن البدوية في شمال الجزيرة العربية عادة بنى باهلة ، حيث يقال إن نسب قتيبة إلى باهلة ، ومنهم من يقول : إن باهلة أم لولد معن ، وليس باسم ابن حيث لا تجد باهلياً ينسب إلى باهلة ، وإنما تنسب إلى أحد أولاد معن ، فمن ولد وائل بن معن قتيبة بن مسلم ... ؛ ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، عن نسخه الخزانة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية ، (مكتبة المقدسي ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ) ، ج ١ ، ص ١١٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ٦ ، ص ١٥٥ ؛ محمد توفيق صادق : المرجع السابق ، ص ١١٧ ؛ ولمزيد من المعلومات عن نسب قتيبة بن مسلم الباهلي انظر : ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب ، (باريس ، ١٩٤٨م) ، ص ٤٥٠ ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨٦.

أما بالنسبة للقبائل التي شاركت في الفتوح فقد بدأ ذلك منذ أن عزم معاوية ابن أبي سفيان على تحويل خراسان إلى ثغر إسلامي ، وما ترتب على ذلك من تحويل أعداد كثيرة من سكان كل من البصرة^(١) والكوفة.

ففي عام «٦٨٠/٦٨١م» مد يزيد سلم بن زياد «٢٠٠٠ رجل» أو «٦٠٠٠ رجل» تقريبا من وجهاء البصرة وفرسانها ، فخرج معه «عمران بن الفضيل البرهمي ، والمهلب بن أبي صفرة ، وعبدالله بن خازم السلمي ، وطلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعي ، وحنظلة بن عرادة ، ويحيى بن يعمر العدواني ، وصله ابن أشيم العدوي».

وأضاف إليهم الطبري « يحيى بن يعمر العدواني» حليف هذيل ، وأبا حزابة الوليد بن نهيك أحد بني ربيعة ، وخلق كثير من فرسان البصرة ، وأشرافهم ، فضلا عن الذين أتوا مع نائبة من أهل الشام^(٢).

(١) البصرة : تعرف في العصور الوسطى في أوربا تحت اسم بلسورا «Balsare» وكثيراً ما تكتب الآن تحت مسمى بسورا Bassara ، مدينة تجارية على شط العرب ، وبها من القبائل الأزدي بعد مهاجرتهم إليها ؛ وأيضاً ربيعة التي تحالفت معها ضد تميم وقيس إلى جانب عدد كبير من الموالي ، وفي عام ٥٥٠ ، صار عدد سكانها ثلاثمائة ألف نسمة «٣٠٠٠٠٠» ، ولها السبق في إمداد جيوش الفتوح بالجند ، ولقد قسمت البصرة إلى خمسة أخماس ، وهم «أهل العالية - سكان إقليم الحجاز العالي - ، وتميم ، وبكر بن وائل ، وعبد القيس ، والأزد» ، ومن خلال هؤلاء ظهرت الطبقة العسكرية في البصرة ، واندمجت معها الموالي والسكان الوطنيين وكذلك الشعوب المهاجرة من إيرانيين ، وهنود ، وأناس من السند والملايو ، والزنج ، وكانت العصبية العربية مشتتة حتى فقدت قوتها فيما بعد ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ٧ ، ص ٢٩٦-٢٩٧ ، ٣٠٠-٣٠١ ؛ J.Wellmansem, the Arab Kingdom and its fall, p.398 ؛ حيث ذكر أن تلك القبائل الكبيرة انقسمت إلى أخماس ، لها كور صغيرة ، مثال على ذلك كندة ، والطائي أخذت مع بكر في البصرة.

(٢) الطبري : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ ؛ محمد توفيق صادق : ثغر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المستقلة ، ص ٢٨١.

وهناك احتمال وارد من كون كل أو بعض من هؤلاء قد شاركوا في غزوته لإقليم خوارزم عام «٦٨٠/٥٦١ - ٦٨١م» ومن الملاحظ على عناصر تلك القبائل المشاركة في الفتوح المتنوع ، فهم ما بين عرب البصرة والكوفة.

ولقد صنفهم جرجى زيدان ما بين عدنانية وأخرى قحطانية ، ذاكراً أن تلك القبائل لم تكن مقيمة في القرى والمدن حتى لا تختلط بسكانها ، وإنما كانوا رابطين في مناطق تحصيناتهم المخصصة لهم وقت غزوتهم ، ولكن ما لبث أن تطور الأمر واختلطوا بسكان البلاد ، ولم يكن السبب الوحيد وراء ذلك هو انتشارهم في تلك المناطق بسبب الفتح ولا لنشر الإسلام ، وإنما لهجراتهم بأولادهم وخيامها وأنعامهم من أجل التماس سعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة^(١).

ولقد خالفهم عبد المنعم ماجد في ذلك ذاكراً أن هؤلاء قد دخلوا البلاد فاتحين ولم ينتقلوا إليها مهاجرين ، حيث أنه لو حدثت الهجرة لكانت مؤقتة ، حيث وجد هؤلاء داخل الجزيرة العربية وأطرافها وفي رجال الجيش والقبائل التي انتقلت في حركة الفتوح ليسكنوا الأمصار ، وكان أغلب العرب عند بدء حركة الفتوح من المسلمين ، ومن كان غير ذلك يطلق عليه المنتصرة وسرعان ما تحولوا للإسلام^(٢).

- المواطن الأصلية لتلك القبائل :

١- أهل البصرة :

تلك القاعدة التي انطلق منها المقاتلون لفتح تلك الأقاليم ، والتي على رأسها إقليم خوارزم ، وقبائلهم مقسمة إلى خمس كتل : فنجد على

(١) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٠٥م ، ج ٤ ، ص ٣٢٣.

(٢) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، (ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٧٨م) ، ص ٨١-٨٢.

بنى تميم^(١). ضرار بن حصين الضبي ، ولقد عزل عنها وكيع بن أبي سود ، وعددهم «١٠٠٠٠ شخص»^(٢). وعلى بكر بن وائل^(٣). الحصين بن المنذر البكري وعددهم «٧٠٠»^(٤). وعلى رأس الأزدي^(٥). عبدالله بن

(١) تميم : تنسب إلى تميم بن مر ابن ادبن طانجة بن إلياس بن مضر ، وذلك يعنى كونها من مضر ، ويقال أحيانا أنها مساوية لمضر ، وذلك في مقابل قيس وربيعه حيث ربيعة اقرب القبيلتين إلى تميم ، ومعنى ذلك أن كل تلك القبائل ترجع إلى مضر ، وهي بدورها ترجع إلى عدنان ، ولقد ازدادت معرفة تلك القبيلة منذ القرن السادس الميلادي «٦م» باعتبارها قبيلة عظيمة ، نزلت في جانب كبير من الساحل الشرقي لبلاد العرب «أي بلاد نجد بأسرها تقريباً وجزء من البحرين وقسم من اليمامة وتمتد منازلها ببطون من عبد القيس وحنيفة» ، وامتزجت ببكر وتغلب في الشمال ، وهم بدو خلص لم تكن لهم مدن بالمعنى الصحيح ، ولقد اتسعت منازلهم حتى صارت قبيلة قائمة بذاتها ، وهناك روايتان حول اتصالهم بالفرس الساسانيين ، اعتنقوا الإسلام في العام ٨ للهجرة ، ثم ارتدوا عنه ، ثم ما لبثوا أن عادوا إليه ، ووجدوا في الفتوحات الإسلامية ضاللتهم ، واتجه معظمهم لفارس وعسكروا في البصرة والكوفة ثم انتقلوا إلى خراسان ؛ ولمزيد من المعلومات حول ذلك انظر : دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٠ ، ص ٥٤-٥٨ ؛ سلطان بن طرنخيم المذهن للسرحاني : جامع أنساب قبائل العرب ، (دار الثقافة ، قطر ، الدوحة ، د.ت) ؛ ص ٣٨ ، ٤١-٤٣.

(2) H. A. R. Gibb, M. A. : The Arab Conquests in central Asia, p.40.

(٣) بكر بن وائل : قبيلة عربية يرجع نسبها إلى عدنان بن بنى معد ، وهم بكر بن وائل بن قاسط بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ، وهم أبناء عموماتهم تغلب وعنز ، ولقد عاشت في تهامة اليمن واليمامة والبحرين إلى حدود الجزيرة وسكنوا الناحية التي ما تزال تحمل وتنسب إليهم وهي ديار بكر ، وسكنت كذلك أماكن في بلاد فارس ، وبخاصة إقليم خراسان ، وفي عام «٦٣٠/٥٩م» أعلن فريق منهم الإسلام ، ورحل بكر إلى خراسان ومرو وهراة ، حيث كان الكثيرون من قبيلتهم قد سبقوهم إلى الإقامة هناك ، وفي عام «١٣٤/٧٥١م» رحل بنو بكر إلى خراسان مع جند البصرة ، وكان عددهم ٧٠٠٠ رجل ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ٧ ، ص ٤٧٥-٤٧٦ ، ١٧٨-٤٩٧ ، ٤٨٥ ؛ سلطان بن طرنخيم : المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ٢٩.

(4) Ibid, p.40.

(٥) الأزدي : أعظم قبائل العرب وأشهرها تنسب إلى الأزدي بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا من القحطانية ، تنقسم إلى أربعة أقسام «أزد شنوى ، أزد غسان ، أزد السراة ، أزد عمان» ، ولقد هاجروا إلى البصرة بعد تصدع -

حودان الجهضمي وعددهم «١٠٠٠٠ شخص»^(١). وعبدالله بن علوان عوذي على خمس عبد القيس ، وعددهم «٤٠٠٠ رجل»^(٢). ويوزع على كل رئيس من هؤلاء الخمسة من البصرة راية أو لواء ليثبت وجوده في المعركة ، وليتعارف عليه قومه وبنوه ، وما لذلك من اثر واضح في المعركة واستمرارها مادام مرفوعا ، إذ أن سقوطه يعنى الانهزام. وكما هو شائع في تقسيم القبائل إلى بطون فنجد أن لكل قبيلة من هؤلاء بطناً وعليها رئيس يقود رجاله^(٣). الذين هم من الخمس الذي ينتمي للقبيلة بشكل عام.

= سد مأرب عام «٦٠هـ/٦٧٩م» وكان قبل الهجرة بها الأزد من الفرع الغربي ، التي كانت تسكن جبل تراث لساحل عمان ، ويذكر أن هؤلاء ينتمون إلى الأصل العربي ، ولقد اسلموا في القرن ٩ هـ ، وشاركوا في الفتوح وبخاصة في جيس قتيبة بن مسلم الباهلي ؛ ابن حزم الأندلسي : المصدر السابق ، ص ٣٤٧ ؛ زامبور : معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ ، تأليف : زكي محمد حسن ، سيدة إسماعيل الكاشف ، حسن أحمد محمود ، حافظ أحمد حمدي : (بيروت ، دار الرائد العربي ، د.ت) ، ص ٩٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٦ ، J. Wellhausen: The Arab Kingdom and its fall, p.339.

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ١٢ ، ٤٤ ، ٧٣-٧٤ ، ١٢٢ ، ١٧٤.

(2) Ibid, p.40.

(٣) محمد توفيق صادر : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ؛ نقلاً عن : أحمد عادل كمال : الطريق إلى المدائن ، ص ٩١-٩٢ ، أن اللواء في الأصل مسئولية رئيس الجيش ، وهو القائد العام أو الوالي ، وبعد ذلك يحمله عنه غيره وذلك لانشغاله بالمعركة ، ويفرق بين اللواء والراية ، فيذكر أن اللواء على ما يعتقد يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه ، أما الراية فهي ما يعقد فيه ويترك حتى تضعفه الرياح فاللواء دون الراية ، ويتولى الراية صاحب الحرب ؛ الطبري : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٥٥٠.

٢ - أهل الكوفة :

وهي المصدر الثاني لتلك القبائل العربية ، وإن كانت المصادر لم تشر إليها بشكل مستمر ، فنجد في عهد الوالي زياد بن أبيه ، وولاية الربيع بن زياد الحارثي رحل معه خمسون أسرة « ٥٠ أسرة » بعيالهم إلى خراسان ، وكان من بينهم خمس وعشرون أسرة من أهل الكوفة^(١).

ولقد اعتبرت المصادر فرقة موحدة مقاتلة قائمة بذاتها ، وكانوا في عهد قتيبة بن مسلم الباهلي جزءا لا يتجزأ من تكوين جيشه في الأقاليم التي قام بغزوها وفتحها ومنها خوارزم ، ووصل عددهم « ٧٠٠٠ رجل » عليهم جهم بن زهر الجعفي ، ومعهم مواليتهم الذين شاركوا في القتال^(٢). وإن كانت أغلبية الفتوح من أهل البصرة ، لذا طبق نظام الأخماس السائدة لديهم في خراسان مع الاختلاف.

٣ - الموالى :

وهم الذين دخلوا في الإسلام حديثاً^(٣). لذا يصبحون موالٍ لرجال الدولة أو القائد العام ، ويطلق عليهم المسلمون الجدد^(٤). إلى جانب أبناء الموالى حيث لا قوا ما لاقاه آباؤهم عند أسيادهم ، وبالتالي نمت طبقة المولدين الذين نتجوا عن سكان البلاد الأصليين^(٥).

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٨٥ ؛ J. Wellhausen, op. cit. p.415.

(٢) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٥٩٦ ؛ Gibb, op. cit, p.40.

(٣) فون كريم : الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية ، تعريب مصطفى بدر ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧م) ، ص ٧٩-٨٠.

(٤) فون كريم : المرجع السابق ، ص ٧٩.

(٥) فون كريم : المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٧٧.

ولقد شارك هؤلاء الموالي في جيش قتيبة ، وكان عددهم المسجل في الديوان عام «٩٦هـ/٧١٤م» «٧٠٠٠ مقاتل» ، وكان قائدهم في القبائل رجل يدعى حيان النبطي^(١).

ولقد ظلوا يحاربون جنباً إلى جنب مع العرب أثناء العهد الأموي ، فكان فريق من هؤلاء يدون في الديوان ، فيكون لهم عطاء ورزق ، وآخرون كان لهم نصيب من الغنائم فقط دون أن يكونوا مسجلين في الديوان^(٢).

وبالرغم من ذلك نجد أن الأغلبية كانت للعرب ، وخاصة في العهد الأموي ثم تغير ميزان القوى في العهد العباسي حيث صارت الغلبة للفرس في الجيش ويتطور الأمر فيما بعد إلى تمكنهم من تكوين دويلات مستقلة عن الخلافة العباسية في بغداد^(٣).

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٩٦ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٥٦ ؛ Gibb : op. cit. p.40 ؛ هذا ما ذكر عن أعداد للموالي في جيش قتيبة وإن كان في ديوان الجند منذ عهد معاوية ومجيء ابنه يزيد الأول ، عندهم يفوق ذلك بكثير فحسب ما ذكر في الديوان يحتوى على ٧٠ ألف جندي نظامي عربي و ٩٠ ألف من التجار الموالي ، ثم زاد العدد في عهد يزيد الأول ذكراً أنه أصبح ٨٠ ألف من الجند النظاميين ، ١٥٠ ألف من التجار ، ولا ندرى إن كان يقصد بالتجار هذا ما قصده باللفظ الأول نفسه وهم الموالي أم لا ؛ J. Wellhausen : op. cit, p.442 ؛ حيان النبطي : مولى طلحة بين هبيرة الشيباني ، حيث كان رجلاً عظيماً ذا قدر ، ذهب لخراسان وعقد صلحاً بين قتيبة وطرخون ملك السغد ؛ النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ٨٥.

(٢) محمد توفيق صادق : ثغر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المستقلة ، ص ٢٨٧ ؛ Ibid : p.4-2.

(٣) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٦٢ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٦٩-٧٠.

وبذلك صارت عدة جيش قتيبة بن مسلم الباهلي في فتوحاته ما يلي من تميم وعددها « ١٠٠٠٠ مقاتل » ، والأزد « ١٠٠٠٠ مقاتل » ، والقيس « ٩٠٠٠ مقاتل » ، وبكر « ٦٠٠٠ مقاتل » ، وعبد القيس « ٤٠٠٠ مقاتل » أي « ٤٠٠٠٠ مقاتل » قادرين على حمل السلاح بجانب الموالي ، لذا صار العدد الإجمالي للعرب في خراسان ، وشارك في الفتوحات حتى وصل إلى « ٢٠٠ ألف مقاتل »^(١).

٤ - السكان المحليون :

استفاد منهم القائد قتيبة في فتوحاته ، وجعل منهم فرقة تقوم بالعديد من الأعمال التي تتمثل في وظيفة الأدلاء «الدليل» وكذلك الحراس لمعرفة الطرق والمفاوز ، ويتم اختيارهم من مناطق الثغور ذات الأهمية العسكرية ، والتي تتوافر في سكانها صفات عسكرية جيدة^(٢).

وخير دليل على ذلك وجود ما يقارب من (٢٠ ألف مقاتل) تحت قيادة عبد الرحمن بن مسلم الباهلي من ضمنهم عناصر محلية من خوارزم وبخارا^(٣). ويدل ذلك على حسن العلاقات - إلى حد ما - بين

(1) Ibid: p.427; Jibb : op. cit. p40.

ولقد أضاف على ذلك من البصرة أهل العالية «Ahla La Liya» ٩ آلاف ، وإن كنت على ما أعتقد أنه يقصد بها القيس ، ولقد زاد أن من الكوفة ٧ آلاف ، وبذلك يصبح الإجمالي لهؤلاء العرب ٤٧ ألف من العرب ؛ البلاذري : المصدر السابق ، ص ٥٩٦ ، حيث قال إن من البصرة ٤٠ ألف ومن أهل الكوفة ٧ آلاف ومن الموالي ٧ آلاف.

(٢) للطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٣٧ ؛ محمد عبد الهادي شعيرة : المرجع السابق ، ص ٥٣.

(٣) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٥٩٢ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٦٩ ، ٤٧٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ١٣٧-١٣٨ ؛ Gibb : op. cit. p.48.

العرب وسكان تلك المناطق ، وقبولهم العمل داخل الجيوش العربية مقابل مقدار من المال ، وذلك يؤهلهم - بطبيعة الحال - للتقرب والتعرف على تعاليم الإسلام.

ومن خلال هذا العرض السريع للفتوحات والقبائل العربية المشاركة فيها نتحدث عن الفتح المنظم لإقليم خوارزم وبداية تثبيت التواجد العربي به ، وذلك عام «٧١١/هـ ٩٣م».

وهي تلك السنة التي صالح فيها ملك خوارزم وسبب ذلك ضعف ملك خوارزم ، وغلبه أخيه خرزاد ، بالرغم من كونه الأصغر منه ، لذا فقد طلب الأول المساعدة من القائد العربي ، وذلك دون علم المرازبة والدهاقنة. وكان مقابل ذلك أن يعطى للقائد العربي ثلاثة مفاتيح من الذهب لثلاث من مدن خوارزم ، واستجاب القائد لذلك ، واعد العدة ونزل مدينة الفيل «أحصن مدن خوارزم» وطلب منه ملك خوارزم أن يرحل هذا العام ومن قبل ذلك صالحه على «١٠ آلاف فارس» وعين ومناخ مقابل إعانته على أخيه ، فبعث إليه أخوه وحاشيته فقتله أخو قتيبه «عبد الرحمن» وقتل من الأسرى ما يقارب من «٤٠٠٠ أسير» ولقد استخدم هؤلاء الخوارزميين أثناء سيره وفتحته لمدينة سمرقند^(١).

(١) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، ص ٣٠٩ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٩١ ، ٥٩٢ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٦٩-٤٧٢ ، ٤٧٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٧٠-٥٧١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٣٧-١٣٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ ؛ محمود شيت خطاب : قتيبة بن مسلم فاتح ما وراء النهر حتى حدود الصين ، (مجلة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٨٤/١٩٦٥م) ، مجلد ١١٢ ، ص ٥٣-٦٥.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، بل انتهاز الفرصة من أجل الهدف الاسمي وهو تثبيت التواجد العربي ، فبعد مصالحتهم ولى أخاه عبدالله بن مسلم^(١). على خوارزم ، فكانت تلك بداية التواجد العربي ، وكان على خوارزم من قبل القائد العربي قتيبة عامله «إياس بن عبدالله بن عمرو» على جيشها ، وإن كان ضعيفاً ، أما خراجها فكان عليه «عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بنى مسلم».

وإن كانوا قد استضعفوا «إياساً» لذا أرسل أخاه عبدالله بن مسلم في الشتاء عاملاً عليها ، وأمره قائلاً : اضرب إياس بن عبدالله ، وحيان النبطى مائة مائة ويحلق لهما ، وضم إليه عبيد الله بن أبي عبيد الله ، ولقد أمره أن يسمع له ، فإنه له وفاء ، وما إن صار إلى خوارزم حتى تتحى إياس ، فضرب حيان النبطى وحلق له ، ووجه بعدها قتيبة إلى خوارزم «عبدالله بن المغيرة بن عبدالله» ، فسبى وقتل وصالحوه على أخذ الجزية. وكما سبق وذكرنا من قبل على لسان البيرونى من وجود أسرة عليها ملك يدعى «اسكجموك» ملقب بالشاهية^(٢). وبذلك عاد الهدوء للإقليم ، وقامت حكومة عربية في خوارزم.

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٨٦-٢٨٧ ، ذكراً أحداث عام «٩٢هـ» ، وهي الأحداث نفسها التي تمت في عام «٩٣هـ» حيث إنه عندما صار قتيبة إلى خوارزم كان بها سعيد بن ونوفار حيث كانوا قد قتلوا عامل قتيبة بها فقدمها وسبى ١٠٠ ألف شخص ، وحاصر سعيد حتى قتله ، وعندما أصلح حال البلاد لنصرف بالغنائم التي لم يسمع بمثلتها ، واستخلف على خوارزم عبدالله بن أبي عبدالله الكرمانى ، ومن المرجح أن يكون هذا هو المذكور في رواية للطبري وهو «عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بنى مسلم» ؛ البلاذري : المصدر السابق ، ص ٥٩٢ ، وإن كان قد نكر عبدالله بن مسلم بدلاً من «عبيد الله بن مسلم» ؛ الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٨٠-٤٨١ ؛ Gibb : op. cit. p.42, 43. (٢) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص ٣٥-٣٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٧٥-٥٧٦.

ومن خلال ما سبق يتضح مدى اهتمام قتيبة بن مسلم الباهلي بإقليم خوارزم ، وتأكيذاً لذلك ما ذكره قتيبة أثناء غزوته لسمرقند للمرة الثانية قائلاً : «إني أرجو أن تكون خوارزم والسغد كالنضير وقريظة ، وقال الله (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها)»^(١).

- كيفية إدارة إقليم خوارزم :

كان إقليم خوارزم من الأقاليم التي حرص العرب على أن تكون مركزاً للقيادة العربية ، لكونها من مدن الثغور^(٢). لذا تمثلت سياسة قتيبة بن مسلم الباهلي في تولية رجلين عليها ، واحد منهم يتولى أمر الخراج ، والآخر أمور الحرب أو يولي واحد فقط للقيام بالمهتمين العسكرية والمالية^(٣).

ولقد فرض عليهم جزية ، وضم فرقة خوارزمية إلى جيشه للاستعانة بهم في فتوحاته ، إلى جانب اختياره لمدينه خوارزم لتكون مركز إشعاع للثقافة الدينية ، ومقراً للجيش العربي ، وجعل على كاهلهم مهمة استكمال فتح المناطق المجاورة وترك لملك خوارزم في عاصمته كاث ممارسة السلطة الاسمية إلى جانب مسئولين - كما سبق وذكرنا -

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٧٢ ؛ محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفة أو (ممالك ما وراء النهر والدول الإسلامية إلى أيام المعتصم) ، ص ٥٨-٥٩.

(٢) محمد عبد الهادي شعيرة : المرجع السابق ، ص ٦١-٦٢ ؛ J. Wellhawsen : op. cit. p.432.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٢٤ ، ٤٣٦ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، (الطبعة السابعة ، القاهرة ، ١٩٦٥م) ، ج ٣ ، ص ٤٥٣ ؛ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق منذ عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن ٨٥ ، (دار الفكر العربي ، ١٩٦٥م) ، ص ٩٧.

يمارسان السلطة الفعلية ، فالأول للقيادة العسكرية والآخر للشئون المالية^(١).

ولقد تطور الأمر بعد مقتل خوارزم شاه ، وتلك الثورة التي قامت ، وتركز الأمور في يد شخص واحد ليقوم حكومة عربية خالصة في خوارزم^(٢). وهذا ما نهدف إليه في نهاية الأمر.

ولقد كان ولاية ذلك الإقليم الذين يتم تعيينهم من قبيلة قتيبة أو من الموالي وخاصة ذوى الخبرة في التنظيمات الإدارية^(٣). وكان يحثهم على ضرورة التزام الحق ، وتطبيق أحكام الشريعة وعدم مخالفة أوامره^(٤).

ويسانده موظفون ومساعدون ، وعلى رأس هؤلاء القاضي والبندار «كاتب السلعة» وتتركز مهمته في المطالبة بالخراج ووجوه المال وصاحب الجند ، ومتولى الضياع السلطانية ، وصاحب المعون «الذي يساعد صاحب الجند» وينكر أن هؤلاء يعينون من قبل الوزير ، وله الحق في عزلهم متى شاء.

وكانت الإدارية في تلك الأقاليم تسير في أبسط النظم فلم يكن هناك ما تفرضه السلطة العليا في حاضرة الخلافة بغداد سوى دفع مبلغ معين من الضرائب «الخراج»^(٥).

(١) خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٩ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٥٩٢ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٨٠-٤٨١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ١٣٧-١٣٨ ؛ Ibid : p.437

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٨٠-٤٨١ ؛ Jibb : op.cit. p.40

(٣) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٢٩ ، ٤٤٥-٤٤٦ ، ٤٨٠.

(٤) الطبري : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٤٨٠ ؛ النرشخي : تاريخ بخاري ، ص ٧٣.

(٥) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ١ ، ص ١٣٢ ، ١٣٤ ؛ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٩٥ ، ٩٨.

وعلى الرغم من وجود أوقات استقرار وهدوء تعاون بين العرب والأمراء المحليين لم يمنع ذلك من العديد من الثورات وخاصة في العهد الأموي ويرجع ذلك إلى سياستها الامبريالية التي تستند على أسس متينة في فرض سلطانهم من قبل العرب ، من جباية الضرائب ، وجمع الجزية من الأمراء الذين دانوا لهم بالتبعية ، كذلك قصر مدة الولاية وتغيرهم من آن لآخر وتعسفهم ، وما كان لذلك من رد فعل متمثل في ثورات الأهالي ، مساندة الترك لهم ، كل ذلك كان له تأثير على الوضع العربي في تلك المناطق ، ولم يكن معظم الولاة يسرون على تلك السياسة ، بل نجد منهم من حاول المحافظة على التواجد العربي ، ومنهم :

• نصر بن سيار عام «٥١٢٠ / ٧٢٨م» :

وكان «أبو حفص بن علي ختته»^(١) - في فترة ولايته - والياً على خوارزم وقام نصر بن سيار بعزل الولاة المعينين من قبل سلفه الوالى أسد القسرى ، وعين مكانه - دون تعرضهم لأي أذى - ولاة كان أغلبيتهم من قبيلة تميم^(٢).

ومن الملاحظ على الولاة في خوارزم في عهد نصر بن سيار تولى أكثر من عامل على تلك المنطقة.

فيذكر الطبري أن نصر بن سيار ولى عليها «مسعدة بن عبدالله الشكري» ثم ولى «عبد الملك بن عبدالله السلمي» على خوارزم ، وله خطبة فيهم قائلاً : «ما أنا بالأعرابي الجلف ولا الفزاري المستبطن ولقد كرمتمى الأمور وكرمتها ، أما والله لأضغن السيف موضعه ، والسطوط

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٥٧ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٣٧.

(٢) الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٥٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ٢٠٧.

موضعه ، والسجن مدخله ولتجدني غشمشما أغشي الشجر ، ولتستقيمن
لى الطريقة ، ورفض البكارة في السفن الأعظم ، أولاً لأصكنكم صك
القطامي القط القارب بصكهن جانباً فجانباً»^(١).

ويتضح من تلك الخطبة ما فيها من شدة وعنف ، مما يرجح قيام
ثورات عديدة ضد الولاة العرب في تلك المنطقة ، وإن كانت المصادر
صامتة في تلك النقطة.

وبذلك فقد كانت سياسة الدولة الأموية في غير صالح التواجد
العربي حتى ظهور العباسيين^(٢). وتوليهم مقاليد الأمور من خراسان ،
وهم حريصون على البقاء على النفوذ العربي في خوارزم والأقاليم
الأخرى.

ولقد تميزت سياسة العباسيين مع ولايتهم بالسماوات الآتية :

■ حكام العباسيين دنيويون ، اتبعوا في سياستهم المساواة بين رعاياهم
من العرب والفرس ، وإن كانت لم تسر في اتجاه واحد.

(١) الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٧٨-٢٨٠.

(٢) يذكر في عام «١٢٨هـ/٧٤٥-٧٤٦م» أن حدثت الفتنة بين الحارث بن سريج
والكرماني من قبيلة الأزدي ، وقتله للحارث وغلب على مرو ، لذا انتهز أبو مسلم
الخراساني تلك الفرصة واضطراب الأمور في خراسان ، فأمر دعاته بالسمع
والطاعة ، وأعلنوا الدعوة عام ١٢٩هـ/٧٤٧م ، ووجه رجالة إلى جميع الولايات
من طخارستان ومرو للروذ والطارقان وخوارزم وآمل وبخارا إلى أن دخل مرو
عام «١٣٠هـ/٧٤٨م» فغلب على ولاية مرو بخراسان ، وذهب بعد المعارك التي
حدثت وهروب نصر بن سيار من مرو ، وقتل شيخان الخارجي وابن الكرماني ،
وبعث العمال إلى البلاد مبشراً بالمسودة والدعوة العباسية ؛ ولمزيد من
المعلومات انظر الآتي : خليفة بن خياط : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٩-
٤١٣ ؛ الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٥٥-٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٣٧٧ -
٣٧٩ ، ٣٨٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٤٢-٣٤٦ ، ٣٥٨ ؛
الغريزي : زين الأخبار ، ص ١٧٨-١٧٩.

■ يسرون في إدارة أقاليمهم على نظام الساسانيين ، لاعتقادهم بكونه أكمل النظم الإدارية ، وتتركز مهامهم في تدعيم النظام السياسي وفقا لروح التقاليد الساسانية وبذلك حددت الإطار الذي تدور فيه مهام الولاة ، كذلك الحرص على جمع كلمة أنصار النظام المتعاونين مع السلطان ، وقمع عناصر الاضطراب والضرب من حديد على العصاة من الأمراء وحلفائهم.

ولم يصبح ذلك حقيقة إلا بعد أن حدثت الدولة من تعيين الولاة المتعاقبين وراء بعضهم بتعيين حكام وراثيين من بين صفوف الارستقراطيين ، ثم تطورت تلم الأمور حتى انتهت بقيام الدول المستقلة وصارت تبعيتهم للحكومة المركزية تبعية اسمية^(١).

وبالنسبة لإقليم خوارزم فلم تشر المصادر إلى ولاة عباسيين به^(٢). وخاصة بعد إرسال دعائها إلى خوارزم لنشر الدعوة العباسية هناك ، ومقاومتهم لهؤلاء الدعاة ، خير مثال على ذلك تلك الثورة التي قام بها شريك بن شيخ المهري باسم العلويين ، وانضم إليهم أكثر من « ٣٠ ألف رجل » ، وكذلك عمال العرب بخوارزم وبخارا ، وكذلك سكانها المحليون ، وعلى أثرها أرسل أبو مسلم الخراساني عام « ١٣٣هـ / ٧٥١ - ٧٥٢م » زياد بن صالح الخزاعي لإخمادها ، وساعده بخارا خداه ووفق في ذلك^(٣).

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٣١٨-٣٢٠.

(٢) شاهين مكاريوس : تاريخ إيران ، (القاهرة ، ١٨٩٨م) ، ص ١٠٤ ، ١٠٩ ؛ هند حسين عطية : المرجع السابق ، ص ٤١.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، الجزء السابع ، ص ٤٥٩ ؛ محمد توفيق ثابت : ثغر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المستقلة ، ص ١٥٦.

وظل الأمر كذلك حتى ظهور طاهر بن الحسين ، ذلك الذي أسندت إليه القيادة العامة للقوات الخراسانية المتجهة إلى بغداد ، ثم انتهى الأمر بظهور الأسر الارستقراطية التي تولت ولاية تلك المناطق بصورة وراثية ، وبدأت تظهر الكيانات شبة المستقلة ، ويظهر غلبة العنصر الفارسي على العنصر العربي.

ويذكر القزويني قائلاً : «بأنه كان بنيساور على أيام الدولة الطاهرية «٦٠٠ رجل» من بني هلال كانوا يثيرون الشغب ، لذا ظفروا بهم ، ونقل منهم «٣٠٠» بجرجان ، «٣٠٠» بالجرجانية بخوارزم ، وما إن تم عليهم العام لم يبق بجرجان سوى ثلاثة ولم يمت ممن كان بالجرجانية إلا ثلاثة» وذلك دليل على استمرار التواجد العربي بخوارزم^(١).

الطوائف الأخرى :

أ - اليهود :

بالنسبة للطوائف الأخرى نجد معلوماتنا عنها ضئيلة وإن كان هذا لا يمنع من وجود يهود في تلك المناطق ، ومن المرجح أن يكون السبب وراء ذلك تلك العزلة التي تفرضها تلك الطوائف على أنفسهم وذلك يرجع إلى طبيعتهم التي ما زالوا حريصين عليها حتى الآن ، وذلك باعتبارهم شعب الله المختار.

ولقد ذكر القلقشندي في صبح الأعشى أن بخوارزم مائة بيت من اليهود تقريباً^(٢). وأيد ذلك المقدسي ولكن دون تحديد ، فذكر أن بها يهوداً كثيرين^(٣).

(١) زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٣٤٩.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٥٤.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٣.

٢ - المسيحية :

عندما نتحدث عن الأحوال الدينية في منطقة آسيا الوسطى نجد أنه ينتابها بعض الغموض وعدم الوضوح ، وخاصة فيما يتعلق بحديثنا عن المسيحية ، وخاصة النساطرة منهم التي نفذت في وقت مبكر داخل آسيا ، وبلغت الأراضي المتاخمة لكل من نهري سيحون وجيحون^(١).

ولقد كان موقف أكاسرة الدولة الساسانية منهم مذبذباً ما بين العناية والاضطهاد ، لذا فقد انتشرت المسيحية على نطاق ضيق في كل مكان ، وكان أول اضطهاد في عهد سابور الثاني^(٢). حيث ظل منذ عام ٣٣٩م حتى وفاة سابور الثاني ، ولقد تركز هذا الاضطهاد في ولايات الشمال الشرقي ، والمناطق المتاخمة للإمبراطورية الرومانية ، وقد تخلل ذلك مذابح ومقاتل وتشريد ، وتضمن ذلك عام «٣٦٢هـ» نفي «٩٠٠ مسيحي» مع الأسقف هيليوودور من قلعة فنك في بزايدة إلى خوارزم ، وقدر سوزمين عدد ضحايا هذا الاضطهاد في عهد سابور بـ ١٦ ألف تقريباً ، وإن كان في هذا العدد مبالغة.

وإن كان يتخلل ذلك العديد من مواقف التسامح وخاصة في عهد يزديگرد الأول «٣٩٩-٤٢١م»^(٣). وكان مذهب المسيحيين الوحيد في إيران هو المذهب النسطوري^(٤).

وعلى الرغم من ذلك الموقف المتذبذب ، نذكر أن جهودهم التبشيرية قد لاقت رواجاً قبل الإسلام بقدر ملحوظ من التوفيق في بعض الجهات ، ولقد بلغ عدد النصاري في خوارزم مائة بيت تقريباً ، حيث لا يسمح لهم بأكثر من ذلك^(٥).

(١) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٥٢.

(٢) آرثر كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين ، ص ٢٥٤ ؛ فامبرى : المرجع السابق ، ص ٥٣ ؛ سبرت ، انولد توينبى : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمته للعربية : حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى : (القاهرة ، ١٩٤٧م) ، ص ٦٤.

(٣) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٤) آرثر كريستنسن : المرجع السابق ، ص ٢٧٧ ، ٢٨٣.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٥٤.

الفصل الثالث

النشاط البشري

محتويات الفصل الثالث النشاط البشري

مقدمة.

أولاً : الزراعة :

أ - المحاصيل الحقلية.

ب- الفاكهة.

ج- زراعة الزهور.

د- النشاط الزراعي.

ثانياً : الثروة الحيوانية وحرفة الرعى :

أ - الدواب والماشية.

ب- الطيور وتربيتها.

ج- الحيوانات ذات الوبر الثقيل.

د- النشاط الرعوى.

ثالثاً : المعادن والثروة المعدنية :

أ - الذهب.

ب- النحاس.

ج- الفضة.

د- الزئبق.

هـ- الحديد.

و- الزجاج.

ز- الفحم والنفط.

ح- الملح.

رابعاً : الصناعة :

- ١- صناعة المنسوجات وتشمل :
 - أ - صناعة المنسوجات القطنية والصوفية.
 - ب- صناعة المنسوجات الحريرية.
 - ج- صناعة التطريز والحياسة.
- ٢- صناعة السجاد والبسط.
- ٣- الصناعات القائمة على التعدين «الصناعات المعدنية».
- ٤- الصناعات الجلدية.
- ٥- الصناعات الخشبية.
- ٦- صناعة الورق.
- ٧- صناعات أخرى عديدة.

خامساً : التجارة

- ١- الصادرات.
- ٢- الواردات.
- ٣- الطرق التجارية
 - أولاً : الطرق البرية.
 - ثانياً : الطرق النهرية.
 - ثالثاً : الطرق البحرية.
- ٤- الإجراءات الأمنية لتلك الطرق.
- ٥- الأسواق وأنواعها «مدنية ، ريفية ، موسمية».

الفصل الثالث

النشاط البشري

مقدمة :

امتازت تلك المناطق بتنوع السطح ما بين مناطق خصبة للزراعة «وخاصة خوارزم فهي منطقة دلتاوية خصبة لوقوعها على المجرى الأعلى لنهر جيحون»^(١). وسهول وجبال ومع تنوع السطح تنوعت كذلك مصادر المياه بها من أنهار وآبار وعيون ، بجانب مياه الأمطار التي تعتمد عليها الزراعة في بعض المناطق ، ومع توافر مقومات الزراعة كثرت زراعة المحاصيل الزراعية بأنواعها المتعددة ، وذلك تنوعت المعادن بها مما أدى إلى قيام العديد من الصناعات التي اشتغل بها سكانها والتي غطت احتياجاتهم والفائض منها قاموا بتصديره للمناطق المجاورة.

أولاً : الزراعة :

أ - المحاصيل الحقلية :

١ - القطن :

وهو من أشهر المحاصيل حيث يزرع منه أكثر الأصناف مقاومة لتقلبات الطقس ومدة البرد ، ولقد كان مركز القطن في الشرق بشكل عام كمركز الكتاب في المغرب من ناحية الأهمية الكبيرة^(٢).

ولقد تركزت زراعة القطن في مدينته الطواويس «إحدى مدن بخارى» والفائض منه يصدر إلى العراق^(٣). وإن كانت المصادر لم تمدنا بالمعلومات الوافية عن تلك المحاصيل الحقلية بشكل عام في تلك المناطق

(١) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٩ ، ص ٣.

(٢) آدم منتر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ٢ ، ص ٣٠٠.

(٣) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٥٠ ، ٥٤ ؛ أبو عثمان عمرو بن الجاحظ

: فضائل للترك «رسائله» ؛ أبو الفتح بن خاقان وزير المتوكل وما اختصوا به

من الشجاعة وعلو الهمة وحسن البلاء في خدمة الإسلام ، ص ٢٠.

ولا عن ظروف زراعتها ، وإن كان من الجائز حرصهم على زراعة الأنواع التي تتلائم مع شدة البرودة التي تميزت بها تلك المناطق. وكذلك اشتهرت بلدان أخرى بزراعته ، ومنها : شومان ، وواشجرد^(١). والصغانيان ، فيذكر أن أهالي تلك المدينة على الرغم من شدة البرودة بها ، وهو ما يمنع نمو ذلك النبات^(٢). إلا أنهم تغلبوا على ذلك ووفقوا في زراعته ، ويدل هذا على أهمية الزراعة كحرفة لهؤلاء وتفوقهم في التغلب على الظروف المناخية مما يدل على إتقانهم لتلك الحرفة.

٢- القمح :

وهو من الحبوب الهامة التي اشتهرت بها مدينة خوارزم ، وتلتها بخارا^(٣). والترمز^(٤).

(١) لليقوبي : البلدان ، ص ٢٩٢ ؛ قحطان عبد المستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ٤٤١.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٦٥ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٥ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٨٢.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥ ؛ الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج ٤ ، ص ١١٨ ؛ النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ٤٦ ، ٩٣ ؛ فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٣٣.

(٤) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ٣٧٥.

٣- الأرز، الشعير، الدخن^(١) :

(وهو أكثر حبوب خوارزم ، ومنه مأكلهم) ، الجاروس^(٢). البندق ، السمسم ، إلى جانب العديد من الحبوب الأخرى التي لم تشر إليها المراجع^(٣).

٤- البندق واللوز :

ولقد احتلت المركز الأول في زراعته مدينه بنجيكت^(٤). وكذلك بخارا^(٥). وسمرقند^(٦). وسبب ذلك أرضهم الخصبة ووفرة المياه الجارية ، والموقع الجغرافي الممتاز.

-
- (١) الدخن : من الحبوب ، وهو في منظره شبيه بالجاروس ، وفي مرجع آخر ذكر أنه نوع من الجاروس يعمل منه للخبز ، غير أنه أقل غذاء من الجاروس ، وتتوافق زراعته في المناطق الباردة ؛ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ط ١ ، ١٢٩١م ، ج ٢ ، ص ٨٩ ؛ الانطاكي : تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجائب ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م ، ج ١ ، ص ١٥٢.
- (٢) الجاروس : عربت فأصبحت كاووس ، وهو نبت يزرع فيكون مثل قصب السكر في شكله وهيئته ، وهو حب معروف يؤكل ، ويتمثل في ثلاثة أصناف ، مفرطح ابيض إلى صفرة في حجم العدس ، وهو الأجود ، ومستطيل متوسط يقارب الأرز ، ومستدير مفرق الحب ، وذلك أردأهم ، وهو أحسن وأجود من الدخن ؛ ابن فضلان : رسالته ، ص ٨٦ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٤٨١ ؛ الانطاكي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢-١٠٣.
- (٣) بوكشيشيفسكي : جغرافية الاتحاد السوفيتي «الطبيعة ، السكان ، الاقتصاد» ، ص ٢٦٣ ؛ على أكبر دهخدا ، لغت نامه ، (دائرة المعارف) ، دانشگاه طهران ، دانشکده ادبیات وعلوم إنسانی ، ١٣٤٩هـ ، العدد ١٥٩ ، ص ٨٠٠.
- (٤) الإصطخري : المسالك والممالك ، ص ٣١٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٩٨-٤٩٩ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ١٨٤-١٨٥.
- (٥) الإصطخري : المصدر السابق ، ص ٣١٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥ ؛ الثعالبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١٨ ؛ النرشخي : المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٩٣.
- (٦) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٧.

هـ - الزعفران^(١).

وانفردت بزراعته مدينتا واشجرد وشومان ، وتضاف إليهما مدينته الصغانيان ، ونظراً لكثرتة فقد غطى احتياجاتهم ، وصدر الفائض منه للعديد من المناطق^(٢).

وكانت تباع تلك المحاصيل بالرطل ، ومقداره ثلاثمائة وثلاثون درهماً تقريباً ، فكانت العملة المتعامل بها في إيران هي الدينار ، وقيمتها بالدرهم ستة دراهم ، أما في إقليم خوارزم وكذلك الجرجانية قل أن ترخص الأسعار ، وذلك لأهمية تلك المحاصيل بها وخاصة الأرز فهو اعتمادهم الأول في غذائهم وأرزاقهم ، أما سعر القمح فهو يتراوح بين دينارين ونصف الدينار تقريباً ، ويبلغ الشعير دينارين ، والدخن والجاروس «والذي ربما يكون سعره مماثلاً لسعر القمح»^(٣).

ب- الفاكهة :

١ - العنب «الكروم» :

وهو من أشهر الفاكهة التي برعت في زراعته اغلب مدن تلك المناطق وإن كانت المصادر لم تشر ولو بمعلومات بسيطة عن زراعته أو أنواعه أو وقت حصاده ، ولقد اشتهرت به على الأخص مدينته «درغان»

(١) الزعفران : وهو بالسريانية الكركم ، وبالفارسية كركيماس ، وهو نبات زهرة كالبانجان ، فيها شعر إلى البياض ، وإذا ما فرك فاحت رائحته ، مصبغ وهذا الشعر هو الزعفران ؛ دلود الانطاكي : المصدر السابق ، ص ١٧٨.

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩١ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ٣٥٣.

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩١ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٨٨ ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص ٣٥٣.

(من مدن خوارزم) ، ومدينة الطواويس^(١) . وسمرقند^(٢) . والدرغم^(٣) .
واشروسنة^(٤) . ولقد استحالّت زراعته في مدينة أرسمندة «مرسمندة» ،
وذلك لشدة برودتها^(٥) . وذلك لكونه في حاجة إلى مناخ معتدل «ليس حاراً
قاسياً ولا شديد البرودة» وكذلك الترمذ^(٦) . أخلخ «إحدى مدن إسبيجاب»
حيث الغالب على رساتيقها زراعة الاعناب^(٧) .

٢- البطيخ :

وهو نوعان برى وبستاني ، والأخير ينقسم بدوره إلى ثلاثة
أصناف وهم هندي وصيني وخراساني ، والذي من المرجح كونه الذي
يزرع في ذلك الإقليم وله رقبة مستطيلة ومعوجة^(٨) .

-
- (١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد
الأول ، ص ٤٩٥ ؛ الثعالبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١١٨ ؛ النرشخي :
المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٩٣ ؛ فامبري : تاريخ بخاري ، ص ٣٣ .
- (٢) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٧ .
- (٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢١ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ،
ص ٤٩٨-٤٩٩ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٨٤-١٨٥ .
- (٤) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ،
ص ٥٠٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٥ .
- (٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد
الأول ، ص ٥٠٥-٥٠٦ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو
المغولي ، ص ٢٨٢ .
- (٦) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٥ .
- (٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠١ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٥
؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٥ .
- (٨) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١١ ، ص ٣٠-٣١ .

ولقد وصف ابن بطوطة بطيخ خوارزم بأنه لا نظير له في بلاد الدنيا شرقاً وغرباً إلا ما كان من بطيخ بخارا وأصفهان حيث قشره الأخضر وباطنه الأحمر إلى جانب شدة صلابته وحلاوته^(١). ولقد عرف بطيخ بخارا دون غيره من مدن ما وراء النهر بـ «الساف»^(٢).

٣ - الكمثرى والشمام :

فاشتهرت بزراعتها خوارزم^(٣). وانفردت بهما كذلك بخارا^(٤).
عن بقية مدن ما وراء النهر.

٤ - السفرجل^(٥) :

ولقد اشتهرت بزراعتها مدينة خوارزم والترمذ^(٦).

(١) الكريزى : زين الأخبار ، ص ٣٩٦ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٤٨١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ ؛ ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٨ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢١٨ ؛ كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٢.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٩ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٥.

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٤٨١.

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٧٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٥.

(٥) السفرجل : وهوة شجر معروف في قدر شجرة التفاح ، إلا أنه أعرض ورقاً وأغلظ وأعقد عوداً ، وثمره يكون في حجم الرمان ، وهو أصفر عليه حمل كالغبار يلزمه غالباً وأجوده الكبير الهش الحلو الكثير الماء وهو نوعان : حلو رطب ، والنوع الثاني حامض يابس ؛ داود الأنطاكي : المرجع السابق ، ص ١٨٩.

(٦) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٨.

هـ - التفاح ، الرمان ، المشمش ، الخوخ^(١) :

وبجانب تلك الأنواع المختلفة من الفاكهة نجد هناك العديد من المدن التي - حسب ما نكر في المصادر - اشتهرت بأنواع مختلفة من الفاكهة دون نكر لأنواعها ومنها مدينة كش التي تميزت بكثرة فواكهها ، وذلك لوصفها بأنها خصبة تتضج فيها الفاكهة أسرع من أي مدينة بما وراء النهر^(٢). وكذلك مدينة هلاورد فهي خصبة كثيرة الفاكهة^(٣).

ج - زراعة الزهور :

وقد انفردت بزراعتها مدينة أشروسنة ، ومن الواضح أن أهالي تلك المدينة قد تغلبوا على الظروف المناخية لتلك المدينة ، وزرعوا الزهور^(٤). وهياؤها لها المناخ المناسب الذي يختلف مع برودة تلك المنطقة.

د - النشاط الزراعي :

اشتغل الإيرانيون بالزراعة منذ القدم ، فقد حثهم نبيهم زراشت في عقيدتهم الأولى على حرفة الزراعة ، وكذلك تربية الحيسوان ، فمن ابرز مبادئه الاهتمام بالزراعة ، لذا فقد حبيب الناس في زراعة الأرض ، وإن وجدوا في العمل لدرجة تحريم الصوم على أتباعه لكيلا يضعفوا في العمل ولا يجهدوا أنفسهم^(٥).

(١) ابن بطوطة : المرجع السابق ، ص ٣٧٨ ؛ كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٢.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠١ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٠ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٣٨.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٩١.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ، المجلد الثاني ، ص ٥٠٥-٥٠٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٨٢.

(٥) طه ندا : دراسات في الشاهنامة ، ص ٢٤٥ ؛ محمد حسن الخربوطلي : المجوسية والمجوس ، ص ١٥١ ؛ ول ديورانت : قصة الحضارة ؛ ترجمة : محمد بدران : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص ٤١٢ ؛ بوكشيشفسلى : جغرافية الاتحاد السوفيتي «الطبيعة ، السكان ، الاقتصاد» ، ص ٢٤١.

وكانت بعض الأراضي يزرعها ملاكها المزارعون ، حيث كانوا يألّفون في بعض الأحيان جماعات زراعية تعاونية تتألف من عدة أسر لتتحد سوياً في زراعة مساحة كبيرة من الأرض الزراعية ، وبعضهم يمتلكه الأشراف الإقطاعيون ويقوم بزراعة الأرض المستأجرون ، وذلك مقابل جزء من غلة الأرض ، وبعضهم يتولى زراعته الأرقاء الأجانب «وهؤلاء لم يكونوا فرساً» ، وكانوا يستخدمون في تمهيد الأرض وحرثها بمحاريث من الخشب ذات أطراف من الحديد تجرها الثيران^(١).

أما الترك ، فيتضح - من خلال الفصل السابق - أن الصبغة الغالبة على الترك وقبائلهم المختلفة هي التنقل والترحال ، لذا لا تتناسب معهم تلك الحرفة.

أما العرب فنجد هناك موانع عديدة تحول بينهم وبين اشتغالهم بتلك الحرفة ، وهي على النحو التالي :

١- بيئتهم التي يغلب عليها الطابع الصحراوي ، والتي تتناسب معها حياة البداوة ورعى الأغنام ، إلى جانب التجارة لترويج سلعهم.

٢- مجيئهم لتلك المناطق بغرض الفتح والعمل على نشر الإسلام وممارسة حرفتهم الأساسية وهي التجارة.

ثانياً : الثروة الحيوانية وحرفة الرعى :

تكمن أهمية الثروة الحيوانية وحرفة الرعى في الآتي :

١- استغلال تلك الحيوانات في عملية التنقل والترحال.

٢- مساهمتها في التجارة والتبادل التجاري بينهم وبين من يجاورهم.

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ص ٤١٢.

أما عن مراعى تلك المناطق فنجد أنه قلما تخلو مدينه من مدنها
من انتشار المراعى في سهولها ، فتحرص على تربية ماشيتها وأغنامها ،
وتصنف على النحو التالي :

أ - الدواب والماشية :

الدواب :

ومنها الخيول والجمال التركية التي تربي وترعى في مراعى تلك
المناطق^(١). وإن كانت الجمال من أهم حيوانات إقليم خوارزم وذلك
لتحملها البرد القارس ، فتستخدم في عمليات التنقل والترحال على نهر
جيحون ، وخاصة في فترة جموده ، فيذكر ابن فضلان قائلاً : «كانت
الخيول والبغال والحمير تجتاز على الطرق وهو ثابت لا يتخلخل»^(٢).

ويتحدث القلقشندى عن رخص ثمن اللحم عندهم ، فأكثر ما يذبح
عندهم هي الخيول ، أما سكان البر فكان اللحم لا يباع عندهم ولا يشتري
لكثرته ، وأغلب أكلهم إلى جانب اللبن ، فيذكر أن من تلف عنده دابة
سواء من فرس أو بقرة أو شاة يذبحها لتكفيه هو وأهله وجيرانه ، ولو
حدث ذلك عند أحدهم فعل ما فعل جاره من قبل^(٣).

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٩ ، ٣٢٥ ؛ ابن فضلان :
رسالته ، ص ٨٣ ، ٨٦.

(٢) ابن فضلان : المرجع السابق ، ص ٨٣-٨٤.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، ص ٤٧١ ؛ محمد على
حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص ١٨٥ ؛ وعن كيفية الذبح عند
الترك انظر : الفصل الثاني من الرسالة «السكان» ، ص ١٠٠.

ولقد امتازت بخارى بتربية الخيول في حقولها ومراعيها ، حيث يطلق على خيولها اسم «الشهاري البخارية»^(١). وتلتها في المكانة مدينة كش^(٢). التي امتازت بتواجد الخيول الممتازة بها ، وكذلك بغيرها الذي تميز في نوعه على كل السلالات إلى جانب اعتباره الحيوان النافع الموجود في جنوب شرق آسيا ، وخاصة في عملية النقل والترحال^(٣). وهناك أيضاً النوق السمرقندية التي انفردت بتربيتها ورعايتها مدينة سمرقند^(٤). أما عن البغال فكان موطن رعايتها وتربيتها مدينة كش ، فكانت تصدر وتوزع من منطقة ما وراء النهر إلى أقطار خراسان^(٥).
الماشية :

حيث كانت تربي قطعان الماشية في مناطق خوارزم ، وبالقرب من بحر آرال وبجانب تربيتها يحمل منها أصناف من الجبن واللبن إلى أسواق الجرجانية^(٦). وتلت خوارزم في تربية الماشية مدينتا : سمرقند^(٧).

(١) ابن الفقيه : مختصر تاريخ البلدان ، ص ٥٠ ، ٥٤ ؛ الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٢٠.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٠ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٥.

(٣) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٣٣.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٩٩.

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٥.

(٦) القلقشندى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٧١ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٥.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٩٩.

وكش^(١). وكذلك مدينتا : وذارو^(٢). وباركت^(٣). هذا وقد انفردت مدينه بخارا بتربية الضأن التي ليس لها مثيل في العالم كله^(٤).

ب- الطيور وتربيتها :

وهي الدجاج الكراكي^(٥). وأفراخ الحمام^(٦). والسماں في خوارزم والصغانیان «وإن كان لم ينكر صراحة نوع الطيور في مدينه الصغانیان ، بل نكر بها مواضع كثيرة لصيد أجناس مخالفة من الطيور»^(٧).

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٥.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٢ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٩ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٦٦.

(٣) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٩٩.

(٤) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٣٣.

(٥) الكراكي : يقال أنه الغرنیق أو أن الغرنیق صنف منه ، وهو طائر أخضر طويل المنقار والرجلين ، قريب من الإوز أبتر الذنب ، رمادي اللون في خده لمعان ، سريع وهو في سرعته مثل العصفور ، له مشات ومصايف ، وهو في طيرانه أثناء هجرته يكون صفا واحداً يتقدمه واحد منهم يكون رئيسهم ، وينكر أن من عادات الكراكي أنه إذا كبر والده عالهما ؛ النويرى : نهاية الأرب في فنون الأدب ، المجلد العاشر ، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٦) ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، ص ٩٢ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٦ ، ٣٢٥.

(٧) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٨٣.

ج- الحيوانات ذات الوبر الثقيل :

ومنها : السمور ، والغنق ، والقاقم^(١) . والوشق ، والثعالب^(٢) .
والسنجاب^(٣) . حيث توجد تلك الحيوانات بكثرة في كل من خوارزم ومدينة
الصغانيان^(٤) .

د- النشاط الرعوى :

أما بالنسبة لحرفة الرعى فمن المرجح أن يكون قد اشتغل بها
الإيرانيون بجانب حرفة الزراعة ، وذلك لكونهما مكملين لبعضهما
البعض ، فبجانب الزراعة ترعى الأغنام والإبل والأبقار والماشية ،

(١) القاقم : وهو حيوان يشبه السنجاب ، إلا أنه أبرد منه وأرطب ، له شعر أبيض
ناعم ، يجلب من بحر الخزر وجلده يشبه جلد الفئك ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو
أعز قيمة من السنجاب ؛ الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٢٠ ، حاشية ٢ ؛
النويري : المصدر السابق ، المجلد العاشر ، ص ٣١٩ .

(٢) الثعالب : يعتبر فروه من أجود الأوبار وأفضلها ومنها الأسود والأبيض
والخلنجي ، وأقله الأعرابي لقلة وبره ، وهناك نوع آخر منه في بلاد الترك
يسمى البرطاس ، ويمتاز بكثافة وبره وحسن لونه ووبره أنواع منها : السارسينا
والبرطاس والقيب والنبغق ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، المجلد
العاشر ، ص ٢٨٠ .

(٣) السنجاب : وهو حيوان معروف ، حسن الوبر ، ظهره لونه أزرق وبطنه بيضاء
، ومنه ما يكون ظهره أحمر ، ردئ الجنس ، سريع الحركة ، وهو كثير ببلاد
الصقالبة والخزر ؛ اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في
معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥ ؛ الجاحظ : التبصر بالتجارة في وصف ما يستطرف
في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة ، (مكتبة
الخانجي ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٤١٤/١٩٩٤م) ، ص ٢٥ ؛ النويري : المصدر
السابق ، المجلد العاشر ، ص ٢٧٨ .

(٤) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩٢ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ،
ص ٤٤١ .

وبجانب الفرس يوجد عنصر بشرى آخر - وهم الترك - حيث تمثل تلك الحرفة أهمية إلى حد ما عندهم.

ولقد وصفهم الجاحظ «بأنهم أصحاب عمد وسكان فياف وأرباب ومواش وهم أعراب العجم ، لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطلب والفلاحة والهندسة والأغراس ، ولا بنيان ولا شق أنهار ولا جباية غلات ، ولم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الأبطال وطلب الغنائم ... وصار ذلك صناعتهم وتجارتهن»^(١).

ثالثاً : المعادن والثروة المعدنية :

وتمتاز بالتفاوت في تواجدها من مكان لآخر ، فهناك مناطق متعددة المعادن متوافرة ، وأخرى تكاد لا توجد المعادن بها لدرجة استيرادها ما تحتاج إليه ممن يجاورها من المدن الأخرى ، وثالثة نجد فيها ما يكفي ، وتقوم عليه بعض الصناعات البسيطة.

وعلى الرغم من تمتع إقليم خوارزم بوفرة وثراء في الثروة الزراعية ، وكذلك الثروة الحيوانية ، إلا أننا نجد العكس بالنسبة للثروة المعدنية ، فليس ببلدهم معادن ذهب ولا فضة ولا شيء من جواهر الأرض ، على الرغم من قيام العديد من الصناعات المعدنية الخفيفة ، مثل : السكاكين والخناجر المطعمة بالجواهر والسيوف والدروع والأقفال ، حيث يعملون آلاتهم من العاج والأبنوس^(٢).

(١) الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٤١.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٥ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٥ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٥٠٢.

أما عن المعادن في منطقة ما وراء النهر فنجدها متعددة على النحو التالي :

أ - الذهب :

لقد كان القسم الشرقي من مملكة الإسلام يتمتع بوجود خزائن الذهب به وحده ، ونتيجة الانفصال الذي حدث ما بين القسم الشرقي والقسم الغربي ارتفعت أسعار العملة الذهبية في المشرق ارتفاعاً عظيماً وهائلاً ، وذلك في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي^(١).

ولقد تواجد معدن الذهب في بعض المناطق القليلة من مناطق ما وراء النهر ، ومنها : مدينة سمرقند^(٢). وكذلك مدينة خشت «إحدى مدن أشروسنة» وخاصة في جبال البتم التي تقع جنوب إقليم الصغد^(٣). وإيلاق^(٤). ومدينة الختل حيث يستخرج معدن الذهب من نهر وخشاب^(٥).

ب - النحاس :

يستخرج من بخارا معدن النحاس الأصفر ، ذلك الذي يستعمل في طلاء أعلى مصابيح النور^(٦). وأيضاً مدينه سمرقند^(٧).

-
- (١) آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ٢ ، ص ٣١٨.
- (٢) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.
- (٣) اليعقوبي : البلدان ، ص ٣٩٤ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٥ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص ٥٠٦.
- (٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٢٧ ، ٢٧٤ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣١-٣٣٢.
- (٥) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩٠ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٩٧.
- (٦) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٣-٣١٤ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٤٩٠ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٦ ؛ الفرشخي : تاريخ بخارى ، ص ٣٠ ؛ آدم متر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧١.
- (٧) ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

ج- الفضة :

يتوافر معدن الفضة في سمرقند^(١). وفي الجزء الشمالي الغربي من مدينه خشت^(٢). وكذلك أشروسنة^(٣). ومن المدن التي اشتهرت بمعدن الفضة وارتبط بها إيلاق حيث أطلق عليها ابن خرداذبة اسم «معدن الفضة»^(٤).

د- الزئبق :

توافر معدن الزئبق في منطقة واحدة فقط من مناطق إقليم ما وراء النهر وهي مدينة سمرقند^(٥).

هـ- الحديد :

تواجد في سمرقند^(٦). والصغانيان وإن كان المصدر لم يذكر ذلك صراحة بل تحدث عن تواجد طرائق الحديد بها^(٧).

-
- (١) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.
- (٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٨١.
- (٣) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩٤ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٥ ؛ الإبريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٥٠٦.
- (٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٢٧ ، ٢٧٤ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣١-٣٣٢.
- (٥) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.
- (٦) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٣٣.
- (٧) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩١.

و- الزاج :

وهو نوع من الملح ، يوجد في الأغوار مختلطاً مع الكبريت أو الزئبق ، وهو ثلاثة أنواع : الأول : الأبيض «ويطلق عليه القلقدس» وهو متساوي الأجزاء متخلخل غير متماسك ، ويسمى كذلك بزاج الأساكفة والمسمى باليونانية «ماليطريا» ؛ والثاني : أبيض دون الأول في النقاء ، يتجه باطنه إلى السواد ، لين ولكن لا يخلو من لزوجته ويسمى «بلميس» ؛ والثالث : أغبر صلب ، وهذا النوع الأخير يتوافر منه الكثير^(١). ولقد توافر في مدينه سمرقند^(٢). وأشروسنة^(٣).

ز- الفحم والنفط «القار» :

يوجد في سمرقند ، ولقد كشف الروس وجوده حديثاً في تلك المنطقة «طشقند حالياً»^(٤).

ح- الملح :

تواجد بكثرة في مدينة كش ، وذلك تحت مسمى «الملح الزراني» المعدنى وهو يحمل إلى كثير من أفاق خراسان^(٥).

(١) داود بن عمر الأنطاكي : تذكرة أولى الأبواب والجامع للعجب العجائب ، ج ١ ، ص ١٧٢ ؛ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، وإن كان قد اختلف معه في ذكر الزاج فذكر الأبيض ، الحمر ، الصفر ، الخضر ، وذكر لها مسميات أخرى فنجد القلقدس «الأبيض» ، القلقطار «الأصفر» ، القلقنت «الأخضر والأحمر» وكلها تذاب وتتحل في الماء ما عدا الأحمر.

(٢) فامبرى : المرجع السابق ، ص ٣٣.

(٣) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٧ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٥٠٦.

(٤) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٣٣.

(٥) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٢ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥٠٠.

رابعاً : الصناعة :

مع توافر المادة الخام بكافة أنواعها سواء أكانت ثروة زراعية أم حيوانية أم معدنية قامت عليها العديد من الصناعات، وسوف نعرض تلك الصناعات مع تصنيفها النوعي.

١ - صناعة المنسوجات :

من أشهر تلك الصناعات في تلك المناطق شديدة البرودة مثلما الحال في إقليم خوارزم حيث أقصى الشمال والطبيعة الجغرافية القاسية على سكان تلك المناطق ، لذا فهم في حاجة ماسة إلى تلك الملابس ، إلى جانب احتياج بعض المناطق المجاورة في الشمال ومشاركتها بشكل حاسم في التبادل التجاري.

١ - المنسوجات القطنية «الشتوية» والصوفية :

ولقد اشتهر إقليم خوارزم بصناعة المنسوجات الشتوية والصوفية من أصواف الأغنام ، فكانت تصنع السراويل المبطنة ، واللباد ، والقلائس ، والبرانس ، والقراطق ، والأبراد ، والفرش ، وثياب اللحف ، وغيرها من الأنواع المختلفة من الملابس.

ولقد كانت لتلك المنسوجات أهمية ، منها أولاً : بالنسبة لخوارزم ونظراً لطبيعتها الجغرافية والبرد القارس بها كان أهلها في أشد الحاجة إلى تلك النوعية من الملابس الثقيلة ، ويؤكد ذلك قول ابن فضلان : «وأمرنا من كنا نأنس به من أهل البلد بالاستظهار في الثياب والاستكنار منها ، وهولوا علينا الأمر وعظموا القصة فلما شاهدنا ذلك كان أضعاف ما وصف لنا فكان كل رجل منه عليه قرطق فوقه خفتان وفوقه بوسيتين وفوقه لباده وبرنس لا يبدو إلا عيناه وسراويل وطاق آخر مبطن واران وخف كيمخت ، وفوق الخف خف آخر ، فكان الواحد منا إذا ركب الجمل لا يقدر أن يتحرك بما عليه من الثياب»^(١).

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ،

ص ٤٨١-٤٨٢ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥ ؛ -

ولقد اشتهرت بخارا بالثياب البخارية ، وكذلك مدينه «زندنه» التي اشتهرت بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية ، ونظراً لإنتاجها أجود الأقمشة حملت اسم المدينة وهي «الأقمشة الزندنجية» وكان إنتاجها يكفي ويصدر الفائض إلى بلدان العالم الإسلامي^(١). وكذلك الكرابيس التي يطلق عليها «الزندنجي» نظراً لظهوره أول مرة في تلك المدينة ، وهو يحمل إلى جميع الولايات مثل : العراق وفارس وكرمان ، وتلتها مدينة الطواويس ، ومن كثرة تلك المنسوجات كان يحمل منها العديد إلى العراق ، وكذلك المناطق المجاورة^(٢).

وكذلك مدين سمرقند التي اشتهرت بالثياب الودارية التي تنتمي إلى قرية «ودار» التي تمتعت بسمعة طيبة حيث زاد عليه الطلب في العراق^(٣). وكذلك الثياب السمرقندية ، والزيارية ، والديياج ، وثياب حُمر تُسمى ممرجل وسينبزي^(٤). وأيضاً أشروسنة التي اشتهرت بنوع متميز

= الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص ٦٩٩ ؛
الغريزي : زين الأخبار ، ص ٢٩٦ ؛ ابن فضلان : رسالته ، ص ٨٦-٨٧ ؛
علي أكبر دمهخدا : لغت نامه ، (دائرة معارف) ، ص ٨٠٠.

(١) الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٣-٣١٤ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٩٠ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥ ؛ النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ١٠ ، ٢٩ ، حاشية ١ ، ص ٣١.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣١٣ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣١٢ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٨٩ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥.

(٤) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٤ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٥٠١.

من الأقمشة «الأجرزته» الاشروسنية^(١). ثم مدينة الصغانيان التي
اشتهرت هي ومدينة «واشجرد» بالأنسجة القطنية ، وكذلك الصوفية حيث
تنسج البزاة الرفيعة القرطاسية الشهب ، والدرهمية المقرنقة^(٢).

ب - صناعة المنسوجات الحريرية :

وتمثلت في الثياب ، والديباج ، والأبرسيم^(٣). الذي كان يؤخذ
بعضها من دودة القز.

ج - صناعة التطريز والحياكة :

اقتصرت تلك الصناعة على نساء خوارزم ، حيث يقمن بتلك
الأعمال إلى جانب الأعمال الدقيقة الأخرى^(٤).

٢ - صناعة السجاد والبسط :

اشتهرت مدينة الطواويس ببخارا بصناعة السجاد ، والبسط ،
والمصليات ، والفيرديات ، والخيام واحتياجاتها^(٥).

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٩٤ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٢٧ ؛
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٠٥ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد
الأول ، ص ٥٠٦.

(٢) قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ٤٤١.

(٣) الإبرسيم : أحسن أنواع الحرير ، وهو بالفارسية «إبرسيم» ، مجمع اللغة العربية
، المعجم الوسيط ، القاهرة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ج ١ ، ص ٢ ؛ محمد التونجي :
المعجم الفارسي الذهبي ، فرهنگ طلائي ، (دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ،
١٩٨٠م) ، ص ٥٦.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ محمد علي حيدر : الدويلات الإسلامية
في المشرق ، ص ١٨٥ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٢.

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣١٤-٣١٥ ؛ ابن حوقل : المصدر السابق
، ص ٤٩٠ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ الإدريسي : المصدر
السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥ ؛ طه ندا : بخارى ، مجلد ١٩ ، ص ٥٤.

٢ - الصناعات القائمة على التعدين «الصناعات المعدنية» :

ترجع أهمية تلك المعادن إلى تصنيفها ، حيث يختلف التصنيع على أساس نوع المعدن ، فهناك معادن دقيقة وقيمة ، ولهذا تقوم عليها الصناعات الدقيقة الجميلة ، وأخرى تقوم عليها الصناعات الثقيلة مثل الدروع والسيوف.

صناعة الأدوات الحربية «آلات الحرب» :

ففي إقليم خوارزم ، وعلى الرغم من قلة المعادن كما أنه قامت بها العدد من الصناعات المعدنية والتي تمثلت في : السكاكين والخناجر المطعمة بالجواهر والسيوف والدروع والأقفال ، هذا إلى جانب أنهم كانوا يعملون بعض آلاتهم من الأبنوس والعاج ، ومن الجدير بالذكر انفراد إقليم خوارزم بهذا فقط ، وكذلك توافر العديد من الصناعات البارعة في تلك الأعمال ، وخاصة في مدينة الجرجانية حيث يوجد بها الحدادون والنجارون وغيرهم من هؤلاء الذين كانوا في صناعاتهم يتميزون بالدقة^(١). وكذلك بخارا حيث اشتهرت بصناعة تلك الأدوات من المعادن المتوافرة لديها وسبق أن تحدثنا عنها^(٢).

وكذلك سمرقند التي تركزت صناعاتها في صناعة آلات الحرب والقتال مثل : السيوف والدروع^(٣). أما مدينتا واشجرد والصغانيان فقد اشتهرتا بصناعة الطرائق من الحديد^(٤). وإن كانت المصادر لم توضح أي نوع من الطرائق.

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٤-١٨٥ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٢.

(٢) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥١ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

(٣) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ، ص ٤٩٥.

(٤) لليقوبي : البلدان ، ص ٢٩٢ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ٤٤١.

٤ - الصناعات الجلدية :

صناعة دبغ الجلود

لقد اشتهر إقليم خوارزم بدبغ الجلود لتلك الحيوانات التي تواجدت فيه من سمور وفنك وقاقم وسنجاب وثعالب ، وكانت تتسج كذلك الجباب من جلود الأغنام^(١). وكذلك مدينة بخارا التي اشتهرت بدباغة الجلود وكذلك الصناعات الأخرى العديدة التي تقوم على دبغ الجلود^(٢). وأيضاً مدينة سمرقند بالإضافة إلى صناعة دبغ الجلود تقوم عليها صناعات أخرى ، منها : الحكامات ، والسيور ، وصناعات أخرى عديدة^(٣).

٥ - الصناعات الخشبية :

١ - صناعة السفن :

من أهم تلك الصناعات هي صناعة السفن^(٤). والتي تستخدم كوسيلة للمواصلات ، ولقد كان في إقليم خوارزم تصنع المراكب «السفن» من جلود الجمال والكيمنت^(٥). الموجودة في ذلك الإقليم^(٦). أما سوارى السفن فكانت تصنع من الخشب وخاصة خشب البقس ، «وهي شجرة طويلة خضراء الورق طول العام ، ذات خشب قوى».

(١) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛

الغريزي : زين الأخبار ، ص ٣٩٦ ؛ ابن فضلان : رسائله ، ص ٨٦ ؛ علي

أكبر دهخدا : المرجع السابق ، ص ٨٠٠.

(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤.

(٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

(٤) قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ٤٣٢.

(٥) الكيمخت : لفظ فارسي ، وهو نوع من الجلود المدبوغة ، يأخذ من ظهور الخيل

والحمير ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، المجلد ١١ ، ص ٤٤ ،

حاشية (٤).

(٦) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛

الغريزي : زين الأخبار ، ص ٣٩٦ ؛ ابن فضلان : رسالته ، ص ٨٦ ؛ علي

أكبر دهخدا : لغت نامه ، ص ٨٠٠.

ب - صناعات أخرى قائمة على الخشب :

منها مقابض الآلات الحربية كالنفوس والسهام والنشاب والقسي الذي كان يصنع على الأخص من لحاء الشجر الذي يسمونه «توز»^(١). كذلك تأسيس المنازل من الخشب ، وخاصة من أشجار التوت المتوافرة لديهم ، وكذلك شجر الخلف^(٢).

٦ - صناعة الورق «الكاغد»^(٣):

لم يكن الكاغد معروفاً في الشرق في أول عهد الإسلام ، وإنما كانت الكتابة على القراطيس المأخوذة من البردي المصري أو على الرقوق ، وكان أول ظهور الكاغد في الإسلام في سمرقند حيث صنعه هناك أسرى من الصين ، حيث أسره الأمير زياد بن صالح في قلعة «أطلخ» عام ١٣٤هـ حيث صنع من خرق الكتاب والقنب ، وهو ما كان موجوداً لديهم ، فقلدهم الناس منذ ذلك الحين ، وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الإسلام ومنها دخل أوروبا واشتهر.

(١) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ ابن فضلان : المصدر السابق ، ص ٨٠ ؛ محمد علي حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص ١٥٨ ؛ علي أكبر دهخدا : المرجع السابق ، ص ٨٠٠.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٤٨٢ ؛ النويري : المصدر السابق ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، حاشية (١) ؛ حيث قال : «إن الخلف هو الصفصاف بأنواعه المختلفة» ، ولقد اتفق ، داود الانطاكي مع النويري ، ولكنه ذكر أنواعه المتعددة ، ومنها : وهو الأجود البري الذي ليس له سنابل ناعم طيب الرائحة ، ثم يليه البهرامج المعروف بالبلخة ثم الصفصاف المر وهو شجر لا يختص بزمان وغالب وجوده عند المياه والأرض البادرة ، ومن المرجح أن يكون هذا النوع موجوداً في إقليم خوارزم ؛ داود الانطاكي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤٣.

(٣) الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٢٨ ، حاشية (١) ، ذكراً «كاغد وكاعذ ، كاغد لفظ صيني معرب دخل العربية بطريق الفارسي».

ولقد قال أبو منصور الثعالبي : كواغد سمرقند هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها ، لأنها انعم وأحسن وأرفق ، ولا تكون إلا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجرا لأهل سمرقند فعم خيرها والارتقاء بها إلى جميع البلدان والآفاق.

ويذكر أن من أشهر الأصناف التي كانت تصنع قديما في العالم الإسلامي : الكاغد الفرعوني تقليداً للقرطيس المصرية المستعملة في ذلك الوقت ، والكاغد السليمانى نسبة إلى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفرى منسوب إلى جعفر البرمكى الوزير العباسي ، والطلحي منسوب إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء بني طاهر ، والنوحى نسبة إلى الأمير نوح الأول من بني ساسان وسوى ذلك كثير.

وقد شاعت الوراقة في البلاد العربية ، واختصت بدور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب ، ولاسيما القيروان والمهدية ، وفي الأندلس خصوصا مدينه شاطبة «Xativa» وغيرها^(١).

(١) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٢٨-٢٩ ، حاشية (١) ؛ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥١ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٨٨ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥ ؛ زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، (مكتبة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠م) ، ص ٢١ ؛ أحمد أمين : ظهر الإسلام ، (دار الكتاب ، لبنان ، ط ٥ ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م) ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ؛ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق منذ عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس ، ص ١٣٥ ؛ ناصر خسرو علوى : سفر نامه ، ص ٤١٣ ؛ إدوارد بروي : موسوعة تاريخ الحضارات العام ، المجلد الثالث ، ص ٢٢٤ ؛ آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ٢ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ، ٣٠٩.

٧ - صناعات أخرى عديدة :

أ - صناعة تجفيف الفاكهة :

ففي إقليم خوارزم كان يتم تقديد البطيخ وتجفيفه في الشمس ، ويحمل في القواصر من خوارزم إلى الهند والصين ، فيجلب إلى بلاط الخليفة المأمون والوائق في آنية من الرصاص ملفوفة بالثلج فإذا وصل في حالة جيدة بلغ ثمنه سبعمائة درهم وربما تستخرجوا ماءه وصنعوا منه الحلوى ، وكذلك تجفيف العنب وتحويله إلى زبيب^(١).

ب - صناعة الزيوت :

حيث توافرت في إقليم خوارزم صناعة الزيوت القائمة على السمس ، حيث وجدت بها العديد من المعاصر التي كان يتم بها ذلك ، وكذلك صناعة السمن ، والشمع ، والملابن ومنتجاتها^(٢). وكذلك صناعة الصابون في مدينة ترمذ.

ج - صناعة الأواني الفخارية :

في مدينة بخارا وخاصة من الطين الذي يستخرج من جبل وركه الذي على بعد فرسخ من هذه المدينة^(٣). ومن سمرقند حيث جبل يعرف بـ «كوهك» يمتد طرفه إلى سورها فيأخذ سكانها منه الأحجار والطين الذي يستخدم في صناعة الأواني^(٤).

(١) الكريزى : زين الأخبار ، ص ٣٩٦ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص ٤٨١ ؛ ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٧٨ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٥٠٢ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢١٨.

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٧٨.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٣٢.

(٤) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ الإصطخرى : المصدر السابق ، ص ٣١٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥-٣٢٦.

خامساً : التجارة :

توفر في تلك المناطق العديد من العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة بها ، ومنها :

أ - الموقع الجغرافي : وخاصة في منطقة آسيا الوسطى فهي منطقة وسطى تمر عليها كافة الطرق ، وهي أقرب ما تكون مركزاً لشبكة العديد من الطرق سواء أكانت رئيسية «مثل طريق بغداد» أم فرعية أم برية أو نهريّة أو بحرية.

ب- توافر المادة الخام : وصناعاتها ووجود فائض منها يساعد على ازدهار التجارة.

ولقد كانت تجارة آسيا الوسطى وخاصة في القرن الأول للهجرة زمامها متمركز في أيدي هؤلاء العرب الذين فتحوا تلك المناطق بغرض نشر الإسلام ، والعمل على توسيع رقعة الدولة الإسلامية إلى جانب كونهم شاغلهم الأول في أماكنهم الأولى^(١). بحكم بيئتهم التي عاشوا فيها ومناسبة حرفة التجارة لهم.

وإن كانت التجارة في عهد الساسانيين قد نهضت إلى حد كبير لدرجة أن الكتاب العرب قد رأوا من حق الدولة أن يدونوا تلك الحركة في كتبهم ، ومن خلال ما كتب يتضح كونها - أي الدولة الساسانية - مركزاً عظيماً لتجارة العالم الإسلامي ، حيث ترد إليها البضائع من كل ولاية بعيدة أو قريبة ، ومنها تصدر إلى جميع الجهات من أقطار العالم الإسلامي^(٢).

(١) اليعقوبي : البلدان : ص ٢٧٨.

(٢) بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، (القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص ١٢٠.

ولقد اختلف الأمر في عهد الخلافة العباسية ، وخاصة بعد عهد كل من هارون الرشيد والمأمون ، حيث بدأت تفقد زمام الأمور في تلك المناطق المترامية الأطراف بآسيا الوسطى ، وكان السبب وراء ذلك هو سياسة الدولة وتخليها شيئاً فشيئاً عن تعيين الولاة وعزلهم إلى تركيز الأمور في يد أسر ارستقراطية تابعة لها ، فبدأت تلك الأسر تستقل شيئاً فشيئاً عن الدولة ، وبذلك ضعف نفوذ الأسرة العباسية في أمور خراسان وما وراء النهر ، وازداد نفوذ تلك الأسر وسلطانها وتحولت إلى دول ، مثل الطاهريين ، والسامانيين في خراسان وبخارا وسمرقند والغزنويين في أفغانستان^(١).

وبجانب التجار المسلمين هناك الرعاة سكان السهوب والبراري حيث التجارة المتبادلة بينهما ، فهم يستوردون عدداً لا حصر له من الماشية للحومها ، وكذلك دواب الجمال إلى جانب الجلود والفراء ، وهذا بالنسبة للترك البدو أما الترك الحضري الذين بحذائهم فيحصلون على حاجاتهم من الملابس وغذائهم من الغلال ، وخاصة في بلاد ما وراء النهر ، فكانوا يسوقون أغنامهم وقطعانهم من الماشية إلى مناطق الحدود التي يسكنها الحضري ، دون انتظار لحضور تلك القوافل إلى مناطقهم ، فكان أكثر من استفاد من التجارة مع هؤلاء الرعاة أهل خوارزم^(٢).

١- الصادرات :

١- صادرات من الإنتاج الزراعي :

اشتهر إقليم خوارزم - بشكل عام - بتصدير الفرائض من احتياجاته ، ومنها : البندق ، والسهم والبطيخ الذي كان يحمل إلى بلاد

(١) بدر الدين حي الصيني : المرجع السابق ، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥٥٩ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٣٦٧.

الهند والصين ، وكذلك الزبيب^(١). أما عاصمتها الجرجانية فكانت تصدر العنب ، والتين ولب الرمان^(٢). ومن بخارا يتم تصدير البطيخ فائق الشهرة والتوزيع^(٣). ويحمل من رساتيق سمرقند البندق والجوز^(٤).

ب - صادرات من الثروة الحيوانية :

كان كذلك إقليم خوارزم على رأس قائمة البلاد التي تتزعم تصدير السمور والسنجاب والفنك ، والثعالب ، خربوست ، خركوش (أرنب) ملون ، وأسنان السمك ، والكيمخت السمك^(٥). ومن الجرجانية يصدر منها الجلود والدهون المستخرجة من تلك الحيوانات^(٦). ومن بخارا تصدر جلود الضأن ، والشحوم ، ودهن الرأس^(٧). ومن سمرقند تصدر

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ بدر الدين حي الصيني : المرجع السابق ، ص ١٢١ ؛ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٤١ ؛ ابن بطوطة : رحلته ، ص ٣٧٧-٣٧٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٣٦٥-٣٦٧ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ٣٠٠.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥.

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٦ ؛ محمد علي حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، ص ١٨٣.

(٤) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٨٣ ؛ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، (بغداد ، ١٩٤٨م) ، ص ١٢٨.

(٥) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ بدر الدين حي الصيني : المرجع السابق ، ص ١٢١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٣٦٥-٣٦٧.

(٦) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

(٧) بدر الدين حي الصيني : المرجع السابق ، ص ٢١ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ؛ شيرين عبد النعيم حسنين : مسلمو تركستان والغزو السوفيتي من خلال التاريخ والأدب ، (القاهرة ، ١٩٨٥م) ، ص ١١٣.

من الحيوانات حيوان القاقم والحياد^(١). وكذلك الختل التي تصدر الخيل
والبغال^(٢). ومن اربنجن الجلود^(٣).

ج - صادرات من المعادن :

يصدر من خوارزم الأدوات المعدنية من سيوف ودروع ، وأقفال
وقسي «لا يقوى على استعمالها إلا أشد الرجال»^(٤). ومن الجرجانية
الزاج ، الكبريت ، الرصاص ، إسبرك ، والزرنيخ^(٥). ومن بخارا :
المصابيح النحاسية والسروج^(٦). ومن سمرقند تصدر القدور التي يصنعها
الصفاريون من النحاس^(٧). ومن اربنجن الكبريت^(٨). والطاسات.

(١) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛

جرجى زيدان : المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٣ ؛ محمد علي حيدر : المرجع

السابق ، ص ٣٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص ١٣٦.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٢٥.

(٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ،

ص ١٨٣-١٨٤ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٥١٥.

(٤) اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛

بدر الدين حي الصيني : المرجع السابق ، ص ١٢١ ؛ بارتولد : المرجع السابق

، ص ٣٦٥-٣٦٧.

(٥) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

(٦) بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، ص ١٢١ ؛ محمد علي

حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ؛ شيرين عبد النعيم حسنين : المرجع السابق

، ص ١١٣.

(٧) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ جرجى

زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٨٣ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق

، ص ٣٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص ١٣٦.

(٨) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ،

ص ١٨٣-١٨٤ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٥١٥.

د - صادرات الكاغد :

التي انفردت بتصديرها عن بقية مدن خوارزم وما وراء النهر
مدينة سمرقند^(١).

هـ - صادرات المنسوجات والفرش والسجاد :

وقد اشتهر إقليم خوارزم - بشكل عام - بتصدير ديباج بيشكش ،
ومقانع ملم ، والعروش ، وثيراب اللحف ، وثيراب أرنج ، وكذلك
المنسوجات والغطاءات والبطاطين ، والسجاجيد^(٢).

أما الثياب الرخوة ، وثيراب الفرش الفندقية ، وصفر المنابر ،
وثيراب طبر ، وثيراب آشموني ، والمصليات والبسط ، فكانت تصدر من
بخارا^(٣).

أما سمرقند فقد اشتهرت بتصدير أنواع متعددة من الثياب ، منها
ثيراب سيمكون والمسرقندية ، وكذلك الديباج إلى بلاد الترك ، وثيراب حمر
ممرجل وسينبزي ، وكذلك قز كثير لتصنيع الحرير^(٤).

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ جرجي
زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٨٣ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق
، ص ٣٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص ١٣٦.

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ جرجي
زيدان : المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٨٣ ؛ محمد علي حيدر : الدويلات
الإسلامية في المشرق ، ص ٣٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ،
ص ١٢١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٧.

(٣) بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، ص ١٢١ ؛ محمد علي
حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ؛ شيرين عبد النعيم حسنين : المرجع السابق
، ص ١١٣.

(٤) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٧٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ؛ جرجي
زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٨٣ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق
، ص ٣٩ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص ١٣٦.

واشتهرت كرمينية وانفردت بتصدير المناديل فقط ، أما الدبوسية فصدرت الثياب والديباج ، وخاصة من مدينة «وذار». واشتهارها بالثياب الودازية «وهي ثياب على لون الصمت ، ويقال : إن سلاطين بغداد كانوا يطلقون عليه ديباج خراسان» ، أما أربنجن فقد اشتهرت باللبود والمصليات^(١).

و- صادرات من التحف الخزفية :

لقد ذاع صيت وشهرة بعض المدن في ما وراء النهر ، وأيضاً بلاد تركستان الصينية ، وهما : بخارى وسمرقند في العالم الإسلامي حيث اشتهرت بالتحف الخزفية التي امتازت بالبساطة والاعتزان ، وجمال الألوان وإبداع زخارفها ذات المسحة الفنية الممتازة ، وإن كان هذا يعنى أن صناعة الخزف فن قديم ، وأكبر الظن أن مركزها كان مدينة الشاش «طشقند حالياً» وكان من صادراتها^(٢).

ز- صادرات الرقيق :

لقد كان لتجارة الرقيق - بشكل عام - في العصور الوسطى ثلاث مناطق تجلب منها أعداد لا حصر لها من الرقيق ، وهي :

(١) المقدسي : المصدر السابق، ص ٣٢٥ ؛ بدر الدين حي الصيني : المرجع السابق ، ص ١٢٢ ؛ محمد علي حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٨ ؛ كى لسترنج : المرجع السابق ، ص ٥٣١.

(٢) زكى محمد حسن : الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، ص ١٦٦-١٦٧ ، ٢٢ حاشية (٦) ؛ يذكر زكى حسن : المنسوجات تلك التي تنسب إلى إيران بين القرنين الثاني والرابع بعد الهجرة ٩٠٨ م ، ضرب من الحرير عليه رسوم حيوانات بخطوط منكسرة وزوايا ظاهرة وقد كان العالم الانجليزي السير أوريل شتابن Avrelstein قد عثر على حفائر ببلاد التركستان الصينية على أقمشة تشبه هذا النوع الذي ينسب إلى إيران ، وفي اعتقاده أنها من صناعة بلاد التركستان ، ولا سيما سمرقند وبخارا.

١- التركستان «بلاد الترك» في سهوب آسيا الوسطى.

٢- بلاد الصقالبة «غابات» أوربا الشرقية والوسطى.

٣- بعض المناطق الأفريقية^(١).

وإن كان الرقيق الذي يتبع منطقة ما وراء النهر من الأتراك المحيطين هم خير رقيق يحيط بالشرق كله^(٢).

ويذكر الإدريسي أنه ليس على معمر الأرض أحسن ألواناً ، ولا أرق بشراً ، ولا أجمل خلقاً ، ولا أنعم أبداناً من رقيق الترك ، والترك يسرق بعضهم أبناء بعض ويبيعونهم من التجار حيث يبلغ ثمن الجارية منهم ثلاثمائة دينار فما فوقها^(٣).

وهم صنفان : الأسود ، والأبيض من الصقالبة أو من الخزر الأتراك من بادية تركستان وكذلك الأرمن واليونان ، أما الصقالبة فيأتي العبيد من عندهم ثم يعبرون بلاد الخزر عند نهر أتل الفولجا ، حيث كانت

(١) فريال محمود قحطان : نشأة الرقيق التركي والصقلبي في المجتمع الإسلامي نهاية القرن ٨٤ ، رسالة ماجستير ، (الإسكندرية ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) ، ص ٧٣-٧٤ ؛ فوزى حامد عباس المأموني : علاقة خوارزم بالعالم الإسلامي خلال العهدين البويهى والسلجوقي ، رسالة ماجستير ، سوهاج ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص ٢٩٧.

(٢) جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، مطبعة الهلال ، (القاهرة ، ١٩٠٣م) ، ج ٢ ، ص ٢٨٨.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٥١٣ ؛ كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥٠٢ ؛ ذاكراً «كانوا يشترون أو يسرقون أولاد وبنات الأتراك من بدو تلك البراري وبعد أن يعلموهم ويؤدبهم بالآداب الإسلامية يجلبون منها إلى سائر بلاد الإسلام فكانوا يتولون على ما يروى التاريخ أجل مناصب الدولة ووظائفها».

تلك المدينة عاصمة الخزر ، فكانت تتقاضى رسوم مرور على هؤلاء الرقيق ، ثم يتم توزيعهم بين الطريق البري تجاه دربند - أرمينية - طبرستان - فالري وأخيراً بغداد.

والثاني ، عن طريق بلاد البلغار إلى الجرجانية فيجتمع عدد كبير من آسيا الوسطى ، ثم ينتقل إلى ما بين النهرين وبقية البلدان الإسلامية الأخرى.

وكان أكبر أسواق الرقيق سوق سمرقند ، فيربون هناك تربية راقية ، ويأتي إليها التجار من تركستان وما وراء النهر والبلغار ومن شرق أوربا ، وكانت سمرقند بيئة صالحة لتربيتهم ، وكان أهلها يتخذون هذا الرقيق صناعة لهم يعيشون بها وكان الرقيق الأبيض أعلى ثمناً وأيضاً أكثر تعلماً للفن والموسيقى^(١).

ولقد أكد المقدسي ذلك ذاكراً أنه من ورادات خوارزم الرقيق من الصقالبة ، الذين يجلبون من طريق خوارزم ، وأيضاً من صادرات مدينة البلغار الذين يؤخذون إلى خوارزم ، وإلى جهات جيحون ويجلبون من خراسان رقيقاً أبيض غالي الثمن ، فيصل سعر الواحد خمسة آلاف دينار^(٢).

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٦١ ؛ جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥٥٨ ؛ أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ١ ، ص ١٣٠ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، الطبعة الثالثة ، د.م ، د.ت ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ ؛ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٧١ ؛ فريال محمود قحطان ، المرجع السابق ، ص ٨٥-٨٦.

(٢) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٣٦٥ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص ٦٤-٦٥.

• كيفية الحصول على هؤلاء الرقيق :

أ - عن طريق الحرب ، فان فتحت بلد جاز للمسلمين أن يسترقوا أهلها ، ويجوز أن يسترق الأمير أو الإمام أيضاً ، ولكن في القرن الرابع الهجري تضاعل مجال توسع الإسلام عسكرياً ، و زال بذلك تقريباً مجال الحصول على رقيق عن طريق الفتوحات.

ب- أما الطريقة الثانية ، للحصول على هؤلاء فتتمثل في أن يرسل الولاة هؤلاء الرقيق ضمن الواردات ، أو عن طريق الشراء ، وهي الوسيلة الرئيسية للحصول على الرقيق في القرن الرابع الهجري ، حيث توجد تجارة واسعة المجال ، فهناك أسواق خاصة لبيع الرقيق في أكثر المدن الرئيسية ، وقد اعتاد هؤلاء التجار على تنظيم حملات للحصول عليهم^(١).

وكان الرقيق الأبيض هو الرقيق الخاص ، فيعرضه التجار على الأمراء والأغنياء ، وأصناف متعددة من النساء والفتيات والرجال ، ولقد قام هذا الرقيق على اختلافهم بأعمال متنوعة وكثيرة ، حيث وصل الأمر إلى التغلغل في الحياة الاجتماعية ، فمنهم من كان جندياً وقائداً تستعين به الدولة في حروبها ، وإلى جانب هؤلاء وجد كذلك الرقيق الشعبي الذي يعرض في الأسواق^(٢).

ويؤكد ما سبق ما ذكر من أيام الخليفة المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد ، عندما تحول من بغداد إلى مدينته الجديدة «سمرقند رأي» لكونه اعتنى باقتناء الترك ، فكان أول من بعث لها كانت سمرقند

(١) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٦٠ ؛ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي

في القرن الرابع الهجري ، ص ٦٣-٦٤.

(٢) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ١ ، ص ١٣٠.

وفرغانه والنواحي الأخرى من أجل شرائهم ، حيث بذل فيهم الأموال وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب^(١). ولقد ترقوا في المناصب ومنهم من صاروا أصحاب دول.

وكان هذا النوع من التجارة يتم عن طريق القوافل سواء بالطرق البرية أو البحرية ، وتبيعها في الأسواق في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية ، وأكثر الناس اشتغالا بذلك هم التجار اليهود الرذانية ، حيث يتقنون اللغات الرائجة ، وهي : العربية ، والفارسية ، والروسية ، والإفرنجية الأندلسية ، الصقلية ، ويسافرون بهذه البضائع من إقليم لآخر^(٢). وذلك على ما أعتقد ناحية الطرق البرية ، أما التجارة البحرية فكان أشهر أصحابها هم السيرافيون.

وفي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي اختلف الأمر فكان التجار المسلمون يجوبون الأقطار براً وبحراً ينقلون التجارة من بلد إلى آخر على شواطئ فارس وسواحل الصين والهند وسائر الشرق ، وسواحل إفريقية والحبشة ويقطعون صحارى خراسان وتركستان وأرمينية والهند والشام وأفغانستان في نقل أصناف التجارة ، وكأنه قد صاروا وحدهم تجار الأرض ، فكان مركز تجارة الشرق براً ببغداد وبحراً بالبصرة^(٣).

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ؛ تحقيق : محمد محي الدين بن عبد الحميد : (مطبعة

المدني ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٥.

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣ ؛ جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٤٠.

(٣) جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٤٠-٤١ ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص ١٥١.

٢ - الواردات :

١ - بلاد الترك :

من صادراتهم لتلك المناطق السمر والفنك^(١). وكذلك
المصنوعات الجلدية التي تصنع من جلود تلك الحيوانات إلى جانب العبيد
والإماء من صادرات الخزر^(٢). الدروع البيضاء والغاقر^(٣). كل ذلك
مقابل احتياجاتهم لما لدى البلاد المستقرة المتحضرة من المنسوجات

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٥ ؛ الجاحظ : التبصر بالتجارة ،
ص ٤٢.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥ ؛ ذاكرا أن الخزر : اسم جنس من الناس ،
بلدهم صغير ذو جانبين يسمى أحد جانبيها آتل ، والجانب الآخر خزران ، وهذا
النهر يجرى من بلد الروس ، وليس بهذا المصر رساتيق كثيرة ، ولا سعة
مملكة ، وهو بلد بين بحر الخزر والسرير والروس والغزية والتبت بين أرض
الصين والهند وأرض الخراخية والتغزغز وبحر فارس ، وبعضهم في مملكة
الهند ، والبعض الآخر في مملكة الصين ، وهم أحد الشعوب التركية النشطة
التي وفقت في تكوين واحدة من ولايات المنطقة مع بداية القرن ٦ م ، وذلك
عندما بدأوا استقرارهم في المنطقة ما بين بحر قزوين والقوقاز ، وعبر
الأراضي الغربية المتطرفة Göktürk ثم صاروا فيما بعد جزءا من
الإمبراطورية التركية التي كونها تومين Tumen في الربع الأخير من القرن
السادس الميلادي ، وما أن دبّ الضعف فيها حتى اتجهوا بنفوذهم عبر البحر
الأسود وبذلك ظهرت دولة خانات الخزر منذ عام ٦٣٠ - ٩٦٥ م ، وبحكم
موقعهم في الأراضي التي تتحكم في طرق التجارة سواء الطرق السريعة أو
الممرات المائية ، حيث التجارة تمر عبر أراضيهم فعاد عليهم بالازدهار وهم ما
بين مسلمين ويهود ، وظلت بقوتها حتى ضعفت بسبب ضغط الهجمات الروسية
من الشمال وتكوينهم ما يسمى «Okenz» الإمارة حول كييف «Kiev» ؛ سعد
زغلول عبد الحميد : الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم ،
ص ٦٠ ؛

Ibrahim Kafesoglu : a short history of Turkish, p.10-11, 38.

(٣) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٢٨.

وغيرها مما يتوافر لديهم ، وتقدر لدى البيئات البدوية ، ونجد الخوارزميين أثناء اتجاههم إلى الغرب بنشاطهم وخاصة صوب الفولجا والقوقاز ، نشأت بينهم وبين الخزر صلات قوية ، وانتشر الخوارزميون في إقليم القوقاز^(١).

ب - البلغار :

ومن صادرات البلغار لتلك المناطق - وخاصة في القرن ١٠/٥٤م الفراء والجلود المصنوعة صناعة دقيقة ، والعسل ، وشمعه ، والسلك ، إلا أن الأحذية البلغارية تعد من أحسن صادرات تلك المدينة ، فكان لها شهرة واسعة النطاق في تركستان^(٢).

ج - إيران :

ومن صادراتها البسط ، والسجاد ، وثياب القطن ، والطنافس ، والثياب الرقاق ، والطبالسة من الصوف ، والثياب الموشية ، والأبرسيم الجيد ، والقلانس ، والفواكه من تفاح وخواخ وسفرجل ، وكثيري ، وزبيب ، وماء الورد ، والمعاجن ، ودهن الياسمين ، والزعفران ، والزمرد ، والسكر ، والكحل^(٣).

د - خراسان :

ومن صادراتها لتلك المناطق الفواكه الكثيرة ومنها الأعناب الطيبة والزبيب الكشهانى ، والكشمش ، وبطيخ يقدر حيث كان ذلك يحمل

(١) ف بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة : حمزة طاهر : (دار المعارف ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٢م) ، ص ٨٦ ؛ عبد العزيز الدورى : المرجع السابق ، ص ١٥١.

(٢) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٣٠-٣٢ ، ٤٠-٤٢ ؛ ابن النقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٥ ؛ الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٨٢-١٨٦ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٣) الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٤٢.

إلى الخلفاء في قدور نحاس لشدة حلاوته ، وكذلك معدن الفيروزج ،
واللازورد^(١).

٣ - الطرق التجارية

أولاً : الطرق البرية :

وهي أقدم الطرق بالنسبة للطرق الأخرى ، والتي سوف نتحدث
عنها في حينها ، والتي اعتاد عليها التجار ، وخاصة من العرب ، ولقد
ربطت تلك الطرق الجناح الشرقي بالجناح الغربي ، والعكس بالنسبة
للتجار الغربيين ومقدمهم إلى أسواق المشرق الإسلامي^(٢).

ومن الطرق البرية طريق يطلق عليه طريق خراسان أو «طريق
بغداد الصين»^(٣). ولا يهمنا منه سوى الجزء المتعلق بموضوع البحث ،
وهو من بدء مروره من مدينة «آمل» على نهر جيحون حيث يسلك
طريقة في منطقة ما وراء النهر حتى يصل إلى بخارا ، ثم يواصل
الطريق الرئيسي من بخارا إلى سمرقند ، وعند بلدة زامين على حدود

(١) الجاحظ : المصدر السابق ، ص ٤٢.

(٢) فوزى حافظ عباس المأموني : علاقة خوارزم بالعالم الإسلامي خلال العهدين
البويهى والسلجوقي ، ص ٢٣٦.

(٣) يذكر أن السبب وراء تلك التسمية هو مروره بمعظم أراضي خراسان منذ القدم
منذ أيام الممالك الفارسية التي كانت تسيطر على تلك المناطق ، أو لكونه أقدم
طريق برى عبر تلك الأراضي ويتشعب منه طرق أخرى ، حيث يربط هذا
الطريق ما بين عاصمة الخلافة بغداد وعواصم الدول الإسلامية المستقلة بإيران
وآسيا الوسطى ، ولقد اهتم به حكام الدولة وأمرؤها ، لكونه يربط ما بين
المشرق والمغرب الإسلامي ، فالجزء الأكبر يجرى في الأراضي الإيرانية من
بغداد إلى مرو الشاهجان حتى يبلغ مدينه آمل ؛ عبد العزيز الدوري : المرجع
السابق ، ص ١٥٠-١٥١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٣٦٧ ؛ دائرة
المعارف الإسلامية : ج ١ ، ص ٢٥٥ ؛ ذكراً أن آمل ملتقى الطرق التي تصل
خراسان بما وراء النهر وخيوة.

إقليم أشروسنة ، ثم يفترق إلى فرعين ، أحدهما : إلى إقليم الشاش^(١).
والثاني : إلى إقليم فرغانة وأعلى نهر سيحون حتى يصل إلى اخسكيت
ويمتد إلى أوزكند على تخوم صحراء الصين^(٢).

الطرق البرية بين خوارزم والبلاد الواقعة في أقصى شمال بحر الخزر :

أ - الطريق الأول : والذي يبدأ من بلاد برطاس «برادس» ويمر ببلاد
البلغار فيصل إلى كيبف ثم يتجه إلى الجنوب عبر بلاد الخزر ، ثم
إلى كل من جرجان وطبرستان والرى^(٣).

ب- الطريق الثاني : يبدأ من بلاد البلغاء ثم إلى خليج مدينة الخزر ،
ويعبر بحر الخزر إلى خوارزم فيلتقى مع الطريق البري الأول^(٤).
المتجه إلى بغداد وهي تخوم بلاد الصين^(٥).

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٢٠٣ ؛ المقدسي : المصدر السابق ،
ص ٢٩١ ؛ عبد العزيز النوري : المرجع السابق ، ص ١٥١ ؛ فوزي حامد
عباس المأموني : المرجع السابق ، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٣٢ ؛ ابن رسته : الأعلام النفيسة ،
ص ١٣٠-١٣١ ، ١٣٤ ؛ فوزي حامد المأموني : المرجع السابق ، ص ٢٩٤.

(٤) يقصد بذلك الطريق البري الأول : ذلك الطريق الذي يطلق عليه طريق الحرير ،
حيث يخرج بفرعين من الصين والآخر من الهند ، ثم يلتقي الفرعان في وسط
آسيا عبر نهر الآل ، فيلتقي مع تلك القوافل القادمة من الصين ، ثم يسيران معاً
حتى بخارا في طريق واحد ثم يتفرعان أحدهما يتجه إلى وادي الفولجا شمالاً
عبر بحر الخزر (قزوين) والآخر يتجه غرباً إلى البحر الأسود ؛ نعيم نكي
فهيم : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور
الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م ، ص ٣٦.

(٥) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٣٢ ؛ المقدسي : المصدر السابق ،
ص ٢٧٢ ؛ ابن فضال : رسائله ، ص ٩١ ، ١٠٦-١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٧ ؛
فينكر أن رحلته إلى بلغار كانت ذلك الطريق ، فبعد مغادرته للأراضي
الخوارزمية دخل في مفازة الترك الغزية ثم شمالاً بحر الخزر ماراً
بمفاوز البجناك والباشغرد حتى وصلوا إلى عاصمة ملك البلغار ؛ =

وكان بعض التجار يذهبون إلى مدينه البلغار^(١). إما براً عن طريق آتل وإما بحراً في القوارب بصعود الفولجا^(٢). وهذا الطريق الذي يربط ويقوى العلاقات التجارية بين القبائل التركية وخوارزم ، وشيء طبيعي أن يكون لأي طريق اتجاهان ، الأول ذهاب ، والآخر إياب ، فما دام هذا الطريق يتجه من بحر الخزر إلى خوارزم نجد أن القوافل تتجه من الجرجانية إلى خراسان جنوباً^(٣). حتى تبلغ المسافة لخراسان ستة أيام ، والآخر الاتجاه المعاكس إلى الخزر غرباً.

ولقد كان آخر مكان على هذا الطريق هي رباط «أفراوه» أو «فراوه» ذلك الذي يتكون من ثلاثة حصون متصلة ويبعد أربعة فراسخ عن مدينة «نسا».

ويشير الگردیزی إلى وجود طريق آخر ، ويتضح من الوصف كونه طريقاً برياً فيسير محاذياً للساحل الغربي لبحر آرال ثم يخترق المفازة إلى بلاد البجناك^(٤).

= عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص ١٥١ ؛ ذاكراً «كانت القوافل التجارية مدخلة من خوارزم إلى بلغار ومن بلغار إلى خوارزم».

(١) البلغار : وهم أتراك الشمال ، حيث كانت هناك علاقات بينهم وبين خوارزم ، ونقصد بهم بلغار الفولجا ، حيث كان تجار خوارزم يذهبون إلى الشمال عن طريق النهر ، ويعودون بالبضائع مقابل تلك البضائع الجنوبية الخاصة بالخوارزميين ومع بداية القرن العاشر الميلادي «١٠م» نجد أن عدداً كبيراً من رجال خوارزم وقفوا في احتلال العديد من المناصب الإدارية والعسكرية في الدول والولايات البلغارية ، وإن كنت على ما أعتقد أنه قد تم ذلك بعد دخولهم في الإسلام ؛ شيخ للربوة : نخبة الدهر وعصره أهل العصر ، ص ٢٦٣ ؛ Ibrahim : op.sit.p.37-38.

(٢) عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع ، ص ١٥١.

(٣) الگردیزی : زين الأخبار ، ص ٢٦٨.

(٤) البجناك «البشناق» : قبيلة من الأتراك من قبائل فروع الغز ، ولقد كانوا في الأصل من تركستان الصينية ثم هاجروا من وسط آسيا إلى جنوب روسيا في تلك المنطقة ما بين الفولجا ، الفولغا والأورال بين نهري Dane-Yailk بجوار الخزر فهم إلى الجنوب منهم ، وغربهم السلاف وشرقهم القفجاق «الكومان» وفي بداية القرن ٩م طردوا المجر Magger من أوطانهم بين الدون والدينير ، =

هذا ويذكر أن معظم التجار بخراسان من أهل خوارزم ، فلم تكن مدينه كبيرة بخراسان إلا وكان بها جمع غفير من أهل خوارزم وتجارهم ، وكانوا يتميزون عن السكان المحليين بارتدائهم القلانس الطويلة.

ويذكر ويؤكد أنه في فترة من الزمن كانت جميع ضياع مدينه نسا ملكاً للخوارزميين ، ومع ذلك لا بد أن الانتعاش الاقتصادي كان مصاحباً له انتعاش فكري وثقافي ، فيذكر المقدسي أنه قل أن التقى بإمام في الفقه والأدب أو القرآن إلا وله تلميذ خوارزمي^(١).

ج - طريق برى من مرو إلى گرگاج «الجرجانية»^(٢).

د - طريقة برى آخر يمتد من مدينه الترمذ ببلاد فرغانه مارا بالختل والصغانيان^(٣).

هـ - طريق برى فرعي يربط بين إقليم الصغانيان وبخارا^(٤).

و - طريق برى يمتد من بلخ إلى شط وادي جيحون إلى ترمذ ويبلغ طوله يومين^(٥).

= ولكن تحت ضغط الغز وطردهم حوالى ٨٦٠م ، اتجهوا على أثرها إلى الغرب واحتلوا أرض السلاف في شمال غرب البحر الأسود حيث احتل هؤلاء مناطق شاسعة من البحر الأسود ، ومن تبقي منهم فقد ظل تحت سيطرة الغز ؛ ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ، ص ١٠٦ ، حاشية ١ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٩٢٢ ، ٩٦٠ ؛ بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ١٠١ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : الترك والإسلام في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ١٧٥-١٧٦ ؛ زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطى ، ص ٨ ، ١٨ .

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٦٧ ؛ الكريزى : زين الأخبار ، ص ٣٦٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٧ .

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ؛ وللمزيد عن ذلك الطريق انظر : ص ٣٣-٣٤ .

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، لمزيد عنه انظر : ص ٢٦٧-٢٦٨ .

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٥٨ .

ز - طريق برى ما بين بلخ وأعلى نهر جيحون عند بذخشان ، وتقدر تلك المسافة ١٣ مرحلة^(١).

د - طريق برى من ناحية إقليم جرجان ، الأول إلى شرق آخر مدينة الرباط «وهي على فم المفازة» حيث يدخل تلك الناحية الطريق الذهاب إلى مدينة خوارزم.

ولقد وصف هذا الطريق الواصل من جرجان إلى خوارزم مخترقاً دهستان بان تلك الناحية كانت الحد الفاصل ما بين المسلمين والكفرة من الترك والكرد.

ط- طريق برى آخر من بسطام في قومس إلى عاصمة خوارزم «الجرجانية»^(٢).

ثانياً : الطرق النهرية :

سبق أن تناولنا بالتفصيل الحديث عن تلك الطرق عند تناولنا جغرافية خوارزم وما وراء النهر ، وخاصة المجاري المائية^(٣).

ولقد لاحظنا على تلك الأنهار وفروعها أنها صالحة للملاحة النهرية طوال العام ما عدا أشهر الشتاء حيث تتجمد وتسير عليه القوافل أيضاً^(٤). وإن جاز لنا التعبير نجد أن تلك الأنهار تجمع ما بين الطرق البرية إلى حد ما في فصل الشتاء والطرق النهرية بقية أيام السنة ، وشيء طبيعي أن توجد نقاط مراكز تجارية ، لتوافر الأسواق التي سوف

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٥٨ ؛ المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٦٧.

(٢) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٢٠-٤٢٢.

(٣) انظر الفصل الأول من الرسالة ، ص

(٤) أبو حوقل ، صورة الأرض ، ص ٥١١ ؛ الإدريسي : المصدر السابق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، ص ٤٤٥ ؛ شيخ الربوة : المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٧٠.

نتحدث عنها لاحقاً على تلك الأنهار ، ومن هذه المراكز : فرغانة ،
وخجندة ، وبخارا ، وخوارزم ، حيث كان أهلها يقومون بنقل السلع
التجارية عبر سيحون على سفن^(١).

ثالثاً : الطرق البحرية :

١- الطريق البحري بحر الخزر :

الذي يصب فيه نهر أتل «الفولجا»^(٢). وهو ذلك الطريق البحري
الذي يربط إقليم خوارزم بمن جاوره من العناصر التركية المحيطة من
الشرق والشمال ، بالرغم من كونه من البحار المغلقة ، وإن كان نهر
الأتل هو المدخل الوحيد له ، ومنبعه من بلاد الروس شمالاً ويصب في
بحر الخزر حيث تقع عليه مدينه أتل التي سمي باسمها النهر^(٣).

ونجد أن سكان تلك المناطق التي يخترقها مجرى نهر الفولجا قد
نجحوا أخيراً في وضع تنظيم كامل قضاتهم في الدين ، بمعنى «وجود
جاليات عربية ويهودية ، ومسيحية هناك»^(٤). ثم استطاع التجار العرب
توثيق علاقتهم مع مناطق شمال بحر قزوين ، حيث شهدت عاصمة دولة
الخزر «أتل Atil-Atel» وصول سفنهم وقوافلهم ، فكانت نقطة الرحيل
من عندهم محملة ببضائعهم من ثغر أسترباد ، وبالنسبة للقوافل فقد كانت
نقطة الرحيل مدينة الحدود الجرجانية «Djad Janich» على بحر آرال

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٨٧ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ،
المجلد الأول ، ص ١٢١ ، المجلد الثاني ، ص ٣٤٧.

(٢) ف هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، مراجعة
وتقديم : عز الدين فودة ، عربة عن الفرنسية : أحمد محمد رضا : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م ، ج ١ ، ص ٥٣-٥٤.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٥٧ ، ٢٧٦.

(٤) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ ؛ هايد : المرجع
السابق ، ص ٦٤.

عاصمة خوارزم^(١). وإن كان هؤلاء لم يكتفوا فقط بالوصول إلى أثل ، بل استطاعوا أن يصعدوا نهر الفولجا حتى قلب روسيا طلباً للفراء والجلود^(٢).

٢ - الطريق البحري جنوب دولة خوارزم :

ويقصد به مياه الخليج الفارسي «الخليج العربي حالياً» وكذلك بحر الهند حيث يحده من الشرق بناحية التبر ، وهي من مواقع إقليم «مكران» إلى «عبادات» غرباً^(٣).

وعلى الرغم من تواجد الطرق البرية إلا أن سكان كل من سمرقند وخراسان يفضلون الطريق البحري على الرغم من طول مسافته عن سابقه ، حيث يركبون السفن في الخليج الفارسي حيث تستمر القوافل في نقل البضائع^(٤).

وتأكيداً للنقطة السابقة نجد أن انتشار الإسلام في الجانب الشرقي من الخليج الفارسي قد ساعد على تواجد شعب واحد متكامل من كل من الفرس الذين هم سكان الخليج الفارسي والعرب سكان السواحل واشتركهم في استعمال اللغة العربية كتابة مما يجعل من العسير التمييز بين العنصرين ، حيث كان من أسماء النواخذة الموجود ذكرها في كتاب عجائب الهند لبزرگ بن شهریار بأنها كافية لتدل على كون الغلبة للعنصر الفارسي أكثر من العنصر الآخر^(٥).

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ١٠١ ، ١٢٧.

(٢) ف هايد : المرجع السابق ، ص ٦٤.

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٣٣٤.

(٤) هايد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٣ ؛

Bernard Lewis : the Arabs in history, (London, 1950), p.87.

(٥) السيد محمد يوسف : علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور حتى القرن

٥٤ ، (مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٥٣م) ، مجلد ١٥ ، ص ٢٥.

٤ - الإجراءات الأمنية لتلك الطرق :

يقصد بتلك الإجراءات العمل على توفير الأمن والأمان للطرق التجارية في عمليات تنقل تلك القوافل والسفن ، سواء الزاهية أو الآتية محملة بالبضائع من الصادرات والواردات سواء عن طريق الطرق البرية أو البحرية ، وسواء كانت تجارة داخلية في مناطق ما وراء النهر مع بعضها البعض ، أو تجارة خارجية مع الصين والهند وخراسان والفلجاء ، حيث حمايتها من قطاع الطرق ولصوص القوافل ، فكان لديهم علم ودراية بمواعيد تلك القوافل سواء في الصيف أو الشتاء ، وكذلك القراصنة بالنسبة للطرق البحرية والنهرية ، وهم ما يطلق عليهم «قراصنة البحر».

ولكن الأمر لم يتوقف عند هؤلاء فقط ، بل هناك العناصر التركية غير المسلحة المتوطنة على سواحل الثغور الإسلامية ، والتي كانت من حين لآخر تغير على تلك المناطق وتجارتهم وقوافلهم ، وذلك لقربهم من مراكز تجارة تلك المناطق ، مثل : الجرجانية ، وبخارا ، وسمرقند.

ومن جراء كل ذلك كان لا بد من وجود تلك الإجراءات الأمنية المتمثلة في وضع حاميات مسلحة هدفها الأول والأخير هو حماية تلك الطرق وحراستها ، وكذلك حفظ الأمن والسلام حتى يتمكن التجار من المرور ومزاولة نشاطهم التجاري ، والعودة مرة ثانية دون خوف أو إرهاب^(١). وبالإضافة إلى ذلك فإننا نجد بعض المدن قد أعفيت من الخراج المقرر عليها مقابل حفظ الأمن والقيام بالإجراءات التي تقوم بها تلك الحاميات ، ومن تلك المناطق نجد منها «اسبيجاب» بها ما يقارب من سبعمائة رباط للمطوعة ، حيث بعض هذه الرباطات قد شيدها أهل المدن الكبرى ومنها من بناها أهل الخير من الأثرياء^(٢). وكذلك هرات فاراب ،

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد ٢ ، ص ٢٩٦.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٧٢-٢٧٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٩١.

وغيرها من المدن التي أعفيت من الخراج ، بل وشحنت بالسلح والمعونة من أجل ذلك^(١).

٥ - الأسواق وأنواعها :

الأسواق :

اشتهرت مدن خوارزم ، وكذلك مدن ما وراء النهر بكثرة أسواقها الدائمة وكذلك الأسبوعية والموسمية ، وذلك لأنه من الشئ البديهي في أيه مدينة من المدن تتوافر فيها المادة الخام سواء من ناحية الحاصلات الزراعية أو الثروة الحيوانية ، أن تعرض في الأسواق من أجل الحصول على سلعة أخرى تحتاج إليها «تبادل السلع» أو الحصول على النقد الذي تحتاج إليه ، لذا تعتبر أي سوق في المدينة مرآة تعكس الحالة الاقتصادية لها ، وكذلك نشاطها التجاري والصناعي بصفة عامة.

أنواعها :

ويمكن تقسيم الأسواق في المدن السابقة الذكر إلى ثلاثة أنواع :

١- الأسواق المدنية التي تتركز في المدن الكبرى.

٢- الأسواق الريفية.

٣- الأسواق المشهورة بسلعة معينة أو موسمية.

أولاً : الأسواق المدنية :

يذكر عبد العزيز الدوري أن المدن - بصفة عامة - تمثل أسواقاً لما يحيطها من القرى ، أي أنها مخازن لإنتاجها ، وكذلك مراكز تبيع لها ما تحتاج إليه من المواد ، وبالتالي يحرص القرويون على الحضور لتلك الأسواق الكبيرة التي كانت تعقد في أيام معينة من الأسبوع^(٢).

ومن خلال ما سبق ذكره في الفصل الأول نذكر أنه قلما تخلو قرية من وجود سوق بها ، وخاصة في إقليم خوارزم^(٣). وعلى الأخص

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ١٧٩.

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٥٨ ، ٢٦٣ ؛ عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن ٥٤ ، ص ١٣٣.

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد ٢ ، ص ٤٨٢.

في مدنه الكبرى التي يأتي إليها التجار من أنحاء عدة من خراسان ، وذلك لعدة أسباب ، منها : الموقع الجغرافي الممتاز لتلك المدن والإقليم ، وكذلك أهميتها التجارية ، وسهولة مواصلاتها ، وتوفر الطرق سواء أكانت داخلية أم خارجية.

وعلى رأس الأسواق المدنية : أسواق مدينة الجرجانية التي كانت من العناصر المعمارية الأساسية بها كما سبق وأشرنا من قبل ، ولقد تحدث ابن بطوطة عن تلك الأسواق واستمرارها حتى زمنه مع تعرضها لبعض التطور والتغيير الطبيعي بمرور الوقت ، وذلك أثناء وصفه لمدينة خوارزم في رحلته ذكراً «أنها أكبر مدن الأتراك ، وأعظمها وأجملها وأضخمها ، وبها أسواق مليحة ، حيث قال : «لقد ركبت بها يوماً ودخلت السوق فلما توسطته وبلغت منتهى الزحام في موضع يقال له «الشور» لم استطع أن أجوز ذلك لكثرة الزحام ، وكانت هذه السوق يخف زحامها يوم الجمعة وذلك لأنهم يسدون سوق القيسارية وغيره من الأسواق»^(١).

وكذلك أسواق «مدينة كاث» التي تميزت بسواد العدل والأمن بها^(٢). ومدينة «جكربند» حيث وصف سوقها بكونه كبيراً وعمامراً بالخيرات الكثيرة^(٣). ومدينة «نوزوار» التي تميزت بوجود عدة أسواق بها^(٤). ومدينة «براتكين» التي لها سوق عامر بنى من الطين اللبن الجيد^(٥).

(١) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص ٣٧٣ ؛ عبد الهادي التازي : مع ابن بطوطة من البحر الأسود إلى نهر جيحون ، (مجلة المناهل ، ١٣٩٥/٥١٩٧٥م) ، العدد الثاني ، ص ٨١.

(٢) على أكبر دهمدا : لغت نامه ، ص ٨٠٠.

(٣) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ٣٠٤.

(٤) المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ، ص ٤٩٤.

(٥) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٠٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٢٥٢.

ومن تلك الأسواق : سوق مدينة «بومجكث» من مدن بخارا ،
والتي امتازت بالسعة^(١). وكذلك مدينة الطواويس التي يوجد بها سوق
ومجمع كبير يأتي إليه الناس والتجار من أقطار مختلفة من أرض
خراسان ، ويعقد عدة مرات في العام وتبلغ مدته عشرة أيام^(٢). وكذلك
مدينة «ورخشة» التي تميزت بكثرة الأسواق بها فهناك سوق يعقد كل
خمسة عشر يوماً ، وسوق آخر يعقد آخر العام ويستمر عشرة أيام
تقريباً^(٣).

وكان لتلك الأسواق مكانتها فهي تمتاز بتجارها الواسعة ، وطول
فترتها ومجيء التجار إليها من نواح عديدة ومختلفة من أجل التبادل
التجاري ، فمن الملاحظ على تلك الأسواق وقوع معظمها - أن لم يكن
أغلبها - في الربض.
ثانياً : الأسواق الريفية :

إن جاز لنا التعبير أن نطلق على تلك الأسواق بكونها مجرد تجمع
بشري صغير في إحدى القرى لا يفي باحتياجاتها بشكل كامل ، لذا فهي
لا تصل في ازدهارها وكذلك نشاطها التجاري إلى ما وصلت إليه
الأسواق في المدن ، وكما سبق وأشرنا أثناء الحديث في الفصل الأول
عن قرى خوارزم عن عدم خلو أية قرية من قراها من وجود سوق أو
تجمع بشري بها يفي بأغراضهم إلى حد ما.

(١) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٠.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣١٣ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ،
ص ٤٨٩ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الأول ،
ص ٤٩٥.

(٣) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣١١.

ثالثاً : الأسواق الموسمية :

أو التي تخصصت في تجارة نوع معين من السلع منها : تلك الأسواق التي تركزت في مدينة الجرجانية وتخصصت في تجارة الأغنام ووبرها^(١). وكذلك أسواق أخرى لبيع منتجات الدواب والماشية بها مثل : الجبن واللبن^(٢). وكذلك سوق مدينة بخارى التي تحدث عنها النرشخي ، وهو سوق «بازارماخ» أي سوق ماخ ولقد ظل يعقد حتى عهد النرشخي ، وهو أقدم أسواق بخارى يعقد مرتين في العام ، ومدته أكثر من يوم ، ويقام بالقرب من مسجد ماخ ، ومن المرجح أن اسمه مأخوذ من أحد ملوك بخارى ويدعى ماخ^(٣). وكان من سلعة الأصنام حيث عبادة الأصنام ، تلك العادة القديمة التي كان يسير عليها البخاريون ، لذا بنى الناس في هذا السوق بيت نار للعبادة ، ولقد ظل هذا المعبد قائماً حتى دخل الإسلام ثم تحول إلى مسجد^(٤). وكان موقعة في الحي الجنوبي الشرقي من المدينة حيث سمي باسم السوق ، فكانت تلك التجارة وحدها تدر دخلاً واسع النطاق ، ولقد ظل حتى بعد اختفاء الأصنام ، وعرفت المنطقة بحي جامع ماخ^(٥).

وهناك أيضاً أسواق في مدينة «ورخشة» والتي تخصصت في سلع وبضائع معينة^(٦). وكذلك «اسبيجاب» حيث وجدت أغلب أسواقها في

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٥٣.

(٢) القلقشندی : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، ص ٤٧١ ؛ محمد علي

حيدر : المرجع السابق ، ص ١٨٥.

(٣) النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ٤٠ ، ٤٤ ؛ طه ندا : بخارى ، ص ٥٦.

(٤) النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ٢٥.

(٥) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ١٠٧.

(٦) عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن ٥٤ ، ص ١٢٨.

الربض ، وهناك بعض الأسواق التي اشتهرت بالأنسجة القطنية وخاصة «سوق الكرابيس»^(١).

ولقد كانت كل طائفة من التجار في قسم معين من هذه الأسواق يمكنون إلى ما بعد الظهر ، ثم يأكلون في أحد المطابخ أو يحضرون شيئاً من طعامهم إلى دكاكينهم ، ولا يذهبون إلى بيوتهم إلا في المساء ، ولقد استلزم الأمر في المشرق جمع الدكاكين صفوفاً في مكان واحد^(٢). وكان يطلق على الفنادق في ما وراء النهر «تيماء» والدكان الواحد يطلق عليه مخزناً^(٣).

(١) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٣٣٣ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥١٠ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، المجلد الثاني ، ص ٧٠٥.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٤٣٤ ؛ آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ٢ ، ص ٣٢٥-٣٢٦ ؛ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٤٢.

(٣) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ٣٢٧ ، حاشية (١).

الباب الثاني

التطور السياسي والتاريخي

لإقليم خوارزم

«٢٠٥ - ٦١٧ هـ / ٨٢٠ - ١٢١٩ م»

الفصل الأول

**التاريخ السياسي لإقليم خوارزم
وبداية قيام دولة شاهات خوارزم**

«٢٠٥ - ٥٥٥١ هـ / ٨٢٠ - ١١٥٦ م»

محتويات الفصل

- ١- أثر الموقع الجغرافي والمقومات السابقة على تطور إقليم خوارزم
- ٢- أوضاع إقليم خوارزم قبل قيام الأسرة المأمونية
«٢٠٦ - ٢٣٨٥ هـ / ٨٢٠ - ٩٩٥ م»
- ٣- الكيانات السياسية شبة المستقلة في إقليم خوارزم.
 - أ - الأسرة الأولى «المأمونية» في خوارزم
«٣٨٥ - ٤٤٠ هـ / ٩٩٥ - ١٠١٧ م».
 - ب- الأسرة الثانية «الكتوننتاشية» في خوارزم
«٤٠٨ - ٤٤٢ هـ / ١٠١٧ - ١٠٢٧ م»
- ٤- تولية شاه ملك إقليم خوارزم وانتهاء حكم الأسرة الثانية
«٤٢٩ - ٤٣٤ هـ / ١٠٢٧ - ١٠٤٢ م»
- ٥- خوارزم وتبعيةها للسلاجقة «٤٣٤ - ٥٥١ هـ / ١٠٤٢ - ١١٥٦ م»
- ٦- بداية قيام دولة شاهات خوارزم «٤٧٠ - ٥٥١ هـ / ١٠٧٧ - ١١٥٦ م»
 - أ - مؤسس الدولة أنوشتكين غرجة
«٤٧٠ - ٤٩٠ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٩٧ م»
 - ب- قطب الدين محمد بن أنوشتكين خوارزمشاه
«٤٩٠ - ٥١٢ هـ / ١٠٩٧ - ١١٢٧ م»
 - ج- جلال الدين أتمز بن محمد خوارزم شاه
«٥٢١ - ٥٥١ هـ / ١١٢٧ - ١١٥٦ م»
 - د- الأمير أتمز خوارزمشاه وعلاقته بالسلطان سنجر السلجوقي.

الفصل الأول

التاريخ السياسي لإقليم خوارزم وبداية قيام

دولة شاهات خوارزم

١ - أثر الموقع الجغرافي والمقومات السابقة على تطور إقليم خوارزم :

تناولنا في الباب الأول من البحث إقليم خوارزم وما تميز به من موقع جغرافي ممتاز بالرغم من مناخه شديد البرودة ، بالإضافة إلى عاصمتي الإقليم وهما : كاث والجرجانية ، ومدى أهميتها السياسية والتجارية ، وما أحدثته تلك الطبيعة من رخاء وازدهار اقتصادي أدى إلى أحداث تجانس إلى حد ما بين سكان ذلك الإقليم من فرس وترك وعرب^(١). على الرغم من أن المصادر لم تعط العرب حقهم من الحديث ، وخاصة في خوارزم ، فانه وكما سبق وأن رجحنا فإن مجيء العرب كان مع القواد الفاتحين الذين يصطحبون معهم عائلاتهم ، وخاصة بعد استقرار الأحوال.

ثم تمكن العرب من إقامة حكومة عربية في كاث في الوقت الذي وجدت فيها أسرة فارسية ترجع أصولها إلى كيخسرو الفارسي ، حيث لقب أميرها بلقب خورازمشاه.

ونكرنا ذلك النظام الذي اتبعته الدولة العباسية مع تلك الإمارات المترامية الأطراف ، والتي تختلف في نظامها عن نظام الدولة الأموية ، والذي تمثل في تولية أسر أرستقراطية تتولى أمر الإمارات التابعة لها إدارياً وسياسياً ويكون حكمها وراثياً بدلاً من الولاية المتعاقبين وراء بعضهم بعضاً ، وتحول تلك الأسر بتبعيتها من المركزية إلى الاسمية^(٢).

(١) محمد فريد وجدى : دائرة المعارف ، القرن ١٤هـ / ٢٠م ، الطبعة الثانية ،

١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م ، ج ٣ ، ص ٧٩٤ ؛ هند حسين عطية : الأدب العربي في إقليم

خوارزم منذ الفتح العربي ٩٣هـ حتى سقوط الدولة الخوارزمية ٦٢٨هـ ، ص ٥٤.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٣٢٠.

٢ - أوضاع إقليم خوارزم قبل قيام الأسرة المأمونية «٢٠٦ - ٢٨٥ هـ / ٨٢٠ - ٩٩٥ م»

من الأسر التابعة للدولة العباسية ، هي الأسرة الطاهرية^(١). التي حرصت منذ ظهورها على وضع خطة محكمة متمثلة في فرض إدارتها على الأقاليم في المشرق ، وعلى رأسها إقليم خوارزم.

فكان من ولاية الطاهريين عليها «طلحة بن عبدالله بن طاهر» ابن أخي عبدالله ابن طاهر ، والذي ذكر قائلاً : «أن حكم الطاهرية يتمثل باجلى بيان في ابن أخيه منصور بن طلحة والى مرو وآمل وخوارزم ، وذلك عام ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م^(٢). وكذلك «حسين بن طاهر» الوالى الثانى على خوارزم عام ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م^(٣). وأيضاً «أحمد بن محمد بن طاهر» عام ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م^(٤).

(١) إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٤ ؛ فيذكر أن الطاهريين ينسبون إلى رجل يدعى مصعب بن رزيق «من سكان فوشنج بهراه» قدم جدهم في ولاية أحد أشراف العرب من قبيلة خزاعة ، لذا سمو بالخزاعيين إلى جانب ادعائهم أنهم من نسل رستم بطل الشاهنامه ، وهى أول أسرة إيرانية بعد الإسلام ، ومن ولاتها طاهر بن الحسين «٢٠٦ - ٢٨٥ هـ / ٨٢١ - ٨٢٢ م» ؛ جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، ج ٤ ، ص ١٧٣ ؛ فتحي أبو يوسف : خراسان تاريخها السياسى والحضارى من سقوط الحكم الطاهرى إلى بداية الحكم الغزنوى ، (القاهرة ، ١٩٩٤ / ١٩٩٥ م) ، ص ١٩٣ ؛

S. Lane - Poole : the Mohammadn Dynastie, «n.p., n.d», p.129.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٧ ، ص ١١٨ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٥ ، ص ٤٥.

R.N. Frye : the Cambridge history of Aran «the reriad from the Arab in Vasion to the Saljuq»; (n.p., 1976), volum4, p.105.

(٣) النرشخى : تاريخ بخارى ، ص ١١٣ ؛ أرمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ٩٤.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٠٢ ؛ زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى ، ص ٣١٦.

ولكن ما لبث أن دبّ الضعف في أمراء تلك الأسرة فلم يستطيعوا مقاومة أمراء الدولة الصفارية الذين قضوا على نفوذهم في خراسان عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م ، بل تمكنوا كذلك من ضم أقاليم فارس ، وسجستان ، وكرمان ، وأصفهان ، والهند وامتدت رغبتهم لضم ما وراء النهر وإقليم خوارزم لممتلكاتهم.

وترتب على ذلك أن تولى السامانيون^(١). أمر منطقة ما وراء النهر بناء على منشور من الخليفة العباسي المعتمد بالله ، وسلمت مقاليد الأمور إلى نصر بن أحمد الساماني ، وصارت خوارزم تابعة له ، وكان عليها والٍ تابع لهم ، وهو «محمد بن جنيد» الذي ظل بها بعد وفاته ،

(١) السامانيون : يرجعون إلى سامان خداه بن جثمان بن طمغات بن نوشرد بن بهرام جوبين بن بهرام خشنش اعتنق كبيرهم الإسلام على عهد أسد بن عبدالله القسري لخراسان ، لذا سمي ابنه أسد ، وظل أبناء سامان وهم نوح ، أحمد ، إلياس ، يحيى في أعمالهم حتى بعد تولى الطاهريين لشئونهم ، وكان لأحمد سبعة منهم نصر الذي أعطيت له ولاية ما وراء النهر ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٧٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الثالث ، ص ٧١٣ ؛ إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص ١٣٣ ؛ جرجي زيدان : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٣ ؛ فليب حتى ، إدوارد جرجي ، جبرائيل جبور : تاريخ العرب مطول ، (دار الكشف للطباعة والتوزيع ، ١٩٥٠م) ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ ؛ فامبري : المرجع السابق ، ص ٩٥ ؛ محمد بن خاوندشاه «ميرخواند» : روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء ، تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية الملاحدة ؛ ترجمه عن الفارسية وعلق عليه وقد له : أحمد عبد القادر الشاذلي ، راجعة وقدم له : السباعي محمد السباعي : الدار المصرية للكتابة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ٨٠ ، ٨٧ ؛ أستاذ خليلي ، سلطان عزنويال : (د.م. د.ت) ، ص ٢٩ ، ٤٣ ؛

ويليه الوالي الثاني «أبو سعيد الدرغاني» ومقره في مدينة الجرجانية من قبل الأمير إسماعيل الساماني الذي تولى أمر تلك المناطق وعاصمته بخارا بالإضافة إلى حصوله على الصفة الشرعية لتلك المناطق بحصوله على تقليد من قبل الخليفة العباسي المعتضد بالله ، وصارت خوارزم تابعة له ، وخاصة بعد هزيمته لعمر بن الليث^(١).

وظل إقليم خوارزم تابعا لهم حتى عهد الأمير نوح بن منصور الساماني عام «٣٦٦-٢٨٧هـ/٩٧٦-٩٩٧م»^(٢). وأثناء تبعية هؤلاء كانت توجد أسرتان محليتان في خوارزم ، أحدهما في مدينة كاث وأميرها الملقب خوارزمشاه وهو «أبو عبدالله محمد بن محمد بن عراق» والأخرى في الشمال حيث مدينة الجرجانية والأمير «مأمون بن محمد»^(٣). والصراع القائم بينهما وأسبابه سواء أكانت أسباباً داخلية تتمثل في : الطمع والرغبة في السيطرة والنفوذ ، ومحاولة كل واحد منهما إقامة وحدة سياسية وتكوين سياسي يشمل الإقليم بشكل عام دون تجزأته ما بين

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٢٨١ ؛ فامبري : المرجع السابق ،

ص ٩٨ ؛ محمد أحمد الحوفي : الزمخشري ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

ط ٢ ، د.م) ، ص ٩ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٨٣ ؛

John Malcolm, K.C.B., K.L.S., " the history of Persia from the most early period to the present time, (London, 1815), vol. I, p.295; R.N. Frye : op.cit., p.138.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٦٧١ ؛ محمد دبیر سियाقي : سلطان

جلال الدين خوارزمشاه ، ص ٧٥.

(٣) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، (دار

المعارف ، القاهرة ، د.ت) ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ؛ إدوارد جرانفيل براون : تاريخ

الأدب في إيران ، نقلة للعربية : إبراهيم أمين الشواربي : (مطبعة السعادة ،

القاهرة ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) ، ج ١ ، ص ٢٠٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ،

ص ٣٦٣ ؛ حبيب الله شالموني : تاريخ إيران از ماد تا پهلوی ، د.م ، د.ت ،

ص ٤٣٠ ؛ Ibid, p.138.

الشمال والجنوب ، أم كانت أسباباً خارجية : تتمثل في الظروف المحيطة بهم ، والتي عجلت بالقضاء على تلك الأسرة في الجنوب.

ومن خلال ما تقدم نلاحظ حسن العلاقات بين الأميرين والأمير الساماني وخاصة بعد تقديمهم المساعدة له بعد عبوره لنهر جيحون ، وبعد تغلبه على بغراخان التركي^(١). وكانت مكافأتهما على ذلك هي إقطاع كل واحد منهما بلدة ، فصارت مدينة نسا من نصيب الأمير مأمون بن محمد ، وأبيورد إلى «أبي عبدالله محمد خوارزمشاه» ومن هنا جاء الخلاف ، وعند استلام أبي عبدالله لمدينته اعترض على ذلك «أبو علي بن أبي سيمجور» الذي تولى أمر خراسان مكان أبيه في عهد نوح بن منصور الساماني «٣٦٦-٣٨٧هـ/٩٧٦-٩٧٧م» ، وذلك لكون أبيورد تعتبر إقطاعاً لأخيه ، ولن يعوضه عنها الديوان الأعلى ، وتلى ذلك عبور أبي علي لنهر جيحون بعد أن أرسل الأمير نوح للأمير مأمون بن محمد ليحسن استقباله ، قائلاً : «أن يكرم أبو علي ، ويعد له ما يحتاج إليه تبعاً لمقتضى رأينا في هذا الشأن» ، فأرسل إليه يعتذر عن استقباله ذاكراً «بأنه سوف يصل لخدمته غداً» ، ولقد انتهز أبو عبدالله خوارزمشاه تلك الفرصة ليرد على أهانة أبي علي لرفضه تسليم مدينته أبيورد له ، لذا قبض عليه وأحضر إليه ، ووضع في قصر من القصور ، ولم ينج من خاصته سوى حاجة «إيملنكو» الذي فر هارباً إلى الجرجانية^(٢).

(١) بغراخان : من المرجح أنه أخو إيلك خان ، وفي عام ٣٨٣هـ/٩٩٣م ، اقبل بغراخان الذي كان له ممالك الترك من أجل الاستيلاء على بخارا ؛ الحسين بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي الكاتب : الجزء الثامن من تاريخ أبي الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي الكاتب ، (القاهرة ، ١٣٣٧هـ/١٩٨٩م) ، ج ٨ ، ص ٣٧٢.

(٢) أحمد بن علي بن عمر بن صالح بن أحمد بن سليمان بن إدريس المنيني : تاريخ العتبي ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، ٢٢٢-٢٢٤ ؛ محمد دبير سياتي : سيرة السلطان - جلال الدين منكبرتي ، ص ٧٥ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ١٠٧ ؛ -

وكانت فعلة أبي عبدالله تلك فرصة أخرى للأمير الجنوب تجعل له الحق في التخلص منه بحجة الطاعة وتنفيذ أوامر الأمير نوح الساماني ، لذا اعد العدة وجعل على رأس فرقته الحاجب إيملنكو ، وهاجم مدينة كاث ووفق في هجومه واصر أبا عبدالله خوارزمشاه ، وتخلص أبو علي من أسره ، واتجهوا بهم إلى الجرجانية ، وتخلص من أبي عبدالله بقطع رأسه في مجلسه ، واستطاع بذلك ضم إمارة الشمال «كاث» إلى إمارة الجنوب وحدث لأول مرة في إقليم خوارزم أول كيان سياسي مستقل فيها^(١).

= حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي قزويني : تاريخ كزیده ، دار

السلطنة ، لندن ، ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، المجلد الأول ، ص ٣٨٨-٣٨٩ ؛

Ibrahim Kafeso : A short history of Turkish Islamic state excluding the ottomen state, p.158.

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٠٨ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان

المبتدأ والخبر ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٧٦٤ ؛ بارتولد : تركستان

من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٣٦٩ ؛ أحمد السعيد سليمان ،

المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة

الخوارزمية ، (القاهرة ، ١٣٠٨هـ / ١٩٨٧م) ، ص ٢٧ ؛ فامبري : المرجع

السابق ، ص ١٢٢ ؛ إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص ١٧٥ ، ١٧٦

؛ براون : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٨ ؛ نظامي عروضي السمرقندي :

جهاز مقالة «المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطلب» ، نقلة للعربية

: عبد الوهاب عزام ، ويحيى الخشاب : (ط ١ ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م) ،

ص ١٦٩ ؛ حبيب الله شالموني : تاريخ إيران از ماد تا بهلوی ، ص ٤٣١ ؛ محمد

دبير سياقي : المرجع السابق ، ص ٧٥-٧٦ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ،

ص ١٠٧-١٠٨ ؛ الكريزي : زين الأخبار ، ص ٢٧٤-٢٧٥ ؛

.R.F. Frye : op.cit, p.174

٣- الكيانات السياسية شبه المستقلة في إقليم خوارزم :

أ- الأسرة الأولى «المأمونية» في خوارزم «٢٨٥ - ٤٠٨/٩٩٥ - ١٠١٧م»^(١):

بقضاء مأمون بن محمد على آخر أمراء الجنوب «أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عراق خوارزمشاه» الذي لقبه البيروني بالشهيد ، والذي كان له الفضل في إحكام زمام الأمور في ذلك الإقليم ، وخاصة في القرن الرابع الهجري في عهد أحد أفراد تلك الأسرة وهو «أبو سعيد أحمد بن محمد بن عراق خوارزمشاه» الذي وفد إليه ابن فضلان على رأس وفد من الخليفة المعتضد بالله إلى ملك الصقالبة عام «٣٠٩/٩٢١م»^(٢). قامت الأسرة الأولى في خوارزم وأمرائها على النحو التالي :

١- مأمون بن محمد خوارزمشاه «٣٨٥ - ٣٨٧/٩٩٥ - ٩٩٧م» :

ويعد مأمون المؤسس الحقيقي لتلك الأسرة الأولى أو الإمارة ، وذلك بعد قضاؤه على أمير الشمال ، وتملك مدينته ، وكذلك لقبه خوارزمشاه ، واستمرار ذلك اللقب فيما بعد ذلك الإقليم حتى قضى المغول عليهم.

(1) Ibrahim : op.cit. p.153; H.A.R. Gibb : Mohammedanism Historical Survey, (London, n.d.), p.107.

(٢) براون : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ ؛ زامباور : المرجع السابق ، ص ٣١٦ ، ولقد ادمج أمراء الجنوب خوارزمشاه مع الأسرة المأمونية ، وهما : ١- أبو سعيد أحمد بن محمد ٤٠/٩٣٤م ، ٢- أبو عبدالله محمد بن أحمد «ولم يذكر أمامه تاريخاً» ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٤٣١ ؛ أبو عمر منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين بن عمر «قاضي منهاج سراج» : طبقات ناصري ، (د.م ، ١٣٤٢هـ) ، المجلد الأول ، ص ٢٣٢ ؛ ولقد أضاف على زامباور ذكر اسم محمد ووضع أمامه تاريخ ٣٠٠هـ ، ثم ذكر أبا سعيد الذي صك باسمه عملة عام ٣٦٦هـ ؛ الكريزي : زين الأخبار ، ص ٢٩٣ ؛ نظامي عروضي السمرقندي : المرجع السابق ، ص ١٦٨-١٦٩.

وهو عظيم الهمة ، استطاع إلى حد ما توحيد تلك الإمارة ، والذي ظل رغم استقلاله الذاتي تابعاً ، ويرجع ذلك إلى طبيعتها الجغرافية ، وخاصة عزلتها ، وكان من أهم الصفات المميزة لهذا الاستقلال هو قصر مدته ، فمجرد التفكير في الاستقلال ما تلبث أن تعود الإمارة للتبعية مرة أخرى ، وهذا ما سوف يحدث مع تلك الأسرة^(١). وصارت الجرجانية عاصمة لهم ، والتي اشتهرت بمسجدها وقصر خوارزمشاه الذي بناه عند باب الحجاج^(٢). وإن كان لم يستمر حكمه سوي عامين فقط^(٣).

٢ - «أبو الحسن» علي بن مأمون بن محمد خوارزمشاه «٣٨٧ - ٥٣٩٠/٩٩٧ - ٩٩٩م» : خلف والده في حكم تلك الأسرة ، بعد مبايعته من أصحابه ، وظل بها حتى وفاته^(٤). ومن أهم الأحداث التي تمت في عهده رغبته وطلبه في

(١) نظامي عروضي السمرقندي : المرجع السابق ، ص ١٦٨ ؛ عفاف صبرة :

المرجع السابق ، ص ٢٦ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٤٣ ؛

R.N. Frye : the Cambridge History of Aran, p.124.

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٢٨٨ ؛ بارتولد : المرجع

السابق ، ص ٢٥٣ ؛ علي الشابي : الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ،

ص ٢٥٧.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٣٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،

المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٧٧٦ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق

، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ؛ إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٧٦

؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ٩ ، ص ٩.

(٤) المنيني : تاريخ العتبي ج ٢ ، ص ٢٥١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء

الزمان ، ج ٢ ، ص ١٥٩ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٧٨ ؛ ابن

خلدون : المصدر السابق ، ص ٧٩٥ ؛ نظامي عروضي السمرقندي : جهار

مقالة ، ص ١٦٩ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ،

ص ٤٠٧ ؛ فذكر أن مدة حكم علي بن مأمون منذ عام ٣٨٧-٥٣٩٩/٩٩٧-

١٠٠٩م ، ونهايته على يد جنده الذين تواطؤوا مع السامانيين وقتلوه =

ود ومصاهرة السلطان محمود الغزنوي من احدي أخوته ، فزوجه إياها ، وصاروا يداً واحدة حتى وفاته دون نزاع^(١). ومن وزرائه «أبو الحسين السهلي» وظل في عمله في الوزارة من بعد لأخيه أبي العباس^(٢).

٣ - أبو العباس مأمون بن مأمون خوارزمشاه «٣٩٠ - ٤٠٧/٩٩٩ - ١٠١٦م» :

استطاع أبو العباس الحصول على السمة الشرعية في ولاية خوارزم ، وذلك عندما أرسل أمير المؤمنين القادر بالله وفترة حكمه «٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٠م» إلى أبي العباس مأمون بن مأمون خلعة مع العهد واللواء ، ولقب كذلك بيمين الدولة وزين الملة ، ويدل ذلك على حسن العلاقة بين الإمارة والخلافة العباسية في بغداد ، فكانت تعاملاتهم مثل أمراء الدول المستقلة وسلطينها في الشرق^(٣).

ولقد اتصف هذا الأمير بالعديد من الصفات التي ذكرها البيهقي ، فهو رجل فاضل ، وشهم ، نشيط ، يتحلى بالأخلاق الفاضلة وخاصة عفه اللسان ، إلى جانب علاقته الطيبة مع من يجاوره من الملوك والسلطين وخاصة السلطان محمود الغزنوي ، وقد أكد ذلك البيروني في كتابه «المسامرة في أخبار خوارزم» ، والذي كان في خدمته ما يقارب من سبع سنوات بأنه لم يسمع منه قط لفظاً نابياً سوى كلمة «كلب» لا يتلفظ بها إلا وهو في شدة غيظه.

= عام ٣٩٩هـ/١٠٠٩م ؛ خليل أدهم : دول إسلامية ، (استانبول ، ١٩٢٧م) ،

ص ٣٥٧ ؛ R.N. Frye : the Cambridge History of Iran, p.174.

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٣٢ ؛ المنيني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤١٥.

(٢) نظامي عروضي السمرقندي : المرجع السابق ، ص ١٦٩ ؛ هند حسين عطية :

الأدب العربي في إقليم خوارزم ، ص ٨١ ، ٣٠٧.

(٣) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٣٥.

هذا ومن عاداته في بلاطه ، وفي مجلس شرابه مع صفوة الأولياء والحشم ، وكذلك أبناء الأمراء من السامانيين ، وأيضاً الرسل الآتية من جهات أخرى ، أن يهب واقفاً متناولاً الكأس الثالث شارباً نخب وذكرى السلطان محمود الغزنوي ، ثم يجلس ، ويأتي بعده الدور على كل الحاضرين ، فيشير إليهم واحداً واحداً ، حيث يقبلون الأرض ، ثم يشربون الكأس ، ويأمرهم بالجلوس ، وبعد تلك المراسيم ، يوزع عليهم الخلع وهي : (حصان ، وكسوة ، وكيس به عشرة آلاف درهم) ، إلى جانب نصيب السلطان محمود الغزنوي خوفاً من بطشة ، وحرصاً على بقاء الود بينهما^(١). وخاصة بعد أن تمت المصاهرة بينهما ، ففي عام ٤٠٦هـ / ١٠١٥-١٠١٦م « أرسل أبو العباس رسولاً للسلطان محمود طالباً منه مصاهرته في أخته وتدعى «كالجي بنت سبكتكين - Harra Yikalji» وتمت الموافقة^(٢). وكذلك حرص هذا الأمير على إرسال البيروني ورسوله لينتظر رسول الخليفة العباسي المقتدر بالله عند منتصف الطريق إلى الصحراء لاستلام الخلع المرسل من قبل الخليفة مع الحاجب حسين سالار ، وكذلك لقب محمود الغزنوي كل ذلك يوضح حسن علاقة الود والتعاون بينهما^(٣).

-
- (١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٣٤-٧٣٥ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤١٥ ؛ هند حسين عطية : المرجع السابق ، ص ٥٧.
- (٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٣٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٣٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٧٩٥ ؛ المنيني : تاريخ العتبي ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤١٥ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص ٢٧ ؛ الكريزي : زين الأخبار ، ص ٢٩٣.
- (٣) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٣٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤١٥.

• ضم إمارة خوارزم للدولة الغزنوية :

ثم تبدلت علاقات الود التي كانت بينهما إلى صراعات ونزاعات على إثرها فقدت إمارة خوارزم استقلالها ، وصارت تابعة للدولة الغزنوية.

الدوافع والأسباب وراء ذلك :

١- رسالة السلطان محمود الغزنوي للأمير أبي العباس بغرض إرسال رسول ليحضر مع رسوله الاتفاق بينه وبين الخانيين ، ويدل ذلك على ثقة السلطان في صهره ، وإن كنت أرجح أن ذلك من أجل إلقاء الرهبة والرعب في قلب خوارزمشاه ، والتمهيد لطلب أكثر أهمية ، وهو ما سوف نذكره فيما بعد وكان رد فعل خوارزمشاه بالنسبة لذلك هو الرفض قائلاً على لسان رسوله : «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» مبرراً أنه من خاصة السلطان ، وليس له صلة بالخانيين ، وإن كان لوزيره رأي آخر وهو الموافقة من أجل توثيق العلاقات الودية والصداقة بين الأمير الخوارزمي وبين خانات تركستان ، وكذلك السلطان الغزنوي لكي يأمن جانب الطرفين إذا ما قامت المعركة ، ولكن برفضه هذا غضب السلطان الغزنوي على صهره أبي العباس.

٢- رسالة من وزير السلطان الغزنوي «أبي القاسم أحمد بن الحسن الميمندي» تطالب بذكر اسم السلطان محمود بجانب اسم الأمير الخوارزمي ، وذلك يعنى تخلى الولاية عن استقلالها وتبعيتها للغزنويين^(١).

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٣٧-٧٣٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٧٩٥ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ٤٩ ؛ المنيني : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ؛ -

ولقد وافق الأمير الخوارزمي على الفور ، وذلك لخوفه من القوة العسكرية للغزنويين ، التي تفوق قواته بكثير قائلاً : «إن جيشي ماذا يكون فالعدو شديد البأس ، قوى الشكيمة ، عنده الوافر من الآلات والعدد ، وعنده جند من كل صنف ولو أن جيشه هزم مائة مرة لعاد من هزائمه أقوى مني ، ولو هزم منا مرة واحدة - والعياذ بالله - لتغير حالنا» ، لذا تجاهل الأمير الخوارزمي رأي أبي الريحان البيروني الذي نصحه بتجاهل ذلك ، لكونه اقتراحاً من وزير السلطان الغزنوي.

وان كان رأي أبي العباس مخالفاً لذلك حيث تأكد من أن منبع الفكرة من السلطان الغزنوي ، لذا خاف وخشي من إكراهه على ذلك ، فأرسل يعقوب الجندی رسولاً للسلطان الغزنوي في شأن الخطبة ولكنه فشل في إتمام مهمته وتهدة الأمور ، بل ساعد على إشعال نار الفتنة بإرساله رسالة باللغة الخوارزمية ، عثر عليها السلطان الغزنوي ، ووجد فيها من الغلط والمبالغة ، فاستشاط غضباً وكان جزاء يعقوب هو تعليقه على المشنقة ورجمه بالحجارة.

ولقد زاد من حدة الموقف أخباره لأعيان إمارته ورعاياه بأمر الخطبة للسلطان الغزنوي^(١). فثاروا عليه ، وما أن علم السلطان الغزنوي

= بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤١٥-٤١٦ ؛
نظامي عروضي السمرقندي : جهاز مقالة ، ص ١٧٠ ؛ خليل أدهم : المرجع السابق ، ص ٢٥٧.

(١) البيهقي : : المصدر السابق ، ص ٧٣٨-٧٣٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٧٩٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٤٩ ؛ المنيني : تاريخ العتبي ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ ، ذاكراً رد فعل رعاياه من أعيان أشياعه وأتباعه حيث اظهروا نفاراً وأصروا واستكبروا استكباراً ، وقالوا : «نحن أتباعك وأطواعك فاسلم لك الملك عن الاشتراك ، فأما إذا وضعت خدك للطاعة وضعنا السيوف =

بذلك حتى أرسل رسالة تتضمن عدم رضائه عما بدر من رعايا الأمير في أمر خاص بملكهم واعتراضهم عليه ، وأنه على أهبة الاستعداد للاتجاه بجيشه من بلخ ، وعدته ١٠٠ ألف فارس ، و ٥٠٠ فيل للتوجه إلى خوارزم.

ومضمون الرسالة ثلاثة أمور :

- أ - أن تقرأ الخطبة باسمه طوعاً أو كرهاً.
 - ب- أو يرسل الهدايا التي تليق بهم ، مقابل إعادتها إليهم سرّاً فهم ليسوا في حاجة إليها موضحاً «أن ارض قلاعنا لتميد عن ثقل ما تحمل من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة».
 - ج - إرسال أعيان البلاد وأئمتها وفقهائها ليقدموا العذر ، ويطلبوا الصلح حتى يعود بالأعداد المهولة المجهزة لهم.
- وترتب على ذلك إعلان الخطة باسم السلطان محمود الغزنوي في كل من مدينتي نسا وفراوة ، وكذلك سائر البلاد ما عدا الجرجانية ، وإرسال «٨٣ ألف حصان» مع مشايخ البلاد قضاتها وأعيانها من أجل الاستقرار وعودة الأمور لنصابها الطبيعي^(١).
- وعلى الرغم من كل ما حدث إلا أن الثورة قامت في خوارزم بقيادة كبير حجابها وهو «البكتين البخاري» وكانت عدة جيشه ألف فارس

= على العواتق خلعا لك ، وتمليكاً عليك وجهاداً فيك» ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤١٦ ؛ إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٧٦ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ٦٦ ؛

R.N. Frye : The Cambridge History of Iran, volume 4, p.174.

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٤١-٧٤٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤١٦-٤١٧ ؛ محمد دبیر سیاقی : سلطان جلال الدین خوارزمشاه ، ص ٧٦.

، فقتل فيها الوزير وبعض مشايخ الدولة ، ثم حاصروا قصر خوارزمشاه ، وأشعلوا النار فيه ، وتعقبوه حتى قتلوه ، وذلك يوم الأربعاء منتصف شهر شوال عام ٤٠٧/هـ ٢٠ مارس ١٠١٦-١٠١٧م ، وتولى مكانه ابن أخيه الذي يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً^(١).

٤- أبو الحارث محمد بن علي بن مأمون بن محمد خوارزمشاه «٤٠٧-٤٠٨/هـ ١٠١٦-١٠١٧م»
نظراً لحدائث عمره صارت زمام الأمور ولمدة أربعة أشهر في يد حاجب الولاية «البتكين البخاري» ووزيره «أحمد طغات» وعاثوا في البلاد الفساد والنهب والسلب باسم أبي الحارث خوارزمشاه ، مما مهد السبيل لاتجاه السلطان الغزنوي لضم ولاية خوارزم والانتقام لصوره المقتول ، لهذا أرسل رسولاً إليه يطالبهم بأنهم إن كانوا لا يرغبون في الأخذ بالثأر للأمير الشهيد فعليهم ترك تلك الأسرة وإرسال الجناة وإعلان الخطبة باسمه ، فإن رضوا بذلك تظاهر الرسول بقبول الصلح ، وطالب بأخذ زوجة الأمير الراحل للسلطان الغزنوي محمود لتتشفع لهم ، وفي الوقت نفسه يعد السلطان الغزنوي العدة لحربهم وضم خوارزم له^(٢).

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٤٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٦٤ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٤٩ «حيث خالفهم ذاكراً أنه قد أجلسوا أولاده مكانه» ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٧٩٥ «ولقد ذكر أنه بعد قتلهم لأبي العباس بن مأمون خوارزمشاه قد بايعوا ابنه داود ، وليس ابن أخيه» ؛ النظامي العروضي السمرقندي : جهار مقالة ، ص ١٦٩ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤١٧ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص ٢٧ ؛ محمد دبیر سـیـاقي : المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛ R.N. Frye : op.cit., p.174

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٤٣-٧٤٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤١٧-٤١٨ ؛ حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ، ص ١٠١

حيث أرسل رسولاً إلى ختلان وقبازيان ليعدوا السفن من هناك ، أما أعيان خوارزم فقد أرسلوا ستة أشخاص اتهموهم بإراقة دم الأمير ، راغبين في شفاعته السلطان ، والعفو منه ، وما أن يتم ذلك حتى يعقدوا معه ميثاقاً وعهداً ويقدموا له ٢٠٠ ألف دينار و ٤ آلاف فارس ، وإن كانت الأمور قد تطورت للحرب عندما وجد استعدادهم لذلك ، وطلب منهم إرسال التبكين والآخرين رؤوس الأفاعي ، وكانت عدة خوارزم حينذاك ٥٠ ألف فارس وفي الوقت نفسه راسل السلطان الغزنوي كلاً من الخان والأيلك ، وأطلعهم على رغبته في ضم خوارزم ، والثار لصهره ، ولم يكن أمامهم سوى مناصرته ، بالرغم من إيمانهم بكونه سوف يكون شوكة عسرة في طريقهم.

وبدأت المعركة بتحريك السلطان من بلخ حتى وصل إلى مدينة «جكربند» بقائد جيشه «محمد بن إبراهيم الطائي» فخرج عليه قائد الجيش الخوارزمي «خمارتاش» وقتل قوماً من أقارب محمد الطائي^(١). وما إن وصل الخبر للسلطان الغزنوي حتى تقابل مع الثوار والقنلة وصارت الغلبة للغزنويين ، وأرسل من يتعقب خمارتاش واهلكوا جميع جيشه وكان عدد القتلى لا يحصى ، وفي اليوم التالي وصلوا إلى مدينه هزاراسب ، فأتي جيش آخر من خوارزم ، ودارت رحى الحرب ، وكانت الغلبة للمرة الثانية للغزنويين ، وأسر البتكين الحاجب قائدهم ، استولى السلطان محمود الغزنوي على خوارزم ، ودخل الجرجانية في «٥ صفر عام ٥٤٠٨ هـ / ٣ يوليو ١٠١٧م» وقضى على الثوار ، فمنهم من قتل ومنهم من أذب ، وبعضهم وضع في الأغلال والقيود وسجنهم إلى جانب الأسرى الذين ساروا إلى أطراف الهند ، وبلغ عددهم زهاء ٥ آلاف أسير.

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٤٤ ؛ المنيني : تاريخ العتبي ، ج ١ ، ص ٣٥٦

؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤١٨-٤١٩.

ولقد قيل في ذلك هذا الرباعي :

هكذا يظهر السيف الملكي والآثار وهكذا يفعل العظماء إذ لزم القتال
انظر سيف الملك ولا تقرأ كتب الأولين فإن سيفه أكثر أنباء من الكتب^(١).

(١) المنيني : تاريخ العتبي ، ج ٢ ، ص ٢٥٦-٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ذاكراً «الذي أمر بكتابة على جدران تلك المقبرة - مقبرة أبي العباس - إن هذا قبر فلان بن فلان بغني عليه حشمه واجترأ على دمه خدمه ، فقبض الله عين الدولة وأمين الملة حتى انتصر له منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين وآية للعالمين» ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٧٩٦ ، ذاكراً «فبعد أن بعث الباغيين إلى غزنة فأخرجوا في البعوث إلى الهند ، وأنزلوا هناك في حامية الثغور ، وأجريت لهم الأرزاق» ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٤٩ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ، قائلاً : «إن محمود الغزنوي بعد ثلاثة أشهر ونصف على خوارزم عين عليها نائباً» ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤١٩ ، ذاكراً «أن يرمي زعماء الثورة الثلاثة تحت أرجل الفيلة ، ثم علقت المشانق ، وقد شددت إليها الحبال ، وفصل بين رؤوس المشانق ببناء من الآجر والجص ، وكأنها جسور ثلاثة ، وكتبت عليها أسماؤهم» ؛ إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٧٦ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص ٢٨ ؛ براون : تاريخ الأدب في إيران ، ج ١ ، ص ٢٠٨ ؛ محمد دبیر ساقی : المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛ حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بلهوی ، ص ٤٣١ ، ذاكراً قصيده العنصري قائلاً :

جنين نمايد شمشير خسروان آثار جنين کند بزرگان جوکرد بايکار
بنیغ شاه نکرنامه گذشتة فحوان که راست گوئي تراز نامه تبغ اوبسيار

ب- الأسرة الثانية «الألتونتاشية»^(١) في خوارزم «٤٠٨ - ٤٢٩/١٠١٧ - ١٠٢٧م» :

قضى السلطان محمود الغزنوي على الأسرة الأولى في إقليم خوارزم عام «٤٠٨/١٠١٧م» وولى عليها كبير حجاب أبيه سبكتكين الأمير التونتاش ، الذي كان يشغل وظيفة «سيهسالار كبير» أي الحاجب الكبير لدى كذلك السلطان محمود الغزنوي ، وهو رجل عظيم متصف بالحنكة والكفاءة ، والرأي السليم ، وحسن الإدارة والمشورة ، لذا كان السلطان دائما يستشيريه في كل ما يعتريه من الأمور^(٢). وخير مثال على ذلك استشارته في اختياره لولى العهد من بعده ، فرشح له الأمير مسعود^(٣).

(١) التونتاش : كبير الحجاب على عهد السلطان محمود الغزنوي ، وكنيته أبو سعيد ، وهو مملوك تركي ، وبعدها صار قائداً لجيش السلطان الغزنوي سبكتكين ، قام بالعديد من الأعمال في ظل وجود السلطان محمود الغزنوي ، فكان قائد الجناح الأيمن في جيشه في تلك الواقعة التي كانت بين الغزنويين والقراخانيين في ٢٨ ربيع الثاني ٣٩٨هـ/٤ يناير ١٠٠٨م ، وبعدها صار والياً على هراة عام ٤٠١هـ/١٠١٠-١٠١١م ، وعندما فتحت خوارزم على يد السلطان الغزنوي عام ٤٠٨هـ/١٠١٧م ، صار والياً تابعاً للسلطان محمود وظل بها حتى توفي ٤٢٣هـ/١٠٣٢م ، في واقعة الدبوسية متأثراً بجراحة ، عندما أرسله السلطان لتأليب على تكين ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٧٦ ؛ المنيني : تاريخ العتبي ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ٤ ، ص ١٧٩-١٨٠ ؛ أستاذ خليلي : سلطان غزنويان ، ص ٣٠٤.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٤٦ ؛ نظام الملك الطوسي «سياسات نامه» ؛ ترجمة وتعليق : السيد محمد العزاوي : (دار الرائد العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥م) ، ص ٢٩٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٨٢٤ ؛ أستاذ خليلي : المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٣٠٤.

(٣) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٩٠ ، حاشية (٥) ، حيث ذكر خطاباً في الحاجب التونتاش «بسم الله الرحمن الرحيم بعد صدور والدعاء أن للعم الفاضل الحاجب التونتاش خوارزمشاه في قلينا منزله تعادل تلك التي كانت لوالدنا السلطان الراحل ، ذلك لأنه رشحنا لتلك المرتبة وأيدنا وآزرنا حتى وافق الوالد على رأيه ، وتقررت لنا ولاية العهد بحسن مؤازرته وتأييده».

وبعد توليه ولاية خوارزم أنعم عليه السلطان محمود الغزنوي بوراثه لقب الأمراء السابقين ، وهو لقب خوارزمشاه ، وترك معه جزءاً من جيشه ، وعلامة أرسلان جاذب «والي طوس» مدة وجيزة يساعده فيها على عودة الأمور إلى ما كانت عليه من استقرار^(١).

• أوضاع خوارزم بعد تولي التونناش مباشرة :

بمجرد تسلم التونناش ولاية خوارزم وعودة السلطان محمود الغزنوي سائراً أمامه صف من الأسرى «قطار الأسرى» من بلخ حتى لاهور وملتان ووضعهم في القلاع حتى يتم اعتقالهم ، ثم توزيعهم على مناطق استخدامهم ، فما لبث أعوان أبي العباس وأنصاره وعلى رأسهم حماه «أبو إسحق» وكثير من رجال خوارزم من الاتجاه إليهم للاستيلاء عليها ولكنهم فشلوا فشردوا وهزموا ، ولقد نصب أرسلان جاذب مذبحاً ذكرت الناس بما حدث أيام الحجاج بن يوسف الثقفي ، ثم عاد الهدوء للإقليم ، ورجع أرسلان بعد أن أنهى مهمته وبقي التونناش^(٢).

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٤٥-٧٤٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٩٠ ؛ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٥١/١٩٣٢م ، ج ١٢ ، ص ٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٨١٠ ؛ أحمد حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٥٠ ؛ السيد الباز العريني : المغول ، دار النهضة ، بيروت ، ١٤٠٦/١٩٨٦م ، ص ٨٠ ؛ دائرة المعارف : ج ٩ ، ص ١٥ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ١٤٩ ؛ محمد دبیر سیاقی : المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛ الكرديزي : زين الأخبار ، ص ٢٩٤ ، حيث قال : «عين السلطان محمود حاجبة الكبير التونناش لحكم خوارزم ، وأعطاه خوارزم وگرگانج ، حيث ظل حاكماً عليها حتى آخر عهده» ؛ أستاذ خليلي : المرجع السابق ، ص ٣٠٠ ؛ R.N. Frye : op. cit., p.174.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٤٥-٧٤٦.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، ولكون تلك الولاية صارت تابعة للسلطان الغزنوي ومطمعاً له في أي وقت شاء ، لذا ترك من قواته ما يقارب من ألف فارس تحت قيادة «قلباق» ، وغيره إلى جانب غلمانه ، وكان الوالي الجديد ملزماً بتوفير ما يحتاج إليه هؤلاء من أموال وهدايا.

وفي الوقت نفسه ونظراً لفتنته وسياسته الحكيمة بخبرته السابقة لزم الأمر وجود قاعدة حربية تابعة له غرضها حماية تلك الولاية ، وإلا يسمح لهؤلاء بحجة إقامتهم في خوارزم بالقيام بأي ثورة واتخذ «أحمد بن عبد الصمد» وزيراً له وكان وكيل بلاطه رجلاً يدعى «تاش»^(١).

ولقد كانت العلاقات بين الغزنويين والخوارزميين ودية يسودها التقدير والاستشارة ، ولكن ما لبث أن تبدل الحال ، وذلك بسبب رغبة التونناش في الاستقلال بهذا الإقليم هو وأبناؤه وأحفاده من بعده ، ولكن لهيبة السلطان محمود وسطوته التي أوقعت الرهبة في قلوب ملوك عصره رأي من الصواب تأجيل ذلك حتى تحين الفرصة له ، تلك التي تمثلت في مشكلة ولاية العهد بعد وفاة السلطان محمود الغزنوي وترك ولاية العهد لابنه محمد دون الأمير مسعود ، وعلى أثرها انقسمت الدولة الغزنوية إلى حزبين الأول حزب مناصر للأمير محمد «المحموديين» ، والحزب الآخر لمسعود «المسعوديين» ، وكانت الغلبة في النهاية للأمير مسعود ، حيث نودي به سلطاناً على البلاد عام «٤٢١-٤٣٢هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م»^(٢).

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٤٦.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ١-٢ ، ١٧-١٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٣٩٩ ؛ إقبال عباس الأشتاني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٨١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٨١٠ ؛ حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بلهوى ، ص ٤٣٢.

ولقد حصل على لقب شهاب الدولة وجمال الملة في شوال عام ٤١٧هـ/١٠٢٦م ، من قبل الخليفة القادر بالله «عندما أرسل العهد ولسواء خراسان والهندوستان والتمروز وخوازم» للأمير محمود الغزنوي ، فلقب أبناءه معه ومنهم مسعود ، وكذلك الأمير محمد ولقبه جلال الدولة وجمال الملة^(١).

ولقد كان لألتونتاش دور في هذا النزاع - كما أشار ابن الأثير - فيذكر أن الأمير مسعود راسل أخيه طالباً منه تقديم اسمه على اسم محمد في الخطبة ، ولكنه أبى ، وكذلك فعل التونتاش حيث نصحه بموافقة أخيه وترك مخالفته ، ولكنه لم يستجب لأحد ، حتى انتهى به المطاف في قلعة تكتاباذ^(٢).

• دوافع الأمير التونتاش لترك غزنة والبقاء في إمارته خوارزم :

بعد وفاة السلطان محمود الغزنوي صارت الأمور غير مطمئنة ، وكثرت المؤامرات نحو التونتاش من أجل القبض عليه من قبل وزير السلطان مسعود الغزنوي وهو «أبو سهل محمد بن الحسين الزوزني» لولا فطنة الأمير وإبرائه لذلك^(٣).

ولقد ذكر ذلك لرئيس ديوان الرسائل قائلاً «أن السلطان الأعظم رجل عظيم ، ولكن الذين أحاطوا به يعد كل واحد منهم نفسه وزيراً ، وهو يسمع ولا يعمل بقولهم ، فيزينون له الباطل ، ويصدونه عن الحق ، وانهم سيهدمون بدسائسهم هذا الصرح المشيد»^(٤).

(١) على الشابي : الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ، ص ٣٦ ؛ الغريزي : زين الأخبار ، ص ٣٠٩.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٢٦ ؛ الغريزي : زين الأخبار ، ص ٢٩٤.

(٤) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٢٦-٢٧.

كذلك تلك الرسالة التي أرسلها وزيره بشأن بعض القبائل التركية من التركمان ، والذي سمح لهم بالإقامة فترة من السنة لحماية حدود إمارته ، وهم «تلك القبائل التركية التي تتجمع حول قائدها ، وهم جنود مأجورون يحاربون في جيش من يدفع لهم أجوراً باهظة ، ويتصفون عن باقي الجند بالجرأة في القتال ، واعتزاز النفس ، والكبرياء ، والاستقلال في الفكر ، وإن كانت فيهم صفات البدو الرحل ، فهم يميلون إلى السلب والنهب ، ومن الصعب السيطرة عليهم ، لذا أخبره الوزير أن بعضاً من تلك القبائل مثل : كجات ، جقراق ، قبقاق^(١). بدؤوا يتحركون أثناء غيابه

(١) القبقاق Kipchaks : هم فرع من الكيماك ، تتكون من عدة قبائل منهم الذين يعود أصلهم إلى آسيا الوسطى ، وهاجروا منها إلى المنطقة التي تمتد من نهر ايرتيش إلى نهر الفولجا ونهر Kama ولهم مسميات عديدة مرجعها إلى صلتهم بمن حولهم ، فأطلق عليهم الروس اسم بولووتس Polovtsy ، أما الأوروبيون الغربيون والبيزنطيون فأطلقوا اسم كومان «قومان Commans» أو Kumans ، ولدى العرب القفجاق ماعدا الإبريسي الذي ذكرها تحت اسم القومان ، وهم بدو ليس لهم علم بالإسلام ، ولم يكونوا أعداء للمدينة الإسلامية ، وفي بداية القرن ١١م انتشروا وزادت كثافتهم في حوض نهر ايرتيش ، واندفعوا إلى أراضي الغز واتجهوا إلى الجنوب والغرب بدلاً من الشمال ، لذا استولوا على أراضي الغز التي تركوها في حوض نهر سيحون ، وكانوا وراء تدمير البجناك ، وبالرغم من ذلك لم تكن لديهم وحدة سياسية ولا دولة ، بل كانوا وحدات متفرقة يتولى أمرها خان ، وفي القرن ١٢م كونوا أسرة حاكمة ، وكانوا دائماً في حالة من الشد والجذب بينهم وبين المسلمين ، وبذلك فقد المسلمون السيطرة على مدينته دربند ، وكذلك منطقة شابه ران شروان ، ولكن بمساعدة الكرج استعادوا تلك المناطق ، فكانوا بخلاف الترك حيث كان خاناتهم يستعينون بأصحاب المدينة العسكرية الإسلامية والشئون العسكرية ، إلى جانب أن لهم إمارات غير مسلحة واقفة على الحدود القريبة من البلاد الإسلامية فشغلوا بعض المدن مثل : سوغان «قوزغان الحالية» ، وصارت عاصمة لهم. =

لذا خشي من حدوث فتنه»^(١). وخاصة أن الأمير التونتاش منذ تولية إمارة خوارزم قد اخذ على عاتقه حماية حدود بلاده من غارات تلك القبائل الرحل المجاورة.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل نجد السلطان مسعود الغزنوي يبعث برسالة مختومة بإمضائه إلى القائد «منجوق» ومن المرجح كونه

= علاقتهم بالخوارزميين : كانت بينهم صلة قوية بحكم الجوار منذ عام ١٠٣٠هـ/١٠٣٠م ، وتأثرهم بالمدينة العسكرية ، كل ذلك كان وراء دخولهم في الإسلام بأعداد كبيرة وتم ذلك بالفعل في النصف الثاني من القرن ١٢م وبعضهم اعتنق المسيحية ، ولهم دور آخر حيث يقصدهم التجار لأخذ البضائع ، فهم يبيعون الثياب وغيرها مقابل شراء الجوارى والمماليك منهم كالرقيق وخاصة رقيق الترك ، إلى جانب القدس والبرطاس ، وأشياء أخرى عديدة ؛ شيخ الربوة : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٢٦٤ ؛ سعد زغلول عبدالحميد : الإسلام والترك في العصر الوسيط ، ص ١٧٥ ؛ السيد الباز العريني : المغول ، ص ٣١ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ١١٢-١١٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٢ ، ص ٧٢ ؛

Ibrahim Kafeso Glu : Hakkidursum a short history of Turkish Islamic state excluding the ottoman state, p.13-14.

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٣٤ ، ٨٨ ، ويتضمن كلام البيهقي معنيين : الأول : يتمثل في كون تلك القبائل مجاورة ، واتضح من خلال معالجتنا للقباق ، لذا كانوا يثيرون الفتن منتهزين غياب حاكم ذلك الإقليم ؛ وهذا ما أيده : بارتولد ؛ وكذلك : R.N. Frye : op. cit. p.191 ؛ ثم نكر في موقف ثان : وهو ترجيح ثان يتحدث بكون التونتاش قد تخلص من جيش ضخم وكون جيشاً أعضاؤه من الكوشك Qipchaq والتركمان كقوات معاونة للدفاع عن إقليمه حتى لا يتعرض لهجوم خارجي ، ولقد ترك ذلك رد فعل مخالف لدى السلطان الغزنوي ، وزود في اعتقاده رغبة التونتاش في الاستقلال ، لذلك أكثر الحيل لعودته إلى غزنة ، وكذلك فعل مسعود الغزنوي من بعده مع هارون بن التونتاش.

أمير جيش قبيلة كجات التركية ، وهم من الموالين للسلطان الغزنوى والناقمين على خوارزمشاه يحثه فيها على قتل الوالى ، ولكن نظراً لغروره وتطاوله على خوارزمشاه ، وفطانة وذكاء وزير التونتاش «أبى نصر أحمد بن على بن عبد الصمد» أبعدته عن خوارزم شاه ، وقبضوا عليه ، وقد ساعدتهم على ذلك تلك الرسالة المعماة «وهو الكلام الذي عمى معناه وخفي» التي أرسلها «أبو سعيد المسعدى» لوزير التونتاش بأمر تلك المؤامرة ، وعليها تصرف الوزير ، وأقصاه وقضى عليه في الحال^(١).

ومن الجائر أن يكون السلطان مسعود الغزنوى قد علم بكل تلك المؤامرات التي دبرت من قبل الوزير لوالية ، لذا تعددت الرسائل المرسلة إليه للحصول على رضا ذلك العم كما كان يناديه ، ولقد أذن له بالذهاب إلى خوارزم ، وما أن علم التونتاش بذلك حتى قبل الأرض ، وقال : «وددت لو اعتزل الجندية لأبقي في غزنة بجوار ضريح السلطان الماضي ، وقد بلغت من الكبر عتياً ، ولكن الأمر العالى مطاع ، وسأمتثل لما أمرني به مولاي» وفي اليوم التالي وصل ركب السلطان الغزنوى إلى فارياب وأخلع عليه العديد من الخلع ، فكانت أعظم مما كان أيام السلطان الراحل محمود الغزنوى ، وأبدى التونتاش فروض الطاعة ، وعاد إلى خوارزم^(٢).

وإن كنت أرجح أن إصرار التونتاش على العودة مرة ثانية إلى خوارزم يرجع إلى رغبته الملحة في إعلان استقلاله منتهزاً ما كانت عليه الدولة من فتن ومؤامرات ودسائس ، وإن كنت استشف ذلك من خلال

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٦١ ، ٣٣٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩

، ص ٤٣٢ ؛ أستاذ جليلي : المرجع السابق ، ص ١٨٠.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٨٦ ، ٨٧١.

ذكره لعبارته عندما أراد العودة إلى خوارزم ، «وإن الخير في أن نبادر بالسفر إلى خوارزم حيث نعيش كما يعيش السلطان مسعود نفسه»^(١).

• معركة دبوسي^(٢):

١- أسبابها :

ذلك الصراع الدائم بين السلطان الغزنوي محمود وبين الأمير الخاني على تكين من أجل الدفاع عن ممتلكاتهم في خراسان ثم تجدد الصراع مرة ثانية على عهد السلطان مسعود الغزنوي ، وخاصة عندما راسل السلطان مسعود الأمير تكين لمساعدته في مشكلة وراثته العرش والوقوف بجانبه ومناصرته ، ومقابل ذلك أن يعطى لأحد أبنائه إقليمًا كاملاً ، ولكن ما لبثت أن انتهت تلك المشكلة دون أدنى تدخل من قبل الأمير الخاني ، وبالتالي لم ينفذ السلطان الغزنوي ما وعده به ، مما أثار غضب على تكين ، وترتب على ذلك مراسلة السلطان الغزنوي مسعود للتونناش مع شخص يدعى «عبدوس» في صورة شكوى من على تكين ، ذاكرًا «أن عليا قام بما ليس من شأنه القيام به فلم يكن من الأولى به أن يقتدى بخوارزمشاه ، وإن يكون على شاكلته ، وقد كان عليه أن يسير حتى يأتي ، فانه واحد من الموالى والحشم ، فكان الأجدر به أن يفعل مثلما فعل ، وأن يسير كما ساروا ، ثم ما الذي حمله على الوقعة بأخي بعد أن عمل على تنصيبه ، ولماذا خالف أوامره ، وحنث بتلك الأيمان الغليظة لقد كان ينطق بالخيانة ، وهذا ما دعانا إلى اعتقاله ، لأن المصلحة تدعو إلى ذلك. وكان رد التونناش عليه بالنصح ، وقال : «لكن ما تفعله الملوك في عبيدها هو عين الحق والصواب ، ومن ذا يستطيع أن

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٢٧.

(٢) بلده بين بخارا وسمرقند ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من

ذهب ، ج ٣ ، ص ٢٤٥.

يرى ما يراه مولانا»^(١). لذا جهز جيشا بقيادة التوننتاش خوارزمشاه من اجل محاربته والقضاء عليه وحماية ممتلكاتهم في خراسان^(٢).

٢- الترتيب للمعركة :

أ- الجانب الغزنوي :

خرج السلطان الغزنوي في اليوم التالي من إرساله للأمير التوننتاش للصحراء لكي يستعرض قواته التي سوف تلحق بجيش التوننتاش معطيا الأوامر بإطاعته ، فخاطب كلا من «بكتكين جوكاني ، وبيري قائد الاصطبلات المسعودية» ، وغيرهما من القواد قائلا : «كونوا عقلاء يقظين ، وامنعوا الجند من التعدي على الناس سواء في بلادكم أو غيرها من بلاد الأعداء ، حتى لا يقع الظلم على أحد» ، وكانت عدتهم ١٥ ألف جندي تقريبا ، ومعهم كاتب البيهقي ، إلى جانب فرقة أخرى من الجيش قائدها «تاش فراش» سبهسلار ، والكاتب طاهر ، ومعهم ٤ آلاف فارس من الفرسان ليكونوا مددا للجيش الزاحف^(٣).

ب- الجانب الخوارزمي :

جمع التوننتاش جيشاً من خوارزم ، وعبر جيحون عن طريق بخارا مراقباً للبريد حتى وصلت الأخبار بمعرفة على تكين بعبور خوارزمشاه للنهر لذا سلم بخارا إلى غزاة ما وراء النهر ، وجمع كل ما يخالف عليه واتجه إلى دبوسي ، لذا أرسل التوننتاش عشرة من فرسانه واتجهوا فما إن رأي غزاة ما وراء النهر وبخارا ذلك حتى أعلنوا الطاعة والخضوع للدولة الغزنوية ، قائلين : «إننا كنا نأمل منذ زمن بعيد أن

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٦٠.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٣٢ ، ٢٦٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ،

ص ٤٣٩ ؛ R.N. Frye : the Cambridge History of Iran, p.191.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ ، ٣٥٨-٣٥٩ ؛ خواندمير : حبيب السير

في أخبار أفراد البشر ، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، ص ٣٩١.

نكون من رعايا السلطان الأعظم ملك الإسلام شهاب الدولة أدام الله سلطانه ، فتلطف معهم خوارزمشاه» وأمر باقتحام القلعة ، وأسر ٧٠ من خيره الغلمان ، وأرسلهم للسلطان مسعود ، ونهبت القلعة واستولوا على ما بها ، ثم استولى على كل الطرق من يمين وشمال ، لكي لا يحدث أي خلل في الكمين المعد لعلى تكين^(١). ثم اتجه إلى دبوسي حيث جيش علي تكين المكون من التركمان والسلاجقة والكشيرية ، وهو مكان حصين متصل بالصغانيان^(٢).

وتقابل الجيشان واشتد القتال بينهما ، ولقد ذكر خوارزمشاه عن تلك المعركة قائلاً «لا يذكر لها مثيلاً في حياته»^(٣). وكانت الدائرة على جيش علي تكين بالرغم من إصابة خوارزمشاه في قدمه وفي الموضع نفسه الذي أصيب فيه من قبل أثناء حروبه في الهند ، والتي مات متأثراً بها^(٤). وترتب على ذلك طلب علي تكين للصلح ، وكذلك شفاعة التونتاش عند السلطان له ، حتى تستقيم الأمور ، وتمنع أراقه الدماء ، ومات التونتاش في تلك المعركة عام «٥٤٢٣/هـ ١٠٣١م»^(٥).

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٢٦٤ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٣٩.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٢٦٤.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٣٦٧.

(٤) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٣٦٨ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٥٠٤.

(٥) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٢٦٩-٣٧١ ، ٣٠ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٤٠ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص ٢٧ ؛ إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ١٩٤ ؛ نظام الملك الطوسي : سياست نامه ، ص ٢٩٣ ، حاشية (٧) ؛

.R. N. Frye : op. cit., p.191

• نتائج تلك المعركة :

- ١- مدى ثقة الغزنويين في الخوارزميين والاعتماد عليهم في توطيد نفوذهم السياسي في آسيا الوسطى.
- ٢- حرص الغزنويين على الحفاظ على خراسان من هجمات على تكين وفتنته ، ومحاولة حصولهم على الاعتراض بنفوذهم ، وذلك بتبادل الرسل بين مسعود الغزنوي وخانات تركستان.
- ٣- فقدت الدولة الغزنوية قائداً من أعظم قوادها وهو التونتاش ، وتولى من بعد ابنه الذي احتفظ بلقب خوارزمشاه.
- ٤- أوضحت تلك المعركة الموقف من آسيا الوسطى في بداية القرن الخامس الهجري وانقسامها إلى مناطق نفوذ ، وتصارع قوى مختلفة من العناصر والدول التركية ، من أهمها : القره خانيين الغربيين في ما وراء النهر وكذلك الشرقيين في تركستان مع تواجد النفوذ الخوارزمي في البلاد الخوارزمية ، حيث نفوذ الغزنويين الاسمي فقط.

٢- هارون بن التونتاش «٤٢٣-٤٢٥هـ / ١٠٣١-١٠٣٣م» :

بعد مقتل التونتاش خوارزمشاه أرسلت رسالة من السلطان محمود الغزنوي للوزير هارون الذي كان رئيس ديوان والده من قبل^(١). قائلاً : «إنا مقدرون ما بذله خوارزمشاه هذا الشيخ المخلص في خدمتنا حتى إنه ضحى بنفسه في سبيلنا وإنا حافظون له حقوقه في أبنائه المقيمين عندنا ، وهم أهل خدمتنا وسنرسل رجلاً لتدبير الأمر على إثر هذا حتى يقوم بما يجب» ، ثم تبعه كتاب آخر أرسل إلى خدم خوارزم فيه ثناء على ما فعله وقام به خوارزمشاه^(٢).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٤٣٢ ؛ الغريزي : زين الأخبار ، ص ٣٢١.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٣٧٦.

وبعدها بدأت الإجراءات الخاصة بتولية هذا الوالي مكان والده ، وإن اختلف الأمر عن والده ، فكانت الولاية خالصة لوالده ، أما هو فأصبحت مجرد ولاية نيابة عن الأمير سعيد بن مسعود الذي يذكر أنه حمل لقب خوارزمشاه^(١).

ولقد اختلف معهم البيهقي ، فقال : «إنه قد نصبه مكان والده في خوارزم ، وأعطى تلك الولاية لابنه سعيد بدلاً من السلطان مسعود الغزنوي ، وكان هارون نائباً عنه ، ولقب بلقب خوارزمشاه ، وألقاب أخرى مثل خليفة الدار ، وكذلك لقب كان يخاطبه به هو «ولدى ومعتدى» ، وتناول خلعه وإن كانت أقل من خلع والده بمقدار النصف ، وتم ذلك في ٨ من جمادي الأولى عام ٤٢٣هـ/١٠٣٢م ، وتلي ذلك قسم هارون بن التونتاش على تلك الولاية أمام الشهود والأعيان ، ثم استأنن في العودة لخوارزم ، ولقد كان لهارون أخ أكبر منه ، وأكثر قوة ويقظة ، معتقداً حقه في وراثة عرش خوارزم ، ولكن السلطان وعده بكونه أجدر بما هو أكبر من خوارزم^(٢).

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٨٢٤ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٩ ، ص ١٥ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛ طه ندا : النصوص الفارسية ، (دار المعارف ، ط ٢ ، الإسكندرية ، ١٩٧٨م) ، ص ١٢٩.

(٢) البيهقي . تاريخ بيهق ، ص ٣٧٦-٣٧٧ ، ولقد ذكر له مسعود أثناء عودته إلى خوارزم بعد الولاية قائلاً : «كن يقظاً واجعلي نصب عينيك لتزداد منزلتك عندي ، وإن أحمد منك كأبيك فأطع أوامره ، وارع خدام أبيك واعرف لهم ماضيهم ، ولا تنس اصطناع عظمائنا» ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ ؛ حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ، ص ٥٠ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٤١ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ٩ ، ص ١٥ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي ، -

ويتضح من تلك البداية التي بدأت بها الدولة الغزنوية مع الخوارزميين عدم الثقة ، ومحاولة إعادة توثيق العلاقات فيما بينهما ، بل وتبعيتها لها أيضاً ، ولقد أتت تلك المحاولة بنتائج معاكسة تماماً.

ويتضح من الأحداث التي تلت ذلك محاولة هارون الجادة في الاستقلال عن الدولة الغزنوية ، فلم تمر فترة طويلة حتى بدأت الأمور تظهر بصورة جلية ، حيث مهد لذلك طلب السلطان الغزنوي لوزير هارون نظراً لوفاء وزيره الميمندي ، وأسندت الوزارة لابنه من بعده عبد الجبار كوزير لهارون بن التونتاش^(١).

• تدهور العلاقات بين هارون خوارزمشاه والغزنويين :

أ - أسباب ذلك :

١- ما قام به السلطان الغزنوي من أخذ وزير هارون وتولية ابنه عبد الجبار لوزارته ، وكره هارون لتلك الأسرة المسيطرة على كل أمور خوارزم هو ورجاله من قرناء السوء ، وتدهور الموقف في آسيا الوسطى^(٢).

= (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥م) ، ص ١٦٤ ؛ خواندمير : دستور الوزراء ؛ تأليف وترجمة وتعليق : حربي أمين سليمان ؛ تقديم : فؤاد عبدالمعطي الصياد : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ . R.N. Frye : The Cambridge History of Iran, p.192.

(١) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٣٩ ، فيذكر أن السلطان مسعود قد استدعى أبا نصر أحمد من خوارزم وأسند إليه منصب الوزارة ، فتولى مهام السلطنة ، وكذلك تدبير أمور الجيش والرعية ، ولقد شغل هذا المنصب ما يقارب من عشرين عاماً في عهد السلطان مسعود ، وعامين أثناء حكم ابنه مودود ، وإن كان قد ختم حياته في السجن ، وذلك بتدبير من الأمراء وختموا حياته بأن وضعوا له السم في الشراب ، ص ٢٤٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٨٢٤.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٤٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٤١.

٢- مقتل أخي هارون «حيث كان ثملاً ، فسقط من مكان مرتفع» ، وإن كان قرناء السوء وشوا لهارون بكون السلطان الغزنوي وراء اغتياله ، وإن كان ذلك سبباً ظاهرياً لثورة هارون ورغبته في الاستقلال.

ب- أحداث هذا التدهور :

١- الجانب الخوارزمي :

بدا هارون في فرض سلطانه على الأمور بأكملها إلى جانب احتقاره لآراء عبد الجبار ونقده له في مجلس المظالم وقامت محاولات عديدة لإقامة الصلح بينهما ، ولقد حاول أحمد بن عبد الصمد وابنه عبد الجبار نقل تلك الصورة غير المطمئنة للسلطان مسعود ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ، ومرجع ذلك تلك الرسائل التي كان يرسلها صاحب بريد الأمير هارون الذي يكتب ما كان يريده هارون وما يوافق هواه.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى غرور هارون بسبب الموقف المضطرب في خراسان نتيجة تمكن التركمان من الأمور قبل مجئ السلاجقة ، لذا تراءى له أنه قد صار حاكماً على خراسان ، لذا كانت الخطوة التالية هي الاتحاد مع التركمان ، وكذلك تحالفه مع علي تكين عدو الغزنويين ، وكذلك اتفاهه مع التركمان ليأتوا كل عام من غور بخارا إلى «اندرغار» ويقيموا بها مدة ، كل ذلك مكنه من التقاف العديد من الأعوان حوله ، لذا أعد ١٠٠٠ غلام تقريباً ، وأعد لنفسه المظلة والراية السوداء ، ودبر الأمر للقبض على عبد الجبار ، لكنه تمكن من الهرب^(١). ومعه أبو سعيد السهلي ، ولم يتمكن من الوصول إليه ، وتولى من بعده في الوزارة شخص يدعى «أبا نصر البرغشي».

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٤٧ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٤١ ؛ R.N. Frye : op. cit., p.192.

ثم كانت الخطوة العملية لكل ما سبق ، وذلك في ٢٣ رمضان من عام ١٠٣٣/٥٤٢٥م حيث أعلن الخطبة باسمه واسم الخليفة العباسي وحذف اسم السلطان الغزنوي ، وكان ذلك أول يوم تعيشه خوارزم في استقلال كامل خاص بها ، ولكنه لم يدم طويلا ، إلى جانب مقدم طغرل داود ، وليناليون والسلاجقة مع جيش كبير كامل العدد ، وسمح لهم بالإقامة على حدود خوارزم في بعض المناطق الخاصة بهم ، وهي : «رباط ماشه ، وشراه خان» ووفر لهم ما يحتاجون إليه من الهدايا ، وقد مهدهم لمساعدته في حروبه في خراسان ، ليكونوا في مقدمة جيشه^(١).

٢ - الجانب الغزنوي :

كان السلطان مسعود الغزنوي مدركاً أن هارون سوف يشق عصا الطاعة وتأكد له ذلك من خلال كتابين وصلا إليه : أحدهما كتاب من أحد الجواسيس عن اختيار وزير جديد بدلاً من الوزير الهارب ، والآخر يخبره بحذف اسم السلطان مسعود الغزنوي من خطبة يوم الجمعة ، فاجتمع بوزيره الذي كان دائماً يتهمه بكون ما حدث من اضطراب في

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٤٨-٧٤٩ ، ولقد ذكر السبب وراء الترحيب بدعوة هارون بين التونتاش بالمجيء إليهم ؛ فيذكر ابن الأثير العداوة القديمة الذي كان بين علي تكين والسلاجقة حيث أرجعه إلى عام ١٠٢٩م عندما أمر بقتل يوسف حفيد السلاجقة على يد قائدة «ألب قره» على الرغم من أنه من قبل كان على رأس جميع الأتراك الموجودين لديه ولقبه «اينانج ييغو» وكان رد فعل السلاجقة وعلى الأخص أبناء عم يوسف وهما طغرل ، داود هو قتل قائد على تكين ، وألف من رجاله عام ١٠٣٠م ، لذا هاجمهم علي تكين وأبناؤه واستولوا على ممتلكاتهم فسقط عدد كبير من الأسرى ، عدد منهم من النساء والأطفال ، مما اضطرهم الأمر إلى الانتقال إلى خراسان ؛ كل تلك الأحداث كانت وراء موافقتهم لطلب هارون وسارعوا إلى تلك المناطق ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٤٧٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٤١-٤٤٢.

خوارزم مرجعه إلى ابنه عبد الجبار ، وكذلك إلى أبي نصر مشكان ، وكان من رأيه توجيه كتاب إلى حاشية خوارزم يحمل توقيع السلطان مسعود ، يحرضهم على خلع الأمير «هارون خوارزمشاه»

وفي النهاية حسم الأمر بإرسال كتاب معمر يحرضهم على خلع هارون إلى أبي سعيد السهلي^(١). لبذل المال لأغراء جماعة لاغتياله ، ووقع الاختيار على ثمانية غلمان ، وهم من أقرب الغلمان إليه : وهم (السلحدار ، وحامل المظلة ، وحامل العلم) وحددوا الاغتيال ، أما هارون بن التوننتاش فقد بدأ يتهياً بجيشه المكون من العناصر المختلفة من القبائل التركية «كجات ، جغراق ، جنجاخ» إلى جانب السلاجقة الذين كانوا قد تعرضوا للإبادة من قبل شاه ملك صاحب جند لذا أخذ على عاتقه قبل أن يتجه إلى خراسان أو يؤمن جيشه من ناحية ، وبلده قبل خروجه ، وخاصة بعد مهاجمة شاه ملك للسلاجقة في المنطقة.

وما لبثت أن بدأت المفاوضات للصلح بين السلاجقة وملك شاه ، ولكنها باءت بالفشل لرفض شاه ملك لهذا الطلب قائلاً : «أن بينى وبينهم ثاراً وسيفاً ، ولسوف أمضى في قتلهم حتى يفعل الله ما يريد» ، وما إن تقابلا ووجد ما كانت عليه قوة هارون الذي بلغت عدته ٣٠ ألف فارس وكثير من الغلمان حتى انسحب ، وعاد إلى ولايته جند^(٢).

(١) أبو سعيد السهلي : من حاشية السلطان محمود الغزنوي المخلصين لخوارزم ، توطأ مع عبد الجبار بن أحمد عبد الصمد ، ووزير هارون خوارزمشاه الذي أخفاه في سرداب خوفا من بطش هارون وعندما كشف هذا الأمر أذي كثيرا ، حيث استولوا على بيته وضياعه وأمواله واستأصلوا شأفه كل من له صلة به ؛ البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٤٨.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٤٩-٧٥٠ ، فيذكر أن بخلاف الشقاق الذي كان بين علي تكين والسلاجقة والسبب وراء مجيئهم هنا ، نجد أنه كان هناك عداوة=

وبالرغم من كل تلك الأحداث لم يثن ذلك هارون عن هدفه في السير إلى خراسان ، وساعده في ذلك السلاجقة حيث تحركوا في عدد يقارب من ٤٠٠ فارس ، ليكونوا مقدمته في مرو ، ووصل الوالى حتى صار على مسيرة ثلاثة فراسخ من المدينة ، ثم غادر المدينة يوم الأحد ٢ من جمادي الآخرة عام ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م^(١). وإن كانت أعماله تلك لم تتم ، حيث تم اغتياله في يوم خروجه من المدينة ، وذلك لحزبه وشدة حيلة شكر الخادم ، وتمت المؤامرة ، ومات على أثرها بعد ثلاثة أيام ، وثار الفتنة في البلاد ، وكان هارون كما ذكر البيهقي «رجلاً صالحاً ، ولكن اخطأ خطأ كبيراً حيث جلس على عرش السلطان ، وأنى للعصفور أن يتمنى عش الصقور»^(٢).

= قديم بين السلاجقة وشاه ملك صاحب جند ، لذا فقد هاجمهم على غرة منهم في شهر ذي الحجة ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م ، وقتل منهم مقتله عظيمة قد بلغت من سبعة إلى ثمانية آلاف واستولى على كل ما كان يشتمل عليه معسكرهم من الخيل وسبى جمعاً غفيراً من النساء والأطفال ، وفرد ما بقي منهم من معابر خوارزم ، وعبروا نهر جيحون ، وساروا إلى رباط نمك ، وما إن علم هارون بذلك اغتم غماً شديداً ثم أرسلهم مرة ثانية ، وطالبهم بمدد جديد ، لأنه مازال على وعده ، ثم عادوا إلى موطنهم الذي كان مجهزاً لهم من قبله ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٤٢.

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٥١-٧٥١ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٢٢.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٤٦٤-٤٦٥ ، ٧٥١-٧٥٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٥٠٥ ؛ محمد دبیر سیاقی : سلطان جلال الدين خوارزمشاه ، ص ٧٦ ، حاشية ٦.

٢ - إسماعيل خندان بن التوتناش خوارزمشاه «٤٢٥ - ٥٤٢٩ / ١٠٣٣ - ١٠٣٧م»

أ - أحوال خوارزم بعد مقتل هارون بن التوتناش :

وجدت الفتنة طريقها في خوارزم بعد تلك الأحداث ، ولكن تمكن شكر الخادم وإسماعيل خندان «أي الضاحك» من تدارك الموقف ، ومعه كذلك زعماء الالونتاشية ، فما أن بعد إسماعيل عن خوارزم بمسافة ثلاث مراحل حتى ظهر الوزير عبد الجبار ، وتوجه لدار الإمارة راغباً في السيطرة على أمور خوارزم ، لذا ازدادت نار الفتنة وانقسمت البلاد إلى فريقين : الأول ، من المناصرين لعبد الجبار ، والفريق الثاني ، من المناصرين للوالى الجديد وشكر الخادم ، وتمكن شكر الخادم من العودة إلى خوارزم ومعه ٥٠٠ غلام مجهزين ، واستطاع بحكمته القضاء على تلك الفتنة بقضائه على عبد الجبار وقتله ، وتخلص من أعوانه ، وبعضهم رحب بالوالى الجديد إسماعيل خندان حاكماً للبلاد ، فقالوا : «عد عوداً حميداً ، وادخل المدينة»^(١). وذلك يوم الأحد ٢٨ جمادى الآخرة ٥٤٢٥ / ١٠٣٣م ، واعترفوا به حاكماً مستقلاً ، واستقبل الوفود من الأعيان والجند ليعترفوا له بالإمارة والولاء ووزع المناصب عليهم واستقرت الأمور وعادت إلى ما كانت عليه من قبل^(٢).

الجانب الغزنوى :

علم السلطان الغزنوى بما حدث في خوارزم فاجتمع مع وزيره بعد يأسه من أحوال ذلك الإقليم ، وخاصة لما وراءه من أمور جسام في خراسان والرى وهندوستان لذا أمر وزيره بإرسال رسول إلى أعوان الغزنويين هناك ، ومعهم البتكين الحاجب ليقدّموا النصيح لهذا الطفل ،

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٥٣-٧٥٤ ، ٣٧٤ ؛ ابن الأثير : المصدر

السابق ، ج ٩ ، ص ٥٠٥.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٥٤.

وكذلك يوجه الكلام إلى أبي سعيد السهلي ، وأبي القاسم الاسكافي يخبرهم بما يلزم ، وإن كانت الرسل قد عادت ذاكره وقوع زمام الأمور في يد شكر الخادم ، أما الطفل فيلهو بالشراب والضيد.

كذلك قام السلطان باعتقال أخي إسماعيل خندان وهو «رشيد» في غزنة مقابل إلا يتعرضوا لأخواته للبناء بسوء^(١).

٤- تولية شاه ملك إقليم خوارزم وانتهاء حكم الأسرة الثانية

«٤٢٩-٤٣٤هـ / ١٠٣٧-١٠٤٢م»

كانت بداية ذلك بمراسلة شاه ملك بن علي تكين إسماعيل خندان في أمر خوارزم ، قال فيها : «إن هارون قد شد من عزائم السلاجقة الذين هم أعدائي ، وقد هزمتهم ، وأفنيت رجالهم ، وتركتم معدمين مشردين بلا مأوى ، ثم إنه قد كفر بالنعمة وأراد أن يقصد السلطان مسعود وبلاده على أن يكون السلاجقة في مقدمة جيشه فلم يرض بهذا الله وأنزل به ما أنزل واليوم يذهب السلاجقة إلى خراسان ، وإذا كان لنا وهارون عهد فإن هارون قد مات ، والسيف اليوم بيني وبينكم ، وإنى لقادم فأعدوا عدتكم ، فسوف أستولى على خوارزم^(٢).

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ ، ٧٥٤ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٥٠٥.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٥٥ ، ولقد ذكر أن السلاجقة بعدما حدث لهارون بن التونتاش ، وكذلك ما حدث لعلي بن تكين ، وتولية ولديه من بعده الملك ، اشتد عليهم البأس ولم يستطيعوا العودة إلى بخارا ، ولم يستطيعوا الإقامة في خوارزم خوفا من شاه ملك بعدما شردهم من قبل ، كما ذكرنا سالفاً لذا فقد عزموا على الرحيل وعدتهم ٩٠٠ فارس ، وأثناء اتجاههم إلى خراسان انضم إليهم عدد كثير نهبوا في طريقهم مدينه آموى (آمل) ونزلوا إلى جانب مرو حتى مجيئهم إلى خراسان ، وعلا شأنهم هناك.

ويتضح من كلام البيهقي «أن تلك الرسالة قد أرسلت من قبل تفكير السلطان الغزنوي في الاستعانة بشاه ملك وإعطائه ولاية خوارزم ودليلنا على ذلك هو قوله : سأفعل هذا خدمة للسلطان وتلبية لإرادته وإنني على ثقة من أن هذا السلطان لن يبخل عليّ بهذه الولاية بعد أن أكون قد قدمت خدمة كهذه ، واستأصلت شأفة العدو من بلاده»^(١).

وما أن وصلت الرسالة إلى إسماعيل خندان حتى أيقن من كون هذا التصرف من قبل وزير السلطان الغزنوي أحمد بن عبد الصمد للانتقام منه في ولده عبد الجبار ، لذا رد عليه قائلاً : «إننا مستعدون للقائك فتقدم إذا شئت ، هذا والذنب ذنب هارون الذي أقام لك وزناً مع عظمة الجيش الذي كان له ، وأنت ضعيف ، ولم يأمر أتباعه السلاجقة بأن يدمروك تدميراً حتى لا تتراءى لك اليوم هذه الأحلام».

ولقد اكتشف إسماعيل خندان تلك العلاقة غير السليمة بين الغزنوي ووزيره وبين الوزير الخوارزمي البرغشي ، لذا عزله ، وعين مكانه «أبا القاسم الإسكافي»^(٢). وبعدها أعلن الوالي الخوارزمي اسمه واسم الخليفة العباسي في خطبة يوم الجمعة دون ذكر اسم السلطان مسعود الغزنوي^(٣).

• صراع الخوارزميين من أجل استرداد ولايتهم :

تبادلت الرسائل بين الطرفين ، وكانت مليئة بالتهديد والوعيد ، وطال الحديث بينهما ، ومن المرجح أن يكون «شاه ملك» قد ذكر في إحدى رسائله «أن السلطان مسعود هو السلطان حقا بأمر أمير المؤمنين ،

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٥٧٦.

(٢) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٥٦.

(٣) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٥٦-٧٥٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،

ج ٩ ، ص ٥٠٦.

وقد أعطاني هذه الولاية فعليكم تسليمها» ، وكان رد إسماعيل خندان عليه بكونهم «لا يعترفون بأحد ، وإن الولاية ولايتهم لا يتخلون عنها إلا بالسيف ، فتعالوا إلينا لنرى ماذا قدر الله ، ولمن تكون الغلبة» ، وبذلك حسمت الأمور وبدأت تباشير الحرب بينهما ، وذلك يوم الجمعة ٦ من جمادى الآخرة عام ٤٣٢هـ/١٠٤١م ، واستمرت المعركة ثلاثة أيام ، حيث حسمت في ظهر اليوم الثالث ، فصارت الغلبة لشاه ملك ، وذهب الخوارزميون مدحورين إلى قلعتهم منتظرين ذهاب شاه ملك ، في الوقت الذي كان ماكثا في الرباط الذي هزم فيها الخوارزميين ، ليتولى أمر دفن الموتى ومداواة الجرحى.

ولقد كانت تلك المعركة من أشد المعارك كما وصفها حسن القباني الذي كان ملازماً لشاه ملك ذاكراً «لقد شهدت معارك كثيرة مع السلطان محمود مثل معارك مرو وهراة مع السيميغورية وطغرل في مرو ، والخانيين في دشت گرد وغيرها ، ولكنى لا أنكر معركة أشد هولاً من تلك التي كانت بين شاه ملك والخوارزمية^(١).

وبدأت الرسل في المراسلات من أجل عقد الصلح ، واستمر الخوارزميين لبذل المال من أجل ذلك ، بالرغم من رغبة شاه ملك الأكيدة في تلك الولاية التي صارت حقاً شرعياً مخولاً له ، ووصل مدد له ورغبته في استكمال القتال ، بالإضافة إلى تدهور أحوال الإقليم ، وانقسامهم إلى معسكرين المعسكر الأول ويمثله إسماعيل خندان وشكر الخادم والالتونناشية ، والمعسكر الثاني يمثله الوزير والسلطان الغزنوى محاولين القبض عليهم ، لذا فروا إلى السلاجقة ، وذلك في ٢٢ رجب عام ٤٣٢هـ/١٠٤١م ، وحاول شاه ملك تعقبه عن طريق جنوده ولكنه فشل في

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٥٧.

نلك ودخل خوارزم ، وعادت الأمور إلى نصابها ، واعتلى العرش يوم الخميس منتصف شعبان ٤٣٢هـ / ١٠٤١م ، وخطب يوم الجمعة باسمه واسم الخليفة العباسي ، وكذلك السلطان مسعود الغزنوي الذي اغتيل منذ فترة ، أما إسماعيل خندان وكذلك شكر الخادم فقد استقبلهما السلاجقة استقبالا حافلا^(١).

ولقد ذكر ابن الأثير أن تلك المعركة ظلت قائمة بينهما لمدة عام وانتهت بانتصار شاه ملك^(٢).

ونظراً للجوء إسماعيل خندان للسلاجقة ، حتى أعد طغرل بك جيشاً لمساندتهم في عودة إقليمهم إليهم ، ولكن أوقع شاه ملك الهزيمة بهم ، لذا ظل الإقليم تابعاً للدولة الغزنوية ، وإن كان قد اختلف الأمر باغتيال السلطان مسعودي الغزنوي ، وتولى السلطنة من بعده ابنه داود ، والذي دخل شاه ملك في طاعته ، وتبدل اسمه باسم السلطان مسعود الغزنوي في الخطبة في إقليم خوارزم ، ثم تحولت خوارزم إلى تبعية السلاجقة عام ٤٣٤هـ / ١٠٤٣م^(٣).

(١) البيهقي : المصدر السابق ، ص ٧٥٨ ؛ أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٥٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٥٠٥ - ٥٠٦ ؛ خليل أدهم : دول إسلامية ، ص ٢٥٨ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص ٧٧ ، يذكر أنه قد تلقب بلقب خوارزمشاه لمدة حتى عام ٤٣٤هـ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ٤ ، ص ١٨٠ ؛

C.E. Bosworth : the Islamic dynasties, press, 1893, V.5, p.108; R.N Frye : op. cit., p.192; William. L-Langer : an Encyclopedia of word history, (Boston, n. d.), p.272.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٥٠٦.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٥٠٦ ؛ محمد بن علي بن سليمان الرواندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، =

وهناك تناقض من المصادر حول موقف السلاجقة من الوالي
إسماعيل خندان فنجد البيهقي يذكر مدى أكرام السلاجقة لهذا الوالي ، ثم
ما لبثوا أن غدروا به^(١).

ولقد خالفه الكرديزي فذكر مدى مساندة السلاجقة ومساعدتهم
للخوارزميين ، وجعل الأمير على إقليمه مقابل تبعيته للسلاجقة^(٢).

وبذلك انتهت الإمارة «الأسرة» الثانية شبة المستقلة في خوارزم
بعد استمرارها في خوارزم ما يقارب من ٢٦ عاما ، وكم لاحظنا من
محاولات عديدة من قبلهم من اجل الاستقلال ، ومحاولة وضع أول أساس
لقيام دولتهم ، ولكن دائما ما كانت تنتهي بالفشل وتعود للتبعية مرة ثانية.

٥ - خوارزم وتبعية السلاجقة «٤٣٤ - ٥٥١هـ / ١٠٤٢ - ١١٥٦م» :

منذ ذلك التاريخ صارت خوارزم - بصفة رسمية - تابعة
للسلاجقة ، وذلك عندما تمكن إسماعيل خندان من الهرب مع شكر الخادم
والالتوناشية إليهم لمناصرتهم ضد شاه ملك ، وعلى أثرها ظهر طغرل بك
وداود السلجوقيان بجيش واتجها إلى خوارزم ، ووقع صدام عسكري ،
صارت نتيجته في صالح السلاجقة ، فصار الإقليم لهم بعد هزيمتهم لشاه
ملك وفراره مصطحبا معه أمواله وذخائره ، ومضى في المفازة إلى

= نقله للعربية : إبراهيم أمين الشواربي ، عبد النعيم محمد حسنين ، فؤاد عبد
المعطي الصياد ، مراجعة ونشر : إبراهيم أمين الشواربي : (مؤسسة الثقافة ،
١٣٧٩هـ / ١٩٦٧م) ، ص ١٥٤ ، ١٥٩ ؛ ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ج ١
، ص ٣٤٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٥٠ ؛ ابن خلدون :
المصدر السابق : المجلد الرابع ، القسم الرابع ، ص ٨١٧ ، ٨٢٤ ؛ أحمد السعيد
سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٤.

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٥٨.

(٢) الكرديزي : زين الأخبار ، ص ١٣٤.

دهستان ومنها إلى طيش ثم أطراف كرمان ثم إلى أعمال التبر ومكران ولقد تمكن منه «ارتاش شقيق إبراهيم ينال» ابن عم طغرل بك ، في جيش عدته ٤ آلاف فارس ، فأسرة وسلمه إلى داود^(١). ومنذ ذلك التاريخ «٤٣٤هـ/١٠٤٣م» لم تقم حكومة مستقلة ولا شبه مستقلة في إقليم خوارزم ، حيث صار الأمر إلى حاكم من قبل السلاجقة يتولى أمرها^(٢).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٥٠٦ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٩٢ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ٢٧٩ ، ٢٩٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٨٢٤ ، ٨٢٦ ؛ المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ٣٢ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٥٠ ، ذكراً «استيلاء طغرل على معظم البلاد الشرقية ، والتي من بينها خوارزم ، إلى جانب أنه خطب له على تلك النواحي ، لذا عظم شأنه» ؛ ابن الوردي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٨ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٧٤ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٧٩ ، ٢٩٧ ، ٤٤٩ ؛ حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، (بغداد ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ، ص ٥٤ ، ذكراً «أنه قد اختلف مع بعض المصادر في كون الاستيلاء على خوارزم قد تم عام ٤٣٣هـ/١٠٤١م ؛ إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٣١ ، حيث اختلف في الشخص الذي قام بأسر شاه ملك بن علي وهو إبراهيم بن ينال ؛ خواندمير : حبيب السير ، المجلد الرابع ، ج ٢ ، ص ٤٨٥ ؛ فيليب حتى : تاريخ العرب «مطول» ، الجزء الثاني ، ص ٥٦٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١٢ ، ص ٢٧ ؛ C.E. Bosworth, op. cit., p.108.

(٢) أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ؛ السيد الباز العريني : المغول ، ص ٨٠ ؛ عفا صبرة : المرجع السابق ، ص ٣٢ ، قاتلة «وقوع خوارزم منذ عام ٤٣٤-٤٤٦هـ ، تحت طاعة السلاجقة» ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٤٨٥ ؛ محمد دبیر سياتي : المرجع السابق ، ص ٧٧.

ولقد حرص هؤلاء السلاجقة على اكتساب الصفة الشرعية لتلك الولايات التي تولوا أمرها ، وتمثل ذلك في استدعاء الخليفة العباسي القائم بأمر الله الأمير طغرل للعراق للتخلص من فتنه البساسيري وبعد ذلك قسم الخليفة تلك البلاد والولايات على هؤلاء السلاجقة ، فكان للأمير طغرل بك داود بن ميكائيل المنطقة الممتدة من نيسابور إلى جيحون ، إلى جانب تمكنه من ضم خوارزم وبخارا وبلغ له^(١). ولم تذكر المصادر اسم ذلك الحاكم من قبل السلاطين السلاجقة الذي تولى أمر خوارزم ، وإن كنت أرى أن يكون حاكم أو تابع من ابتاع هؤلاء الأتراك ، ولقد ظل الحال على ما هو عليه حتى وفاة طغرل بك داود والذي تولى أمرها بصفة شرعية حتى عام «٤٥١هـ/١٠٥٩م».

• أرسلان أرغون «أرسلان أرغو»^(٢). بن عضد الدين ألب أرسلان :

وهو ثاني وال على إمارة خوارزم ، وظل بها حتى وفاة والده عام «٤٦٥هـ/١٠٧٢م»^(٣). ونظراً لعداء «ركن الدين أبي المظفر» بركيارق «٤٨٥-٤٩٨هـ / ١٠٩٢-١١٠٤م» لعمه أرسلان أرغو ، لذا أعلن الثورة

(١) الرواندي : المصدر السابق ، ص ١٦٩ ؛ أبو الحسن بن غازي الحلبي : أخبار الدول المنقطعة ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ٢٦٧ ؛ محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول ، (الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م) ، ص ٤٥.

(٢) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٢٢١ ؛ صدر الدين علي بن ناصر الحسيني : زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تحقيق : محمود نور الدين ، (دار اقرأ ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ٨٤ ، وإن كان قد ذكر شيئاً مخالفاً لما ذكره ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٧ ، أن أرسلان أخو سلطان ألب أرسلان ؛ أما الرواندي والحسيني : فنذكر أن أرسلان أرغون هو ابن ألب أرسلان وأخو ملكشاه وعمه بركيارق ، وقد فوض له والده ولاية خوارزم ، ولقد أيدته في ذلك خواندمير : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ ؛ وكذلك إقبال عباس : المرجع السابق ، ص ٢٤٥.

(٣) حمزة بن الحسن الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، ص ٤٥ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣١٩ ؛ إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ؛ محمد أحمد الحوفي : الزمخشري ، ص ١٠ ؛

C.E. Bosworth : op. cit., p.273

ضده في خوارزم ولكن مقتل أرسلان أرغو على يد أحد غلمانه ، مكن
بركيارق من الاتجاه للاستيلاء على خراسان ، أما خوارزم فكما ذكر ابن
الأثير أنه بعد مقتل أرسلان أرغو ولي بركيارق أمر خوارزم إلى «عز
الملك أبي عبدالله الحسين بن نظام الملك الطوسي» وزير بركيارق ، وظل
والها ومتولياً كل ما يتعلق بها من الأمور السلطانية^(١). ثم جعل عليها
كذلك أحد أمراءه وهو «أكنجي شاه» ولقد اتخذ لقب الأمراء المحليين
السابقين في خوارزم ، وهو لقب خوارزمشاه ، ومن بعده الأمير «داذ
حبشي بن التونتاق»^(٢).

ثم تولى السلطان سنجر السلجوقي^(٣). على حكومة خراسان
وصار خوارزم من ضمن ولاياته^(٤).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،
المجلد الثالث ، القسم الخامس ، ص ٩٩٣ ؛ الرواندي : المصدر السابق ،
ص ٢١٤ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٥٠٠ ؛

C.E. Bosworth : the Islamic dynasties, p.273.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،
المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ١٨٩ ، ولقد ذكر لديه تحت اسم «داود
حبشي بن اتياق» ؛ عطا ملك الجويني : جهان گشا ، ص ٢٤٣.

(٣) السلطان سنجر السلجوقي : هو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن
داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، ولد يوم الجمعة ٢٥ رجب عام
٤٧٩هـ / ٢٧ نوفمبر ١٠٧٤م ، بمدينة سنجار ، ومن هنا جاء اسمه ، تولى أمور
المملكة نيابة عن أخيه بركيارق عام ٤٩٠هـ ، لمدة أربعين عاماً ، وصار بعدها
سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر ، وخطب له بالعراقيين وأنريجان
ومناطق أخرى عديدة ، تلقب بلقب السلطان الأعظم معز الدين ، أعظم الملوك
همه وأكثرهم عطاء ، توفي ١٤ ربيع الأول عام ٥٥٢هـ / ١١٥٧م ، ودفن بمرور ؛
ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢٧-٤٢٨ ؛ الفارقي : تاريخ الفارقي
، حققه وقدم له : بدوي عبد اللطيف عوض ، (بيروت ، د.ت) ، ص ٢٨٦ ،
حاشية (٢).

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٨٣ ؛ خواندمير : المرجع السابق ،
ص ٥٠٧.

٦ - بداية قيام دولة شاهات خوارزم «٤٧٠ - ٥٥١ هـ / ١٠٧٧ - ١١٥٦ م» :

وهي مرحلة جديدة مكمله للتاريخ السياسي لإقليم خوارزم ، وقد تمثلت في الأسرة الثالثة «أسرة انوشتكين غرجه»^(١). حيث نجدها في فترتها الأولى تابعة للسلاجقة ، وإذ أربنا تحديدها على الوجه الأكمل فهي منذ عام «٤٧٠ - ٥٥٢ هـ / ١٠٧٧ - ١١٥٧ م» ، والفترة الثانية وهي المرحلة التي قامت فيها الدولة الخوارزمية ذات الامتداد الشاسع والاستقلال الكامل ، وذلك على وجه التحديد منذ عام «٥٥٢ - ٦١٧ هـ / ١١٥٧ - ١٢١٩ م».

أ - مؤسس الدولة أنوشتكين غرجه «٤٧٠ - ٥٤٩ هـ / ١٠٧٧ - ١٠٩٧ م» :

كان من مجموعة العبيد الذين اشتراهم أحد أمراء السلاجقة ، حيث يجلبون من بلاد القبجاق ، وتربوا في قصور السلاجقة وترقوا العديد من المناصب الإدارية^(٢). ولقد وفق هذا المملوك وأظهر من الكفاءة ما أهله للترقي في أعلى المناصب الإدارية^(٣). عمل لدى الأمير السلجوقي بلكتاتكين وبعدها خدم لدى السلطان ملكشاه ، فتولى منصب الطشتدار^(٤).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ؛ زين الدين عمر بن الوردي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩ ، ذكراً أن السبب وراء ذلك اللقب الأخير «غرجة» كان مملوكاً لرجل من غرستان ومن هنا أخذ اللقب ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، القسم الأول ، المجلد الخامس ، ص ١٨٩ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص ٧٨.

(٢) حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ١٠٩ ؛
S. Lane Pool : the Mohammadn dynasties, p.159.

(٣) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٧ ، ص ١٩٧ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ؛ عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، (الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٧٠ م) ، ص ١١٥.

(٤) الطشتدار : «جشنة كير بالفارسية» من الموظفين الذين يعملون في الطشتخانه «الطشت خاناه» وهو المكان الذي يحوى الطشت الذي تغسل فيه الأيدي وكذلك الأقمشة ، وكذلك ملابس السلطان والمقاعد والسجاد والستائر والمباخر وأنواع =

ولقد كان كل منصب من تلك المناصب تخصص له إيرادات منطقة بعينها للصرف عليه ، فكان خراج خوارزم مخصصا للصرف على الطشختانه ، ومن هنا جاء اتصال انوشتكين بخوارزم ، وعلت مكانته في بلاط ملكشاه ، فتولى شحنة خوارزم ، وحمل لقب خوارزمشاه^(١).

ب- قطب الدين محمد بن انوشتكين خوارزمشاه «٤٩٠- ٥٢١هـ/ ١٠٩٧- ١١٢٧م» :

يعد عارفاً أديباً ، قضى معظم أوقاته عن معدلة ينشرها أو ملزمة يفعلها ، وهو من الولاة المهتمين بدراسة العلم وتحصيله ، لذا ازداد ذكره ، وظهر اسمه ، وعلا شأنه ، واتخذ لقب خوارزمشاه ، وظل بتلك الولاية منذ عام «٤٩٠- ٥٢١هـ/ ١٠٩٧- ١١٢٧م»^(٢).

= البخور والطيب ، ويعرف بعض الصبيان الذين يعملون فيه الطشندارية ، والبعض الآخر يعرف بالرختوائية ، أما عن هذا اللفظ بالذات وتفسيره فقد تعددت الآراء فنجد أنه يعنى «ساقى الخمر المحبوب» Afoavourite-cup bearer ، وفسر كذلك بأنه المسئول عن صب ماء الغسيل للسلطان ، فالسلطان بحاجة دائمة إليه في صب الماء عند قيامه بالغسيل صباحاً ، وكذلك قبل الواجبات وبعدها ، وعند دخول الحمام ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٨ ، ص ٢٢٥ ؛ القلقشندى : صبح الاعشي ، ج ٤ ، ص ١٠ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١١٢ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص ٦٢٩ ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٣٩ ، ١٤٧ ، حاشية ١ ؛ محمد دبير سياقي : المرجع السابق ، ص ٧٩ ، حاشية ١ ؛

Percy Sykes : a history of Persia, London, 1921, vol.11, p.11, 49; C.E Bosworth : the Islamic dynasties : v.5, p.108; Percy Sykes : Persia, (Oxford, 1922), p.53.

(١) أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ ؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٠٨ ؛ حمدالله بن أبي بكر ابن أحمد بن نصر مستوفي قزوینی : تاريخ كزیده ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ١٩٨ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ؛ الذهبي : الغبر في خبر من غبر ، (بيروت ، ١٩٦٤م) ، ج ٤ ، ص ٣٢٧ ؛ =

• أهم أعماله وعلاقته بالسلطان سنجر السلجوقي :

كان حريصاً في بداية حكمه على استتباب الأمور والأحوال الداخلية في إمارته ، فكانت بدايتها تلك الفتنة التي تزعمها «طغرلتكين بن أكنجى» حيث والده أكنجى في خوارزم من قبل أيام «بركيارق» ، والذي فرّ هارباً إلى الأتراك ، وتجمعت حوله ، واتجهوا إلى خوارزم ، وعلى إثرها اتجه قطب الدين محمد لخوارزم ، واستعان بالسلطان سنجر الذي كان موجوداً آنذاك في نيسابور ، فصار بعساكره إليه ، ولكن باقتراب قطب الدين محمد من خوارزم فرّ ذلك الثائر والأتراك إلى منقشلاغ^(١). وهرب طغرلتكين إلى جند خان ، وعادت الأمور إلى هدوئها المعتاد^(٢).

أما علاقته بالسلطان سنجر السلجوقي فكانت علاقة للتابع بالمتبوع ، فهو تابع مطيع طوال مدة إمارته على خوارزم ، ذا الولاء ودقة في إرسال الخراج المقرر عليهم إلى جانب الهدايا ، وكان حريصاً على

= ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٥٤ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٣٩ ؛ أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي القرماني : أخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٧٥ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ، ذاكراً أنه نشأ مثل أبيه في النجابة والشجاعة وحسن التدبير ؛ السيد أحمد بن زيني دحلان : الدول الإسلامية بالجدول المرضية ، (القاهرة ، ١٣٠٦هـ) ، ص ٦٥-٦٦ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١٥١ ؛ محمد أحمد الحوفي الزمخشري : ص ١٢ ؛ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٣٧٦ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٢٩ ؛ حمد الله مستوفي : تاريخ كزيدة ، المجلد الأول ، ص ٣٦٣.

(١) منقشلاغ : قلعة حصينة في آخر حدود خوارزم ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ١٩٩ ، حاشية (١).

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذارت الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٣٢٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، القسم الأول ، المجلد الخامس ، ص ١٩٠ ، ٣٩-٤٠.

اصطحاب ابنه آتسز معه ، وفي السنة التالية أرسل معه ، وفي السنة التالية أرسل ابنه آتسز ، وظل هكذا حتى وفاته^(١).

ج- جلال الدين آتسز^(٢) بن محمد خوارزم شاه «٥٢١ - ٥٥١/١١٢٧ - ١١٥٦م»:

ولقد صار على منهاج والده في اهتمامه بالرعية ، وتحقيق العدل بينهم ، وبذل قصارى جهده في بداية حكمه في تدعيم سلطانه في الإقليم ، وكانت خطواته في سبيل تحقيق ذلك تتمثل في إخضاع الرحل المجاورين لخوارزم ، وبعدها تمكن من بعض المناطق ذات الأهمية بالنسبة لخوارزم وهي مدينة «جند» (الموجودة على المجرى الأسفل لنهر سيحون) ، وشبه جزيرة منقشلاغ^(٣).

(١) إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٨٣ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص ٦٢٩.

(٢) آتسز : كلمة تركية معناها «من لا اسم له» أت تعنى الاسم ، سيز تساوى أداة تجريد وهي عادة سائدة لدى الترك ، وخاصة لدى من يموت أبناؤه وهم صغار ، فيطلق على كل واحد منهم هذا الاسم لكي يعيش الآخرون ؛ نظام عروضي السمرقندي : جهار مقالة ، ص ١٠٦ ؛ محمد دبیر سياتي : المرجع السابق ، ص ٨٠ ، حاشية (١).

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٩٢ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٣٧٦ ؛ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٩٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٤٠ ، ١٣٦ ، ١٩٨ ؛ ابن الوردي : تاريخ بن الوردي ، ج ٢ ، ص ١٠ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٢٩ ؛ محمد دبیر سياتي : المرجع السابق ، ص ٨٠ ؛ مريم احمدي : نظام حكومت ایران در دوران إسلامي بروسى در تكتلات اداري ، كشوري ولشكري ایران از صدر إسلامي تا عصر مغول ، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي ، د.م ، د.ت ، ص ٢٨٠ ؛ قاضي القضاة صدر الدين جهان أبو عمرو منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين بن عمر : طبقات ناصري ، (د.م ، ١٣٤٢هـ) ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٧٤.

د- الأمير آتسز خوارزمشاه وعلاقته بالسلطان سنجر السلجوقي :

يمكننا تقسيم تلك العلاقة إلى مرحلتين :

- المرحلة الأولى : منذ عام ٥٢١-٥٣٠هـ / ١١٢٧-١١٣٥م.

- المرحلة الثانية : منذ عام ٥٣٣-٥٥١هـ / ١١٣٨-١١٥٦م.

• المرحلة الأولى منذ عام «٥٢١-٥٣٠هـ / ١١٢٧-١١٣٥م»

ولقد تميزت المرحلة الأولى بالود والهدوء ، والحرص على تنفيذ أوامر السلطان ، سنجر السلجوقي ، وتأدية فروض الطاعة ، وقيادته لجيوش السلطان السلجوقي ، ومحاربتة لأعداء بلاده المجاورين له ، وهي أشبه ما تكون بعلاقة الابن بوالده^(١). وهناك العديد من الأمثلة الدالة على الطاعة والولاء وسوف نكتفي بذكر مثالين :

أولهما ، عام «٥٢٦هـ / ١١٣٢م» : حيث اشترك آتسز في تلك المعركة التي كانت بين السلاجقة والسلطان مسعود الغزنوي ، وذلك بناء على أوامر السلطان سنجر ، فكان الأمير آتسز خوارزمشاه على ميسرة جيش سنجر ، وتحقق النصر للسلاجقة ، حيث راسل السلطان سنجر السلطان مسعود معاتباً ، وأعيد للسلطنة بواسطة طغرل بن محمد ، وخطب له بجميع البلاد^(٢).

والثاني : عام «٥٢٩هـ / ١١٣٤م» : نظراً لثقة السلطان السلجوقي في الأمير آتسز جعله على مقدمة جيشه المتجه إلى غزنة لمساعدة «فخر الدولة» بهرام شاه الغزنوي أخو أرسلان شاه الذي تولى أمر غزنة بعد

(١) إقبال عباس : الاشتيائي : المرجع السابق ، ص ٣٢٠ ؛ مستوفي قزويني : تاريخ گزیده ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٤٢.

وفاة علاء الدولة صاحب غزنة^(١). في شوال ٥٠٨هـ / ١١١٤م من السلطان سنجر ، ولكنه ساء معاملة أخوته بالحبس ، وقد حاول السلطان سنجر عودة الأمور إلى ما كانت عليه من الود والمحبة ، ولكن باءت محاولته بالفشل ، لذا عزم على الاتجاه إلى غزنة ، ومعهم الأمير آتسز وهزم بهرام شاه في تلك المعركة^(٢).

وبالإضافة إلى ما سبق وحرصه الشديد على الذهاب لبلاط السلطان سنجر كما عودة والده من قبل وذلك للتقرب إلى السلطان ودفع الجزية المقررة عليهم. ولكن ما لبثت أن تبدلت الأحوال من الود إلى العداء والصراعات والحروب ومفاوضات لصلح ونقضها من آن إلى آخر والسبب وراء ذلك يرجع إلى هؤلاء الأمراء الحاقدين على آتسز لولائه للسلطان سنجر لذا أوغروا صدر السلطان سنجر عليه وذلك بذكرهم رغبة الأمير آتسز في الاستقلال بدولته وإنهاء تبعيته للسلطان ، وبذلك بدأت المرحلة الثانية.

• المرحلة الثانية : «٥٢٣ - ٥٥١هـ / ١١٢٨ - ١١٥٦م»

وتنقسم تلك المرحلة إلى ثلاثة صدامات :

• الصدام الأول عام ٥٢٣هـ / ١١٢٨م :

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره حول تبدل العلاقات بينهما ، نذكر كذلك رغبة الأمير آتسز خوارزمشاه في الاستقلال والقيام بكيان دولته ، وكانت أعماله تؤكد رغبته تلك ، ومنها : غضبة من بعض أمراء السلطان سنجر في خوارزم ، وقبضة على عماله بالإضافة إلى إلقاءهم في السجن

(١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ١١٦.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٨-٣٠ ؛ النويري : المصدر السابق

، ج ٢٦ ، ص ٣٧٦.

و غضب السلطان سنجر من تلك الأعمال ، قائلاً : « قد أراق دماء المسلمين بجند ومنقشلاغ التي عرف أهلها بإخلاصهم في الدفاع عن الثغور في الإسلام ، وجهادهم الدائب ضد الكفار »^(١).

ما سبق جعل الطرفين على أهبة الاستعداد لنشوب الحرب بينهما ، لذا قام الأمير آتسز بإغلاق الطرق المؤدية لإقليمه من خراسان ، ثم إغراق المناطق المجاورة له بمياه نهر جيحون « وتلك عادة الخوارزميين في وقت الحرب ، وظلت فيهم حتى قضاء المغول عليهم » ، وخاصة بالقرب من مدينة هزاراسب لإعاقة جيش السلطان الذي كان آنذاك في مدينه بلخ ، لذلك لزم عليهم الاتجاه لخوارزم عن طريق الصحراء ، وذلك في شهر محرم عام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م^(٢). ونشبت المعركة وهزم على أثرها الأمير آتسز وفر إلى الوادي.

• نتائج ذلك الصدام :

أ - فقدان الأمير آتسز ما يقارب من ١٠ آلاف جندي ما بين قتل وجريح وأسير من جيشه الذي يتضمن عدداً كبيراً من الأتراك المجاورين ومن بينهم ابنه «إيل قتلغ» الذي أمر السلطان سنجر بتصنيفه وإرسال رأسه لأبيه ، مما أثار ثائرة آتسز ، وبدا في الاستعانة بمن يجاوره من جيرانه.

ب - ترك السلطان سنجر على خوارزم ابن أخيه «سليمان شاه بن محمد» والياً عليها ، وجعل له وزيراً واتبكاً وحاجباً وعاد بعد بقائه في

(١) رشيد الدين الوطواط : حقائق السحر في دقائق الشعر ، نقلة لأول مرة بالعربية : إبراهيم أمين الشواربي ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ، ص ٨ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ٣٨٥ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٧٤ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ١٧١.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٧٤.

أرض المعركة أسبوعاً إلى مرو ، ولم تمر فترة طويلة على تلك الأحداث حتى استعان أهل خوارزم بأميرهم آتسز ، فانتهاز الفرصة وعاد لخوارزم ، وهزم سليمان شاه الذي فر هارباً إلى السلطان تاركاً خوارزم^(١). واستقرت الأمور في خوارزم وأطلق الأمير آتسز على نفسه لقب ملك ، وفي عام «٥٣٥هـ/١١٤٠م» حذف اسم السلاجقة من الخطبة ، وكذلك العملة راغباً في الاستقلال^(٢).

ج- تؤكد المصادر أن من أهم نتائج تلك الحرب - وكما سبق وأشرت - استعانة الأمير آتسز بالقراخطاي - الخطا^(٣). لانتقامه من السلطان

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٦٧ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٢١٥ ؛ أبو الوردى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ١٩١ ؛ القرمانى : المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ؛ أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ ؛ السيد أحمد بن زيني دحلان : المرجع السابق ، ص ٦٦ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١٦ ؛ خواندمير : ص ٦٣١ ؛ مستوفي قزوینی : تاريخ گزیده ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧ ؛ إيوارد جرانييل براون : تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي للسعدی ، ج ٢ ، ص ٣٨٤.

(٢) حمدالله مستوفي : تاريخ گزیده ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧.

(٣) القخطاي «الخطا» : يذكر أنه «قرة» لفظ تركي معناه أسود ، وهناك احتمال يذكر أن المغول قد أطلقوا هذا اللفظ عليهم لعداوتهم وكرهم الشديد للخطا ، وهم من الشعوب الصينية التي بلغ عددها اثنتين وعشرين قبيلة ، منها قبيلة الخطا وتبلغ عددها مائتي ألف شخص ، وقبائل غيرها خرجوا من موطنهم شمال جبال تيان شان وأودية نهري ايلي وتاريم ما بين بحيرتي بلخاس وايس كول ، في أوائل القرن ١٢هـ/١٢م ، واستقروا غرب إقليم التركستان ، وتكونت دولتهم المعروفة بدولة القراخطانيين ، ويرجع تأسيس تلك الدولة إلى رجل يدعى «يوتاشه» ويقال له الكورخان «ملك الملوك» أو «خان خانات» ، ولقد صار فيما بعد لقب القراخطاي ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ٢٠٠ ، =

سنجر^(١). وكانت علاقة آتسز بهم طيبة ، فهو حريص على دفع الجزية ومقدارها ٣٠٠ ألف درهم من الذهب كل عام ، مرفقا معها الجزية العينية ، ومن المرجح أن يكون السبب وراء استعانتة بالقراخطاي هي معركة قطوان نسبة إلى صحراء قطوان في شمال سمرقند ، وتمرده وعصيانه على السلطان سنجر ، باعتبارها معركة فاصلة في حياته ، فهي تمثل انتهاء مرحلة القوة للسلطان وبداية مرحلة الضعف والانهيار له أيضاً ، فصارت الكفة راجحة للقراخطاي ، حيث فقد السلطان سنجر فيها عدداً كبيراً من جنوده بلغ عددهم ١٠٠ ألف رجل منهم ١٢ ألف من أصحاب العمائم ، وكذلك ٤ آلاف امرأة وعلى رأسهم زوجته «تركان خاتون» ، بالإضافة إلى أسر السلطان سنجر نفسه ، وحمله إلى الخان وبقائه عاماً كاملاً لديهم وعلى الرغم من معاملتهم الطيبة له لم يمنع ذلك من ضياع ملك ما وراء النهر من يديه وتملك القراخطاي لها^(٢).

= حاشية ١ ؛ أبو الفرج جمال الدين ابن العبري : تاريخ الزمان «نصوص - دروس» ، (دار المشرق ، بيروت ، ١٩٤٩-١٩٥٦م) ، ص ٧٨ ؛ ابن خلدون المصدر السابق ، المجلد الثالث ، القسم الخامس ، ص ١٠٦٩ ، إقبال عباس الاشتيائي : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ ؛ محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٦ ، حاشية ٣ ، ص ٤٣ ، حاشية ٤-٥ ، وذكر ملكهم في المراجع الأجنبية تحت «يه-لوتاش».

Ye-Lui tashi or ye - Lu - chai: Sir percy sykes, history of Persia, p.49.

- (١) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٥٥.
- (٢) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ٨ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٣٨٥ ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، (دار صادر ، ط ١ ، بيروت ، ١٣٥٨هـ) ، ج ١ ، ص ٩٦-٩٧ ؛ ابن الوردي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، =

كل ذلك مهد الطريق للأمير آتسز إلى القيام بالعديد من الأعمال وهي على النحو التالي :

أ - إغارته على المناطق الشرقية الواقعة بين كاشغر وبخارا وكذلك تأليب الأقطار الإسلامية على السلطان سنجر ، والتي كانت تابعة له من قبل^(١).

ب- استحوازه على العديد من المناطق ، ومنها سرخس واتجاهه بجيشه إليها ، ومقابلته للإمام «أبي محمد الزيادي» ثم اتجاهه إلى العاصمة مرو الشاهجان ، وتقابل معه الإمام «أحمد الباخوري» فشجع لأهل مرو واستجاب الأمير آتسز لأوامره ، لذا جعل الجنود على ظاهر المدينة ونظراً لثورة أهل مرو عليه وإخراج أصحابه وقتلهم ، دفعه ذلك إلى قتالهم وملك المدينة عنوة ، وجلس على عرش السلطان سنجر ، ونقل خزائنه وأمواله ، وكذلك غلمانة وفقهاء مرو إلى خوارزم ، وكان من بين الفقهاء «أبو الفضل الكرمانى»^(٢).

= القسم الأول ، ص ١٩٢ ؛ نظام عروضي السمرقندى : جهار مقالة ، ص ١٠٧ ، حاشية ٢٤ ؛ عطا ملك الجوينى : جهان گشا ، ص ١٦٣ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولى ، ص ٤٧٧ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١٤٤ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ؛ رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ذكر تاريخ آل سلجوق ، تصحيح وتحشيه : محمد روست ، ومصطفى موسى : تهران ، ١٣٧٣ هـ ، المجلد الثاني ، القسم الخامس ، ص ٨٧.

(١) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ١١٧.

(٢) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ٨ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ٢٠٠-٢٠١ ؛ ابن الجوزى : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٩٥ ، ذاكرا «أنه قد قبض على أبي الفضل الكرمانى متقدم الحنيفيين ، وعلى جماعة من الفقهاء» ؛ المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، =

وبعدها صار إلى نيسابور وحدث بها ما حدث بمرو ، وتشفع
علمائها عنده وقبل ذلك ووافقوا على ذكر اسمه في الخطبة بدلاً من
السلطان سنجر السلجوقي وإن كانوا قد ثاروا عليهم ثم ما لبثوا أن رجعوا
لصوابهم خوفاً من الأمير^(١). ثم ثار بجيشه إلى أعمال بيهق ، وظل
يحارب أهلها خمسة أيام تقريباً ، وبعدها تفشي الجنود فيها ينهبون
ويسلبون^(٢). ثم عاد الأمير آتسز إلى خوارزم ، وخلع ولاءه وتبعيته
للسلطان سنجر ، وبذلك أعلن استقلاله المؤقت ، وجعل رشيد الدين
الوطواط العمري رئيس ديوان إنشائه ونظراً لأن رشيد الدين كان
مصاحباً للأمير في كل ما قام به ، فبارك له ما فعله ، وقال :

= ص ٣٧ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢١٨ ، قاتلاً : «إن عدد
الجيش الذي كان لخوارزم ٣٠ ألف مقاتل» ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،
ص ١٩٧ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٢١ ؛ براون : المصدر
السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ ؛ رشيد الدين فضل الله : المرجع السابق ، ص ٨٧.
(١) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ٨٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق
، ص ١٩٣ ؛ محمد بن العظيमी الحلبي : تاريخ العظيमी ، (باريس ، ١٩٣٨م)
، ص ٤٤٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٧٧ ، ذاكراً أن نهب آتسز لمرو تم
في ٩ نوفمبر ٥٣٦هـ ، وإن كان لم يبلغ نيسابور إلا في مايو من العام نفسه
٥٣٦هـ/١٤٢م ، ويعنى تأخره احتمالية تعرضه للهجوم من قبل القراخطاي مما
اضطره إلى المصالحة ودفع الجزية ، وذلك يتنافى مع استعانتهم بهم ضد
السلطان سنجر ، وهناك منشور قد وجهه لأهل نيسابور قال : (إن ما حاق
بسنجر كان جزءاً وفاقاً على نكرانه الجميل الذي قابل به إخلاص خوارزمشاه
في خدمته ولا ندرى أن كان ينفعه الندم فهو لن يجد عضداً أو صديقاً لدولته
مثلنا) ، وقرأت الخطبة له في ٢٩ مايو ٥٣٨هـ/١٤٣م ؛ عطا ملك الجويني :
المرجع السابق ، ص ١٦٧.

(٢) النويري : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ٢٠١ ؛ المقرئزي : المصدر السابق ،
ج ١ ، ص ٣٧ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع السابق ، ص ١١٧.

عندما أقبل الملك إلى عاصمته وعرشه انتهى أمر السلاجقة وآل لهم^(١).

ولكن ما لبث الأمير أن فقد ذلك الاستقلال المؤقت ، وذلك
برجوع السلطان سنجر السلجوقي واستعادته لسلطانه على خوارزم ،
وتوجه للعاصمة الخوارزمية ، وبذلك بدا الصدام الثاني بينهما.

• الصدام الثاني «٥٢٨/١١٤٣م» :

حيث ظل الصدام قائماً بينهما وراء أسوار العاصمة الخوارزمية
هزاراسب «وتعني ألف جواد» حتى أوشكت على السقوط في أيدي
السلاجقة ، لولا لجوء الأمير آتسز إلى الاعتذار ، وإرسال الهدايا مع
أمرائه جيشه ، وطلبه للصلح معتذراً عما بدر منه ، فترك السلطان الحرب
، وترك خوارزم وعاد إلى دار ملكه^(٢). وبعدها أعاد الأمير آتسز كل ما
أخذه من كنوز السلطان لعاصمته مرو ، وبقي على ولايته^(٣).

(١) جون ملك آتسز تتجت ملك برآمد دولت سلجوق وآل وى سر آمد

رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ١٨١ ، مستوفي قزويني : تاريخ
گزیده ، المجلد الأول ، ص ٤٨٧ ، (وإن كان قد اختلف معه في ميعاد نكر ذلك
البيت محدداً ذلك بعد الصدام الأول بينهما).

(٢) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ٨٠ ؛ النويري : نهاية الأرب في
فنون الأدب ، ج ٢٧ ، ص ٢٠١ ، ج ٢٦ ، ص ٣٨٦ ؛ ابن الوردي : المصدر
السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، ذاكراً أن عام ٥٣٧ هـ (هو العام الذي حصر فيه
السلطان سنجر آتسز وأعلن الطاعة له) ؛ المقرئزي : السلوك لمعرفة دول
الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ٣٧ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي
حتى الغزو المغولي ، ص ٤٧٨ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ٨٦ ؛ حمد
الله مستوفي قزوين : المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٤٨٨ ؛ خواندمير :
المرجع السابق ، ص ٦٣١ ؛ محمد دبیر سياقي : المرجع السابق ، ص ٨٠ ؛
میراخوند : روضة الصفا ، ج ٤ ، ص ٣٥٩.

(٣) النويري : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ٢٠١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ،
ص ١٧٨.

• **الصدّام الثالث للأمير آتسز مع السلطان سنجر «٥٤٢هـ/١١٤٧م» :**

يرجع هذا الصدّام إلى تلك الرسالة التي أرسلها الأمير آتسز بعد قبول السلطان سنجر لاعتذاره ، وكان مضمونها تلك القصيدة ، وهي :

أنه لا طاقة له بالحرب ولا يرغب حتى في الصلح مع الملك
والملك ملك الدنيا والعالم وهزيمتي ليست عارا بل فتنه^(١).

وندرک من البيتين السابقين عدم مبالاة الأمير آتسز بالحرب ولا الصلح إلى جانب أثارته لغضب السلطان سنجر ، لذا فقد رد السلطان برسالة أرسلها مع الأديب صابر ذمّ فيها الأمير بكونه عاجزاً عن الصلح ، وكونه في حالة من الأمن والأمان ، وأن تحول السلطان سنجر عن العهد ليس من شيمه ، إلى جانب أنه لا يخشي عداوته ، بل يخاف الله في أراقه دماء المسلمين ، ووقوع القتل بينهم.

وترتب على ذلك قرار الأمير بالتخلص من السلطان عن طريق توكيل شخصين من الفداوية الإسماعيلية لقتله ، ولسوء حظه علم أديب صابر الترمذي بتلك المؤامرة ، فأرسل إلى السلطان رسالة مخبئة في حذاء امرأة عجوز ، موضحاً فيها أوصاف هؤلاء ، وتم التعرف عليهم وقتلهم ، وكان جزاء أديب صابر على وفائه لسيده هو قتله بإلقائه في نهر جيحون.

(١) مرا با ملك طاقت جنگ نیست

بصلح ملك نیز آهنگ نیست

ملك شهيد يا رست وشاه جهان

هزيمت شذن زو مرآت كنيست

حمدالله أبي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي قزوینی : تاريخ گزیده ، المجلد الأول ، ص ٤٨٨.

وبعد تلك المناوشات عزم السلطان سنجر على محاربة آتسز والاتجاه إلى خوارزم^(١). فكانت الحملة الثالثة على خوارزم عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، فاتجه السلطان إلى العاصمة هزarasb ، وحوصرت شهرين تقريباً وأثناء الحصار تم العديد من المراسلات الأدبية بين كل من الشاعر أنوري «كان في خدمة السلطان سنجر» وبين رئيس ديوان الأمير آتسز «رشيد الدين الوطواط».

وكانت البداية للشاعر أنوري الذي قال هذا الرباعي ووضعه على سهم وألقاه على مدينه هزarasb ، وقال :

أيها المليك إن ملك العالمين رهن لإشارتك

وبدولتك وإقبالك قد كسبت العالم

فاليوم أقدم بحملة واحدة وخذ هزarasb فغداً

ستأخذ خوارزم ومائة شبيه بهزarasb

(١) رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ٨ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٧٨ ؛ إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٨٦ ، قائلاً : عن أديب صابر بكونه من ترمذ ، كان مادحاً للسلطان ، ثم بعث برسالة إلى الأمير آتسز ، ومكث في خوارزم فترة حتى تمت تلك المؤامرة التي دفع حياته ثمناً لاكتشافها ، ص ٢٨٧ ، حاشية ٢ ؛ حمدالله مستوفي القزويني : المصدر السابق ، ص ٤٨٨ ؛ خواندمير : حبيب السير في أخبار البشر ، ص ٦٣١ ، حيث اختلف معهم في كونه قد أرسل أديب صابر لكي يوقف عمليات التمرد ، وخاصة عندما علم بنيه آتسز في إرسال رجلين لاغتيال السلطان ولم يشر إلى رسالة آتسز ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ ؛ براون : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٥-٣٨٦.

فرد عليه رشيد الدين الوطواط قتلاً :

لو قدر وكان خصمك هو البطل المعروف رستم

فاته لن يستطيع أن يأخذ حماراً واحداً من جيادك الألف «هزاراسب»^(١).

وفي النهاية تمكن السلطان سنجر من الاستيلاء على مدينة هزاراسب ، إلى جانب رغبته الأكيدة في التوجه لعاصمة الأمير آتسز لولا تدخل الوسطاء من العلماء والمشايخ للشفاعة له عند الأمير سنجر ، ومن بينهم زاهد يدعى «أهو بوش» وتم الصلح مشروطاً بذهاب الأمير آتسز إلى ضفاف نهر جيحون لتقديم مراسم الولاء والطاعة ، وتم ذلك رغم أنه في مقابلته للسلطان سنجر لم يترجل عن جوداه ، ولم يقبل الأرض تحت أقدام السلطان ، بل اكتفى بانحناء رأسه ، ولم يشأ السلطان نشوب حرب أخرى بسبب قصوره في تقديم واجب الاحترام من قبل أحد أتباعه وعاد إلى مرو^(٢).

(١) اى شاه إهمه ملك زمين حسب تراست واز دولت واقبال جهان كسب تراست
امروز بيك حمله هزاراسب بغير فردا خوارزم وصد هزاراسب تراست!
بيت رشيد الدين الوطواط :

گر خصم توای شاه بود رستم گرد يك خرز هزاراسب تو نتو نديرد
رشيد الدين الوطواط : المرجع السابق ، ص ٩ ، ذاكراً أن السلطان سنجر بمجرد سماعه بما قاله حتى أقسم على تمزيقه إلى سبعة أقسام ، وجد في البحث عنه ، فاخذ الوطواط على عاتقه التنقل والترحال من مكان إلى آخر حتى أدرك في النهاية أنه لا راحة ولا استقرار إلا بعونه لوطنه خوارزم ، لذا جد في البحث عما يتشفع له عنده فكان «منتخب الدين بديع الكاتب» الذي يجمع بين الإنشاء والمنازمة ، وانتهاز الفرصة وحصل على العفو لرشيد الدين ؛ حمدالله مستوفي القزويني : المرجع السابق ، ص ٤٨٨-٤٨٩ ؛ خواندمير : حبيب السير في أخبار البشر ، ص ٦٣١ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، الجزء الرابع ، ص ٣٦٠.
(٢) أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ؛ إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص ٢٨٧-٣٠٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٧٨ ؛ -

وبذلك فقد الأمير آتسز الأمل في فرض سيطرته على خراسان ،
لذا وجه اهتمامه إلى حوض نهر سيحون لاسترداد ما ضاع منه^(١). ومنها
مدينة «جند» التي حرص على استرجاعها مرة ثانية ، وكان حاكمها في
ذلك الوقت «كمال الدين بن أرسلان خان محمود» فأرسل له الأمير آتسز
من أجل التعاون معه للقيام بحملة في ربيع عام ٥٤٧/١١٥٢م ، على
أراضي القبجاق الذين جعلوا من مدينه «سقناق» أو «سغناق» مركزاً لهم
، لذا أعد الجيش بذلك.

وإن كنت أرجح كونه فعل ذلك لإرهاب ذلك الحاكم ، بدليل أنه ما
إن علم بذلك حتى فر هارباً من المدينة ، فأرسل إليه مبعوثيه ووعدوه
بالعودة سالماً ، ولكن لم يف الأمير آتسز بذلك وقضى ذلك الحاكم بقية
حياته في السجن ، ولم تتم تلك الحملة التي زعمها ، ونظراً لانشغال جنده
في استتباب الأمن في مواضع أخرى تمكن الثوار من المدينة فقام الأمير
آتسز بمحاولة أخرى خارج المدينة ، وتمكن قواده في أسبوع واحد من
اجتياز المفازة بين خوارزم وجند ، ووصلوا إلى ضفاف نهر سيحون
عند «صاغ دره» أي على مسافة عشرين فرسخاً «٢٠ فرسخاً» من مدينة

= دائرة المعارف الإسلامية : ج ٢ ، ص ٢٢٢ ؛ حمد الله مستوفي القزويني :
تاريخ غزيرة ، المجلد الأول ، ص ٤٨٩ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ج ٤ ،
ص ٦٣٢ ، والذي خالف المصادر حول الذي ذكرته في مقابلة الأمير آتسز
للسلطان السلجوقي سنجر عند ضفاف نهر جيحون فيذكر أنه قد أتى بجانب
جيحون ، وسار في مواجهة السلطان ونزل من على جوداه ، ومرغ وجهه في
التراب ، واعترف بغلطته وجرمه ، ثم صار بجانب السلطان وتأدب بآداب
السلطان ، وكذلك أرسل هدية وهي منحه مالية من الصغير إلى الكبير ؛
ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٤ ، ص ٣٦٠ ؛ رشيد الدين فضل الله : المصدر
السابق ، المجلد الثاني ، الجزء الخامس ، ص ٨٧.

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٧٨-٤٧٩.

جند ، وفي ٩ من شهر ربيع الأول عام ٥٤٧هـ / ١١٥٢م ، شارف على أبواب المدينة حيث كانت الظروف مهيأة لصالحهم ، ولقد قر الثوار هرباً عندما سمع بقرب مقدم الجيش ، أما بقية الثوار فقد اقساموا يمين الطاعة وتم العفو عنهم واستعاد مدينة جند مرة ثانية ، وولى عليها ابنه أبا الفتح إيل أرسلان^(١).

• الوضع في خراسان :

لقد كان الوضع مختلفاً تماماً ويسير في صالح الأمير آتسز ، حيث نشبت الحرب بين السلطان سنجر وقبائل الغز التركية عام ٥٤٨هـ / ١١٥٣م ، نظراً لرغبة السلطان في إخضاع هؤلاء الرعاة لولاء دولته وإداراتها وجباية ضرائبها من الإيرانيين ، ولكنه هُزم شر هزيمة ، وظل لديهم ما يقرب من ثلاث سنوات^(٢).

وعلى إثرها دب الهرج والمرج في خراسان ، واستولى الغز على مرو عاصمة السلطان سنجر إلى جانب نيسابور ، لذا سُنحت الفرصة لآتسز من أجل تحقيق حلمه ومحاولته ثانياً في الاستقلال ، وفرض سيطرته على خراسان ، إلا أنه أخذته الحمية فظهر بمظهر المدافع عن السلطة الشرعية^(٣). فاخذ على عاتقه تأمين حدود إمارته ، بطلبه ضم مدينة آمل إليه من حاكم آمل ولكنه لم يوفق ، وكذلك حملته إلى جند ،

(١) حمدالله مستوفي القزويني : المصدر السابق ، ص ٤٨٩ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٣٢-٦٣٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٢) بدر الدين العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، ص ١٧٨ ، (ولقد ذكر كونه قد أسر لديهم ما يقارب من خمس سنوات ، وإن كان ذلك يتناقض مع تاريخ وفاته) ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص ٦٣٢.

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ١٩٣ ؛ إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٨٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٨٠ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ٨٦ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ٢ ، ص ٢٢٢.

وشبة جزيرة منقشلاغ ، وكذلك ضد القبجاق ، وأخيه «ينال تكين» الذي قام بالتحريض في نواحي بيهق ، وذلك من أواخر ديسمبر عام ١١٥٣م إلى آخر خريف عام ١١٥٤م ، وبعدها اتجه إلى ضرورة تخليص السلطان سنجر من أيدي الغز ، بحضوره بما تبقى من جيش السلطان إلى ما وراء النهر حيث حاكمها «ركن الدين محمود خان» وعقدوا اتفاقاً على إنقاذه ، وترك الأمير آتسز على خوارزم ابنه «خطاي خان» نائباً عن أبيه^(١).

ولقد ظل الأمير آتسز وابن أخت السلطان سنجر ركن الدين محمود خان ثلاثة أشهر في بعض نواحي نسا يتشاوران في تنظيم المملكة^(٢).

وفي عام ٥٥١هـ / أكتوبر - نوفمبر ١١٥٦م ، تمكن السلطان سنجر بمساعدة أحد قواده من الخلاص من أيدي الغز ، ووصل إلى مدينه ترمذ بسلام ، وما أن علم الأمير آتسز بذلك حتى أرسل رسالة يهنئه بسلامة الوصول والنجاة من هؤلاء الغز^(٣). وبذلك عاد لتبعيته للسلطان سنجر طالباً منه السماح بالعودة إلى خوارزم ، أو الذهاب إلى مدينة ترمذ بعد عودة السلطان إلى عاصمته مرو ، ويضم إلى جيشه أو يبقي في خراسان.

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٨٠.

(٢) خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٣٢.

(٣) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ٢٨٨ ؛ دائرة المعارف

الإسلامية : ج ٢ ، ص ٢٢٢ ؛ إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ،

ص ٢٨٨ ، ذكرا أن الأمير آتسز بعد أن تلاقي في خراسان مع الخاقان محمود

راسل وكتب لكل من الشاه الغازي اسبهيد طبرستان ، علاء الدين حسين الغوري

، تاج الدين أبو الفضل ملك تيمروز ، من أجل الدعوة إلى معاونه السلطان

سنجر وتخليصه من حبسه.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل أرسلت رسائل على نفس وتيرة رسالة الأمير آتسز من أجل المصالحة والمصالمة من كل من «محمود خان حاكم ما وراء النهر ، وحاكم سجستان حاكم ولاية الغور الجبلية» وتمت المصالحة عندما تقابل السلطان مع رسول حاكم سجستان في مدينة شهرستان ، وكذلك محمود خان في إحدى مدن خراسان وهي خبوشان»^(١).

وظل الأمير آتسز على تبعيته تلك حتى إصابته بمرض مات على إثره في جمادى الأولى ٥٥١هـ / ٣٠ يوليو ١١٥٦م ، وكان عمره في ذلك الوقت ٥٩ عاماً ، ويذكر أنه في أيام مرضه وصله صوت شخص يقرأ القرآن وعندما أنصت لهذا الصوت سمع تلك الآية «وما تدرى نفس بأي أرض تموت». أرض تموت».

ولقد بكاه رشيد الدين الطواط قائلاً :

أيها الملك لقد كان الفلك يرتعد لشدة فهرك

وكان ينقاد لك طواعية ويستجيب لأمرك

فأين واحد من أصحاب النظر لينظر في خبرك

وهل كان كل هذا الملك ليساوى هذه النهاية عندما غيبوك في قبرك^(٢).

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الخامس ، القسم الأول ،

ص ١٩٤ ؛ إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ؛ بارتولد :

تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٨١.

(٢) رشيد الدين الطواط : حقائق السحر في دقائق الشعر ، ص ١٥ ؛ خليل بن أبيك

بن عبدالله الأديب صلاح الدين الصفدى : الوافي بالوفيات ، ج ٦ ، ص ١٩٥ ،

حيث قال آتسز عند الموت : «ما أتمنى بالية ، هلك عنى سلطانيه» ؛ ابن خلدون

: المصدر السابق ، ص ١٩٤ ، ذكرا أنه توفي بعد أن تولى حكم ولايته ستين

عاماً تقريباً ؛ إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص ٣٠٢ ؛ خواندمير :

المرجع السابق ، ص ٦٣٢.

وبذلك وضع الأمير آتسز الأساس الذي سوف يسير عليه خلفاءه من بعده وذلك بعد أن انتهت تبعية إمارة خوارزم للسلاجقة بوفاة السلطان سنجر في ربيع الأول عام ٥٥٢/١١٥٧م^(١).

ومنذ عهد السلطان إيل أرسلان خوارزمشاه قامت دولة شاهات خوارزم بعد محاولات عديدة من أمرائها في الاستقلال من تبعية الدول المجاورة.

(١) النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٣٨٩ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٨٢ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٢ ، ص ٣٤٩ ؛ عطا ملك الجويني : جهان گشا ، ص ١٦٧.

الفصل الثاني

دولة شاهات خوارزم

«٥٥٢ - ٦١٧ هـ / ١١٥٦ - ١٢١٩ م»

محتويات الفصل

مقدمة تمهيدية.

أولاً : السلطان إيل أرسلان بن آتسز خوارزمشاه

«٥٥٢ - ٥٦٨ هـ / ١١٥٧ - ١١٧٢ م»

أ - توسعات إيل أرسلان خوارزمشاه.

ب - إيل أرسلان ومحاولته السيطرة على بعض مدن إقليم بلاد الجبل.

ج - إيل أرسلان خوارزمشاه وعلاقته بالقراخطاي.

ثانياً : أبو المظفر علاء الدين تكش خوارزمشاه

«٥٦٨ - ٥٩٦ هـ / ١١٧٢ - ١١٩٩ م»

أ - الصراع على العرش بينه وبين ابن أخيه سلطان شاه أبو القاسم محمود بن إيل أرسلان.

ب - السلطان الخوارزمي تكش وسيطرته على إقليم الجبل.

ج - الثورات ضد الخوارزميين في إقليم بلاد الجبل.

د - حملته على مدينة بخارا واستيلاؤه عليها عام ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م.

هـ - محاولة السلطان تكش الاستيلاء على مدينة سرخس.

و - السلطان تكش خوارزمشاه وصراعه مع الغوريين والقراخطاي

عام «٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م».

ز - السلطان تكش ومحاربته للإسماعيلية الحشيشية.

ثالثاً : علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه

« ٥٩٦ - ٦١٧ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٩ م »

- أ - توليته لعرش خوارزم وصراعه مع ابن أخيه هندوخان.
- ب - الغوريون واستيلاؤهم على بعض أملاك الدولة الخوارزمية وموقف السلطان الخوارزمي من ذلك.
- ج - محاصرة السلطان علاء الدين خوارزمشاه لمدينة هراة وأسباب ذلك.
- د - استيلاء السلطان علاء الدين محمد على كل من بلخ ، والترمذ والبلدان المجاورة لها.
- هـ - العودة إلى هراة والسيطرة عليها نهائياً عام « ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م ».
- و - استيلاء علاء الدين محمد خوارزمشاه على غزنة وأعمالها.
- ز - القراخطاي وقضاء السلطان علاء الدين محمد على دولتهم.
- ح - الأوضاع العامة لإقليم بلاد الجبل واستعادته له منذ عام « ٥٩٥ - ٦١٤ هـ / ١١٩٨ - ١٢١٧ م ».
- ط - السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه والخلافة العباسية وحملته على بغداد.

الفصل الأول دولة شاهات خوارزم

مقدمة تمهيدية :

تناولنا في الفصل السابق الكيانات السياسية شبه المستقلة التي قامت في إقليم خوارزم ومحاولات أمراء تلك الأسر للحصول على استقلالهم وتركهم لتبعية كل من الغزنويين والسلجقة ، ونجاحهم في بعض الأحيان في تحقيق ذلك ، ولو لفترات قليلة تكاد لا تذكر ، ثم يعودون لتبعية تلك الدول مرة ثانية ، واستمر ذلك حتى البدايات الأولى المبشرة لتكوين دولة شاهات خوارزم المستقلة والتي تمثلت في مؤسس تلك الدولة انوشتكين وابنه قطب الدين محمد ، وحفيده الأمير آتسز والذي جاهد محاولاً أكثر من مرة الحصول على استقلال تلك الدولة ، وذلك كما وضعنا من خلال حروبه المستمرة مع أعظم سلاطين الدولة السلجوقية السلطان سنجر السلجوقي والذي بوفاتها حصلت الدولة على استقلالها بعد جهاد طال أمده ، وبدأ كيان تلك الدولة القوية منذ عهد السلطان إيل أرسلان بن آتسز والذي يعتبره المؤرخين أعظم وأول السلاطين العظام في تلك الدولة.

أولاً : السلطان إيل أرسلان بن آتسز خوارزمشاه^(١) «٥٥٢ - ٥٦٨ هـ / ١١٥٧ - ١١٧٢ م» : كان حاكماً على ولايتي جند وسقناق في حياة والده^(٢). وما أن ذاع خبر وفاة الأمير آتسز بن قطب الدين محمد بنحو أربعة أيام ، توجه إلى خوارزم فبايعه الأمراء وأركان الدولة في الوقت الذي كان فيه فريق

(١) إيل أرسلان : إيل لفظ تركي معناه ولاية ، أرسلان لفظ تركي أيضاً يعني الأسد ؛

محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٤ ، حاشية ١.

(٢) حبيب الله شالموني : تاريخ إيران از ماد تا بهلوی ، ص ٤٣٦ ؛ خواندمير :

حبيب السير في أخبار البشر ، ص ٦٣٣.

يتزعمه الأتابك «أغلبيك» وعدد من الأعيان ينادون بتولية سليمان شاه بن آتسز على عرشى خوارزم ، وتمكن إيل أرسلان من القضاء على مثيري الفتنة وجلس على العرش في الثالث من رجب عام ٥٥٢هـ/١١٥٦م^(١). يؤكد ذلك ما ذكره بارتولد قائلاً : «قتل نفراً من أعمامه وسمل أخاه فمات بعد ثلاثة أيام وقيل : بل قتل نفسه»^(٢). وبذلك تولى إيل أرسلان ملك خوارزم بعد وفاة والده مباشرة^(٣). وبعث بطاعته للسلطان سنجر السلجوقي الذي كتب له ولاية خوارزم ، وظل على تلك الطاعة حتى وفاته ، وبعدها صار إيل أرسلان أو سلاطين الخوارزميين المستقلين^(٤).

أ - توسعات إيل أرسلان خوارزمشاه :

أخذ إيل أرسلان على عاتقه تنفيذ الخطة التي رسمها والده من قبل في السيطرة وفرض سلطانه على خراسان ، وخاصة بعد وفاة السلطان سنجر أكبر مانع لتقدم الخوارزميين في خراسان ، بوفاة انتهت القوة السلجوقية في بلاد فارس وخراسان ، وانتشر الهرج والمرج في خراسان وما وراء النهر ، لذا اتجه لعقد اتفاق مع ركن الدين محمود خان (خليفة السلطان سنجر) والذي لم يكن في مهارة السلطان السابق وذلك يتضح من خلال تلك الرسائل المرسلة من إيل أرسلان له ، والتي كانت

(١) ميرخواند : روضة الصفا ، المجلد الرابع ، ص ٣٦٤.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٨٢.

(٣) أرمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٤٩.

(٤) حافظ أحمد حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٢ ؛ حبيب الله شمالوئي :

المرجع السابق ، ص ٤٣٦ ؛

Ibrahim Kafeso Glu : Hakki du Rsum. Yildizerdo Gan Mere, Iland Mehmet Saray, A short history of Turkish Islamic State Excluding the Ottomen State, p.154.

تذيل بعبارة «صديقك الأمين» في حين أن الأمير آتسز كان يذيل رسائله للسلطان سنجر بعبارة «عبدك» وذلك يدل على رجحان كفة الخوارزميين الذين تهيأت لهم الظروف لتحقيق أطماعهم الاستقلالية^(١).

وكذلك مراسلة إيل أرسلان لخليفة السلطان سنجر وحثه على ضرورة الاستيلاء على خراسان ، لم يتمكن من ذلك بسبب الخلاف بين الخليفة العباسي والسلطان محمد السلجوقي ملك سلاجقة الغرب^(٢).

وبجانب تلك السياسة السلمية ، هناك دوافع دعت السلطان إيل أرسلان خوارزمشاه إلى الاشتباك والحرب لتحقيق أهدافه التوسعية في خراسان ، ومنها :

١- الأمير «مؤيد أي أبه» (أحد الأمراء التابعين للحكام القراخانيين) والذي كان يحكم جزءاً من خراسان ، ثم بدأ في توسيع نفوذ القراخانيين مما هدد ممتلكات إيل أرسلان ، لذا طلب المساعدة من التركمان (القرلق) فقاموا بمساعدتهم في الإغارة على سمرقند وبخارا ، وصدّهم حاكم سمرقند وهو «جلال الدين» وقتل عدد كبير من حملة الترك هذه^(٣).

٢- استعانة أبناء بيغوخان ولاجين (تكين) وجمع آخر من زعماء القزلقان بايل أرسلان ، ومجيئهم إلى خوارزم بسبب تعسف خان سمرقند وقضائه على بيغوجان ، ولقد توافق ذلك مع أهداف خوارزمشاه ، لذا اتجه بهم إلى ما وراء النهر ، وبمجرد سماع حاكم سمرقند حتى استدعى قاطني الصحراء من التركمان «من قراقول

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٢.

(٢) حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بهلوی ، ص ٤٣٦.

(٣) حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٤٣٧.

حتى نجد» واستعانته أيضاً بالقراخطاي حيث أمدوه بـ ١٠ آلاف فارس ، وما أن وصل خوارزمشاه إلى بخارا حتى امتنع عنه أهلها فتوجه إلى سمرقند ، فاستعان خان سمرقند «بايلك» وأقاموا معسكرهم على ضفاف نهر سعد وتمت المواجهة ولكن حاكم سمرقند أرسل العلماء والفقهاء طالبين الصلح ومن المحتمل تمام الصلح ، وأرسل أمراء قزلقان إلى بلادهم باحترام وذلك عام «٥٥٣/١١٥٨م»^(١).

• عام «٥٥٥/١١٦٠م» :

ثم تكررت المحاولة مرة ثانية من قبل خوارزمشاه ، فصارت طائفة من عساكره إلى «أحجة» وهاجموا «يغمرخان بن أودك» ومن معه من الأتراك البرزية ، وقتلوا منهم الكثير وهزموهم ، وبعدها قصد السلطان السلجوقي محمود بن محمد الغز لنجدته ، وخاصة بعد أن فطن أن «اختيار الدين ايتاق» وراء تحريك الخوارزميين لمهاجمته^(٢).

ولكن لم يسفر ذلك عن نتائج حاسمة سوى أنها قد أوضحت تبدل حال السلاجقة من القوة إلى الضعف ، وظهور قوة جديدة على مسرح الأحداث ، وهي الدولة الخوارزمية المستقلة.

(١) فامبرى : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، حيث قال «إن ايل أرسلان قد تمكن من بخارى، سلماً ، ثم عجز عن مواجهة جيش سمرقند ، والذي كان أغلبه من التركمان ، لذا عاد إلى خوارزم دون الوصول إلى نتيجة حاسمة معه ، وبقي الأويغور في حوزتهم الجزء الأكبر من بلاد ما وراء النهر وكذلك فرغانه ، أما الخوارزميون فقد قنعوا بالإقليم الواقع عند حدود بخارى الغربية ويقصد بها بلدان أموى ، قراقول ، جند من ناحية الشمال الغربي ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٦٤ ؛

M.A. Czaplicks : the Turkes of central Asia in history and at the present day, p.82.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٢٥٨-٢٥٩.

ب- إيل أرسلان ومحاولته السيطرة على بعض مدن إقليم بلاد الجبل :

إقليم بلاد الجبل - أو الجبال ، أو مقاطعة بلاد الجبل ، أو العراق العجمي - ويقصد به تلك الأراضي الواقعة على وجه التقريب بين تلك المدن الآتية وتوابعها زنجان إلى الشمال ، وأصفهان إلى الجنوب ، والري وقزوین إلى الشرق وهمدان إلى الغرب^(١).

أوضاع إقليم الجبل بصفة عامة :

كانت الصفة الغالبة على أوضاع إقليم الجبل هي القلاقل السياسية ، عدم الاستقرار الإداري ، وتفشي الحروب الأهلية مما ترتب عليه انعدام الأمن ولقد استمرت تلك الاضطرابات ما يقارب نصف قرن من الزمان ، ومرجع ذلك ضعف الأتابكة^(٢). المحليين في ذلك الإقليم من سلالة

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٥٣ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي «دراسة جديدة لمرحلة حاسمة من تاريخ المسلمين من ٥٧٥-٦٢٩هـ» ، (مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ص ٨١.

(٢) الأتابك : وهو يتألف من لفظين مركبين ، وهما : اطا بمعنى أب ، بك بمعنى أمير ، والمراد أبو الأمراء ، وترجع الأتابكية إلى كونها من بقايا عادات التركمان القديمة التي أحيها السلاجقة ، فعرف هذا اللقب ومنصبه منذ عهد سلاطينهم الأوائل ، وإن كانت لم تصبح نظاماً سائداً لديهم إلا بعد وفاة السلطان ملكشاه فكان يعين لأولاده أوصياء من أمراء المماليك ، وكانت تتركز مهامه في بداية الأمر في الوصاية على الأمير والتعهد بتربيته ، وتعليمه ، ولكن على مر السنين شملت مهاماً عديدة ترتب عليها انقسام الدول إلى ولايات يستقل بحكمها الأتابكة ومن مهامه في كثير من الأحيان كونه عينا للسلطان على الأمير ليحول بينه وبين الاستقلال ، واستمراره في تبعيته للسلطة المركزية ، وبذلك اتسعت سلطاته حتى انقسمت الدولة إلى وحدات إقليمية تسيطر عليها الأسرات ؛ حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، (مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) ، ص ١٠٢ ، حاشية ١ ؛ حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، (القاهرة ، ١٩٥٧م) ، ص ١٢٢-١٢٣.

«إيلدكز» ، فترتب عليه طمع أمرائهم الذين كانوا في الأصل ممالئهم يطمحون في تأسيس حكم مستقل في تلك الولايات التي كلفوا بالإشراف عليها ، لذا صار الصراع الدائم بين هؤلاء الأتابكة والأمراء الطامعين في الاستقلال من ناحية أخرى وذلك بدوره قادهم إلى الاستعانة بأطراف أخرى من أجل المساعدة والاعتراف بتبعيةها لهم ، وخير مثال على ذلك : لجوءهم إلى الخليفة العباسي طالبيين المساعدة ، ومنشورا يجعلهم حكاماً على ولاياتهم^(١).

• أحداث ذلك الإقليم في عهد إيل أرسلان :

أولاً : عام «٥٦٠/١١٦٤م»

وفيه قام الملك المؤيد^(٢) بإعداد الجيش واتجه إلى مدينة «نسا» ومحاصرتها في جمادى الأولى من العام نفسه لذلك أرسل إلى إيل أرسلان جيشاً لتلك المدينة ، وما إن قاربوها حتى تركها عساكر الملك المؤيد وعادوا إلى مدينة نيسابور أواخر جمادى الأولى ، فتبعها إلى نيسابور وتقابل العسكران وعندما سمعوا بتقدمهم تراجع عنهم الخوارزميون ، وصار صاحب نسا في طاعة السلطان الخوارزمي ، وخطب باسمه وذلك يعنى تبعيةها للدولة الخوارزمية المستقلة ثم توجه الجيش إلى «دهستان» وصاحبها الأمير «إيثاق» أو (إيثاق ، إيناق) ، والذي لجأ إلى الملك المؤيد رغم الوحشة التي كانت بينهما ، فتعاون معه

(١) سعد بن محمد حنيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ٨٧-٨٨.

(٢) الملك المؤيد : قائد لدى السلطان سنجر السلجوقي ، (الذي أسر ركن الدين محمود رئيسهم) ، وهو ابن أخت السلطان سنجر وقائم مقام في نيسابور ، ولقد اعتبره ميرخواند نائباً للسلطان في نيسابور ، وسمّلوا عينيه لذا صمم إيل أرسلان على الانتقام منهم ، وحدث اللقاء فيما بينهم وذلك بذهابه إليهم لتأديبهم ومحاصرتهم ، وفي النهاية تمت المصالحة ، وعاد إيل أرسلان مرة ثانية إلى خوارزم ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص ٦٣٣ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص ٣٦٤.

وسير إليه جيشاً حتى تمكنوا من دفع الضرر عنه وعن بلده من جهة طبرستان ، وإيادستان ، وبالرغم من ذلك غلبهم الخوارزميون ، وجعل عليهم والياً تابعاً لهم يعمل بوظيفة الشحنة^(١).

ثانياً : عام «١١٦٥/٥٥٦١م» :

بدأت أحداث هذا العام عندما أعطت والده السلطان السلجوقي ، وكذلك «مظفر الدين قزل أرسلان» أوامر بالتحرك نحو «نخجوان» ، ووصلوا إلى أعالي طهران وفي منتصف شهر رجب ذهب الأتابك والأمراء بجانب قلعة فيروزكوه ومازندران ، وكان السلطان قد غضب من قتلغ إينانج الذي ذهب طالباً المدد من السلطان إيل أرسلان خوارزمشاه ، وفي الوقت نفسه اتجه السلطان السلجوقي إلى همذان ، لذا اتجه الأتابك مسرعاً إلى أنزليجان ، وأعطى أوامره بتعمير حصن وقلعة طبرك وتجهيزها بالعديد من الآلات.

وفي عام ١١٦٦/٥٥٦٢م ، حضر السلطان السلجوقي إلى «مزغار شويار» في زنجان في الوقت الذي ذهب فيه السلطان الخوارزمي إيل أرسلان ومعه الأتابك قتلغ إينانج إلى العراق ، ووصل مدينة الري وحاصرها لعدة أيام ، ولكن أيقن من عدم فتحه لها بسهولة أما قتلغ إينانج فقد حاصر قلعة طبرك وتوجه نحو أبهر وزنجان ، ونظراً لرغبة الخوارزميين في القتال لم يتوقفوا عنه ، واتجه إينانج إلى زنجان بعد وصول أتابك إيلدكز في أنزليجان الذي استعان به إلى تبريز ، وذهب السلطان السلجوقي إليه ثانية ، وما أن أدرك إينانج ذلك حتى فكر في العودة ، وإن كان لم يبعد عن مدينة أبهر كثيراً.

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣١٥-٣١٦.

كل تلك الأحداث قد أعطت الخوارزميين الفرصة للقيام بأبشع الأفعال من نهب وأسر المسلمين في كل من أبهر وزنجان ، وإخراجهم من قزوين ما يقارب من ألفي من الجمال (٢٠٠٠) ونتيجة ذلك مقدم السلطان والأمراء والأتابك إلى هناك لتعقبهم أما قتلغ إينانج فقد ذهب إلى جرجان ، وأحرق مرغزاي ونزل على حدود أستراباد ، وبعد كل تلك الأحداث التي لم تسفر عن شيء للخوارزميين عاد جيشهم إلى خوارزم عن طريق دهستان^(١).

ج- إيل أرسلان خوارزمشاه وعلاقته بالقراخطاي^(٢):

سبق وذكرنا العلاقة الودية التي كانت بين الأمير آتسر خوارزمشاه والقراخطاي وحرصه على دفع الجزية المقررة عليه بانتظام^(٣). وبقائها مستمرة في عهد ابنه السلطان إيل أرسلان ، ليكون في مأمن من شرهم^(٤). وعلى الرغم من عدم تحرره من تلك الجزية ، فقد حاول أن يضمن مساعدة سلاجقة العراق ليتخلص منها ، ولكن باءت جهوده بالفشل ولكن ما لبث إيل أرسلان أن امتنع عن إرسال تلك الجزية النقدية إلى جانب الهدايا والتحف (الهدايا العينية) مما ترتب عليه مهاجمة القراخطاي لمدينة خوارزم ، ومنعهم الخوارزميون من اقتحام عاصمتهم ، وذلك بفتح بوابات السدود وإغراق البلاد بمياه نهر جيحون^(٥).

(١) الرواندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص ٤٢٠ -

٤٢١ ؛ رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ذكر تاريخ آل سلجوق ، مجلد ٢ ،

ج ٥ ، ص ١٦٨-١٧٠.

(٢) انظر الفصل الأول من الباب الثاني من الكتاب ، ص ، حاشية

(٣) انظر : الفصل الأول من الباب الثاني من الكتاب ، ص ، حاشية

(٤) منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين محمد قاضي : طبقات ناصري ، مجلد ١ ،

ص ٣٠٠.

(5) Ibrahim Kasfeso Glu : Hakkidu Rsum, op. cit., p.154.

ولم يكتف إيل أرسلان بذلك بل أعد حملة تحت قيادة قائده
«عياربك» وذلك عام «٥٦٧هـ/١١٧٢م» الذي تعجل مواجهة هؤلاء الكفار
، وذلك قبل مقدم خوارزمشاه ، وهُزِمَ الخوارزميين وأسر قائدهم ، وعاد
به القراخطاي إلى ما وراء النهر ولقد تصادف أن مرض إيل أرسلان في
أثناء المعركة التي تعجلها قائده ، لذا رجع صوب دار الملك خوارزم ،
وهناك اشتد عليه المرض ومات في «١٩ رجب عام ٥٦٧هـ/١٩ مارس
عام ١١٧٢م»^(١).

(١) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ ، ذاكراً
أن وفاة إيل أرسلان عام ٥٦٨هـ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ،
ص ٣٧٥ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٥ ؛ الذهبي : العبر في
خبر من غبر ، تحقيق : صلاح الدين المنجد : (الكويت ، ١٩٦٣) ، ج ٤ ،
ص ٢٠٢ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم
والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المجلد الخامس ، القسم الأول
، ص ١٩٤ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ،
ص ٤٨٨ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٤٣٧ ؛ خواندمير :
المرجع السابق ، ص ٦٣٣ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص ٤٦٥ ؛
John Malcolm, K.C.B., K.L.S., : the history of Persia from the
most early period the present time, vol.1, p.53.

ثانياً : أبو المظفر علاء الدين تكش بن إيل أرسلان خوارزمشاه « ٥٦٨ - ٥٩٦ هـ / ١١٧٢ - ١١٩٩ م »^(١) :

أ - الصراع على العرش بينه وبين ابن أخيه سلطان شاه أبو القاسم محمود بن إيل أرسلان :

لقد استمر هذا الصراع ما يقارب من عشر سنوات^(٢). فكانت بدايته عندما تولى سلطان شاه محمود بعهد من والده عرش خوارزم ، وساندته في ذلك أمه «تركان خاتون» والتي أمدته بما يحتاج إليه من الجنود الذين أيدوه وتكاثروا حوله ضد منافسه في عرش خوارزم - وهو أخوه الأكبر علاء الدين تكش - الذي اعتبر نفسه صاحب الحق في العرش ، حيث كان مقيماً في إحدى الإقطاعات الحربية ، وهي مدينة «جند»^(٣). والذي كان رافضاً التنازل عن حقه الشرعي في وراثة العرش ، لذا بدأ كل من الطرفين في الاستعانة بإحدى القوى الكبرى المجاورة لمساندتهم فاستعان علاء الدين تكش بالقراخطاي ، وكان وقتها متولياً

(١) طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، (بيروت ، ١٩٧٥ م) ، ص ١٣٠ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٣٤ ، ذكرا تاريخ توليته للعرش في ٢٢ ربيع الأول عام ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م ؛
Ibrahim : op. cit., p.155; H.A.R. Gibb : Mahammedanisman Historical survey, p.107.

حيث اختلف معهم ذكرا تاريخ توليته في ٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م.
(٢) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٥٠ ، (وإن كان عاد وناقض نفسه مرة ثانية بأنها استمرت ثمانى سنوات) ، ص ١٥١.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٣٧٧ ؛ أبو الفدا : تاريخ أبي الفدا ، ج ٣ ، ص ٥٢ ؛ الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٩٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق : ص ١٩٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٢٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٨٨ ؛ ميرخواند : المصدر السابق ، ص ١٩٤ ؛
Ibrahim : op. cit., p.154.

تقاليد أمور الحكم ابنه الكورخان الأول وزوجها «فوما» وتعهده لهم بدفع الجزية المقررة عليهم في مواعييدها دون تأخير ، وتمت الموافقة بينهم بإرسال الجيش^(١). واتجهوا صوب خوارزم ، وفي الوقت نفسه استعان سلطان شاه محمود «بمؤيد الدولة» صاحب تيسابور الذي صار معه في جيش ضخم حتى صار على بعد فرسخين من خوارزم عند مدينة «سوبرلي» والتي تم إغراقها ولم يتمكن جيش مؤيد الدولة من المفازة إلا في أفواج صغيرة ، فكان مصير الفوج الأول هو السحق ، ووقعه في الأسر على أيدي تكش الذي كان مرابطاً بالقرب من المكان ، وأعدم عام «٥٦٩هـ/ ١١ يوليو ١١٧٤م» ، وتمكن سلطان شاه من الهرب إلى دهستان ، فتعقبهم تكش واستولي على المدينة عنوة ، وقُتلت ترکان خاتون وعاد سلطان شاه مرة ثانية إلى نيسابور حيث حاكمها «طغانشاه» أبو بكر بن المؤيد. وتمكن تكش من العودة إلى خوارزم ، وجلس على عرش الدولة الخوارزمية^(٢).

(١) أبو الفدا : تاريخ أبي الفدا ، ج ٣ ، ص ٥٢ ؛ الذهبي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٢٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، حيث نكر أن كلمة «فوما» يعنى بالصينية صهر الملك ، ص ٤٨٨ ، حاشية ٩٢ ؛

Henry H. Haworth : F.S.A, : History of the Mongols the 9th the 19th century, (London, 1876), p.7; Brigadier-General sir Percy Sykes : history of Persia, (London, 1912), vol. 11, p.53; Ibrahim : a short history of Turkish Islamic states excluding the ottoman state, p. 175.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ١٩٥ ؛ محمد توفيق صادق : ثغر خراسان من الفتح العربي حتى قيام الدولة المستقلة ، ص ٢١٥ ؛ Ibrahim : op. cit., p. 100.

وقد كان لميرخواند رأي آخر في تلك الأحداث ، فهو يتفق مع المصادر العربية في استعانة تكش بالقراخطاي ووصل ذلك الجيش قرب خوارزم ، ولكن الاختلاف في أن سلطان شاه ووالدته بمجرد أن وصل إلى مسامعهما وصول هذا الجيش حتى ترك هو ووالدته العاصمة ولحقا بالملك المؤيد وبذلك دخل تكش الجرجانية دون قتال واعتلى العرش في ٢٢ جمادى الأولى ٥٦٨هـ/العاشر من يناير ١١٧٣م.

ولقد نظم رشيد الدين الوطواط شعرا يهنئه فيه بجلوسه على العرش ، فقال :

لقد قضى جدك على الظلم في زمانه وعدل والدك قضى على الاغراخت
ولقد أصبح الملك بك لائقاً فماذا ستفعل والحكم بين يديك
ثم يستكمل رأيه عند استجداد سلطان شاه بالملك المؤيد ، وانتظار
تكش لهم قرب المفازة عند قرية «سبارلى» ثم يتفق ميرخواند مع المراجع
العربية في بقية أحداث هذا الصدام ، والتي انتهت بمقتل «الملك
المؤيد»^(١).

(١) جدت ورق زمانه از ظلم بشست
أي بر توقباي سلطنت آمده جست
عدل بدرت شكستها كرد درست
هان قاجة كتي كه نوبت دولت تست
ميرخواند : حبيب السير في أخبار البشر ، ص ٦٦٦-٦٦٧ ؛ بارتولد : تركستان
من الفتح العرب حتى الغزو المغولي ، ص ٤٨٩ ؛

Ibrahim : op. cit., p.155

ومع تطور تلك الأحداث اتجه السلطان شاه إلى الاستعانة بالغوريين^(١). وبعد أن استقبلوه بحفاوة أعلنوا عدم استعدادهم لمعاونته في صراعه مع أخيه^(٢).

وبدا تحكم القراخطاي في علاء الدين تكش بسبب تأخره في دفع الجزية ونقضه للعهد المبرم بينهم ، وما أن سمع سلطان شاه بذلك حتى اتجه صوب الخطا طالباً العون ، زاعماً أن كل خوارزم تؤيده ، فاستجاب له ملك الخطا ، وراسلوا معه جيشاً كثيفاً ، واتجهوا إلى خوارزم وما إن علم تكش بذلك حتى أمر بإغراق الطرق بمياه نهر جيحون ، لذلك فشلوا في خطتهم ، فألقوا باللوم على سلطان شاه الذي طلب منهم مدداً للاتجاه به إلى مرو ، وتمت الموافقة.

(١) الغوريون : الغور وهي في الأصل الغوز ، جبال وولاية بين مدينتي هراه وغزنة ، وأكبر ما في تلك المنطقة قلعة وهي فيروزكوه ، والتي كانت مقراً لملوكهم.

أما عن أصل هؤلاء ونسبهم : فليس معروفاً على وجه الدقة ، وإنما المعروف أنهم شعوب جبلية مستقلة نظراً لصعوبة الوصول إليهم ، ولقد ادعى هؤلاء أنهم من أصل فارسي ، فهم من أبناء الضحاك بطل الشاهنامه لدى الفرس ، كان أحد أجدادهم الأعلين الذين ينتمون إليهم وهو شنسب الذي اعتنق الإسلام على يد الأمير علي بن أبي طالب ، لذا يطلق على هؤلاء في بعض الأحيان آل شنسب. وهم طائفتان : الأولى ، ملوك الغور الذين حكموا في غور نفسها وعاصمتهم فيروزكوه ، (ويطلق عليهم آل شنسب) ، والثانية ، ملوك طخارستان وعاصمتهم باميان ، ومن أشهر سلاطينهم السلطان الغوري ، علاء الدين حسين ، الذي هزم بهرام شاه الغزني ، وعلى إثرها تمكن من الدخول لمدينة غزنة ، وتلقب بلقب «جهانسوزر» محرق الدنيا ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٧ ، ص ٢٨ ، حاشية ١ ؛ النظامي العروضي السمرقندي : جهار مقالة ، ص ٩٥ ، حاشية ١ ؛ إقبال محمد الأشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢١٠ ؛ طه ندا : دراسات في الشاهنامه ، ص ٩٣ ، حاشية ١.

(٢) ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٦٧.

واتجهوا إلى مدينة سرخس التي اقتحموها على الغز الذين بها ،
وقاتلوهم شر قتال وحاصروا قلعتها ، وما أن وصلت تلك الأنباء إلى
طغانشاه ، حتى تقدم بجيش من نيسابور وتوجه إلى سرخس من أجل
مواجهته ، ولكنه فشل في الصمود أمامه ، لذا عاد إلى بلاده ، وأخلى
«قراقوش» القلعة ، وعاد إلى بلاده ، وتمكن من المدينة واستولى بعدها
على طوس ، ولقد أيد بارتولد ذلك ، بل وحدد تاريخ هزيمة طغانشاه
وذلك في ١٣ من شهر مايو ١١٨١م ، ثم توجه إلى مرو بعد أن أمر
الفرقة التي معه من القراخطاي بالعودة إلى بلادهم ، وكان حاكم مرو هو
«دينار الغزى» الذي تحصن بالقلعة في الوقت الذي استولى فيها سلطان
شاه محمود على مرو^(١).

وفي عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م ، خرج السلطان تكش من خوارزم
متجهاً صوب خراسان ، وفي الوقت نفسه كان سلطان شاه متوجهاً بطريق
آخر على رأس جيش جرار صوب خوارزم ، فقام الخوارزميون بغلق
البوابات ، وما أن علم تكش بذلك حتى أمر بإعداد معسكر خارج مرو ،
ثم عاد مسرعاً ، وما إن وصل إلى ساحل أموية كان سلطان شاه قد
سيطر على مرو ، فتوجه تكش صوب شاه باج وظل معسكراً خارج
المدينة ما يقارب من شهرين ثم عاد إلى خوارزم وأرسل في طلب أعيان
الدولة وهم «شهاب الدين مسعود ، سيف الدين مردانشاه ، خوانسالار ،
بهاء الدين البغدادى الكاتب» ، من أجل إتمام الصلح ، وتيسير سبل التفاهم
مع سنجرشاه بن طغانشاه بن مؤيد حاكم تيسابور ومنكلى بيك ، ولكن
قبض هذان الحاكمان عليهم وأرسلوهم إلى سلطان شاه ، وظلوا في
الحبس طوال مدة الصلح بين الأخوين.

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص ١٩٦ ؛ محمد النسوي : سيرة
السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٦١-٦٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ،
ص ٤٩١ ، حاشية ١٠ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٦٧.

وخلال هذا الصراع أعد سلطان شاه جيشاً جراراً وتوجه صوب شادياخ وبعد عدة أيام أدرك أن فتح تلك المدينة ليس سهلاً فتركها واتجه صوب «سبزوار» فضيق عليهم الحصار ، ونصب المجانيق لذا سبوه ، ولكن لجأ إليه الشيخ «أحمد بديلي» (زعيم رجال الدين وهو من أهل المتصوفة) ، لكي يشفع لهم عند سلطان شاه محمود ، ولقد تلقاه بالترحاب ، ودخل المدينة وعفا عنهم.

وفي عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، نزل السلطان تكش مرة ثانية خارج مدينة شاديا ونصب المجانيق وبدأ بمعركة حامية ، أجبر على أثرها منكلى إلى اللجوء لشفاعة الشفعاء من أجل الأمان ، وقبل تكش ذلك وخرج منكلى منها في ٧ ربيع الأول ، بعد أن أعاد كل ما كان قد سلبه من الناس ، ثم سلم إلى الإمام «فخر الدين عبد العزيز الكوفي» الذي حكم عليه بالقتل ، وما أن تم استخلاص مملكة نسابور ووضعها تحت تصرف ابنه الأكبر «ناصر الدين ملكشاه» عاد إلى خوارزم ، وما أن علم سلطان شاه بذلك حتى أعد حملة واتجه إلى شادياخ ، فضاق ملكشاه من محاصرته ، لذا أرسل رسلاً إلى والده ، وعلى أثرها اتجه تكش صوب تلك المدينة ، وما أن وصل إلى نسا وعلم سلطان شاه بذلك حتى أحرق المجانيق واتجه إلى مرو ، ونزل تكش بتلك الولاية واعتلى بالرعية وعمر ما حدث من خراب ، وذهب إلى مازندران ليقضى الشتاء هناك ، والتف الأمراء حوله ونالوا عطفه ، ثم اتجه صوب خراسان ووصل إلى رادقان وأقام في قصر السلطنة وأجزل العطاء وحقق آمال الناس ، وإن كانت آثار الفتنة بين الأخوين ظلت موجودة وعندما هزم سلطان شاه في معركة مروالروذ وتحطمت قوته قام بأفعال تدل على نقض العهد الذي عقده بينه وبين أخيه منذ زمن ، لذا تحرك تكش من خوارزم إلى تلك الولاية المتواجد بها ونزل عند سرخس التي بها خزائن وأموال سلطان شاه واستولى على المدينة والقلعة وخرب برجها وحصونها ، ثم توجه

صوب رادكان واستولى على كل أراضيها ، ثم تم الصلح مرة ثانية بينهما فأعاد إصلاح قلعة سرخس وعمرها بالرجال والأسلحة وعاد تكش إلى مقر حكمه وجلس على عرشه موقفاً^(١).

ومن الجدير بالذكر في ختام الصراع بين سلطان شاه محمود علاء الدين تكش وجود تضارب بين ابن الأثير وابن خلدون ، ويتضح هذا الخلاف في قول ابن الأثير ذاكراً أنه في الوقت الذي فكر فيه سلطان شاه محمود في الاتجاه إلى خوارزم بعد كل التوسعات التي قام بها كان ذلك يزامن نفس توقيت صراع علاء الدين تكش مع طغرل الثالث السلجوقي ، ولقد قاومه ومنعه أهل خوارزم لدرجة عدم استطاعته الاقتراب من خوارزم ، لذا انسحب منها ، وعلى أثرها عاد تكش إلى مرو عام «٥٨٩هـ/١١٩٢م» طالباً أخيه وترددت بينهما الرسائل للصلح وأثناء تقرير الصلح ورد رسول من متحفظ قلعة سرخس التي سبق واستولى عليها سلطان شاه محمود يدعو له القلعة لكونه استوحش من أخيه سلطان شاه ، لذا صار من خوارزم وتسلم القلعة وبعدها آتت المنية لسلطان شاه محمود في رمضان ٥٨٩هـ/١١٩٢م^(٢).

أما ابن خلدون فذكر تمكن سلطان شاه من خوارزم ومجيء أعيانها إليه وكان معه «أبو غازي بن أخت غياث الدين الغوري» وقدموا له فروض الطاعة والولاء وجعلوه الملك عليهم حتى وفاته عام ٥٨٩هـ/١١٩٢م ، في الوقت نفسه الذي عاد فيه علاء الدين تكش إلى خوارزم ليأخذ أمواله وذخائره ويعبر جيحون ويتجه إلى الخطا تاركاً خوارزم بكل سهوله لأخيه^(٣). وإن كان هذا أمراً صعب التصديق.

(١) ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٦٩-٣٧٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٠٤ ؛

Ibrahim, op. cit., p.100.

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ١٩٩.

ب - السلطان الخوارزمي تكش وسيطرته على إقليم الجبل :

علاء الدين تكش وقضاؤه على طغرل «الثالث» السلجوقي^(١).

وهو أحد أفراد أسرة خوارزمشاه ، ولقد بلغت الدولة الخوارزمية قوتها على أيامه واتسعت في الغرب حتى شملت ما يعرف بالعراق العجمي ، وخاصة بعد مقتل آخر سلاطين سلاجقة الغرب وهو «طغرل الثالث» ، وهم الذين خلفوا سلاجقة فارس وبسطوا سطوتهم ونفوذهم على بغداد^(٢).

الدوافع وراء اتجاهه للقضاء على سلاجقة الغرب وطعمه في ملك العراق العجمي :

١ - كون السلطان طغرل حاكماً تحت سلطة البيت السلجوقي وسطوته ، وبدأت قوته تزداد لتصبح خطراً يهدد السلطان الشاه الخوارزمي كحاكم مستقل قوى تضم بلاده أراضي شاسعة تفوق في اتساعها ما كان يملكه السلطان السلجوقي ، وتأكده من أن السلطان طغرل الثالث لو تمكن من تثبيت حكمه في كل من العراق وكرديستان ، سوف يتجه بعدها إلى خراسان ثم خوارزم في الشمال الشرقي ، ويعود الشاه الخوارزمي للتبعية السلجوقية كما كانوا من قبل.

(١) طغرل السلجوقي : هو طغرل بك شاه بن أرسلان شاه بن طغرل بك بن محمد شاه السلجوقي ، صاحب أنريجان آخر سلاطين سلاجقة العراق منذ عام «٥٧١-٥٩٠هـ/١١٧٥-١١٩٤م» ، مكنته الظروف من العودة إلى همدان ، وتزوجه من أرملة بهلوان الذي ولاه على أنريجان ، وهدفه من ذلك قتلها والاستيلاء على أصفهان والري ونهب حصن طبرك إلى جانب طلبه للسلطنة من الخليفة العباسي ، ويأتي بغداد ، ويكون على قمة الملوك السلجوقية ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٣٠١ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٥ ، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٩ ؛ فيليب حتى : تاريخ العرب «مطول» ، ج ٢ ، ص ٥٧٧.

٢- وصول رسول من الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، والذي تولى منصب الخلافة منذ عام «٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٢١-١٢٢٥م» إلى تكش خوارزمشاه يشكو إليه من طغرل الثالث ، طالبا قصده بلاده ، مقابل أن يحمل له منشورا بإقطاعه البلاد التي يملكها طغرل الثالث من قبل^(١).

وليس من شك في أن الخليفة الناصر قد ارتكب خطأ سياسياً فادحاً باستدعائه لتكش للقضاء على طغرل الثالث ، وذلك لأنه بعد تمكنه من قتله ، أعطى لنفسه الحق الشرعي في ملك السلاجقة في الأراضي الإسلامية ، فكانت البداية في ذكر اسمه على السكة ، ثم تطلعه إلى فرض نفوذه على بغداد العاصمة العباسية وأدى ذلك بدوره إلى تعارض بين سياسة العباسيين والخوارزميين^(٢).

٣- كذلك كان قدومه إلى بلاد الجبل «منطقة غرب إيران» أمراً حتمياً تمشياً مع سياسته التوسعية ، ويتضح ذلك من اتجاهه أول الأمر إلى

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٠-٣١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠م) ، ص ٤٧ ، ٦٤ ؛ حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ١٧٠ ، ٢٦٩ ؛ أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، (الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٥م) ، ج ٣ ، ص ٤٠٣-٤٠٤ ، حيث تحدث عن استعانة الأتابك قزل أرسلان بالسلطان الناصر ضد السلطان طغرل الثالث ، وبالتالي فقد تحقق النصر عليهم ، ثم كانت المرحلة الثانية باستعانة الخليفة العباسي بالخوارزميين ضد السلاجقة في معركة أطلق عليها «معركة الري» التي قتل فيها طغرل الثالث.

(٢) حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٤٧.

تلك المناطق ، وتمكنه من عقد الصلح مع السلطان السلجوقي طغرل مقابل تسليمه مدينة الري ، وكان لتكش ذلك ، وعاد بعدها إلى عاصمته الجرجانية بعد أن رتب عساكره بها لكي يحفظها ويدافع عنها إذا ما تعرضت لأي هجوم^(١). وعين عليها كذلك واحداً من أرفع عماله في البلاط الخوارزمي وهو «طمغاج الخوارزمي»^(٢).

وينكر ميرخواند أنه بمجرد وصول السلطان الخوارزمي تكش لمدينة الري ، وبناء على مشورة بعض مسؤولي الدولة رشحوا الجدد الأعلى لعطا ملك الجويني ليشرف بتقبيل يد السلطان الخوارزمي ، ومدحه ، ولقد سعد السلطان الخوارزمي بهذا المديح ، فأنعم على منشد هذا المديح وأعادته مرفوع الرأس ، وبمجرد شروق الشمس توجه صوب العراق ، ووصل إلى الحدود التي وقع فيها الصلح بينهما^(٣).

ولكن ما لبث طغرل الثالث بعد فترة وجيزة من الاتجاه لمدينة الري ، ومحاصرة قلعة طبرك ، فضربها واستولى عليها وقضى على جنود الفتنة في مدينة الري ، وقتل الحاكم الخوارزمي عليها وهو طمغاج الخوارزمي الذي حملت جثته إلى خوارزم ، واعتقل كبار الأمراء الخوارزميين ، وأرسلوا أسرى إلى قلعة «فرزين» ورجع السلطان السلجوقي بعدها همدان ، وترك على الري رجلاً يدعى «خواجة معين» فهاجم جماعة من الخوارزميين على نواحي جرجان وبسطام ودامغان ، لذا

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٠٠ ؛ مستوفي قزويني : تاريخ كزيدة : المجلد الأول ، ص ٤٧٦.

(٢) ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٧٤ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ١٧٠.

(٣) ميرخواند : المرجع السابق ، ص ٣٧٣.

انضم «خواجة معين» للسلطان السلجوقي ، وهاجموا الخوارزميين في خوار الري ، وأسر على أثرها خمسة وعشرين شخصاً من أمراء خوارزم منهم : «مياجق ، صوتاشي ، محمد خان وغيرهم» لذا استتجد الأتابك قتلغ اينانج^(١). للمرة الثالثة بالسلطان الخوارزمي تكش معتزلاً عما بدر منه من قبل^(٢). وبسماع السلطان الخوارزمي ذلك حتى توجه للعراق.

وكان السلطان السلجوقي معتزلاً بقوته على الرغم من تفرق بعض أمرائه عنه بدليل مراسلاتهم للأتابك قتلغ اينانج ، وكذلك من كانوا في خدمته من العظماء قائلين لهم «متى تقابلنا على باب الري سلمناكم السلطان وتكون هذه المسالة مفاحتاً لباب همذان^(٣).

ولقد زامن استتجاد الأتابك قتلغ اينانج بالسلطان الخوارزمي وصول رسول من قبل الخليفة يشكو إليه السلطان السلجوقي ، ويعده بإقطاعه أعمال السلطان فيما بعد^(٤).

(١) قتلغ اينانج : هو المؤمن السيد بن عطابك ايلدركوز الذي تنكر للسلطان طغرل الثالث ذي العقل الراجح برغم سوء حظه ، ولقد سجن هذا الثائر من قبل لمحاولته الاعتداء على شخص السلطان ، ولكن عفا عنه بعد ذلك وقابل ذلك بذهابه لخراسان وكاتب السلطان الخوارزمي تكش ليمده بقوة يحارب بها سيده ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٥١ ، حاشية ١.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٠٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ؛ الرواندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص ٥٠٦ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٥ ، ص ٢٣٠ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٧٤.

(٣) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥١٢.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ١٧٠.

وما إن علم السلطان السلجوقي بوصول تكش إلى سمنان حتى توجه لزيارة الأئمة وتجميع جيشه ، وإن كان يتضح مما سبق عساكره عنه ، ولم ينتظر لإتمام جمعها وإعدادها مرة ثانية وسار بمن معه لمقابلة تكش ، وكان وقتها قد تحرك السلطان تكش وجيشه من نيسابور إلى الري ، والتقوا بالقرب من الري وذلك في ٢٤ جمادى الآخرة لعام ٥٩٠/١١٩٣م ونشبت المعركة.

وفي الجولة الثانية هجم السلطان طغرل الثالث بنفسه في وسط عسكر خوارزمشاه في الوقت الذي تراجع فيه الجيش عن سلطانه السلجوقي ، وظل وحيداً مع صاحب المظلة ، لذا أحاط به عساكر الخوارزمية ، وألقوه من فوق فرسه واحتذوا رأسه دون مراعاة لحرمة سلطنته ، وحملت رأسه للسلطان تكش ، وبعثها من يومه إلى بغداد ، حيث ظل مصلوباً على باب النوبي عدة أيام^(١).

(١) ابن العماد الحنبلي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٠١ ، ذاكراً عن مصير السلطان طغرل الثالث «أنه عندما التقيا عند الري جاءتته نشابة في عينه ، فضربه مملوك له بالسيف فقتله وقطع رأسه وحمله إلى تكش» ، وإن كان قد ذكر في أغلب المصادر أن الذي حز رأسه هم أعداؤه من الخوارزميين ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٨٩ ؛ ابن العبري : تاريخ الأزمان ، ص ٢٢٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ؛ الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥١٢ ، ٥١٤ ؛ المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص ٤٠ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ٦٤ ؛ بدرى محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، (مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٣م) ، ص ٦٠ ؛ حسين أمين : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ١٥ ، ص ٢٣٠ ؛ محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول ، (ط ١ ، ١٩٨٣م) ، ص ٣٤ ؛ خوانسمير : =

بذلك قضى السلطان تكش على السلطان طغرل الثالث على حدود الري ، وسيطر على كل أملاكه ، وصار بين الرعية سيرة العدل والإنصاف^(١). ثم صك النقود باسمه ، وتطور الأمر لتكون له السلطة الفعلية في بغداد^(٢).

وتلى ذلك إرسال الخليفة العباسي عسكرياً لنجدته ومساعدته في مهمته ، ولكي يفي بوعده أيضاً ، وذلك عندما أرسل مع وزيره «مؤيد الدين أبي الفضل محمد بن علي البغدادي المنشئ» (مؤيد الدين القصاب) ، الخلع السلطانية^(٣). تلك كانت وجهة نظر المصادر العربية ، ولقد تعارضت معها المراجع الفارسية في أن الخليفة العباسي الماكر قد أرسل جيشاً مع وزيره الداهية عدده ثمانية آلاف فارس (٨٠٠٠) لطمعه في الاستيلاء على بعض مناطق العراق التي كانت تربطه بديوانه العلي في بغداد ، كذلك أرسل الخلع والتشريفات الغالية لكي يكون الوزير ملازماً لتكش ومراقباً لتصرفاته^(٤).

= المرجع السابق ، ص ٦٣٨ ؛ رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ ، ص ١٩٣ ؛ منهاج الدين سراج : طبقات ناصري ، المجلد الأول ، ص ٣٠١ ؛
- Brigadier : General Sir Percy Sykes, history of Persia, vol.11, p.53.
- States excluding the ottoman state, 155.

قائلاً : إنه قد هزم طغرل الثالث آخر سلجوق حاكم فارس ، وأضاف الجزء الأعظم فارس الشرقية لإمبراطوريته.

Ibrahim : A Short History of Turkish Islamic

- (١) خواندمير : حبيب السير ، ص ٦٣٨.
- (٢) فيليب حتى : تاريخ العرب «مطول» ، ج ٢ ، ص ٥٧٨.
- (٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٠١.
- (٤) خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٣٨ ؛ حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بلهوى ، ص ٤٣٩-٤٤٠.

وما إن وصل الوزير على بعد فرسخ من مدينة همدان عند منطقة «أسدأباد» حتى انتابه الغرور ، وذلك بسبب تجمع العديد من الأكراد وجنود العرب حول خيمته ، وما إن علم تكش بذلك حتى راسله في الحضور ، ولكنه فيما يبدو أن الوزير أرسل رسالة أوضح فيها موقف الخلافة ومنشور الحكومة وخلعة السلطنة وتسليمها إلى كفيل مصالح الأمم وأعظم بنى البشر «صاحب الوزارة» المكلف بإيصالها موضحاً المعاناة والتعب الذي تحمله في هذا السبيل ، وتقديراً لذلك تحتم حضور السلطان تكش في عدد قليل من أعوانه لتستقبله في تواضع ، وتسير في ركاب الوزير^(١).

ولقد أضاف مرجع فارسي آخر أن الوزير قد أمر تكش بالحضور بدون سلاح إليه^(٢). ونتيجة لذلك ترددت الرسل بينهما ، مما فتح المجال لظهور المكائد التي تؤكد للسلطان تكش أن تلك مجرد حيلة لإحضاره عنده ، ليلقى القبض عليه ، وبالرغم من ذلك ذهب إليه تكش ، وما إن علم الوزير بذلك حتى فر هارباً إلى الجبال الغربية وامتنع بها^(٣).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢٠٢ ، ذاكراً فقال له مؤيد الدين «ينبغي أن تحضر أنت وتلبس الخلعة من خيمتي» ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٣٨.

(٢) حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٤٣٩.

(٣) ابن الأثير المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٠١ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٣٩ ، ولقد اختلف معهم ذاكراً أن السلطان تكش الخوارزمي قد أرسل فوجاً من الرجال الأبطال لكي يؤدبوه ، حيث توجهت صوب أسدأباد ، ومع أول صدام انهزم ابن القصاب ، وتراجع دينور ورفع راية الانسحاب ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٤٣٩.

ومن المرجح أن يكون هذا التصرف الأهوج من قبل الوزير ،
والذي ينم عن كبريائه المتمثل في إصراره على مجئ السلطان
الخوارزمي إليه مما جعل الشكوك والوساوس تسيطر على السلطان من
كون تلك مكيدة للتخلص منه ، وقد تأكد ذلك الشعور لدى بفرار الوزير
ومن معه من الجنود خوفا من البطش به ، ومن المؤكد أن يكون لبطانة
ابن القصاب ، وكذلك السلطان تكش دور رئيسي في أحداث سوء
التصرف الذي بدر من الوزير ، وإثارة الحاكم الخوارزمي على الخليفة
ووزيره^(١). وعندما وجد تكش ذلك ترك الوزير واتجه إلى همذان ،
وبوصوله انهارت سلطة السلاجقة في العراق وكردستان ، واستولى على
العراق العجمي ، وصبغ ذلك بالصبغة الشرعية ، وذلك بمجرد حصوله
على التقليد الخلفي واعترافه بالخوارزميين في تلك المناطق^(٢).

وترتب على ذلك إقطاعه الكثير من المدن لأمرائه فجعل على
الري ابنه «يونس خان» الحاكم العام للمنطقة عن والده ، والذي جعل من
مدينة الري مقراً لإدارة شئون المقاطعة الجديدة ، وجعل عليها أحد ثقاته
وهو الأتابك مياجق ، وجعل قتلغ إينانج على أصفهان ، أما السلطان تكش
فقد رجع إلى أطراف سيحون من أجل محاربة الأتراك وسحقهم^(٣).

(١) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، (ط ١ ، ١٩٨١م) ،
ص ٨٤-٨٥.

(٢) حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بلهوى ، ص ٤٣٩ ، قائلا «أن
أصبحت همذان ، الري ، أصفهان وأجزاء أخرى من مراكز إيران كلها تحت
سيطرة خوارزمشاه»

(٣) حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٤٣٩ ؛ خواندمير : المرجع السابق ،
ص ٦٣٩ ؛ سعد بن محمد حذيفة : المرجع السابق ، ص ٨٩.

ولقد اختلفت المصادر العربية في المنطقة التي أقطعها السلطان الخوارزمي تكش لقتلغ اينانج الذي سلم له مدينة همذان وبعدها عاد إلى خوارزم^(١).

• **تحركات الوزير ابن القصاب وصراعه على ملك العراق العجمي مع تكش خوارزمشاه**

تمكن ابن القصاب من الاستيلاء على بلاد خوزستان وملكها ، وعلى كثير من بلاد فارس ، وقبض على بنى شمله وأمرائها ، وبعث بهم إلى بغداد ، ثم سار إلى ميسان من أعمال خوزستان ، ولحق به قتلغ اينانج بن البهلوان صاحب البلاد ، وذلك بعد أن غلبه خوارزمشاه هو ومن معه من الأمراء ، بعد إظهارها للعصيان ، لذا توجه إليهم من الري ابن السلطان تكش «يونس خان» في عده كاملة ، وما إن رأوا حتى فروا هاربين إلى بغداد ، وتتبعهم وقابلهم ما بين قریتی «محمدي وسامین» واستعدوا للمعركة ، واشتركوا فيها في شهر عام ٥٩١/١١٩٤م ، وبفرارهم إلى بغداد تحقق النصر للخوارزميين ، وبالرغم من ذلك فقد أحدث العراقيون العديد من صور الخراب والدمار ونهب الأموال من ولاية العراق.

وعلى هذا فقد انضموا إلى ملك «الايوه» وحضروا عنده واتفقوا على ذهاب الحاجب الكبير «شمس الدين محمد بن محمود الكنجري» إلى الخلافة ببغداد ، ومعه بعض من أعيان العراق ، وتعاهدوا مع وزير

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٠٨ ؛ أبو الفدا : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٢ ؛ ابن العبري : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ ، وإن اختلف في ذكره لاسم الأتابك وهو «قوتولغ اينانج بن البهلوان سلطان همذان سابقا» ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠٢.

الخلافة^(١). الذي أمدهم بما يحتاجون إليه من الخيل والخيام ، ثم ساروا إلى كرماشاهان ، وانطلقوا في جيش عدده خمسة آلاف جندي (٥٠٠٠) إلى دار الملك همدان ، وأغاروا على ما بقي من العراق ، وكان بالمدينة أن خوارزمشاه وأتابكه ، وما أن قاربها الوزير حتى تركها الخوارزميون ، وتمكن منها الوزير عام ٥٩١ ج/١١٩٤ م ، ثم قصدوا مدينة الري ولم يواجههم «يونس خان» بل اتجه إلى مدينة جرجان عارضاً الأمر على والده ، ولقد تعقبهم قتلغ إينانج ، واستولى على المدن التي جاوزها ، مثل : خرقان ، ومزدغان ، وسأوة ، وآواة^(٢). لذا ترك الخوارزميون مدينة الري واتجهوا إلى مدينة «خوار الري» ثم تركوها إلى دامغان وبسطام وجرجان ، ولحقوهم ثم رجعوا عنهم بذلك تمكن الوزير من مدينة الري^(٣).

ومع توالي تلك الأحداث ، وإخلاء أغلب بلدان العراق من الخوارزميين ، دب الخلاف بينهم «العراقيين وابن القصاب» وأعلن قتلغ العصيان على الوزير وحاصروا الري ودارت الحرب ، ولكن فتح الروافض وعليهم «عز الدين النقيب» حوانيتهم «محللتهم» ، وتمكن جيش بغداد من دخول المدينة حيث انتشر النهب والسلب ، وإن كان الوزير وجه إليهم نداء بالكف عن تلك التصرفات المشينة.

(١) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥٢١-٥٢٢ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص ٦١.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١١١ ؛ الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥٢٢-٥٢٣.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١١-١١٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٢.

وبعدها فر قتلغ إلى مدينة «آوة» أو كما ذكرها الرواندي «آية» ومنعه من دخولها شحنتها «خلجى قشطة» ومن معه من الأكراد ، لذا اتجه قتلغ وجمال الدين من آية إلى همذان ، وما إن علم بمقدم الوزير حتى اتجه إلى مدينة الكرج ، واتخذوا بعدها طريق الري ، في الوقت الذي وزع فيه الوزير الأسلحة على السادة والقضاة والأمراء قائلاً لهم : «كل شخص يريد أن يكون إنساناً يجب عليه أن يقوم على قهر خصمه ، وإلا يضمن بروحه إذا ضاقت الأمور وتآزمت ، وكان ينشد هذا البيت :

تأخرت عن سبق الحياة فلم أجد نفسي حياة غير أن أتقدم

ولقد تقابلوا ووقع القتال بينهم ، وهزم قتلغ إينانج ، وتمكن من النجاة بنفسه^(١).

وعلى الرغم مما حدث لقتلغ إينانج فقد ذهب إلى الري رافضاً نصيحة أخيه جمال الدين الذي قال له : «إن هذه الآونة هي وقت النكبة ولا يجدى فيها اضطراب ، ويجب أن تلجأ إلى مكان منعزل حتى تمر أيام البؤس والنحس» ولكنه لم يمتثل لرأيه وذهب واستولى على مائة وستين ألف دينار من مخلفات «سراج الدين قيمان» وأخذ يعد العدة والعتاد طمعاً في الملك.

وكان محمد خان ومياجق ومعهم مجموعة من الخوارزميين في سمنان ودامغان ، قد أعدوا خطة للقضاء على قتله لينتهوا من ثوراته المتكررة ، وكانت تتمثل في أن يطلبوا منه الانضمام إليهم ، ويعهدوا له بالإخلاص لخوفهم من بطش خوارزمشاه.

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،

ص ٢٠٢ ؛ الرواندي : المرجع السابق ، ص ٥٢٤-٥٢٥ ؛ بدرى محمد فهد :

تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص ٦١.

ويذكر الرواندي أن تلك المكيدة قد دبرتها بنت السلطان طغرل وزوجة يونس خان ، لذا طلبوا منه إرسال طليعة جيشه إلى ساوة ، وخرج منهم جماعة من الفرسان ، وتخلصوا منه ونبحوه نبج الشاه ، ويذكر أن رجلاً يدعى «فخر الدين سرور» أخذ رأسه وجثمانه وأرسلهما إلى همذان ، حيث دفن في جمادى الآخرة عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م^(١).

• مقتل ابن القصاب واسترجاع تكش لأملاكه في العراق العجمي :

نزل الوزير ابن القصاب قصرًا يضاهي قصر خوارزمشاه في همذان ، وعين واليا يدعى «عماد الدين طغلو» وعندما كان ابن القصاب في قصر خوارزمشاه لفت نظره ألقاب خوارزمشاه ، ومنها لقب «كهف الثقلين» فأمر بإزالته قائلاً : «من يكون هو حتى يكتب هذا»^(٢).

واستمر الوضع كما سبق وذكرنا لمدة ثلاثة أشهر ، راسله فيها السلطان تكش ينكر عليه ما فعله من قصده لبلاده وأخذها من عساكره ، طالباً منه إعادة تلك المدن ، عارضاً عليه الصلح ولكنه لم يلق أي استجابة من وزير الخليفة العباسي. وعندما أقبل الوزير من مدينة الري اشتد عليه المرض ، وتوفي خارج همذان ، وذلك في غره شعبان عام ٥٩٢هـ/١١٩٦م ، ودفن ليلاً في بوابة شورين ، وأخفوا قبره خوفاً من انتقام الناس منه لأعماله الجائرة^(٣). وما إن علم أتابك السلطان

(١) الرواندي : راحة الصدور وآية السزور في ذكر الدولة السلجوقية ، ص ٥٢٦-

٥٢٨ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ٩٢.

(٢) الرواندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص ٥٢٨-٥٢٩.

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٣١١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠٢-٢٠٣ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العرب حتى الغزو المغولي ، ص ٥٠١.

الخوارزمي بذلك حتى راسله طالباً إرسال ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ فارس إلى مدينة الري ، وتوجه إلى همذان حتى أصر البغداديون على أخفاء قبر وزير الخليفة وأصروا على القتال لمدة شهر ، رافضين ترك قصر خوارزمشاه ، وقاتلهم مياجق أكثر من مرة هزم فيها ، ولكن بعد ضعف البغداديين تحقق النصر له ، ونبش قبر الوزير وقطع رأسه وأرسلت إلى تكش خوارزمشاه^(١). ثم راسل مياجق أهالي مدينة همذان ، قائلاً لهم : «لا تعصوا السلطان واحذروا أن يحرق المدينة والولاية» ولكنهم لم يسمحوا له بدخول المدينة ماداموا لم يروا السلطان الخوارزمي ، لذا حاصر المدينة وأكثر من السلب والنهب ، وبعدها بثلاثة أيام وصل تكش إلى مشارف همذان في ١٩ شعبان عام ٥٩٢/١١٩٦م ، وأرسل إليهم الرسل قائلاً «إن لم تصدقوا أنى وصلت فأرسلوا رسلكم إلى حتى يروني ويسلموني المدينة ، وإلا سوف استولى عليها بالقوة ، وأزيل جميع معالمها ولا استثنى حتى ترابها».

ولم يتحقق الناس من ذلك إلا بعد صعود «ركن الدين حافظ» المنبر وقسمه بكون خوارزمشاه تكش في القصر ، لذا توافد عليه فقهاء المدينة وأئمتها ، وقدموا له الولاء والطاعة وبعدها أمر خوارزمشاه بقتل كل عراقي يلبس قلنسوة خوارزمي التي اشتهر بها الخوارزمية عن غيرهم ، وذلك لانتحالهم شخصية الخوارزميين ، فيغيرون على البلاد. وبعدها قدم عليه «مجير الدين البغدادى» برسالة من دار الخلافة ، وما إن

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٢ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ ؛ الرواندي : المرجع السابق ، ص ٥٣٠ ، والذي اختلف معه كل من ابن الأثير وابن خلدون في أن الذي القائد الأعلى للمعركة كان السلطان تكش خوارزمشاه ، وهو الذي قام بقطع رأس الوزير متظاهرا بكونه قتل في المعركة ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٣٩-٦٤٠.

علم خوارزمشاه بذلك حتى قام تعظيماً واحتراماً للخليفة العباسي ، وابلغه برسالة الخليفة التي قال فيها : «أن ملك أبيك وجدك كان منحة منا ونحن الآن نسلمه إليك فاقنع به كما كان فيما سبق ، ولا تطمع في أكثر منه وإلا فسأكتب إلى الأمصار أنك خارج علي فينهض الناس في سائر البلاد لغزوك وتراق الدماء».

ورد عليه خوارزمشاه قائلاً : «وما أنا إلا شحنة من قبله ، ولكن أعدائي كثيرون ، ولا أستطيع أن أبقى دون جيش ، وقد عرض صاحب الديوان أن مائه وسبعين ألف فارس من أتباعنا لا يقوون على العمل باليسير من الخبر ، فليتعطف الخليفة علي بمنحى ولاية خوزستان حتى يكون في ذلك كفاية لأتباعنا».

وحمل مجير الدين الرسالة ، ولكن وافته المنية في اليوم التالي ، وكان معه رجل فصيح اللسان ، وهو شهاب الخوارزمي الذي أرسله للخليفة.

وبعد ذلك نظم السلطان الخوارزمي الوضع في تلك المناطق بعد استعادتها فكان لابنه يونس خان دار الملك بهمذان ، وألحق ابنه الآخر جقر بخدمته ، ثم قلّد «صدر الوزان» رئيس الشاقعية بالري منصب القضاء ، وتحرك بعدها لتفقد أحوال مملكة أصفهان ، ثم كانت الضرورة تحتم عليه العودة إلى خوارزم^(١).

(١) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥٣٣-٥٣٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،

ص ٢٠٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٠١ ؛ خواندمير : حبيب السير ،

ص ٦٤٠.

- أوضاع إقليم بلاد الجبل «العراق العجمي» بعد مقتل الوزير ابن القصاب وعودة خوارزمشاه تكش إلى خوارزم :

هناك أكثر من سبب حال دون توطيد السلطان تكش لدعائم حكمه الراسخ في إقليم الجبل ، منها :

١- المعاملة القاسية والفظة من قبل الحكام والموظفين الإداريين المدنيين والعسكريين والخوارزميين للأهالي مما جعل حكمهم غير مرغوب فيه^(١).

٢- تصرفات الوزير ابن القصاب التعسفية التي تمثلت في مصادرة أراضي الناس وأموالهم وإعلانها ملكاً للخلافة العباسية في بغداد ، ولم تذكر المصادر المعاصرة موقف الخليفة العباسي من ذلك التصرف بالذات وذلك نظراً لكثرة الأحداث وتتابعها في وقت قصير^(٢).

كان ذلك وراء حدوث العديد من القلاقل والنزاعات التي بدأت تظهر في ذلك الإقليم من آن لآخر ، مما ترتب عليه عيشه الناس حياة مملوءة بالبؤس والشقاء من جراء تلك الحروب المتواصلة والثورات التي سنتحدث عنها فيما بعد ، والتي عرضت ممتلكات هؤلاء للنهب والسلب والابتزاز أيضاً^(٣).

(١) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥٤٧ ذكر أن الغز لم يرتكبوا في خراسان مثل تلك المظالم ، ومثل تلك القسوة التي ارتكبها الخوارزميون مع العراقيين من قتل بغير حق ، ومن ظلم ونهب وتخريب بحيث أنه لو فصل كل ذلك لملاً عشرة كتب من حجم هذا الكتاب «يقصد كتابه» ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ٩٦.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : أوضاع الدولة الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ٩٤.

(٣) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٣٧٧-٣٧٨ ، ٣٨٠-٣٨٣ ؛ سعد بن محمد حذيفة الغامدي : المرجع السابق ، ص ٩٦.

ج- الثورات ضد الخوارزميين في إقليم بلاد الجبل :

■ الثورة التي قام بها الثائر قتلغ اينانج محمود ، والتي أخمدت قبل استفحالها في معركة بالقرب من مدينة زنجان بين قتلغ والأتابك مياجق حسب رواية ابن الأثير^(١). أو بين قتلغ اينانج ويونس خان حسب رواية الرواندي^(٢).

■ ثورة أهالي أصفهان ، فقبل انتهاء عام ٥٩٢هـ/١١٩٦م استجد أهالي أصفهان «في شخص صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت بن محمد الخجندی العميد الأسبق للمدرسة النظامية في بغداد» بان وصلت دعوة من كبار رجال مدينة أصفهان يحثون الخليفة العباسي على إرسال جيش لضم تلك البلدة إلى ممتلكات بلاده ببغداد ، وقد شجعهم على ذلك قلة الوجود العسكري في تلك البلدة ، وخاصة بعد رجوع السلطان تكش إلى خوارزم وعودة الإقليم إلى حوزته ، وتركه لحاميات عسكرية على أمهات مدن ذلك الإقليم ، وكانت منها أصفهان. فيذكر ابن الأثير أن الخجندی كان الساعد الأيمن للوزير ابن المؤيد في تلك الحملة التي أرسلها الخليفة العباسي إلى إقليم البلد لخبرته بمداخلها ، ولكونه من أهل البلد الأصليين ، فهو يتمتع بمكانه كبيرة بين أهالي أصفهان «أي يعتبر الحاكم الفعلي لأصفهان ، نافذ الكلمة عندهم» ، ولقد شعر الخجندی بعدم قدرته وحده على طرد الحامية الخوارزمية المتعسفة ، رغم قلة عددها من أصفهان ، لذا راسل الخليفة العباسي بأنه على أتم الاستعداد لتسليم البلد إلى من يصل إليه من ديوان الخليفة من العسكر ، فاستجاب الخليفة العباسي لذلك وأرسل أحد مماليكه الأتراك وهو «سيف الدين

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١١١.

(٢) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥١٩.

طغرل» على رأس جيش عدده ألف رجل (٢٠٠٠ رجل) وصارت الحملة نحو أصفهان^(١).

■ ولقد زامن استتجاد الأصفهانيين بالخلافة العباسية قيام ثورة أخرى ضد الخوارزميين في مدينة الري بزعامة شخص يدعى «نور الدين على كوكجه» وهو أحد ممالك الأتابك محمد البهلوان والذي اتفق الممالك والأمراء على أن يتزعمهم كوكجه هذا ، فاستولوا على الري وما جاورها من البلاد ، ونجح كذلك في أخراج الحاميات العسكرية الخوارزمية من الري.

ثم رأي أن يسير بجيشه نحو مدينة أصفهان طالباً العساكر الخوارزمية ، وعندما قاربوها سمعوا بمقدم عسكر الخليفة العباسي عندها ، لذا فقد أرسل إلى مملوك الخليفة يعرض نفسه وخدمته في الديوان ، ولقد تقدم كوكجه وتتبع الخوارزمية إلى طبس (وهي من بلاد الإسماعيلية) ثم عاد وقصد أصفهان وملكها ، وبعدها أرسل إلى بغداد طالباً من الخليفة العباسي منشوراً بكل من : الري ، وخوار الري ، وساوه ، وقم ، وقاجان ، وما ينضم إليها إلى حد مزدغان في الوقت الذي تكون فيه أصفهان وزنجان وقزوين لديوان الخليفة العباسي ، ووافقه الخليفة على ذلك ، وأرسلت له الخلع ، فعظم شأنه وقويت شوكته^(٢).

ومن المرجح أن يكون السبب وراء موافقة الخليفة على ذلك هو وعد المملوك كوكجه بأن يحكم البلاد باسم الخليفة العباسي ، ولقد وافقه

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٢٤ ؛ سعد بن محمد حنيفة الغامدي : المرجع السابق ، ص ٩٦-٩٧ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص ٦٢.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١١٧ ؛ بدرى محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص ٦٢.

أيضاً على السماح له بإبقاء قوى عسكرية في أصفهان تحت قيادة أحد مماليكه الأتراك وهو «فخر الدين سنقر الطويل» ولكن لم يستمر هذا الوضع طويلاً حتى استقل بجميع السلطات ، واكتفى بذكر اسم الخليفة والدعاء له في خطب أيام الجمع في إقليم بلاد الجبل^(١).

■ ثورة الأتابك أزيك بن محمد البهلوان «أتابك أذربيجان» : لقد أقام الأتابك أزيك هو ومن معه من الأمراء وكبار رجال الدولة بإعلان طاعتهم وولائهم للخليفة العباسي ملتجئين منه العون والنجدة وذلك بأن يرسل لهم من يقوم بتنفيذ سلطته في بلادهم وكان السبب وراء هذا التصرف هو تصرف القائد العسكري لحاميات الخوارزمية «ميجانق» الذي كان يحكم المنطقة بشدة وتعسف نيابة عن السلطان تكش الخوارزمي ، من أجل استعادة نفوذ الخوارزميين على ذلك الإقليم وفرض سلطتهم^(٢).

ولقد استجاب الخليفة العباسي لطلبهم فأرسل إليهم «أبا الهيجاء السمين»^(٣). ليكون القائد العسكري للقوات العباسية ، والذي فشل في المهمة التي كلف بها لسوء معاملته تجاه أزيك وأتباعه ، وغضب الخليفة العباسي من فعلته تلك ، لذا خاف أبو الهيجاء من سيده فترك الخدمة عنده

(١) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : أوضاع الدولة الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ٩٨.

(٢) الرواندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص ٣٩٠.

(٣) أبو الهيجاء السمين : لقبة حسام الدين ، وهو رجل كردى من بلاد أربل ، حيث كان في خدمة بنى أيوب في مصر وهو من كبار الأمراء العسكريين في الجيش الأيوبي ، وكان قبل ذلك يشغل منصب إقطاع بيت المقدس والمناطق المجاورة ؛ سعد بن محمد بن حذيفة الغامدي : المرجع السابق ، ص ٩٨ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص ٦٤.

وهرب إلى مدينة أربل ولكنه مات قبل أن يصل إليها ، وترتب على فشل ذلك القائد استطاعة القائد ميانجق فرض سلطانه على إقليم بلاد الجبل ، وبعد تمكنه من ذلك خرج على السلطان تكش الخوارزمي وأعلن عصيانه وادعى استقلاله بحكم جميع الأراضي التي كانت تحت سيطرته^(١). ثم أرسل ميجانق إلى الخليفة العباسي الناصر في بغداد يعبر عن ولائه ذاكرة أنه مجرد نائب من قبله.

وإن كنت أرجح أن غرضه من ذلك هو كسب الصفة الشرعية من قبل الخليفة العباسي^(٢).

ونتيجة تلك الاضطرابات السياسية والثورات المتعددة ، وكذلك خيانة وتمرد قائد تكش ميانجق أن خرجت جميع إقليم بلاد الجبل من سلطه الخوارزميين ، لذا قررت تكش عام ٥٩٥هـ / ١١٩م ، الاتجاه إلى إقليم بلاد الجبل لاستعادتها مرة ثانية ، والقبض على قائده الخائن وقتله^(٣). واستطاع تكش استرداد جميع أراضي إقليم بلاد الجبل حتى همذان غرباً ، وبعدها سیرت الخلع من الخليفة العباسي لتكش خوارزمشاه ، وولده علاء الدين محمد ، وتقليده بما في يده من البلاد^(٤).

د - حملته على مدينة بخارا واستيلاؤه عليها عام ٥٩٤هـ / ١١٩٢م :

سار السلطان تكش إلى مدينة بخارى لانتزاعها من الخطا (القراخطاي) حيث كان سكانها من العرب البخاريين يفضلون حكم القراخطاي المخالفين لهم في العقيدة ، لذا وبمجرد وصول السلطان

(١) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٣٩٦ ؛ سعد بن محمد حذيفة الغامدي : المرجع

السابق ، ص ١٠٠ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص ٦٤.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٠٠.

(٣) الرواندي : راحة الصدور وآية السرور ، ص ٥٥٤.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٥٢-١٥٣.

الخوارزمي تكش فرض الحصار عليهم ، فامتتع عنه الأهالي وقاتلوه مع القراخطاي حتى هزموه ، ولقد وصل بهم التحدى أن احضروا كلباً أعور والبسوه ثوب خوارزمشاه ، وطافوا به على السور وأطلقوا عليه خوارزمشاه (وخاصة أن خوارزمشاه كان أعور) ، ثم قذفوه بالمنجنيق في معسكر عدوهم ، وصاحوا هذا سلطانكم.

لذا كان الخوارزميين يسبون هؤلاء ويدعونهم بـ «جنود الكفار والمرتدين» وتمكن الخوارزميون في النهاية من اقتحام المدينة عنوة ، وعلى الرغم مما فعله هؤلاء «أهل بخارى» مع السلطان تكش إلا أنه قد عفا عنهم ، وأحسن إليهم ، ودفع لهم ذهباً ومالاً كثيراً ، ثم عاد إلى خوارزم بعدها^(١).

(١) ابن العماد الحنبلي : شذارت الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٣١٦ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٣٧-١٣٨ ؛ ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٢٥ ؛ أبو الفرج جمال الدين بن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٣٠ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٩٣ ؛ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل «ابن كثير» : البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٣ ، ص ١٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٥٩ ؛ أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي «موسوعة للتعريف بمصطلحات الفكر الإسلامي» ، المجلد الأول ، ص ٤٨٩ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٩٨ ، يضيف بارتولد عند ذهاب تكش إلى مدينه بخارى ، وذلك قبل الحملة التي نحن بصدد الحديث عنها ، وهي عبارة عن رسالة وجهت من تكش إلى بخارا ، وجاء بها أن خوارزمشاه قد عبر نهر آمودريا وأرسل قوة إلى بخارا ، وأصدر أوامره العسكرية هناك بعدم التعرض للأهالي الأمنين بسوء ، ولكن نجد مجموعة من الطغاة قد وقعوا في شباك الكفر في تلك الولاية ، واعتصموا بالمدينة على الرغم من أن خوارزمشاه كان حليماً مع هؤلاء الطغاة ولكنهم لم يستجيبوا له لذا بدأ يوم الثلاثاء -

هـ - محاولة السلطان تكش الاستيلاء على مدين سرخس :

اتضح ذلك من خلال تلك الرسائل التي كانت متبادلة بين السلطان تكش الخوارزمي والغوريين والتي انفرد بذكرها بارتولد دون أي مرجع أو مصدر آخر ، وإن كان ذلك المرجع قد افترق إلى التحديد الزمني لتلك الرسائل سواء الهجري أو الميلادي حيث اكتفي بذكر الشهور فقط ، وكذلك إلى تحديد الطرف الأول من الغوريين ، وأي من سلاطينهم كان يرسل السلطان تكش ، فذكر أن هناك رسالتين قد تمنا في خراسان في آخر شهر مايو في الوقت الذي كان السلطان تكش مشغولاً بمحاصرة مدينة سرخس^(١). وقد ذكر كما ذكر خواندمير عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م^(٢). ففي الرسالة الأولى يتحدث عن ثقته في سقوط مدينة سرخس في خلال أيام ، وبعدها سوف تتم المقابلة بينهما ولكن اتضح من الرسالة الثانية أنه لم يتمكن من تحقيق هدفه ، ويتضح ذلك من كون الرسالة قد كتبت عند باب مدينة سرخس^(٣).

= عام ٥٧٨ هـ ، الهجوم على المدينة واقتحموا الأسوار دون أن يتعرضوا للسكان الآمنين ، ولقد انتظر حتى صباح اليوم التالي من أجل الصلح والتسليم ، وفي ساعة متأخرة حاول قائد العدو الهرب ، ولكن جند تكش تمكنوا منه وأسروه هو وقواته ، وكانوا أكثر من (١٠٠٠ رجل) ووصلوا إلى خوارزمشاه لكنه عفا عنهم استولى على المدينة. وهناك عهدان قد وقعا في تلك الواقعة : الأول ، يشكر فيه تكش أحد الأئمة وذلك على ما أبداه من إخلاص في خدمة تكش أكثر من مرة ، والعهد الثاني : خاص بتثبيت الأمير «نور الدين» في مناصب كان سبق وعينه فيها الصدر برهان الدين ، وهي مناصب دينية خاصة بالتدريس والإقامة والخطبة والإفتاء وشرطه في ذلك ذكر اسم السلطان عقب اسم الخليفة العباسي ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٩٣-٤٩٤.

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٩٢.

(٢) خواندمير : حبيب السير ، ص ٦٣٧.

(٣) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٩٢.

و- السلطان تكش خوارزمشاه وصراعه مع الغوريين والقراخطاي عام «٥٩٤هـ/١١٩٧م»:

وسبب ذلك فتوحات السلطان تكش التي قام بها ، وخاصة في منطقة العراق العجمي «إقليم بلاد الجبل» ، وعلى أثرها اتجه الخليفة العباسي الناصر لدين الله إلى الاستعانة بالغوريين طالباً عونهم ضد السلطان الخوارزمي وجيشه ، والذي تعرض بالأذى لجيش الخليفة العباسي وقائده الوزير ابن القصاب ، وطلباً للخطبة باسمه في بغداد ليحل محل ملوك الدولة السلجوقية بعد انتهاء عهد سلاجقة إيران.

وكان ذلك في صورة شكوى للسلطان الغوري الذي قبح ما فعله تكش ، ونهاه عن عدم الاتجاه إلى بغداد وهدده بأخيه سلطان شاه محمود ومساندته في اخذ بلاده منه^(١). وكان رد فعل السلطان تكش هو الاتجاه إلى القراخطاي طالباً العون منه «وذلك كانت المرة الثانية التي طلب فيها العون منهم كما سبق ووضحناه» ، يشكو إليهم السلطان الغوري قائلاً : «إنهم إن لم يدركوه فسوف يقصد بلاده ، ثم يقصد بعد ذلك بلادهم ، وبالتالي لم يتمكنوا من منعه ولا السيطرة عليه ، وخاصة في منطقة ما وراء النهر. وتمت الموافقة بينهما ، وأعد جيشاً تحت قيادة أعظم قواده وهو «تانيكو» الذي كان بمثابة الوزير لديه ، وعبر نهر جيحون في جمادي الآخرة من العام نفسه ، وكان وقتها وقت شتاء^(٢).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٣٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٢ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٩٧ ؛ بدرى محمد فهد : المصدر السابق ، ص ٦٣.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٣٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٢ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٤ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٩٧.

• الجانب الغوري :

وكان وقتها السلطان الغوري شهاب الدين في بلاد الهند ، أما السلطان غياث الدين ونظرا لإصابته بمرض النقرس الذي منعه من الحركة ، فكان يحمل من مكان لآخر على محفة ، وذلك يعنى عدم استطاعته واستعداده لتلك الحرب لغياب شهاب الدين القائد الأعلى للجيش ، ومعه أغلب جنوده.

ولقد تحرك القراخطاي وعبروا نهر جيحون حتى وصلوا إلى بلاد الغور^(١). مثل : كرزبان وسرقان ، وغيرها من المناطق الأخرى ، وقتلوا ونهبوا وأسروا خلقاً كثيراً لا يمكن إحصائهم^(٢).

ونظراً لفضاعة أفعال هؤلاء اتصل الأهالي بالغوريين ، ولقد راسل الخطا حاكم ملك باميان ، وهو «بهاء الدين سام بن محمد» ، وخبروه ما بين تسليم مدينة بلخ ، أو دفع الجزية المقررة على المدينة من قبل.

(١) بلاد الغور : هي المنطقة الجبلية الواقعة إلى الشرق والجنوب الشرقي من همدان ، وإلى الجنوب من غرجستان وجوزجان أي المنطقة الجبلية الواسعة الواقعة بين كل من ولايتي هراه وغزنة ، وهي عبارة عن وديان المنطقة الجبلية التي يطلق عليها الآن «كوه بابا» أي جبل بابا وسفيد كوه «الجبل الأبيض» ، وعن طريقها تتصل جبال خراسان بسلسلة جبال هندوكوش ، إلى جانب أنها منبع للأنهار ومنها : الهيرميد ، الهيرود ، المرغاب الذي جاور القسم الغربي منها ولاية هراه وكانت تسمى الغرجستان والجبال ، لهم مدن وقرى كثيرة يؤتي منها الرقيق والجواشن «الدروع» والأسلحة الجيدة ؛ مؤلف مجهول : حدود العالم من الشرق إلى الغرب ، ص ٨٠ ؛ النويرى : المصدر السابق ، ج ٢٧ ، ص ٨٧ ، حاشية ١ ؛ فوزي حافظ عباس المأموني : علاقة خوارزم بالعالم الإسلامي خلال العهدين البويهى والسلجوقي ، ص ١٩٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ ؛ إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٠٩.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٣٥ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٤٩٧.

وما إن عظمت الأمور حتى انتدب عن السلطان الغوري غياث الدين الأمير «محمد بن جربك» والى الطالقان الذي كاتب بدوره «الحسين بن خرميل» متولي أمر قلعة كرزيان ، واجتمع معهما كذلك الأمير «حروس الغوري» وتوجهوا إلى عساكر الخطا ، وتمكنوا منهم ، وذلك لأن من عادة القراخطاي عدم مغادرة مخيماتهم ليلاً وتركها دون حراسة ، لذا تمكنوا منهم وهزموهم ، ومات منهم الكثير منهم من كان متأثراً بجراحة ، ومنهم من ألقى بنفسه في مياه نهر جيحون خوفاً من وقوعه في الأسر ، وقد بلغ عدد قتلهم ما يقارب اثني عشر ألفاً من الجنود (١٢٠٠٠ جندي) (١).

وبعد هزيمة القراخطاي قامت المفاوضات بين الغوريين والخوارزميين مقابل أن يعلن السلطان تكش طاعته للخليفة العباسي ، وأن يعوض ما نهبه القراخطاي من الأهالي ، وتمت تلك المفاوضات بنجاح. وبذلك دخل السلطان تكش في طاعتهم قائلاً : «وأما أنا فقد أصلحت الغورية ودخلت في طاعتهم ولا طاعة لكم عندي» (٢).

وما إن علم السلطان الغوري بوفاة السلطان تكش حتى أمر بعدم ضرب نوبته لمدة ثلاثة أيام ، وجلس للعزاء (٣). ويدل ذلك على استمرار علاقات الورد والصداقة بين الخوارزميين والغوريين ، وكذلك احترام السلطان الغوري وتقديره.

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٣٦ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٢ ؛ فوزي حافظ عباس المأموني : المرجع السابق ، ص ٢٠٠.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ١٣٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٥ ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٤٩٨ ؛ فوزي حافظ عباس المأموني : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ؛ بدرى محمد فهد : المصدر السابق ، ص ٦٣.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٥٦.

ز - السلطان تكش ومعاربته للإسماعيلية الحشيشية^(١) :

ازداد نفوذ هؤلاء في العهد الساماني ، وخاصة في عهد الوالي نصر بن أحمد ، وكذلك أثناء حكم الديالمة من آل زيار ، وتعرضوا للضعف دون انتهائهم في العصر الغزنوي ، ثم تلاشي هؤلاء في عهد السلاجقة ، لكونهم على مذهب أهل السنة ، فاخذوا على عاتقهم محاربة الإسماعيلية ، ولكن ما لبثوا أن عادوا للظهور ثانية في عهد ملكشاه على يد زعيمهم الحسن الصباح «أحد أنصار المذهب النزارى ، وهو واحد من أفرع المذهب الإسماعيلي» وينسب إلى نزار بن المستنصر بالله الفاطمي «٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م» حيث حدث نزاع بين أبنائه على ولاية العهد ، وهما : نزار والمستعلى لذا أخذ أعوانه وأنصاره على عاتقهم نشر هذا المذهب بين الناس^(٢). وكان زعيمهم الحسن الصباح الذي رحل من

(١) الإسماعيلية الحشيشية : أطلق على هؤلاء العديد من المسميات منها الإسماعيلية لكونهم تابعين لإسماعيل جعفر الصادق ، وأطلق عليهم كذلك الباطنية لكونهم يبتغون ما يظهرون بداخلهم ، والملاحدة لان مذهبهم واعتقادهم قائم أولاً وأخيراً على الإلحاد ، وأخيراً لقب الحشاشين نظراً لاستخدامهم مادة حشيش المخدرة في التضليل بعقول من يدخلون الدعوة ؛ القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ١٣ ، ص ٢٤٥ ؛ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي «الشافعي المعروف بأبي شامة» : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، نشر وتحقيق : محمد حلمي محمد أحمد : (القاهرة ، ١٢٨٧م) ، ج ١ ، ص ٥٢ ، ١٩٨ ؛ حافظ أحمد حمدي : الشرق الإسلامي قبل الغزو المغولي ، ص ٧١ ؛ إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ ؛ أحمد عطية الله : القاموس الإسلامي ، المجلد ، ص ١٠٨.

(٢) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٧١ ؛ عبد الحميد البجيلي : رسائل إسماعيلية قديمة نادرة ، (مجلة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ، المجلد الثالث ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ؛ إقبال عباس الاشتياني : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٢٥٤.

الري عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م ، إلى أصفهان ، وطاف العديد من البلاد حتى اتجه إلى إيران عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ، وبدأ في الدعوة إلى المذهب الاسماعيلي واتخذ من قلعة «آلموت»^(١) مقرا لدعوته وكثير مريدوه ، وتمكنوا من تأسيس العديد من المعاقل الكثيرة «القلاع» في أماكن جبلية في شمال إيران وشرقيها في المنطقة الممتدة من حدود أنريجان إلى كرمان خصوصا في كل من ديلم وقومس وقهستان ، وكلها قلاع حصينة. وكان جيش الإسماعيلية يمتاز بالحماس والاستعداد بالتضحية بالنفس في سبيل حماية الدعوة ، ومن بينهم - وهي أهم الطبقات لدى تلك الطائفة - الفداوية الذين استعانوا بهم في دعوتهم^(٢).

• مجاورتهم للدولة الخوارزمية ودوافعهم للقضاء عليها :

تقع دولة هؤلاء إلى الشمال الغربي من دولة خوارزم ، وذلك يدخل ضمن الأسباب التي كانت وراء وقوع الصدام بينهما. وكذلك رغبتهم في القضاء على هؤلاء الذين طالما أحدثوا العديد من الفتن والمكائد التي كان لها دور في التأثير على علاقاتهم السياسية ما بين العباسيين ، وخاصة في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله وابن تكش ، فكانت من الأسباب التي دفعته لإعداد حملته على بغداد^(٣). وبعد أن تمكن السلطان تكش من الاستيلاء على إقليم بلاد الجبل وجد من الضرورة الاتجاه إلى قلاع هؤلاء الملاحدة الذين كانوا في ذلك الوقت في قمة مجدهم.

(١) قلعة آلموت : الموت كلمة ديلمية معناها «المكان الذي أرشد عليه العقاب» ؛

إقبال عباس الاشتياني : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ، حاشية ٣.

(٢) فوزي حافظ عباس المأموني : المرجع السابق ، ص ١٩٦.

(٣) حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٧٢ ؛ عبد النعيم حسنين : المرجع

السابق ، ص ٧٢.

لذا وبعد أن رجع السلطان تكش وابنه قطب الدين محمد من محاربتهم للقبجاق وهزيمتهم بالقرب من مدينة «جند»^(١). توجه الاثنان ومعهم بعض الأشخاص الذين عاونوهم في معرفة بعض أسرار هؤلاء وبعدها قام بالإغارة على قلعتهم «وهي قلعة الموت» وهي التي فتحها السلطان أرسلان بن طغرل ، وأطلق عليها «قلعة أرسلان كشاي» بالقرب من قزوين فقتل عدداً كبيراً منهم ، وسيطر على مدينة قزوين ، وتولى أمرها أحد أبنائه وشهرته «تاج الدين»^(٢).

وتكررت مهاجمتهم من قبل الخوارزميين مرة ثانية بعد اغتيالهم لوزيرهم «نظام الملك شمس الدين الشافعي» قاصداً قلاعهم^(٣).

وكان نائبه في البداية ابنه علاء الدين محمد من أجل تدمير قلاع هؤلاء الملاحدة ، لذا أعد الجنود لذلك ، وقام بمحاصره مدينة «ترشيز» وكاد يفتحها لولا وصول نبأ وفاة والده تكش الذي كان مصاباً بمرض الاختناق فعالجه الأطباء ونصحوه بعدم الإرهاق ولكنه خالف ذلك ، وتوجه للملاحدة^(٤) ، وكان وقتها حاراً ، فما أن وصل إلى منطقة تدعى «جانب عرب»^(٤). وأغار على كل من قهستان وترشيز من أجل الانتقام لوزيره الذي اغتيل على أيديهم ، وذلك ليقينهم بأنه المحرض الأول لاتجاه السلطان تكش إليهم ومحاصرتهم ، ولكنه مرض ومات عام

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٢٨.

(٢) حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از مآتا بهلوی ، ص ٤٤٠ ، ذكرا تلك الأحداث في عام ١١٩٧/٥٩٤ م ، واختلف معهم ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٨٠ ، تحدث عن محاصرته لقلعة قزوين أربعة أشهر تقريباً ، وبعدها تم الصلح بينهما مقابل نزولهم عن تلك المناطق المرتفعة ، وتوجهوا صوب الموت.

(٣) حمدالله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر المستوفي القزويني : تاريخ گزیده ، المجلد الأول ، ص ٤٩٣.

(٤) ميرخواند : المرجع السابق ، ص ٣٨٠-٣٨١.

٥٩٦هـ/١١٩٩م ، وترك الجهاد من بعده لابنه علاء الدين محمد^(١). الذي ما إن علم بوفاته حتى ترك الحصار ، وتمت المصالحة ورفع الحصار عن مدينة ترشيز^(٢). وعاد وذلك بعد أن صار صاحب خوارزم وبعض خراسان كالري وبعض إقليم بلاد الجبل^(٣).

ثالثاً : علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه « ٥٩٦ - ٦١٧هـ / ١١٩٩ - ١٢١٩م » :

أ - توليته لعرش خوارزم وصراعه مع ابن أخيه « هندوخان » :

كان من أبناء علاء الدين تكش «علي شاه» الذي كان متولياً أمر أصفهان وأضاف إليها خراسان ، وكان يونس خان متولياً أمر الري ، وتاج الدين عليشاه ، نصير الدين ملكشاه «الذي توفي في حياة والده وترك ابنه هندوخان» ، علاء الدين محمد الذي استدعاه والده علاء الدين تكش عندما اشتد عليه المرض ، ولكنه حضر بعد وفاته فبايعه أعوان الدولة ، وتولى أمر خوارزم ، وتلقب بلقب علاء الدين محمد ، وذلك في ١٣ أغسطس عام ١٢٠٠م ، ومرجع هذا التأخير تلك المنافسة التي كانت بينه وبين ابن أخيه هندوخان ، والتي ترجع جذورها إلى الخلاف الذي كان بين عمه ووالده نصير الدين ملكشاه.

ونظراً لنهب هندوخان لخزائن جده وأمواله وذلك لوجوده بجانبه وقت وفاته لذا أعد علاء الدين محمد جيشاً تحت قيادة «جُقر التركي» وعلى إثرها هرب هندوخان إلى خراسان طالباً النجدة من السلطان الغوري غياث الدين الذي أكرمه ووعده بالمساندة والنصر.

(١) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٣٢ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٤٤٠.

(٢) ابن العبري : المصدر السابق ، ص ٣٨١ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص ٣٨١.

(٣) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٣٢.

وبوصول «جقر التركي» إلى مروا أخذه والده هندوخان وأبناءه مكرمين إلى خوارزم ، أما السلطان الغوري غياث الدين فقد راسل نائبه في الطالقان ، وهو «محمد بن جربك» طالباً تهديد القائد الخوارزمي ، وبعد تمكنه من مدينة مرو الروذ والخمس القرى (بنج ده) طلب من القائد الخوارزمي إقامة الخطبة باسم السلطان الغوري في مرو أو ترك البلاد.

ولقد راسل القائد الخوارزمي السلطان الغوري سراً طالباً الأمان ، وكذلك تسليم تلك المناطق التابعة للدولة الخوارزمية مقابل أن يكون حاكماً لديهم ولقد شجعت خيانتة الغوريين على التقدم وطمعهم في أملاك الدولة الخوارزمية معتقدين في ضعف السلطان الخوارزمي الذي تخلى عنه قائده لذا راسل أخاه شهاب الدين للاتجاه إلى خراسان للاستيلاء على أملاك السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد^(١).

ولقد ترتب على النزاع على العرش والتجاء هندوخان إلى الغوريين ضياع بعض أملاك الدولة الخوارزمية.

ب - الغوريون واستيلاؤهم على بعض أملاك الدولة الخوارزمية وموقف السلطان الخوارزمي من ذلك :

بناءً على طلب غياث الدين الغوري لأخيه شهاب الدين ، والذي أمره فيه بالاتجاه إلى خراسان وترك مدينة غزنة إلى خراسان مصاحباً

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٥٧-١٥٨ ، ١٦٤ ؛ أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٠ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ٩٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٣ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٦-٢٠٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٠٢ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص ٩٨-٩٩ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ١٦٢-١٦٣ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٤٤١.

معه جنوده ولقد كان الأمير «عمر بن محمد المرغنى» نائبهم في مدينة هراة من المعترضين على ذهابه لخراسان ، فلم يشجعه على ذلك ، وعلى الرغم من ذلك اتجه شهاب الدين بعساكره ، وكذلك عساكر من مدينة «سيستان» إلى قرية بين الطالقان وكرزبان وهي قرية (ميمنة) وذلك في جمادي الأولى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.

وتقابل مع القائد الخوارزمي «جقر التركي» الذي سبق وراسلهم من أجل تسليم البلاد ، واشتد القتال بينهم ، وحملوا عليه ودخلوا البلد وزحفوا بفيلهم حتى قاربوا سور المدينة ، وما أن رأس الناس ذلك حتى طلبوا الأمان ، وتم لهم ذلك ، وخرج إليهم «جقر التركي» الذي وعدوه بالعود الجميلة ، وتم تسليم المدينة وأعطيت إلى هندوخان ، واتجه جقر التركي مكرهاً إلى هراة.

ثم اتجه السلطان الغوري شهاب الدين إلى مدينة «سرخس» وتمكن منها وترك عليها الأمير «زنكى بن مسعود» وذلك بعد محاصرتها بثلاثة أيام تقريباً^(١). وكذلك مدينتي نسا وأبيورد ، وذلك لكونه من أولاد عمومته ، وتوجه شهاب الدين إلى طوس التي امتنع حاكمها عن تسليمها ، وظل مغلقاً بابها ما يقارب من ثلاثة أيام حتى ضاق أهلها فراسلوا غياث الدين الغوري طالبين الأمان ، وتمكن منها ، وخلع أميرها وسيره إلى هراة^(٢).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٦٤-١٦٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٩٩ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٤ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٧-٢٠٨ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ص ٩٩.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٦٥ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ٩٩.

ولم يكتف السلطان الغوري بذلك بل راسل أخا السلطان، الخوارزمي «علي شاه» في نيسابور طالباً الطاعة أو الحرب والحصار ، وبالرغم من هذا التهديد ، فقد اتفق «علي شاه» ومن معه من عساكر الخوارزمية على الامتناع عن تسليم تلك المدينة ، وقاموا بتحصينها ، وتخريب ما حولها من مظاهر العمارة وما أن رأي السلطان الغوري ذلك حتى ترك أمرها لابنه محمود ، والذي ظل بها حتى تم رفع علم الغوريين على سورها.

ومن ناحية أخرى هاجم السلطان غياث الدين المدينة من ناحية السور ، حتى تهدم وفجأة فوجئ الخوارزميون بتكبير هؤلاء ودخولهم المدينة وملكوها عنوة ، ونهبت المدينة ، ثم وبناء على أوامر السلطان الغوري توقف النهب والسلب حتى قال لجنوده : «من نهب مالا أو أذى أحد قدمه حلال» ونفذ الجنود أوامره ، وتحصن الخوارزميون في جامع المدينة ولكن أخرجهم غياث الدين منه^(١). وبعدها أخذ «علي شاه» وأحضروه عند غياث الدين راجلاً ، ولكنه أنكر على من أحضروه ذلك وقال علي شاه لغياث الدين «أهكذا يفعل بأولاد الملوك؟ فقال : لا بل هكذا وأخذ بيده وأقعدته معه على العرش وطيب نفسه وسير جماعة الأمراء الخوارزمية إلى هراة»^(٢). وبذلك تمكن السلطان غياث الدين الغوري من الاستحواذ على أغلب ما كان لخوارزم شاه بخراسان ، وكذلك مرو ونيسابور وغيرهما كما سبق ووضحنا ثم اتجه إلى بلاد الهند^(٣).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٦٦ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٠٠ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ١٠٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٤-٨٦٥ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ١٠٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٦٦.

(٣) حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بهلوی ، ص ٤٤١ ؛

Ibrahim : A short history of Turkish Islamic States Excluding the Ottomen State, p.156.

• الموقف الخوارزمي من أعمال السلطان الغوري :

راسل السلطان علاء الدين محمد السلطان غياث الدين الغوري معاتبا له : «كنت اعتقد أن تخلف علي بعد أبي وإن تنصرتني على الخطأ وتردهم عن بلادى فحيث لم تفعل فلا أقل من أن لا تؤذيني وتأخذ بلادى ، والذي أريده أن تعيد ما أخذته منى إلى ، وإلا استصرت عليك بالخطأ وغيرهم من الأتراك أن عجزت عن اخذ بلادى فأنتي إنما يشغلني عن منعكم عنها الاشتغال بعزاء والدي ، وتقرير أمر بلادى ، وإلا فما أنا بعاجر عنكم وعن أخذ بلادكم بخراسان وغيرها».

ولقد غالطه السلطان الغوري في الجواب ، واستمرت المراسلات بينهما وما أن علم السلطان الخوارزمي بحال غياث الدين وعجزه عن الحركة وانشغال السلطان شهاب الدين بحروبه في الهند ، حتى راسل نائبه «غياث الدين» في خراسان وهو «علاء الدين الغوري» يأمره بترك نيسابور ، وهو بدوره راسل السلطان الغوري ، وأخبره بميل أهل نيسابور إلى الخوارزميين ، وعلى الرغم من ذلك طلب منه المدد من أجل الحرب.

وفي منتصف ذى الحجة عام «٥٩٧هـ/١٢٠٠م» اتجه علاء الدين محمد وعساكره إلى نيسابور ، وما أن اقترب من مدينتي نسا وأبيورد ، وما إن علم ابن أخيه هندوخان بذلك حتى فر هاربا إلى غياث الدين بفيروزكوه ، وتمكن السلطان الخوارزمي من مدينة مروالروذ ، وسار بعدها إلى نيسابور ، وتم الاشباك بينهما وظل الحال على ذلك ما يقارب من شهرين ، وبعدها طلب علاء الدين الغوري الأمان ، ووافقهم الشاه الخوارزمي على ذلك وسمح لهم بالخروج وأحسن إليهم وخرج هو ومن معه محملا بالهدايا وطلب منه ضرورة السعي في إحداث الصلح فيما بينهم وبين الغوريين فاستجاب لهم ، وصار إلى هراة ومنها إلى إقطاعه.

وتمكن بذلك من نيسابور ، وعقد ما يشبه الصلح بين الشاه الخوارزمي و «الحسين بن خرمل» في أن يكون خلفا وحليفا له بدلاً من تعاونه مع الغوريين ، ثم استكمل سيره إلى مدينة سرخس فحاصرها ما يقارب ٤٠ يوماً ، وبعد مناورات طلب أميرها الأمان والصلح ، وحقق له ما أراد ، ولكن السلطان الخوارزمي عاد وندم على إعطائه الأمان ورحل عنها ، وجهز عسكرياً فحاصرها ، ثم وقعت وتمت المراسلة بين «محمد بن جربك» من الطالقان «وهو من الأمراء الغوريين» وبين زنگي من أجل القضاء على الخوارزميين الذين تركهم الشاه الخوارزمي.

وما أن أدرك الخوارزميون ذلك حتى تركوا سرخس ، وبقي الاثنان في مروالروذ ، واخذ إخراجها مما اضطر علاء الدين محمد خوارزمشاه إلى إرسال عسكر تحت قيادة خاله ، وتمت المواجهة وهزم على الرغم من تفوق جيشهم عن جيش محمد بن جربك.

وترتب على ذلك مراسلة السلطان الخوارزمي للسلطان الغوري راجباً في الصلح ولقد أجابه السلطان الغوري على ذلك برسالة أرسلها مع أمير من الغورية يدعى «الحسين بن محمد المرغني» فقبض عليه خوارزمشاه^(١).

جـ- محاصرة السلطان علاء الدين خوارزمشاه لمدينة هراة وأسباب ذلك :

إن السبب الرئيسي وراء محاصرته تلك المدينة هو رغبته في الاستيلاء على عليها ، وخاصة أنه كان هناك أخوان تابعان يعملان في خدمة سلطان شاه ابن أخي علاء الدين محمد ، وقد اتصلا بغياث الدين

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٧٣-١٧٥ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٣٤ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٦٦ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٠٩-٢١١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٥-٢٦.

الغوري ، وذهبا إليه ، وأكرمهما ، وفي الوقت نفسه راسلوا السلطان الخوارزمي وضمنوا له تسليم مدينة هراة.

وما إن علم أمير هراة بذلك وهو «عمر بن محمد المرغني» بمراسلتهم للسلطان الغوري حتى وثق فيهما ، وسلمهم مفاتيح المدينة ، وشجعهم على قتال السلطان الخوارزمي ، ولكن في الوقت نفسه وصلت رسالة من «الحسين بن محمد المرغني» إلى أخيه «عمر المرغني» باتفاق هذان الشخصان مع السلطان الخوارزمي فاعتقلهما على الفور^(١).

ثم ما لبث أن وصل عسكر الغورية بقيادة «ألب غازی» أو «أليوغانی» ونزل على بعد خمسة فراسخ من هراة ومنع الميرة عنها وظل الحصار قائما أربعين يوما وكان معه السلطان غياث الدين في قلعة من عدده ، ولكن وما إن علم بوصول السلطان شهاب الدين من الهند إلى غزنة حتى راسل غياث الدين أمير هراة طالباً الصلح ، وتم ذلك على مال أرسله إليه ، ورحل عن البلد في منتصف عام ٥٩٨هـ / ١٢٠١م ، أما الجيش الخوارزمي فقد انتقل إلى الطالقان للإغارة عليها ، وتمكن منهم الحسين بن خرميل ، وهزمهم ، وعندما علم السلطان الغوري بما فعله السلطان الخوارزمي في خراسان حتى اتجه من غزنة إلى بلخ ومنها إلى باميان ثم مرو ، وهدفه من وراء ذلك هو محاربة خوارزمشاه ووقع القتال بينهما وهزم خوارزمشاه وإن كان قد تمكن من قتل الأمير سنجر صاحب نيسابور لخيانته له.

ثم توجه السلطان الغوري إلى طوس لقضاء الشتاء بها ، ويستكمل بعدها حملته ضد السلطان الخوارزمي ويتجه إلى خوارزم ،

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٧٦-١٧٧ ، ١٨٠-١٨١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢١١-٢١٣ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص ١٠٣-١٠٤.

ولكن نظراً لوفاء أخيه اتجه إلى هراة ، تاركاً على مرو نائبه «الأمير محمد بن جربك» الذي اشتبك معه بعض الخوارزميين ليلاً ، ولم ينج منهم الكثير ، وأرسل الأسرى ورؤوس القتلى إلى هراة.

وفي عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م - وبعد أن تلقى السلطان شهاب الدين العزاء - توجه إلى خوارزم عن طريق الرمل ، وفي الوقت نفسه سير السلطان الخوارزمي جيشاً قائده «برفور التركي» الذي ذكر عند ابن خلدون تحت اسم «منصور التركي» وخرج إليهم على بعد عشرة فراسخ من مرو ودارت بينهم المعركة ، وفقد الجانبان العديد من الجنود وهزمت الغورية ، ودخل محمد بن جربك في شرنمة من الجنود مرو وحاصره الخوارزميون ما يقارب من خمسة عشر يوماً ، ثم راسلهم طالباً الأمان ووافقوا على ذلك ، ولكن بمجرد خروجه تمكنوا منه وقتلوه ، ولقد غضب السلطان الغوري من ذلك ، ثم تردت رسل بينهما ، ورجع إلى غزنة وترك على هراة ابن أخته «ألب غازي».

● محاصرة السلطان علاء الدين محمد لهراة للمرة الثانية عام «٦٠٠هـ/١٢٠٣م» :

ولقد ظل محاصراً لها من أوائل شهر رجب حتى بداية شهر شعبان مع استمرار القتال واشتداده بين الطرفين ، في الوقت الذي سار فيه السلطان الغوري إلى لهاور متجهاً إلى الهند ، أما الحسين بن خرميل الذي كان في إقطاعه في «كرزبان» والذي راسل السلطان الخوارزمي طالباً إرسال العسكر من أجل استلام الفيلة وخزانة السلطان الغوري ، فأرسل له ما يقارب من ألف فارس ، ولكنها كانت مكيدة منه وكذلك الحسن بن محمد المرغني وهزم جنود الشاه الخوارزمي ولم ينج منهم إلا القليل ، لذا ندم الشاه على تصديق هذا الخائن.

وفي الوقت نفسه راسل السلطان الخوارزمي ألب غازي ليكون في خدمته بدلاً من السلطان الغوري ، وكان هذا في ذلك الوقت مريضاً

فخشى الموت فتمكن السلطان الخوارزمي من المدينة لذا خرج إليه ، ولكنه سقط ميتاً أمامه ، وترك خوارزمشاه البلد ، واتجه إلى سرخس وأقام بها^(١).

• الموقف الغوري والمركة الفاصلة بينهما :

وما إن علم السلطان الغوري ما حدث لنائبه في هراة ترك الهند واتجه إلى خوارزم في الوقت الذي كان فيه السلطان تكش - بعد مروره على سرخس - في مدينة مروالروذ وما إن أدرك ذلك حتى خشى عواقب الموقف واتجه إلى خوارزم ، وكعادة ملوك الدولة الخوارزمية فتح السلطان السدود لكي يغرق المنطقة بالمياه فيعوق تقدم الغوريين.

وجاء السلطان الغوري إلى الجانب الشرقي من النهر ، ثم أمر بالبحث عن معبر لنهر جيحون بعد أن ظل الجيش الغوري يقطع المسافات والطرق ما يقارب من أربعين يوماً.

وتذكر المصادر العربية أنه قد حدث الاشتباك ما بين الدولتين عند «صوقرار» (الماء الأسود) وقتل من الفريقين الكثير ، وأسر السلطان شهاب الدين جماعة من الخوارزميين ، وقام بقتلهم صبراً ، وما أن رأى السلطان الخوارزمي ذلك حتى طلب العون من القراخطاي ، ومعهم حاكم سمرقند ، والذين ما لبثوا أن استجابوا وصاروا إلى بلاد الغور^(٢).

ولقد اختلفت معهم المراجع الفارسية فتذكر أن السلطان الخوارزمي قد طلب عونهم ومساعدتهم قبل حدوث أي اشتباك بينه وبين الغوريين^(٣).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ١٨٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) خواندمير : حبيب السير ، المجلد الرابع ، ص ٦٤٣ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٨٥.

وإن كان الأرجح هو الرأي الأول فهو تطور طبيعي لسير أحداث المعركة. وتم اللقاء الثاني بينهما ، وهُزِمَ الغوريين ، وحاصروهم القراخطاي في منطقة «أيدحوى» وذلك في أول صفر عام ١٢٠٤هـ/١٢٠٤م ، وتعقبهم السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد حتى عاصمته هزاراسب ، وتمت هزيمتهم وفر السلطان الغوري^(١). ولقد أقام السلطان الخوارزمي حفلا لنصره هذا وتمت المصالحة بين السلطان الغوري والسلطان الخوارزمي^(٢). على فيل ثالث لكي يعطيه لهم ، ولقد انتهى من ذلك ثم عاد إلى الطالقان ، وبعدها شاع خبر مقتله في المعركة ، فاضطربت البلاد وقتل أكثر عساكره ونهبت خزائنه ، ولقد صار معه الحسين بن خرميل الذي جعله أمير حاجب خوفاً من تحيزه وانضمامه للسلطان الخوارزمي ، وسار إلى غزنة بعد أن جمع إليه كل ما يحتاج إليه بعد ما فقد كل شيء في تلك المعركة السابقة^(٣).

• تجدد الصراع بين الخوارزميين والغوريين في عهد غياث الدين بن محمود الغوري
لقد ازدادت الفرصة لدى السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد للفوز على الغوريين وذلك لانقلاب ميزان القوى في الدولة الغورية وقربها من النهاية نتيجة الصراع الأسري الذي سوف يظهر ما بين غياث الدين محمود بن غياث الدين الغوري ، وصاحب باميان «بهاء الدين سام» «ابن أخت شهاب الدين» حيث تدخل المماليك ، وكذلك الوزراء في هذا

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٠٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢١٤-٢١٥ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٠٣-٥٠٤ ؛ حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بهلوى ، ص ٤٤٢.

(٢) خواندمير : حبيب السير ، ص ٦٤٣ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٨٦.

(٣) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٠٥.

الصراع وكان على رأسهم «ألدز» ولكن بعد وفاة بهاء الدين اشتبك أبناءه من بعده في هذا الصراع وهما علاء الدين وكذلك جمال الدين ، الذي عهد بالملك لعلاء الدين الغوري ، ولقد استمر هذا الصراع بينهما طويلاً حتى استتب الأمر في النهاية للسلطان غياث الدين محمود في الوقت الذي لم تستقر فيه الأمور بينهما وبين الدولة الخوارزمية^(١).

الموقف في مدينة هراة :

ما إن علم الأمير «الحسين بن خرميل» بخبر مقتل شهاب الدين الغوري حتى اجتمع بأعيان الناس في هراة ومنهم قاضي هراة «صاعد بن الفضل السيارى» و «عبد الخلف بن زياد» مدرس في المدرسة النظامية في هراة وشيخ الإسلام رئيس هراة ، ونقيب العلويين وأخبرهم بوفاة السلطان وخوفه من السلطان الخوارزمي ، طالباً منهم المشورة والمساندة.

ولقد أجابه القاضي وكذلك ابن زياد فنذكروا «أننا نخلف على كل الناس إلا ولد غياث الدين» وكاتب بن خرميل للسلطان الخوارزمي طالباً ، إرسال عسكر كي يكون في طاعته ، ويتحصن به على الدولة الغورية والغوريين وكما سبق وذكرنا تعرض السلطان الخوارزمي لنفس هذا الموقف من قبل هذا الأمير وفقدانه للعديد من جنوده ، لذا طلب منه إرسال ابنه إليه رهينة ، وتمت الموافقة على ذلك ، وأرسل عسكراً في كل من نيسابور وغيرها من بلاد خراسان ، ليتجهوا إلى ابن خرميل في هراة ليكونوا تحت طاعته.

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢١٥ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ١٠٧ ؛ ولمزيد من المعلومات انظر الصفحات التالية من ١٠٨ إلى ١١١ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص ١١١.

وكان رد فعل السلطان الغوري ، أن راسل ابن خرميل طالباً
الطاعة له ومن ناحية أخرى شرع في الاستعداد لمهاجمة السلطان
الخوارزمي ، واجتمع ابن خرميل مرة ثانية مع أعيان هراة ومنهم «ابن
زياد» الذي نصحه بضرورة طاعة السلطان الغوري ، وذكر الخطبة
باسمه ورد عليه ابن خرميل قائلاً :

إني أخافه على نفسي فامضي أنت وتوثق منه

فاتجه لغيث الدين وأخبره بخفايا ابن خرميل مع السلطان
الخوارزمي ، وحثه على قصد هراة ، وذكر أنه سوف يسلمها إليه في
فترة زمنية ، ولقد وافقه بعض الأمراء وخالفه غيرهم ، وقال له أيضاً :
ينبغي إلا تترك حجة فترسل له تقليد ولاية هراة ، وقد تم له ذلك كله.

ولقد كاتب السلطان غياث الدين «أميران بن قيصر» صاحب
الطالقان ، وكذلك صاحب مرو ليسيروا إليه وقد ذكروا له أهل البلد «إن
لم تسلم البلد إلى غياث الدين وتتوجه إليه سلمانك وقيدناك وأرسلناك إليه»
، لذا اضطر إلى التوجه إليه فاخلع عليه الخلع وأقطعته إقطاعاً وأعطى
الطالقان «لسونج» مملوك أبيه المعروف «بأمر أشكار»^(١).

أما الحسين بن خرميل الذي نقض عهده مع السلطان الخوارزمي
للمرة الثانية ، وذلك بذكر اسم السلطان الغوري في هراة بعد وصول
الخلع له ، ولكنه على الرغم من ذلك استقبل الأمراء الذين أرسلوا من قبل
الشاه الخوارزمي أحسن استقبال ، ووزع عليهم الوظائف الكبيرة ، وبعدها
علم بوصول السلطان الخوارزمي إلى مدينة بلخ ومحاصرتها ، ووقع

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٢٤ ، ٢٢٥-٢٢٦ ؛ النويري :
المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ١١٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد
الخامس ، القسم الأول ، ص ٢١٦.

القتال بينه وبين صاحبها بظاهر المدينة ، حيث ندم ابن خرميل على استدعائه للخوارزمي.

ولقد راسل السلطان الخوارزمي السلطان الغوري قائلاً : «إننى على العهد الذي بيننا وأنا اترك ما كان لأبيك بخراسان والمصلحة أن تراجعوا حتى تنتظر ما يكون فعادوا وأرسل إليهم الهدايا الكثيرة» ، وكان رد فعل السلطان الغوري من ذلك أن أخذ إقطاع بن خرميل وأرسل إلى كرزبان وأخذ كل ما بها من مال ودواب ، وأخرج أصحابه من سجونه ، لذا كتب الأمراء به بالطاعة.

ولقد أظهر ابن خرميل الطاعة للسلطان الغوري وأجبر أهل البلد على ذلك ، ثم أمر أن يرسل بالعسكر الخوارزمي ولقيهم ابن خرميل وأدخلهم البلد وتخلص من الأعوان المخلصين للسلطان الغوري ومنهم ابن زياد الذي سمل عينيه وأخرج صاعد القاضي ، ولحق بالسلطان الغوري ، ثم سلم المدينة لعسكر السلطان الخوارزمي.

ولقد أرسل السلطان الغوري نتيجة تلك الأعمال جيشاً بقيادة «علي بن أبي علي» ومعه صاحب الطالقان الذي كان جانب ابن خرميل ، ووقعت الواقعة وهزم الجيش الغوري ، وتم أسر كثير من أمرائه وبعدها أغار ابن خرميل على بلاد باذغنس وغيرها من البلاد ، وعلى الرغم من كل تلك الاضطرابات ، إلا أنه كان من الضروري عودة السلطان الغوري إلى هراة ، ولكنه انشغل بأمور في غزنة.

د- استيلاء السلطان علاء الدين محمد على كل من بلخ ، والترمذ والبلدان المجاورة لها

ما إن علم السلطان الخوارزمي بمقتل السلطان شهاب الدين حتى أطلق سراح الغوريين الذين أسروا من قبل في خوارزم ، وخيرهم بين البقاء لديه ، أو الرجوع إلى قومهم ، ولقد أبقى منهم «محمد بن بشير» وأقطعه إقطاعاً له ، وقصد بعدها مدينة بلخ ، وتقدم إليه أخوه «علي شاه»

ومعه عساكره ، فدافع عنها أميرها «عمر بن الحسن»^(١). ونزل على بعد أربعة فراسخ ، وأرسل إلى أخيه يخبره بما حدث ، فسار إليه في شهر ذي القعدة ، ونزل على بلخ وقام بمحاصرتها لمدة ٤٠ يوماً ، واستولى عليها ، ودخل في طاعة السلطان الخوارزمي أميرها ، وخطب له في مساجد مدينة بلخ.

استيلاء السلطان الخوارزمي على الترمذ والبلدان المجاورة لها :

ثم اتجه إلى مدينة الترمذ حيث حاصرها من ناحية والأتراك القراخطاي من ناحية أخرى ، وتمكن منها ، ثم سلمها للخطا ؛ لكي يتمكن من ملك خراسان ، ثم يعود للاستيلاء عليها مرة ثانية^(٢).

ثم سار إلى مدينة «ميهمنة واندخوى» ، وكاتب كذلك سونج نائب السلطان الغوري في الطالقان ، وحاول استمالة إليه ، ولكنه فشل وقام بمحاربة القوات الخوارزمية ومقاومتها فالتقوا بالقرب من الطالقان ، وتمكن السلطان من الاستيلاء على الطالقان ، وترك عليها بعض أصحابه.

وتوجه بعد ذلك إلى قلاع كالوين وبيوار ، فخرج إليه «حسام الدين علي بن أبي علي» صاحب كالوين ، وقاّله على رؤوس الجبال ، وهدده السلطان الخوارزمي بضرورة تسليم تلك المدينة ، فرد عليه قائلاً :

(١) قاضي القضاة منهاج الدين سراج : طبقات ناصري ، المجلد الأول ، ص ٣٠٧ ، حيث ذكره تحت اسم «الملك عماد الدين عمر الاهوازي حاكم بلخ من قبل سلاطين باميان».

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الرابع ، القسم الأول ، ص ٨٨١-٨٨٢ ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢١٧-٢١٨ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٠٧ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص ١١١-١١٢ ؛ منهاج الدين سراج : طبقات ناصري ، ص ٣٠٧ ، حث خالفهم في مصير حاكم بلخ الذي أرسل إلى خوارزم.

«أما هذا أنا مملوك ، وأما هذه الحصون فهي أمانه بيدي ولا أسلمها إلا صاحبها» ولقد استحسن السلطان كلامه ورجع إلى هراة ونزل بظاهرها.

ولقد توجه الحسين بن خرميل إلى سجستان حيث واليها «جرب بن محمد» ودعاه إلى طاعة السلطان الخوارزمي وذكر اسمه في الخطبة ، ووفق في وضعها تحت راية الخوارزميين ، وتمكن السلطان الخوارزمي من السيطرة على مازندران بمساعدة أخيه «علي شاه» الذي ساعده في استرداد ملكه ، وضمها إليه عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م ، وخطب فيها لخوارزمشاه^(١).

ويذكر أنه في فترة احتدام الخلاف بين غياث الدين الغوري ومملوكه ألدز ، انتهز السلطان الغوري الفرصة لإحداث مصالحة بينه وبين السلطان الخوارزمي بل أن السلطان الخوارزمي نفسه رغب في إحداث مصاهرة فيما بينهما ، مقابل أن يمد غياث الدين بقوة ليغزو بها غزنة ، ويقضى على خصمه ألدز ، وإن يقسم الأموال فيما بينهما إلى جانب العسكر ، وتم الاتفاق ، وبقي دور التنفيذ.

ولقد جزع المملوك ألدز من هذا الصلح ، واتصل بالسلطان الغوري سائلاً عن السبب وراء هذا الصلح ، فذكر أن السبب الرئيسي وراء ذلك هو عصيانه للسلطان الغوري ، لذا بدا يستولى على بعض المناطق التابعة للغوريين ، مثل : «تكباياز بست» ، وقطع عنهما الخطة للسلطان الغوري ، وإلى جانب ذلك حاول تحريض حاكمي سجستان وهراة من أجل تركهما لطاعة السلطان الخوارزمي وتحريض بعض الشخصيات من البيت الغوري نفسه.

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥١ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٢٠ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٦ ، ص ١١٧-١١٨ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص ١١٢-١١٣.

٥- العودة إلى هراة والسيطرة عليها نهائياً عام «١٢٠٨/٥٦٠٥م» :

سبق وتحدثنا عن الاستقبال الحسن من قبل الحسين بن خرميل لأمرأء السلطان الخوارزمي في هراة ، ولكنهم أساءوا إلى الناس وكثير عبثهم في البلاد ، فحبسهم ابن خرميل ، وراسل السلطان الخوارزمي وأعلمه بأمرهم ، وكان في ذلك الوقت مشغولاً بحربه مع القراخطاي في منطقة ما وراء النهر فرد عليه موقفاً عمله ، طالباً بعثهم إليه ، وفي الوقت نفسه أرسل إلى «عز الدين خلدك» (والى هراة أيام السلطان سنجر) ، ليذهب إلى هناك ويحاول استدراج ابن خرميل والقبض عليه ، ومعه من العسكر ٢٠٠٠ فارس ، وما أن خرج إليهم حتى ألقوا القبض عليه. في الوقت الذي تحصن وزيره بالمدينة وأغلق الأبواب ، ونادى بشعار السلطان غياث الدين الغوري ولقد هددته نائب السلطان الخوارزمي بقتل ابن خرميل أن لم يسلم المدينة وخاطبه ابن خرميل نفسه ، وأخبروا السلطان الخوارزمي بذلك ، والذي بدوره راسل ولاية خراسان وأمرهم بحصار هراة لذا ساروا في ١٠٠٠٠ فارس ، وبالرغم من ذلك امتنعت هراة.

وفي تلك الفترة كان علاء الدين محمد خوارزمشاه قد أسر على يد الخطا وسقطت تلك المدينة بعد فراره من الأسر ، واتجه بنفسه إلى خراسان ، ودخل نيسابور ، ثم اتجه إلى هراة ، واتصل بالوزير الذي كان قد وعده من قبل بتسليم تلك المدينة للسلطان الخوارزمي نفسه. ولكنه تخلى عن وعده ، ورغب في تسليمها للسلطان الغوري ، لذا اشتد غضب السلطان الخوارزمي ، واستاء أهلها من شدة الحصار ، وحدثت فتنة داخلية فانتهاز السلطان تلك الفرصة ، واقتحم المدينة وسلمت له وذلك عام ١٢٠٨/٥٦٠٥ م ، وترك عليها خاله «أمير ملك»^(١).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٥ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،

ص ٨٨٧-٨٨٩ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص ١١٤.

وتمكن السلطان من مدينة الري ، ثم طلب منه خاله ضرورة الاتجاه إلى مدينة فيروزكوه ، ليلقي القبض على صاحبها غياث الدين محمود غياث الدين الغوري ، وكذلك أخيه على شاه الخوارزمي ، قصار إليها ، وعلى الرغم من طلب غياث الدين الأمان ، فأمنه ولكن ما إن خرج إليه حتى ألقى القبض عليه ، وكذلك على «علي شاه» وقتلها ، ودخل فيروزكوه عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م ، وصارت خراسان كلها للسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد^(١).

و- استيلاء علاء الدين محمد خوارزمشاه على غزنة وأعمالها :

بعد مقتل غياث الدين محمود استغل تاج الدين ألدز ملك غزنة وأحسن السيرة في الرعية ، ودام ملكه ، وخاصة بعد أن خلعوا طاعة الغوريين واستقلوا عنهم.

ولكن لم تطل مدة تمتعه بهذا الاستقلال ، فما إن فرغ علاء الدين محمد من عامة خراسان ، وملك باميان وغيرها ، راسل ألدز طالباً الطاعة والخطبة ، وكذلك السكة باسمه في غزنة ، وتقرير الصلح عليها ، ولقد شاور ألدز أهل بلده بما فيهم «قتلغ تكين» (من موالى السلطان شهاب الدين الغوري ، ونائبه في غزنة) ، فأشاروا عليه بطاعته ، وتم ذلك وخطب له.

وأثناء ذهاب ألدز في رحلة صيد راسل قتلغ تكين السلطان الخوارزمي سراً ليرسل إليه من سلمه المدينة سراً ، فجاء بنفسه وتسلم

(١) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١١٠ ؛ النويري : المصدر السابق ، ج ٢٦ ، ص ١٢٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٨٨٦ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص ٦٤٣ ؛ محمد موسي هنداوي : سعدى الشيرازي شاعر الإنسانية «عصره ، حياته ، ديوانه البوستان» ، (مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥١م) ، ص ٢.

المدينة ، وفر ألدز هاربا إلى لهاور فأحضره خوارزمشاه وقتله ، وقتل كذلك قتلغ تكين ، وحصل على أموال عديدة قد حملتها ثلاثون دابة ، وكذلك (٤٠٠ مملوك) وترك على غزنة ابنه جلال الدين ٦١٣هـ/١٢١٦م^(١).

• سيطرته على كرمان ومكران والسند :

وفي عام ٦١٢هـ/١٢١٥م ، تمكن السلطان علاء الدين محمد من الاستيلاء على كرمان والسند ومكران ، حيث طلب السلطان الخوارزمي من «تاج الدين أبو بكر» متولى أمر قلعة «زوزن» ضم كرمان لمجاورتها لوطنه ، وأرسل إليه عسكرياً ، وساروا إليها حيث واليها «محمد بن حرب أبي الفضل» (صاحب سجستان أيام السلطان سنجر السلجوقي) ، وتمكن من بلاده ، ثم سار إلى مكران وملكها كلها حتى

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٩-٣١٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٨٨٩-٨٩٠ ؛ عطا ملك الجويني : جهان كشا ، ص ١٦٨ ، ١٨١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٦-٢٧ ؛ طه ندا : فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٣٠ ؛

S. lane Poole : the Mohammadn Dynasties, p.17.

ذاكرا «دخوله أفغانستان وأخذه غزنة عام ٦١١هـ/١٢١٤م» قائلاً : ولقد أخضع إمارة الغور Gur وبعد ثلاث سنوات أخضع غزنة Ghazni ؛ Percy Sykes History of Persia, p.45 ؛ فيليب حتى : تاريخ العرب «مطول» ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ ؛ أحمد شلبي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٠٦ ؛ طه ندا : التورانيون والإيرانيون ، ص ٣٩ ؛ فوزي حامد عباس المأموني : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ ؛

Henry H. Howorth, F.S.A : History of the Mangols from the 9th to the 19th century, p.7.

خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٤٣ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ؛ قاضي سراج الدين : طبقات ناصري ، المجلد الأول ، ص ٣٠٩.

السند من نواحي كابل ، ثم سار إلى هرمز من مدن فارس على ساحل البحر ، حيث صاحبها «قلبك» فأطاع خوارزمشاه ، وخطب له على مساجدها ، وإرسال الجزية إليه كل عام ، وكذلك خطب له بقلعات ، وبعض عمان من وراء النهر ، لكونهم يتقربون إلى صاحب هرمز بالطاعة نظراً لسير سفنهم بالتجار إلى مدينة هرمز لكونها مرسى للتجار الذين يسافرون إلى الصين من الهند^(١). وبذلك انضمت مملكة الغور وغزنة للسلطان الخوارزمي علاء الدين محمد.

ز- القراخطاي وقضاء السلطان علاء الدين محمد على دولتهم :

أولاً : السياسة السلمية التي اتبعها السلطان الخوارزمي مع القراخطاي وقد تمثلت في صور متعددة ، وكان أول صورها هذا التعاون عام ١٢٠٣/٥٦٠٠ م ، وذلك عندما قام السلطان الخوارزمي بمحاصرة مدينة هراة لانتزاعها من الغوريين ، خاصة وأنها لم تكن قد خضعت من قبل للسلطان تكش الخوارزمي^(٢).

لكن وما إن علم السلطان الغوري شهاب الدين بمحاصرته حتى عاد مسرعاً من بلاد الهند إلى خراسان ، لذا استتجد السلطان الخوارزمي بالقراخطاي ، الذين كانوا يمثلون في ذلك الوقت أكبر قوة في بلاد ما وراء النهر ، وأعد رئيسهم كورخان جيشاً ، ولكن هزم القراخطاي

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٣-٣٠٤ ، حيث ذكر اسم صاحب هرمز وهو «ملنك» ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٢٩ ؛ عطا ملك الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨١ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٧ ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع السابق ، ص ٤٤٢ ؛ ميرخواند : المرجع السابق ، ص ٣٨٩.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٠٣ ؛ فامبري : تاريخ بخارى ، ص ١٥٣.

وانتهت الحرب بعد مفاوضات ، وتم الصلح بشرط ألا يقدم الخطا مرة ثانية على عبور نهر جيحون إلى بلاده ولا يعبر هو إلى بلادهم^(١).

عام ١٢٠٥/٥٦٠٢ م :

وذلك عندما استولى السلطان الخوارزمي على مدينة بلخ وسلمها إلى الخطا ، وكان تفسير ابن الأثير لذلك أنه قد أقدم على ذلك الأمر حتى يتمكن بعد ذلك من فرض سيطرته على ملك خراسان ، ثم يعود مرة ثانية ويستردّها منهم وكأنها حق له ، ولقد حدث ذلك بالفعل حيث تم إخضاع كل خراسان له^(٢).

ولكن ما لبثت أن تبدلت الأحوال من التعاون إلى إعداد الجيوش واسترداد كل الأقاليم التي تمكن منها الخطا وملكوها في خراسان وما وراء النهر ، وخاصة أن علاء الدين خوارزمشاه ظل مواظباً على دفع الجزية المقررة عليهم منذ أيام جده الأول الأمير آتسز حتى عام ١٢١٠/٥٦٠٧ م ، حيث وجد بعدها أنه من العار عليه بعد أن اتسعت بلاده كل هذا الاتساع إلى الاستمرار على تلك التبعية ، لذا بدأ في التفكير في الاستحواذ على كل الأراضي الواقعة تحت سيطرة هؤلاء ، وبدأ في التخطيط لتحقيق ذلك بإعداد جيشه وتقويته في كل الأقاليم منتهزاً الفرصة لاستغلال ذلك والقضاء عليهم تماماً.

• الأسباب والظروف التي هيأت للسلطان الخوارزمي القضاء على القراخطاي :

١- كونه قد ضاق ذرعاً من الجزية التي يدفعها لهؤلاء ، وظل متحنباً الفرصة حتى سنحت عام ١٢٠٥/٥٦٠٦ م ، عندما وصل رسول الكورخان إلى بلاطه لأخذ الجزية السنوية وتجراً الرسول وجلوسه

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٨٥.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٣١.

إلى جانب السلطان الخوارزمي على العرش ، لذا أمر أن يرمى هذا الرسول في مياه نهر جيحون^(١).

ولقد اختلفت الآراء في مصير هذا الرسول ، فهناك من ذكر أن السلطان قد قتله شر قتلة ، وذلك بشطره نصفين^(٢). أما فامبرى فقد ذكر أن السلطان قد حرص على ألا يظهر بمظهر المخالف لوصية والدة تجاه هؤلاء ، لذا غادر عاصمة ملكه فور وصول هذا الرسول ، وترك الأمر لوالدته التي رحبت بالرسول ، وعادوا مكرمين إلى بلادهم ، ولكن ما لاحظته هذا الرسول من تغيرات قد أثار ثورة الكورخان ، وبدأ يستعد لمهاجمة السلطان الخوارزمي ، وإن كان لم ينتظر طويلاً حتى اشتبك السلاطين مع بعضهم البعض^(٣).

٢- مراسلة نصر الدين عثمان بن إبراهيم^(٤). للسلطان الخوارزمي من أجل التعاون ضد الكورخان القراخطاي ، وكان السبب وراء ذلك هو رفضه للمصاهرة بينه وبين السلطان عثمان ، ورغبة السلطان عثمان في التخلص من تبعية الكورخان ، ويكون حليفاً أميناً وتابعاً مخلصاً للسلطان الخوارزمي ، ويكون مكلفاً بدفع الجزية للشاه الخوارزمي بدلاً من القراخطاي ، وبسك السكة باسمه ، ويخطب له على منابر سمرقند وبخارا.

(١) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥١٠.

(٢) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٥١.

(٣) فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٥٣.

(٤) آخر من حكم في الدولة القراخطائية ، تولى حكم كل من بخارا وسمرقند منذ عام

«٦٠٠-٦٠٩هـ/١٢٠٣-١٢١٢م» ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٥ ،

ص ٤٠٤-٤٠٥.

واتضح ذلك من تلك الرسالة التي أرسلت إلى السلطان الخوارزمي قائلاً : «إن الله عز وجل قد أوجب عليك بما أعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود أن تستنقذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفار وتخلصهم مما يجرى عليهم من التحكم في الأمور والأبشار ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل إليك ما نحمله إليهم ، ونذكر اسمك في الخطبة والسكة» ولكي تزداد ثقة الخوارزميين في حاكم سمرقند وبخارا ، أرسل إليهم بعض أعيان بخارا وسمرقند بمثابة الرهينة ، ودليل حي وملموس على صدق كلامهم^(١).

• تنظيم السلطان الخوارزمي لولاياته :

بعد أن تهيأت الأسباب للسلطان الخوارزمي من أجل مهاجمة القراخطاي ، شرع في تثبيت أقدامه في الدولة الخوارزمية ، وذلك بتولية بعض النواب في بعض الأقاليم لحمايتها من أي هجوم قد تتعرض له من قبل القراخطاي في الفترة القادمة ، فولى «علي شاه» على طبرستان وكذلك جرجان ، والأمير «كزلك خان» (وهو من أقارب أخواله وأعيان دولته) ، على نيسابور ، وأمده بالعساكر اللازمة له ، و«الأمير جلدك» على مدينة الخام ، والأمير «أمين الدين أبي بكر» على مدينة زوزن ، والأمير «الحسين بن خرميل» على هراة ومعه ١٠٠٠ من الجنود الخوارزمية ، ثم والأمير «غياث الدين محمود» الذي صالحه على بلاد الغور وكرمين ، ثم ولى «هرتتسه» (أحد أقرباء والدته ترکان خاتون) ، نائباً له في بلاط الحاكم الخاني عثمان ، إلى جانب نواب آخرين على مرو وسرخس ، وغيرها من خراسان ولقد أمرهم بحسن التصرف والسياسة والحفظ ، إلى جانب الانصياع لأوامره ، ثم عاد إلى خوارزم من أجل الاستعداد لخوض المعركة ضد القراخطاي^(٢).

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥٩ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة

الخوارزمية والمغول ، ص ٦٠-٦١ ؛ فامبري : المرجع السابق ، ص ١٥٣.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ،

المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٢١ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥١٣.

• **حروبه المتعددة مع القراخطاي عام «١٢٠٧/هـ ١٢٠٤م» :**

اشتبك الفريقان ، وحدثت بينهم وقفات عديدة قد أسفرت عن هزيمة المسلمين وإن كانت الخسائر متوازنة ، وعلى أثر تلك المعركة أسر السلطان الخوارزمي ومجموعة من أمرائه ، ولقد استطاع بحيله أن ينقذ نفسه ويغادر معسكر القراخطاي ، وعاد سالماً ، ورجع إلى جيشه على ضفاف نهر سيردريا ، فأدخل الفرحة في قلوب جنوده ، الذين اعتقدوا بمقتله في المعركة وخاصة بعد انتشار العديد من الشائعات حول ذلك^(١).

ولم ينته الأمر لدى السلطان الخوارزمي بانكساره في تلك المعركة وإنما جمع جيوشه واتجه إلى مقاتلة القراخطاي وذلك عام ١٢٠٨/هـ ١٢٠٥م.

«١٢٠٩/هـ ١٢٠٦م» والتقي الجمعان تحت قيادة القائد القراخطائي «طانيكو» الذي لم يحالفه الحظ في تلك المعركة وهزم وسير أسيراً إلى خوارزم وأثناء عودة السلطان الخوارزمي تمكن من السيطرة على مدينة أترار حيث لاقى مقاومة عنيفة من صاحبها ، ثم رجع إلى سمرقند ومنها إلى خوارزم ، حيث أمر بإعدام طانيكو «تانيكو» بإلقائه في مياه نهر جيحون^(٢).

(١) ابن العماد الحنبلي : شذارت الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٥ ، ص ١٢ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٣ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٢١-٢٢٢ ؛ حسين بن محمد بن الحسن الديار البكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفاس النفيس ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٢٨٣هـ ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ ؛ بارتولد : للمرجع السابق ، ص ٥١٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٦٣-٦٤ ؛ فامبري : المرجع السابق ، ص ١٥٥ ؛ عفاف صبرة : المرجع السابق ، ص ١١٩.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٠ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ ، وإن كان قد اختلف معهم في مصير قائد الخطا «تانيكو» الذي أسر =

أما جيش القراخطاي المنهزم والذي انسحب ، وأثناء عودة هؤلاء نهبوا العديد من المناطق التابعة للخوارزميين ، ومنها مدينة «بلاساغون» تلك التي كان يراودها الأمل في مجيء السلطان محمد الخوارزمي ، وتخليص جميع بلاد «يدي صو» الأنهار السبعة ، من أيدي هؤلاء الكفار ، وظلوا على هذا الأمل ، على الرغم من طول الحصار عليهم من قبل الأمير «محمود باي» وأمراء الكورخان الذين معه ، ومحاولتهم إخضاع تلك المدينة ، ولكن وبعد حصار دام ستة عشر يوماً سقطت المدينة ، واستمر نهبها ما يقارب من ثلاثة أيام ، وهلك من أهلها ما يقارب من سبعة وأربعين ألف شخص.

ولقد كان لتلك العمليات العسكرية العديد من الأضرار على خزانة الكورخان مما ترتب عليه اندلاع العصيان في صفوف الجيش ، فانتهز كوجلك خان بن تارنيغ «أمير قبيلة النايमान التركية» هذه الفرصة لضم الثوار إليه ، وما إن علم كورخان بذلك حتى سارع بإظهار فروض الطاعة والولاء لكوجلك.

وعلى الرغم من رفض كوجلك لذلك إلا أنه استقبله استقبال الابن لوالده ، إلا أن السلطة آلت إليه ، وهذا ما سوف نوضحه فيما بعد^(١). وعلى إثر هذا النصر ازداد السلطان الخوارزمي فخراً ، لذا فقد لقب نفسه بالعديد من الألقاب ، منها : «الإسكندر الثاني» ، و«ظل الله على الأرض» وهو اللقب المفضل له^(٢).

= في المعركة ، فأكرمه خوارزمشاه وأجلسه معه على سرير الملك ، ثم بعث به إلى خوارزم ، ولم يوضح مصيره ؛ الديار البكرى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥١٣ ، ٥٢٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٣٩ ، ٦١ ؛ فامبري : المرجع السابق ، ص ١٥٤ ؛ قاضي سراج : طبقات ناصري : المجلد الأول ، ص ٣٠٨.

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥١٦.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٠٢ ؛ فامبري : تاريخ بخارى ، ص ١٥٤.

ولكن بعد عودته لخوارزم ومعه حاكم سمرقند وبخارا الذي احتفل هناك بزواجه من كريمة خوارزمشاه ، ما لبثت أن اضطربت الأمور ، وانتهبت جماعة من جماعات قنرخان نواحي جند ، إلى جانب معاودة القراخطاي لمحاصرة سمرقند ، لذا سارع السلطان الخوارزمي إلى بلاد ما وراء النهر.

ولقد نجح سكان سمرقند في صد ما يقارب من سبعين هجمة من هجمات القراخطاي ، ولقد وفقوا فيها كلها ما عدا واحدة تمكن العدو منهم وأجبرهم على التقهقر داخل مدينتهم ، وما إن وصلهم قدوم السلطان الخوارزمي ، وكذلك ثورة أمير الناميان في الجانب الشرقي من المملكة ، حتى اضطر القراخطاي إلى الانسحاب والعودة إلى بلادهم ، وذلك بعد عقدهم هدنة مع أهالي سمرقند.

وفي الوقت نفسه رفض حاكم مدينة «أغناق» على الرغم من كونه مسلماً الخضوع والطاعة للسلطان الخوارزمي ، وعلى أثرها أرسل فصيلة للاستيلاء على المدينة وقد وفق في ذلك ، وجاء إليه مكبلاً بالسلاسل والقيود.

ومن الظاهر أن الخوارزميين قد أساءوا الحكم في ما وراء النهر ، فلم يحترموا شعور المواطنين ، ولم يضعوا أي اعتبار لحكام البلاد الأصليين بها ، مما ترتب عليه العديد من الثورات التي أنهكت قوى الدولة الخوارزمية.

• الثورة في سمرقند :

بمجرد أن عاد حاكم سمرقند وبخارا إلى بلاده حتى عاود تعاونه مرة ثانية مع القراخطاي ، وخاصة بعد شعوره بأنه لم يجد أي فارق ما بين حكم الكفرة القراخطاي ، وحكم الخوارزميين ونائبهم في سمرقند ، ولقد تم هذا التعاون في عام ٦٠٧هـ / ١٢١١م.

ولم يكن هذا العام على وجه التحديد في صالح دولة القراخطاي ، وخاصة أنه في الجزء الشمالي من «يدي صو» حيث أمير الناحية والنائب عن غورخان القراخطائي والذي تنحى عن تبعيته لهم ، بسبب وصول كتيبه من المغول بقيادة «قوبيلاي نوين» إلى هناك وقتلهم لهذا النائب الخائن.

وكان حاكم سمرقند وبخارا قد خلع تلك التبعية بعد أن وافقته الرعية على ذلك ، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل تطرق إلى معاملته السيئة لزوجته كريمة الشاه الخوارزمي ، تلك التي اقتصر عملها في سمرقند على خدمة الأميرة القراخطائية فقط ، كذلك أمره بقتل كل الخوارزميين الموجودين في المدينة ، ثم أمر بعدها بقتل زوجته لولا تشفعها عنده ذاكرة «أنا امرأة وقتل مثلي قبيح ، ولم يكن مني إليك ما استوجب به هذا منك ، ولعل تركي أحمد عاقبة ، فاتق الله في ، فتركها ووكّل بها من يمنعها التصرف في نفسها».

وكما يذكر ابن الأثير أن أجسام الخوارزميين قد شطرت إلى نصفين وعلقت في الأسواق كما يعلق القصابون اللحم ويدل ذلك على الكره الشديد من قبل السمرقنديين للخوارزمية ، وما إن علم السلطان محمد بذلك حتى وبخه على ما بدر منه ، قائلاً : «قد فعلت ما لم يفعل مسلم ، واستحللت دماء المسلمين ما لا يفعله عامل لا مسلم ولا كافر ، وقد عفا الله عما سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئت» ، فامتنع عثمان عن الخضوع لتلك التهديدات له من قبل السلطان الخوارزمي ، مما اضطره إلى محاصرته.

ونظرا لرواية ابن الأثير من كونه كان يريد أن يقتل كل من في خوارزم من الغرباء ، ثم اقتصر هذا الحكم بعد ذلك على السمرقنديين ، حيث حالت أمه بينه وبين حدوث ذلك ، ولم تطل مدة مقاومة أهالي

سمرقند لذلك ، وظهر عثمان حاملاً سيفاً وقطعة من ثوبه عنوناً ودليلاً على رغبته في السلام ، وإن كان قد اختلف ابن الأثير من أنه أغلق بابه بعد استيلاء الخوارزميين عليها ، ورفض رجاءه بالعفو ، ثم احضروه ، وبعدها أمر عسكره بالنهب ، واستمر ذلك ثلاثة أيام تقريباً ، ولقد بلغ عدد القتلى ٢٠٠ ألف قتيل ، وإن كان هذا العدد مبالغاً فيه وبعدها تدخل الأئمة لدى السلطان الخوارزمي لوقف القتال وتم ذلك لهم.

ولقد أراد السلطان الخوارزمي البقاء على حياة السلطان عثمان لولا تدخل ابنته التي أصرت على قتله ، فاعدم في الليلة التالية ، وذلك عام ٦٠٩هـ/١١١٢-١١١٣م ، وبعدها صارت سمرقند العاصمة الفعلية للسلطان الخوارزمي ، فبنى بها مسجداً جامعاً ، وبدأت في بناء صرح عال ، وكان في الغالب يريد أن يبني قصراً هناك^(١). ثم أرسل السلطان الخوارزمي إلى أمراء فرغانه وتركستان يدعوهم إلى الخضوع والطاعة التامة ، ثم أرسل فصيلة من جيشه لاحتلال مدينة اسفيجاب من أجل مناوشة القراخطاي ومنعهم من استعادة قواهم ، ومرجع ذلك هو وصول الأخبار بتوغل كوجلاك وتمكنه من السلطة ببلاد القراخطاي^(٢).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ص ٢٢٦ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٢٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٦٢-٦٣ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٥ ، ص ٤٠٥ ؛

M.A. Czaplicka : the Turkes of central Asia in history at the present day, p.110; Henry H. Haworth, F.S.A: op. cit., p.7; Ibrahim Kafesoylu : op. cit., p.157.

هارولد لامب : جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم ، ترجمة : بهاء الدين الغوري ، (بغداد ، د.ت) ، ص ١٧٧-١٧٨ ، حاشية ١٠.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٢٥.

• الثورة في هراة :

ويرجع سبب نشوبها إلى سوء معاملة عسكر خوارزمشاه للرعية ، وتعديهم على الأموال ، وبالتالي فقد قبض عليهم حسين بن خميل وحبسهم ثم بعث رسولاً إلى السلطان الخوارزمي يعرفه بما قام به هؤلاء من أفعال وأضرار ، وفي ذلك الحين كان السلطان الخوارزمي منشغلاً بقتاله مع الخطا ، وإن كان بعدها قد أرسل إليه يستحسن ما فعله ، وأمره بإرسالهم إليه ، وكونه سوف يرسل إليه رجلاً ذا عقل راجح ، وحسن التصرف ليسانده في حكم هراة ، وهو «جلدك بن طغرل صاحب الخام» والذي أمره بالقبض على الحسين ابن خرميل.

وصار جلدك في ٢٠٠٠ جندي وكان للحسين وزير محنك يُعرف بـ «خواجة» تدارك الموقف ، وعرف ما ينوي عليه السلطان الخوارزمي ، لذا حذر الحسين بن خرميل من عدم الخروج إليهم ، ولم يوافق على ذلك خوفاً من الخروج عن طاعة السلطان الخوارزمي ، وتحقق ما توقعه الوزير وقبض على ابن خرميل ، وطالبوا الوزير بفتح أبواب المدينة وتسليمها ، ولكنه امتنع ، وذلك لولائه للملطان الغوري ، واستمرت المناورات فيما بينهما ، ونتج عنها مقتل ابن خرميل ، ثم أرسل السلطان الخوارزمي في ظل «جلدك» وأرسل مكانه كلاً من «كزلك خان» والي نيسابور ، و«أمين الدين أبي بكر» صاحب زوزن ، حيث راسلوا الوزير من أجل تسليم المدينة ولكنه أبى وظلوا على هذا الحال ، ولم يقدرُوا عليه^(١).

وإن كان لبارتولد رأي آخر نكراً حدوث تعاون بين ابن خرميل والسلطان غياث الدين الغوري ، وما إن وصل السلطان الخوارزمي إليها

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٦٠-٢٦٢.

حتى انضم إليه وندم على ما بدر منه ، فسامحه خوارزمشاه لولا أن مستشاريه قالوا له إنه ليس من الحكمة أن يعهد إلى شخص قد خان العهد أكثر من مرة ، فاعدم ابن خرميل ، أما المدينة فقد تحصن بها وزيره ولم تقع المدينة في أيدي الخوارزميين إلا بعد مدة طويلة من الحصار^(١).

• ثورة كزلي «كزلك» حاكم نيسابور :

وعلى إثرها دخل السلطان الخوارزمي نيسابور ، وذلك في ٣٠ مارس عام ١٢٠٨م ، وهرب ابن كزلي إلى ما وراء النهر طالباً العون من القراخطاي ، ولكن تمكن منه أعوان خوارزمشاه وقتل هو وجميع أصحابه. أما كزلي فقد فر هارباً إلى خوارزم ، وقتل بأمر والده السلطان الخوارزمي ، وأرسلت رأسه لابنه^(٢). ذلك كان الوضع في تلك الأقاليم بعد تمكن خوارزمشاه محمد من القراخطاي.

ثم وصل السفراء من قبل كوجلك إلى السلطان الخوارزمي لعقد تحالف ضد القراخطاي مقابل تركستان التي سوف تكون نصيب من يحرز النصر على القراخطاي ، فإذا كان النصر حليف للنيماني يكون أميراً معترفاً به على جميع المناطق الواقعة شرقي نهر سيردريا ، أما إذا كان في صالح السلطان الخوارزمي صار أميراً معترفاً به على جميع الولايات إلى كاشغر ومدينة ختن^(٣). ولقد تظاهر السلطان الخوارزمي بالموافقة على ذلك.

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥١٨.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥١٨-٢١٩.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٣ ؛ بارتولد : المرجع السابق ،

ص ٥١٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٦٣-٦٤ ؛ فامبري :

المرجع السابق ، ص ١٥٥.

في الوقت نفسه طلب الغورخان تناسي الخلافات والاتحاد معاً ضد كوجلنك ، وتظاهر كذلك بالموافقة على ذلك ، وظل متفجعاً في ساحة القتال حتى ظهرت نتيجة المعركة بهزيمة الغورخان وأسره ، وما إن رأى السلطان محمد الخوارزمي ذلك حتى أوهم كوجلنك بمشاركته في المعركة ، ولكن كوجلنك لم يقنع بذلك وخاصة بعد أن طلب السلطان الخوارزمي منه أن يتنازل عن قسم من أراضي الغورخان^(١).

ولقد خالف النسوي ذلك ، وهو الذي سنحت له الفرصة للتحديث مع آخر سفير من سفراء السلطان الخوارزمي وهو «محمد بن قراقاسم النسوي» إلى كوجلنك ، ذكر أنه بعد أن حرّمه كوجلنك من ثمرّة العمل الذي قام به تظاهر بأن الغورخان بعد هزيمته على يد خوارزمشاه عرض عليه الصلح وأن يزوجه من كريمته «طفغاج خاتون» وتزف إليه بما تحويه من خزائن ذلك السلطان من جواهر ثمينة مقابل أن يتركه في أخريات بلاده.

وفي الوقت نفسه استغل كوجلنك الضعف الذي انتاب الغورخان ، فاتجه إلى أسلوب المهادنة ، فأرسل الهدايا إلى السلطان الخوارزمي ، وفقى الوقت نفسه رفض تسليم الغورخان الذي سبق وأرسل إليه السلطان الخوارزمي في طلب تسليمه ولبنته وأتباعه وخزائنه ، والسبب في ذلك هو الغورخان نفسه الذي خشي من المصير المؤلم له في خوارزم.

وعندما وجد السلطان الخوارزمي تلك المماطلة طلب من سفيره إغلاظ القول لـ «كوجلنك» الذي أراد القبض عليه ، لكنه تمكن من الهرب أثناء الاشتباكات التي وقعت بين قوات كوجلنك وقوات السلطان الخوارزمي في كاشغر ومواضع أخرى^(٢).

(١) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٢٦.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٢٦.

وكان من نتائج ما سبق الآتي :

١- اعتلاء كوجلك لعرش الخطا ، وبذلك صارت أملاكه مجاورة لأملاك الخوارزميين.

٢- ترتب على عداوة كوجلك لجنكيزخان أن لفت الأنظار إلى تلك الأقاليم الغربية من آسيا رغبة في الانتقام من عدوهم.

٣- بعد تمكن كوجلك من العرش بدأ يقوى نفوذه على حساب القسوى الموجودة هناك ، فأخضع عدداً كبيراً منهم ، والتي كان بعضها تابعاً للمغول لذا اتسعت أملاكه حتى شملت الأقاليم الممتدة من بلاد التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية^(١).

٤- إرسال السلطان الخوارزمي العديد من الوحدات الصغيرة فيما يعرف بـ «حرب العصابات» ، وذلك لأنه لم يجد في جيشه المقدرة على الخوض في معركة كبيرة مع كوجلك ، ولقد عاتبه كوجلك على أفعاله تلك قائلاً : «ليس هذا فعل الملوك ، هذا فعل اللصوص ، وإن كنت سلطاناً كما تقول فيجب أن نلتقي ، فإما أن تهزمنى وتملك البلاد التي بيدى ، وأما أن أفعل أنا بك ذلك» ، على الرغم من أنه نفسه كان يتبع هذا الأسلوب مع السلطان الخوارزمي ، والذي ترتب عليه اندلاع المجاعات في اغلب المناطق فاضطر الأهالي إلى طاعتهم وفي الوقت نفسه وقف السلطان الخوارزمي عاجزاً عن تقديم العون لهم ، وكذلك حماية الأطراف الشمالية في منطقة ما وراء النهر ، وإنما اقتصر عمله على البقاء صيفاً في سمرقند ونواحيها ليمنع حدوث أي هجوم من قبل كوجلك. كذلك أصدر أوامره بتخريب تلك المناطق تخريباً نهائياً خوفاً من هجوم كوجلك الذي انتهت حياته على يد قائد من قواد الجيش المغولي عام ٦١٥هـ/١٢١٨م^(٢).

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٦٤.

(٢) بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٢٨ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ،

ح- الأوضاع العامة لإقليم بلاد الجبل واستعادته له منذ عام
«٥٩٥ - ٦١٤ هـ / ١١٩٨ - ١٢١٧ م» :

من خلال تناولنا لهذا الإقليم نلاحظ أن تبعيته لشاهات خوارزم تتواجد بتواجد الشاهات أنفسهم ، أو نوابهم فيه ، وبمجرد تركهم له تنتهي تلك التبعية ، وذلك ما حدث في عهد علاء الدين تكش ، فبعد تمكنه منه ورجوعه إلى خوارزم ، ما لبثت أن نشبت الثورات فيه ، وهكذا حتى بدأ مرحلة جديدة في عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، فكانت السمة الغالبة على تلك المرحلة هي الثورات والحروب بين ولايته ، والتي وقعت أعباؤها على سكان ذلك الإقليم.

وكان متولي أمر هذا الإقليم بعد مغادرة السلطان الخوارزمي نكش «نور الدين على كوكجة» (أحد مماليك الأتابك محمد البهلوان) ، وظل به حتى عام ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م ، بصفته تابعا لسيده الأتابك الأعظم البهلوان ، ولكنه قتل على يد «شمس الدين ايتغمش» (أحد مماليك أتابك أنريبيان) ، وبذلك سيطر على ذلك الإقليم ، وامتدت سلطته إلى أنريبيان ، الرآن الفعلي ، وصار الحاكم الفعلي ، ونشر نفوذه على أراضي أخرى ، وذلك كما يقول : «... من باب خراسان إلى أخلاط» ووضع تحت سيطرته كلا من الأتابك أزبك وكذلك أبي بكر ، وحمى مناطقه من أعدائه ، وهم : «مظفر الدين كوكبرى - حاكم أربل» و«سنقر - حاكم مراغة» و«بدر الدين لؤلؤ - حاكم الموصل» ، وهزم قوة خوارزمية عندها (١٠) آلاف شخص لرغبتها في غزو أراضيهم ، وصار ممتلكاتهم وهاجم أراضي الإسماعيلية واستولى على خمس قلاع ودمر لهم أراضي بالقرب من منطقة قزوين ، ولكن لم يدم حكمه سوى ثمانى سنوات ، أي حتى عام ٦٠٨ هـ / ١٢١٢ م ، نظراً لتغلب «ناصر الدين منجلى - (أحد مماليك الأتابك محمد البهلوان) عليه ، وصار بعدها الحاكم الفعلي لتلك

المناطق ، وفر اينغمش هارباً إلى الخليفة العباسي طالبا المساعدة ، ولقد استجاب له ورحب به واحتفل أهل بغداد به^(١). والسبب وراء ذلك إلى رغبة الخليفة في عدم التدخل في شئون إقليم بلاد الجبل ، وتهديد أمنه طوال السنوات التي حكمها هذا الوالي المخلوع ، ونظراً كذلك لعدم تدخل هذا الوالي في شئون الخلافة العباسية وتهديد أمنها ، لذا نال احترام الخليفة العباسي وتقديره^(٢).

في الوقت نفسه سارع «منجلى» بإرسال وفد دبلوماسي يرأسه ابنه ، في المحرم عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م إلى الخليفة العباسي خوفاً من تصرف اينغمش اعتقاداً منه كونه يطلب التدخل العسكري في شئون هذا الإقليم ، وخاصة أنه لم يكن قد تمكن من حكم هذا الإقليم ، ولقد احترم الخليفة هذا الوفد ، وحسب رواية ابن الأثير أنهم بقوا في بغداد ما يقارب من عامين^(٣). ولكن لم يذكر السبب وراء بقائهم في بغداد طوال تلك المدة.

وإن كان من المرجح أن يكون الخليفة قد أرغمهم على البقاء خوفاً مما قد تسفر عنه الأحداث ، وخاصة كونه يفتقد إلى وجود قوات عسكرية لديه تسمح له بمناصرة هذا الحاكم ، والخوض في معركة ، كما أنه لم يكن ينبغي إثارة الحاكم منجلى ، لذا أرسل اينغمش إلى همدان ووعده بالمساعدة والانتظار حتى يقدم جيش الخليفة العباسي ، كذلك من المرجح أن يكون الخليفة العباسي قد اتصل ببعض جيرانه من الحكام مثل : أتابك أذربيجان ، وكذلك الموصل ، لمعرفة موقفهم من الوضع

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٣٨.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ١١٧.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٢٩٦.

الراهن في ذلك الإقليم ، ولكن لم يجد استجابة ، وذلك لخطورة الحاكم منجلى.

هذا ولقد اتصل الحاكم ايتغمش أثناء ذهابه لهماذان بالقبيلة التركمانية الإيوائية من أجل المناصرة ، ولكنهم ونظراً لظروفهم الداخلية التي اضطرت رئيسهم سليمان الإيوائي إلى أخبار منجلى بمكان ايتغمش ، والذي من المرجح أن يكون منجلى قد أغراههم بالمال ، ونتج عن ذلك مقتل ايتغمش وأرسلت رأسه إلى الحاكم منجلى ، وربما يكون الخليفة العباسي أحد الخيوط التي ساهمت في نجاح تلك المؤامرة ، وبذلك صار منجلى قوة عسكرية وخطراً يهدد الحكام المجاورين وكذلك الخليفة العباسي ، وأتابك أنربيجان.

وبعد مرور عامين تقريباً من تلك الأحداث السابقة الذكر ، تكون وفد من الأتابك أزيك ، وحسن الثالث «رئيس الطائفة الإسماعيلية» طالبين العون من الخليفة العباسي ضد الحاكم منجلى والتدخل في شئون إقليم بلاد الجبل^(١). وانضم إليهم كذلك حاكم أربل «مظفر الدين كوكبرى» وكان القائد العام للقوات التي وجهت ضد منجلى وأحرزت النصر عليه ، وذلك عام ٦١٢هـ/١٢١٥م ، ومعهم في الحلف قوات الخليفة العباسي تحت قيادة «مظفر الدين وجه السبع» الذي كان تحت قيادته بعض القوات المرتزقة من رجال الموصل والجزيرة وكذلك من أراضي بلاد الشام^(٢).

ولقد ترتب على ذلك العديد من المكاسب لأطراف هذا الوفد وكان أولهم «حسن الثالث» الذي منح مدينتي أبهر «الواقعة إلى القرب من مدينة قزوين» ، وزنجان «الواقعة إلى الشمال من أبهر» مع جميع القرى والأرياف نظراً لما لاقاه من مشكلات في حربه ضد منجلى.

(١) سعد بن محمد حنيفة مسفر الغامدى : المرجع السابق ، ص ١١٨-١١٩.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٦.

كذلك استرد الأتابك أزيك بن محمد البهلوان جميع الأراضي التي كانت في حوزة الحاكم منجلي ، وهي : همذان ، والري ، وأصفهان وتوابعها ، وولى نائبه أغميش «أحد المماليك التابعين لأخيه» ، مكافأة للدور العظيم الذي قام به في الحرب ضد منجلي^(١). في الوقت الذي لم يتحقق للخليفة العباسي أي مكاسب في ذلك الإقليم. فيذكر بارتولد أنه لم يطالب حتى بنصيبه في أراضي ناصر الدين منجلي ، والتي يبدو أن الحلفاء قد اتفقوا على هذا التقسيم قبل بدء تلك الحرب^(٢).

• **أغميش الحاكم الجديد لإقليم بلاد الجبل ، والتمهيد لمقدم علاء الدين محمد خوارزمشاه**

كان أغميش نائب أتابك أنزبيجان يعمل في بلاط السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، وظل في خدمته فترة قبل مقدمة واشترائه في الحرب ضد منجلي ، ولم تذكر الفترة التي قضاها هناك ، ولا السبب وراء ذهابه ، ثم رجوعه إلى أتابك أنزبيجان^(٣).

ولقد أوضح الجويني أن السبب وراء ذهابه لإقليم بلاد الجبل ، أن السلطان محمد قد أرسله في مهمة رسمية ، ولكن لم يفصح عن سببها ، ولا الهدف منها^(٤).

ومن المرجح أن يكون أتابك أنزبيجان قد طلب منه البقاء ليتولى منصب النائب في إقليم بلاد الجبل لما أبداه من مهارة وقدرة عسكرية في الحرب السابقة ، ووافق على ذلك ، وظل على ولائه لسيدته فترة ثم أعلن عصيانه ، وانضم بكل الأراضي التي تحت سيطرته إلى سيده الأول ،

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣٠٧.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٧ ؛ بارتولد : تركستان من الفتح

العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٣٤٦.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٧.

(٤) الجويني : المرجع السابق ، ص ١٢١.

وهو السلطان الخوارزمي ، وأعلن نفسه نائبا له ، وخطب له على منابر المساجد أيام الجمع ، وظل هذا الوضع قائما لمدة عام حتى اغتيل عند استقباله لوفد الحجاج في أوائل عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، ولقد وجه الاتهام في أغلب المصادر والمراجع إلى الخليفة العباسي الذي كلف مجموعة من الإسماعيلية الحشيشية لتنفيذ تلك المؤامرة ، والتي بنجاحها انتهت سلطة الخوارزميين الصورية على هذا الإقليم^(١).

ويذكر ابن الأثير وكذلك النسوي^(٢). أن تلك الحادثة كانت من الأسباب وراء قدوم السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد لإقليم بلاد الجبل ، واتجاهه بعد ذلك إلى بغداد حيث الخليفة العباسي.

أسباب قدوم السلطان علاء الدين محمد إلى إقليم بلاد الجبل :

١- لقد صار السلطان الخوارزمي ذا قوة جبارة وسلطات واسعة ، وخاصة بعد أن استولى على منطقة ما وراء النهر - على حد تعبيره - بالقرامطى «...أطاعة القريب والبعيد»^(٣). لذا صمم على استرجاع سيطرتهم السابقة على إقليم الجبل.

٢- رغبته في الوصول إلى مرتبة السلطنة في العاصمة العباسية بغداد بقرأة الخطبة باسمه أيام الجمع والمناسبات ، بالإضافة إلى عدائه الشديد للخليفة نظراً لتصرفاته الغريبة معه^(٤).

٣- مقتل نائبه في هذا الإقليم أغلميش على يد الفداوية الإسماعيلية^(٥).

(١) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٥ ، ص ٢١٠ ؛ سعد بن حذيفة مسفر الغامدي : للمرجع السابق ، ص ١٣٢.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣١٦ ؛ محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٢.

(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣١٦.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣١٦.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣١٦.

ولقد أضاف الجويني أسباباً أخرى ، ونلاحظ على تلك الأسباب التي أوردها أنها كلها مركزة على العداء الذي كان بين السلطان الخوارزمي والخليفة العباسي ، وإن معظم المؤرخين قد رجحوا تلك الأسباب ، والتي تتمثل في :

١- يذكر أن عوامل هذا النزاع ترجع إلى والده علاء الدين تكش وهزيمته لجيش الخليفة العباسي في شخص وزيره ابن القصاب ، وأن السلطان محمد عند استيلائه على غزنة قد عثر على رسائل من قبل الخليفة العباسي إلى الغوريين ، وكذلك القراخطاي ، طالباً القضاء على الخوارزميين بالهجوم على أراضيهم^(١).

٢- مقتل أغميش الذي اتهم فيها الخليفة العباسي ، وإن كان الخليفة قد اتهم بها جوراً ، حيث أن كل من الأتابك أزبك ، وجلال الدين حسن الثالث ، من المحتمل أن يكونا وراء هذا التصرف ومبرراتهم في ذلك واضحة ، فبالنسبة للأتابك أزبك والذي كان أغميش نائبه ، ثم نقض ولاءه ، وتحول لتبعية السلطان الخوارزمي ، وبالتالي فقد خلق قوى قد أخلت بميزان القوى في المنطقة ، وترتب عليه تهديد أمن أتابك أنريجان ومنع استقلاله ، أما جلال الدين حسن الثالث فهو صديق حميم لأتابك أنريجان ، وخاصة بعد نبذه لعقيدة أسلافه المتطرفة من الإسماعيلية ، واعتناقه للمذهب السني وكانت أسبابه في ذلك هي :

أ - كون أراضيّه هدفاً لهجوم جيرانه من الحكام من أهل السنة طوال أيام أسلافه من شيوخ الإسماعيلية.

(١) الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٢.

ب- سياسة أسلافه المتطرفة تجاه المذاهب الأخرى ، وما ترتب عليها من عيشتهم في عزله تامة عن بقية المناطق والمجتمعات المجاورة ، وكانت نتيجتها كراهية هؤلاء لهم.

لكل تلك الأسباب ، ولكي يكون في مأمن من جيرانه السنيين اعتنق هذا المذهب ، ولتتيح له فرصة التعامل مع العالم الخارجي ، ولم يكتف باعتناقه لهذا المذهب ، ولكنه تبرأ من أفعال أسلافه ولعنهم على منابر المساجد ، وأحرق جميع كتبهم ، وأرسل والدته إلى الحج ، وحملها أموالاً وصدقات لتنفقها على فقراء المسلمين^(١).

وباعتناقه للمذهب صار صديقاً حميماً لذلك الأتابك أذربك ، ومكث عنده ما يقرب من عام ونصف ، لذا من المؤكد أن يكونا قد خططا للإطاحة بنائب السلطان الخوارزمي ، وكان لكل منهما مكاسب من وراء ذلك حيث استعاد أذربك إقليم بلاد الجبل^(٢).

ومن الأسباب الأخرى : سفارة الشيخ شهاب الدين السهروردي الذي أرسله الخليفة مع قاض بعد تلك المراسلات التي أرسلها السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، لذا فقد أرسل الخليفة ذلك الشيخ ليكون رادعاً للسلطان عما يفكر فيه ويرجوه ، وكذلك تهدئة الجو بين الخليفة العباسي والسلطان الخوارزمي ، ولكنه لم يوفق في تلك المهمة^(٣).

ولقد ذكر النسوي أن تلك السفارة قد بعثت قبل مقتل أغلميش عام ٦١٤هـ/١٢١٧م^(٤). لذا فقد سارع السلطان الخوارزمي من منطقة ما وراء

(١) الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٤٩.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٢٨-١٢٩.

(٣) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٣٥.

(٤) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٢.

النهر بجيشه إلى إقليم بلاد الجبل من أجل استعادته ، وذلك لكثرة منافسيه الذين لديهم الرغبة في امتداد سيطرتهم على تلك الإقليم ، وهم : أتابك أنربيجان والرآن وحاكم إقليم فارس وهو «سعد بن دكلا السلفري» ويقول النسوي : أن أزيك تمكن من السيطرة على تلك الإقليم ، وذلك باتجاهه من أنربيجان إلى أصفهان في الجنوب ، وسيطر على المدينة وذلك باتفاق من أهلها والذين وافقوا على تبعيتهم لهذا الأتابك كما كانوا من قبل تحت حكم إيلدكز وابنه محمد البلهوان^(١).

ولقد اختلف معه ابن الأثير وذلك باستيلاء سعد بن دكلا على تلك المدينة ، وذلك لكون أصفهان أقرب من حدود أراضي من الأتابك أزيك^(٢).

وإن كانت رواية النسوي أقرب إلى المنطقية ، وذلك لعدة أسباب

- أ - تبعيتها لأتابك أنربيجان ، وكون سكانها يفضلون حكم أسرة إيلدكز.
ب - أن النسوي قد تناول تلك المعلومات من قبل وزير أتابك أنربيجان ، وهو «الصدر ربيب الدين أبو القاسم بن علي» حيث كان يصحب سيده أثناء سيطرته على تلك المدينة^(٣).

وفي الوقت الذي استولى فيه لتابك أنربيجان على تلك المدينة أسرع كذلك «سعد بن دكلا» بالاستيلاء على الري ، وقزوین ، وخوار ، وسمنان ، إلى جانب الأراضي المحيطة بهذه المدن.

وما إن رأى السلطان الخوارزمي ذلك التصارع حتى ترك أمور أراضي في إقليم ، ما وراء النهر إلى بعض كبار رجال دولته ، واتجه

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٥٣.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣١٦.

(٣) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٣-٥٤.

بجيشه إلى تلك الإقليم ، وتمكن منه بسهولة ، وأسر سعد بن دكلا الذي ظل طوال الوقت على جواده بجانب السلطان في كل مكان يذهب إليه ، أما أتابك أنزبيجان فقد هرب ، ولكنهما في النهاية خضعا لشروط السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد وزيادة على ذلك فقد فرض ضريبة على أتابك أنزبيجان أزيك^(١).

ط - السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه والخلافة العباسية وحملته على بغداد :

لقد سار علاء الدين محمد على النهج نفسه الذي سار عليه آباؤه وأجداده من قبل مع الخلافة العباسية في بغداد وذلك من أجل تحقيق آمالهم التوسعية.

وكعهد السلاطين الخوارزميين اتسمت العلاقات بينهم وبين الخلافة في بدايتها بالود والولاء ، يتضح ذلك من خلال تلك الرسائل المتبادلة بين السلطان الخوارزمي والخليفة العباسي الناصر لدين الله.

وكانت بدايتها ذلك الرسول الذي أرسله السلطان الخوارزمي إلى الخليفة العباسي وهو وزيره «ابن الاصباغى» الذي توفي عام ١٢٠٣/٥٦٠٠ م ، وكانت الخلافة تبالغ في احترامه والإنعام عليه ، لما كانت تعلمه عنه من فضله وموالاته للدولة العباسية^(٢).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣١٧ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ، ص ٢٣٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٧ ؛ محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٤ ، ٥٩ ؛ بدرى محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، ص ٦٨ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ج ٥ ، ص ٢١٠ ؛ حيث قال : «أرغمه السلطان علاء الدين محمد على ذكر الخطبة باسمه ، وكذلك ضربت السكة باسم خوارزمشاه».

(٢) ابن الساعى الخازن : الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، (الطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، ١٣٥٣/١٩٣٤م) ، ج ٩ ، ص ١٣٩ ؛ سعد بن محمد حنيفة مسفر الغامدى : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٣٥ ، نقلًا عن العبود : الدولة الخوارزمية ، ص ٩١.

كذلك أنفذ الخليفة العباسي إلى السلطان الخوارزمي ، وذلك عام ١٢٠٣هـ/١٢٠٣م ، «فخر الدين بن الشيخ مجد الدين يحيى بن الربيع» مدرس المدرسة النظامية ، من المرجح أن يكون ذلك الرسول رداً على الرسول الذي أرسله السلطان الخوارزمي ، وذلك دليل واضح على صفاء العلاقة فيما بينهما وفي العام نفسه أرسل السلطان الخوارزمي رسولا آخر ، وهو «نصر بن أسعد الخراقي» ذلك الذي يعرف بـ «ابن الأصيل» توفي عام ١٢٠٣هـ/١٢٠٦م^(١).

وفي عام ١٢٠٢هـ/١٢٠٥م ، وصل إلى بغداد من البلاط الخوارزمي رسول من السلطان ، وهو نظام الدين محمد عبد الكريم السمعاني» وما أن نزل عند باب النوبي حتى استقبلوه بموكب الديوان العزيز ، وفي ٢٠ من ذي القعدة من العام نفسه طالب بالسماح له بالجلوس عند باب «بدر الشريف» من أجل الوعظ والإرشاد وسمح له بذلك ، والتف حوله الناس ، ولقد بالغ في الثناء على البيت العباسي وأكثر من الدعاء لهم^(٢).

وفي عام ١٢٠٥هـ/١٢٠٨م ، أرسل الخليفة العباسي «العماد جبريل المصري» إلى السلطان الخوارزمي ، وذلك من أجل انجاز بعض المهام ، وأثناء عودته إلى بغداد أرسل معه السلطان الخوارزمي العديد من الهدايا^(٣).

(١) ابن الساعي : المصدر السابق ، ص ١٤٣ ؛ سعد بن محمد بن حنيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٣٥.

(٢) ابن الساعي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٦٧-١٦٨ ؛ سعد بن محمد بن حنيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٣٥ ؛ فوزي حامد عباس المأموني : المرجع السابق ، ص ١٨٢.

(٣) سعد بن محمد بن حنيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٣٥-١٣٦ ؛ فوزي حامد عباس المأموني : المرجع السابق ، ص ١٨٢.

وفي العام نفسه وصل رسول - أيضاً - من السلطان الخوارزمي إلى الخلافة العباسية حيث تلقاه الموكب الديواني الشريف ، وذلك في ٢ جمادي الأولى حيث جلس نائب الوزارة وهو «ابن أمسينا» وبعدها احضر الرسول الذي أفصح عما أتى من أجله ، وقبل منه ذلك ، ثم انزلوه بالمدرسة النقية بباب الأزج ، ثم خلع عليه وأذن له بعد ذلك بالعودة إلى خوارزم حيث السلطان الخوارزمي^(١).

تلك كانت الرسائل والرسائل المتبادلة ما بين الخوارزميين والعباسيين والتي تدل دلالة واضحة على الود والتفاهم السائد بينهما ، وإن كان ذلك لم يدم طويلاً ، وذلك لأسباب سوف نوضحها فيما بعد.

أسباب تبدل علاقات الود بين الخوارزميين والعباسيين إلى صراع وحروب :

في البداية وقبل أن نتحدث عن تلك الأسباب الظاهرية وراء اتجاه السلطان الخوارزمي إلى طلب الخلافة في بغداد ، نذكر أن تلك الرسائل التي سبق ذكرها والمتبادلة بينهما كان هدف السلطان الخوارزمي منها هو كسب ود الخلافة ، وإن كان من الممكن أن نطلق عليها أنها تمهيد حتى يتمكن السلطان من القضاء على أعدائه المجاورين ، والذين كانوا بمثابة العقبة التي تقف في طريقه ، وكذلك طريق أجداده وآبائه من قبل.

فبعد أن تمكن من القراخطاي والغوريين ، وبعد سيطرته على إقليم بلاد الجبل (العراق العجمي) لم يبق أمامه سوى تحقيق أمل أسلافه في ذكر اسمهم محل أسلافهم من السلاجقة في خطبة الجمعة ، وكذلك بجانب اسم الخليفة العباسي على السكة ، ولقد طالب بذلك من قبل السلطان الخوارزمي تكش ، ولم تسنح الفرصة له ، فسار على منواله ابنه

(١) ابن الساعي : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٦٢ ؛ سعد بن محمد بن حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٣٦ ؛ عفاف صبرة : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ؛ عن كل تلك الرسائل انظر : ص ١٣٤-١٣٦.

من بعده ، وذلك كان هدفه الأساسي والذي حان الوقت لتنفيذه ، واتخذ من تلك الأسباب التي سوف نذكرها سنداً له لتحقيق هذا الهدف.

أولاً : رغبة السلطان الخوارزمي في تحقيق السياسة التي كان يرغب فيها أجداده وآباؤه من قبل ، وهي أن يكون لهم ما كان للسلاجقة من نفوذ ومكانة عظيمة في جوف الدولة العباسية ، هذا ويذكر أن السلطان الخوارزمي قد أرسل أحد رجاله ويدعى «القاضي مجير الدين عمر بن سيد الخوارزمي» إلى بغداد أكثر من مرة يطالب العباسيين بذلك الحق الشرعي من وجهة نظره ، وكان رد فعل العباسيين على ذلك الرفض والنكران لهذا التصرف ذاكراً أن الظروف هي التي أدت إلى تحكم السلاجقة في بغداد وفي الوقت نفسه كانت الدولة في حاجة إلى مساعدة السلاجقة».

ولقد رد الخليفة العباسي ذاكراً «كن معي كما كانت الخلفاء من قبلك مع سلاطين السلاجقة كـ «ألب أرسلان» و«ملكشاه»^(١). وأقربهم لنا عهداً السلطان سنجر فيكون أمر بغداد والعراق ، ولا يكون لك إلا الخطبة».

وكما سبق وذكرنا أن الخليفة قد أنكر ذلك متعللاً بأن الظروف هي التي هيأت ذلك للأتراك السلاجقة من قبل ، وأعلن أن الخلافة لن تقبل من يتحكم فيها من المتحكمين ذاكراً لمجير الدين «أوليس فيما أنعم عليه به من الممالك الواسعة والأقاليم الشاسعة بغنيته عن الطمع في دار ملك أمير المؤمنين ومشاهد آبائه الراشدين». هذا إلى جانب علمه بانشغاله بما وراء النهر وبلاد الترك^(٢).

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمد

محمود الطناحي ، (ط ١ ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م) ، ج ١ ، ص ٣٣٠.

(٢) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٥ ؛ محمد النسوي :

الرجع السابق ، ص ١١-١٢ ، ٤٩ ؛ الجويني : تاريخ جهان گشا ، ص ١٨١ ؛

سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٣٧-١٣٨.

وبعد تلك المداولات عاد رسول خوارزمشاه مصطحباً معه رسولاً من قبل الخليفة العباسي وهو «شهاب الدين السهروردي» ذلك الذي حاول جاهداً أن يثني السلطان الخوارزمي عن قصد بغداد ، ولكنه فشل ، وخاصة أن الخليفة العباسي كان قد استعان من قبل بالسبيل الذي كان لحسن الثالث شيخ الجبل الباطني^(١).

ولقد ذكر السلطان الخوارزمي لرسول الخليفة أنه لن يؤذى أي شخص من بني العباس ، على الرغم من أنه قد علم أنه أودع عدداً كبيراً من الأتراك من بني جنسه في السجن وهذا في حد ذاته أساءه إليه ، ولقد أبلغه أنه من الضروري توصيل ذلك للخليفة العباسي ، لأنه أولى وأنفع له ، ولقد بذل الرسول قصارى جهده في الدفاع عن الخليفة ، وتبرير ساحته من كل ما نسب إليه^(٢).

ولقد وصف رسول للخليفة مقابلته للسلطان الخوارزمي ذاكراً «استدعاني فأتيت إلى خيمة عظيمة لها دهليز لم أر في الدنيا مثله وفي دهليز ملوك العجم على اختلاف طبقاتهن صاحب همذان ، وأصيبهان ، والري وغيرهم ، فدخلنا إلى خمسة أخرى ، وفي دهليز ملوك خراسان مرو دهليزها كذلك ثلاث خيام» ، ثم استطرد شهاب الدين في وصف

(١) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ؛ خواندمير : حبيب السير ، ص ٦٤٦ ، ذاكراً أن من الأسباب وراء مقدم السلطان الخوارزمي هو أن الخليفة العباسي كما قد قدم راية جلال الدين حسن الصباح المسلم الجديد والذي تبرأ من عقيدته ، وأرسل لواءه على حسب مراسيم السلاطين ، على راية السلاطين الخوارزمي ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٢٥٤.

(٢) صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٧٦-٢٧٧ ؛ بدري محمد فهد : المرجع السابق ، ص ٧١ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٣٨.

علاء الدين محمد ، فقال : «هو صبي له شعرات ، قاعد على تخت ساذج وعليه قباء بخارا يساوي خمسة دراهم ، وعلى رأسه قطعة من جلد تساوي درهماً ، فسلمت عليه فلم يرد ، ولا أمرني بالجلوس فشرعت وخطبت خطبة بليغة ذكر فيها فضل بن العباس ، ووصف الخليفة بالزهد والورع والتقوى والدين ، والترجمان يعيد عليه قولي ، فلما فرغت قال للترجمان : قل له هذا الذي وصفته ما هو في بغداد ، قلت : نعم ، قال : أنا أجيء وأقيم خليفة بهذه الأوصاف ، ثم ردنا بغير جواب»^(١).

ثانياً : عثوره في دار المحفوظات لدى الغوريين - وذلك عندما تمكن من مدينة غزنة عام ٦١٢هـ/١٢١٥م - على العديد من الكتب التي أرسلها إليهم هذا الخليفة ، يحرضهم فيها على إيقاف توسع الخوارزميين ، وذلك بمهاجمتهم من الخلف ، وترتب عليها مهاجمتهم لأملاك السلطان الخوارزمي في بداية حكمه ، بالإضافة إلى استيلائهم على بعض الأقاليم الخراسانية^(٢).

ولم يقتصر التحريض فقط على الغوريين بل تطرق الأمر كذلك إلى القراخطاي أنفسهم مقابل تأييدهم في سلطانهم ، وكذلك إقطاعهم من

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٤٤-٤٥ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) عطا ملك الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٦ ؛ بدرى محمد فهد : المرجع السابق ، ص ٧٠ ؛ فامبرى : تاريخ بخارى ، ص ١٥٧ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٤٠ ؛ وأوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ١٢٥ ؛ حبيب الله شمالوئي : تاريخ إيران از ماد تا بلهوى ، ص ٤٤٤ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٦٤٦ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ص ٣٩٨ ؛ Henry H. Howorth : op. cit., p.8.

أملاك الخوارزميين في حالة إحراز النصر عليهم وأرسل إليهم الهدايا والخلع من أجل ذلك.

ثالثاً : قام السلطان الخوارزمي بتأييد بعض حركات التمرد والعصيان التي كانت تتم ضد الخلافة العباسية ، وخير مثال على ذلك : عندما عصي ممالك الديوان «ديوان الخلافة» وذلك عام ١٢١٢م / ٥٦٠٨هـ ، حيث استجاروا به فأعانهم على عصيانهم ، ولقد أرسل الناصر لدين الله إلى «مظفر الدين بن زين الدين» صاحب أربل يعرفه بذلك ، واستجد كذلك بعسكر الملك الأشرف وغيره ، وتمكن من قمع التمرد^(١).

رابعاً : ويدخل هذا السبب الرابع ضمن الأسباب التي اختلقها السلطان الخوارزمي وهي أن الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد لابنه من بعده وهو «الظاهر بأمر الله» بولاية العهد ، وذلك في شهر صفر عام ١١٨٩م / ٥٥٨٥هـ ، وإن كان عام ١٢٠٣م / ٥٦٠١هـ ، عاد عن رأيه وأسقط عنه الخطبة ، وكانت حجتة في ذلك هي عجزه عن القيام بولاية العهد ولقد اعترض السلطان الخوارزمي على ذلك ذاكرا «قد صح عندي توليته ولم يثبت عندي موجب عزله» وجعل ذلك حجة لكي يتطرق إلى العراق بالعساكر ليرد خطبته^(٢).

كل تلك الأسباب كانت مجتمعة ، وذلك لكي يواصل سيره إلى الخليفة العباسي في بغداد وذلك عام ١٢١٧م / ٥٦١٤هـ ليحقق هدفه الأول ، وذلك من أجل السيطرة على حاضرة الخلافة العباسية انتقاماً من الخليفة إلى جانب أنه قرر عزل الخليفة ، وذلك من وجهة نظر السلطان

(١) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ١٤٠.

(٢) سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٤٠.

الخوارزمي أن العباسيين ليس لهم الحق في تولية منصب الخلافة هذا لأنهم مختصيون للخلافة من سلالة الحسين بن علي بن الخطاب ، لذا فقد حصل على قنوى من رجال الدين في مملكته ، بأن الناصر لا يستحق المنصب الذي هو عليه ، وكذلك أسرة بنى العباس كلها ليست أهلة لذلك ، لكونهم قد تقاعسوا عن واجباتهم الدينية ، ولقد اخذ على علقه إصلاح تلك الأوضاع التي تمثلت في تعيين شخص آخر من سلالة علي بن أبي طالب ، وهو «علاء الملك الترمذى»^(١). وهو رجل من ترمذ خطب له على منابر الدولة الخوارزمية ، وقد سك اسمه على العملة وذلك بعد أن قطع الخطبة باسم الخليفة العباسي في خوارزم ، ولقد سر الشيعة في فارس من ذلك التحول بعد جهاد دام أكثر من ستة قرون - منذ وفاء الرسول - ونجحوا في إقامه خلافة شرعية علوية^(٢).

ولكن على الرغم من عزل الخليفة العباسي ، وقطع خطبته من خوارزم ، وتعيين هذا الشخص إلا أن الجويني والمصادر التي تناولت ذلك لم تمدنا بأية معلومات عن تلك الشخص لا عن تعيينه ، ولا مملكته ، ولا مكان وجوده فيما بعد كخليفة ، حيث لا بد أن يكون له مقر الملك وساطن الخلافة^(٣).

(١) الجويني : تاريخ جهان گشا ، ص ١٨٢ ؛ سعد بن محمد حنيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٤٢-١٤٣ ، وأوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ١٣٠.

(٢) عطا ملك الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٨ ؛ أحمد شلبي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ؛ سعد بن محمد حنيفة مسفر الغامدي : سقوط الدول العباسية ، ص ١٤٣ ، وأوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ١٣٢ ؛

Percy Sykes : op. cit., p.54

(٣) سعد بن محمد حنيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٤٣.

خامساً : وهو السبب الأخير الذي يعتبر نتيجة طبيعية لكل الأسباب السالفة الذكر والتي تؤيد ضرورة اتجاه السلطان الخوارزمي إلى بغداد وهي الظروف الطبيعية ، وكذلك التاريخية التي صارت عليها الدولة الخوارزمية في ذلك الوقت ، وخاصة بعد وصولها إلى ذلك الاتساع حيث امتدت حدودها من حدود بغداد من بحر آرال إلى الخليج الفارسي ، وبالتالي صار سلطانه لا يعطوه سلطان آخر في العالم الإسلامي ، وذلك بعد قضائه على ملوك العالم في ذلك الوقت ، وهم القراخطاي وكذلك الغوريون ، إلى جانب حجبه لنفوذ الطائفة الإسماعيلية وسيطرته على أتابكة فارس وأذربيجان ، وبالتالي صار محاصراً للخلافة العباسية من ناحية الشمال وكذلك الشرق ، لذا لم يبق أمامه سوى بغداد^(١).

ترتيبات السلطان علاء الدين الخوارزمي للهجوم على العاصمة العباسية بغداد :

١- فقد أمر في بداية الأمر أن تضرب على بابه نوبة ذي القرنين تعظيماً له ، ووقتها وقتاً للشروق والغروب ، وذلك يدل من تلك النوبات الخمس التي كانت تضرب له في أوقات الصلوات الخمس ، والتي فوضها لأولاده من بعده ليضربوها في الأقاليم ، وكان أول يوم ضربها فيه علاء الدين خوارزمشاه قد اختار لضربها ٢٧ ملكاً من أكابر الملوك وأولادهم ، ولقد كانت آلات النوبة من الذهب ، ورمعت مضاربها بأنواع الجواهر^(٢).

(١) حافظ أحمد حسدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٨-٣٩.

(٢) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٦٥ ، المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ٤٦ ، حاشية ١ ، ذكراً المكان الذي تحفظ فيه طبول الفرق الموسيقية وأبواقها وتوابعها ، وهي للطلبخانة : وهي كلمة فارسية معناها فرقة موسيقية تتبعه لموسيقى السلطان ، حيث من العادة أن تنق نوبة في كل ليلة بعد صلاة المغرب ، وتكون كذلك في صحبة السلطان في الأسفار والحروب.

٢- قام بتنظيم أحوال بلاد ما رواء النهر فأمر الملك فيها إلى «تاج الدين بلكاخان» صاحب أترار في مدينة نسا لكي يقيم بها ويصبح المسئول عنها^(١).

٣- أما فيما يتعلق بأمر خوارزم فقد عين الخطيب «برهان الدين محمد بن أحمد ابن عبد العزيز البخاري» المعروف بـ صدرجهان رئيس الحنفية ببخاري وخطيباً عليها^(٢). ووزع بعدها ملك خوارزم بين أولاده ، وذلك قبل خروجه إلى بغداد فكانت (خراسان ، خوارزم ، مازندان) إلى ولي عهده «قطب الدين أزالاغ شاه» حيث فضله عن بقية أخوته والذي كان على رأسهم السلطان جلال الدين منكبرتي وأيضاً ركن الدين غورشايجي ، نظراً لأتباعه لأوامر والدته «تركان خاتون» ورأيها وتحريره مرضاتها^(٣).

ثم عين ابنه جلال الدين منكبرتي على ملك (غزنة ، باميان ، الغور ، بست ، تكياباذ ، زمين داور وما يليها) وعين ابنه غياث الدين بيرشاه على (كرمان ، كيش ، مكران) وجعل له وزيراً وهو الصدر «تاج الدين بن كريم الشرف النيسابوري».

أما العراق العجمي فقد ترك عليها ركن الدين غورشايجي وكان وزيره على ذلك هو «الملك محمد بن الشديد الساوي»^(٤).

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٦٦.

(٢) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٨.

(٣) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٧١-٧٢ ، حاشية ١ ، وكذلك ص ١٢٦ ، حاشية ٢ ، حيث ذكر أن السلطان الخوارزمي وهو على فراس الموت عام ٦١٨هـ/١٢٢٠م ، قد غير تلك الوصية وأوصى بولاية العهد لابنه جلال الدين منكبرتي ، وذلك لثقته في شجاعته ، ولأن أمه تركان خاتون قد وقعت في أسر المغول.

(٤) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٩ ؛ محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٧٢-٧٣ ؛

Henry H. Howorth : History of the Mongols, p.8.

واستكمالا لتلك الترتيبات فقد وجه إلى شيوخ الإسلام بمدينة سمرقند ، وهو «جلال الدين» وكذلك ابنه «شمس الدين» وأخيه «أوحد الدين» إلى نسا وذلك تخوفا من ثورتهم^(١).

خط سير السلطان الخوارزمي إلى بغداد :

توجه السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد على رأس حملة إلى بغداد ، مسيراً أمامه العساكر والتي غطت البiddاء من كثرتها ، وبالتالي فقد أدخل الرعب في كل من مر بهم هذا الجيش.

ويذكر أنه قد التقى في العراق بالأتابك «سعد بن زنگي» والذي توجه إليها من أجل الاستيلاء عليها ، بعد أن حرّضه على ذلك الخليفة العباسي كما ذكرنا من قبل ، ولقد انتصر عليه وهزمه ، وبعدها قبل الدخول في طاعته ، وتعهّد بان يتنازل عن ثلث خراج فارس ويرسله إليه سنوياً ، إلى جانب إعطائه العديد من الامتيازات ، ولقد أوقع الهزيمة كذلك بـ «أزبك بن البهلون» (أتابك أنربيجان) والذي حرّضه كذلك الخليفة العباسي ، وقد أئمنه السلطان على حياته ، وضرب السكة في تلك الولاية باسمه ، وبعدها توجه إلى بغداد^(٢).

ولقد وصف النسوي الجيش حتى وصل إلى قلعة «أسد أباد» إلى أن حدثت المفاجأة فهبت عليهم الأمطار والثلوج تلك التي فرقّت وشلت حركتهم ، ولقد استمر ذلك ثلاثة أيام دون توقف ، ولقد جاء تعليق على لسان الشاعر الشاشي قائلاً :

نثر السحاب من المساء دراهما وكسا الجبال من الحواصل ملابساً
والريح باردة الهبوب كأنها أنفاس من عسق الحسان وأفلسا

(١) محمد النسوي : المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢) الجويني : المرجع السابق : ص ١٨٢ ؛ محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٥٣

؛ S. lane Poole : The Mohammadn dynasties, p.172 .

ولقد كانت الأمطار وراء هلاك العديد من رجاله ، وأيضاً دوابه
«وصارت الأرض كأنها بيباضها سوداء ، وشمل الهلاك خلقاً كثيراً من
الرجال ، ولم ينج شيء من الجمال»^(١).

ولقد وصف كمال الدين إسماعيل ذلك قائلاً :

مثل حبة القطن قد اختبأت في قطن بحيث اختفت في الجبال الثلج^(٢).

وبعد تلك الهزيمة التي منى بها السلطان عاد أدرجه إلى بلاده
مرة ثانية ، نادماً عما بدر منه في حق الخلافة العباسية ، ولقد اضطر إلى
مقابلة «الشيخ السهروردي» راسلاً معه إلى دار الخلافة ، مستشفعاً بالله
منذراً ، وعن البغي محذراً.

(١) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٦٤ ؛ عطا ملك
الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ،
ج ٣ ، ص ١١٨ ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، المجلد الخامس ، القسم الأول ،
ص ٢٣٣ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤٩ ؛ فامبري : تاريخ بخارى ،
ص ١٥٧ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٤٤ ، ٤٦ ؛
أحمد شلبي : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٤٠٦ ؛ هارولد لامب : المرجع السابق
، ص ١٧٦ ؛ Brigadier : general sir percy sykes, Persia, p.53 ؛
خواندمير : حبيب السير ، ص ٦٤٦ ، ذاكراً «أن البرد كان شديداً لذا فقد أصيب
أطراف الجند بالتجمد ، وعدم الحركة فهلك معظم جنده ، وكذلك هلكت الماشية
، كل ذلك اضطره إلى العودة إلى خوارزم» ؛ حبيب الله شمالوئي : المرجع
السابق ، ص ٤٤٥ ، ذاكراً «أن بعض المؤرخين قد كتبوا أن السلطان علاء
الدين محمد رجل يؤمن بالخرافات ، وأنه ما أن رأي الثلوج نازله من تلك الجهة
اعتقد أن السبب في ذلك هو رغبته في القضاء على الخلافة العباسية ، وفي
الحقيقة أن المغول كانوا قد تعرضوا في ذلك الوقت لحدوده الشمالية ، لذا رأي
من الأرجح العودة إلى بلاده ، لذا جاء إلى مرو عام ١٢١٨/٥٦١٥» ؛
H. Howorth : History of the Mongoles, p.8.

(٢) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٢٠ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة
الخوارزمية والمغول ، ص ٤٦ ؛ الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ؛
الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١ ، ص ٢٧٦-٢٧٧ ؛ سعد بن محمد بن مسفر
الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٤٧.

هذا ولقد ذكر له بعض أعوانه أن ذلك غضب من الله حين قصد بيت الخلافة^(١).

ولقد توافق رأي النسوي مع ابن الأثير ، وكذلك الجويني بأن من يتجرأ على الخلافة يخسر الدنيا والآخرة ، وذلك لأن بيت الخلافة بيت يؤيده الله بملائكة سمائه ، وله سر في بقاءه ، وإن في عناده خسراناً للدنيا والآخرة ، وهذا هو الخسران المبين^(٢).

ونتيجة لذلك قام بتعيين ابنه غياث الدين بيرشاه - كما سبق وذكرنا - على كرمان ، كيش ، مكران ، ونظراً لفناء معظم ما كان للسلطان الخوارزمي من الجمال ، لذا فقد أحضر من نيسابور ٤٠٠٠ من البختي التركيات^(٣).

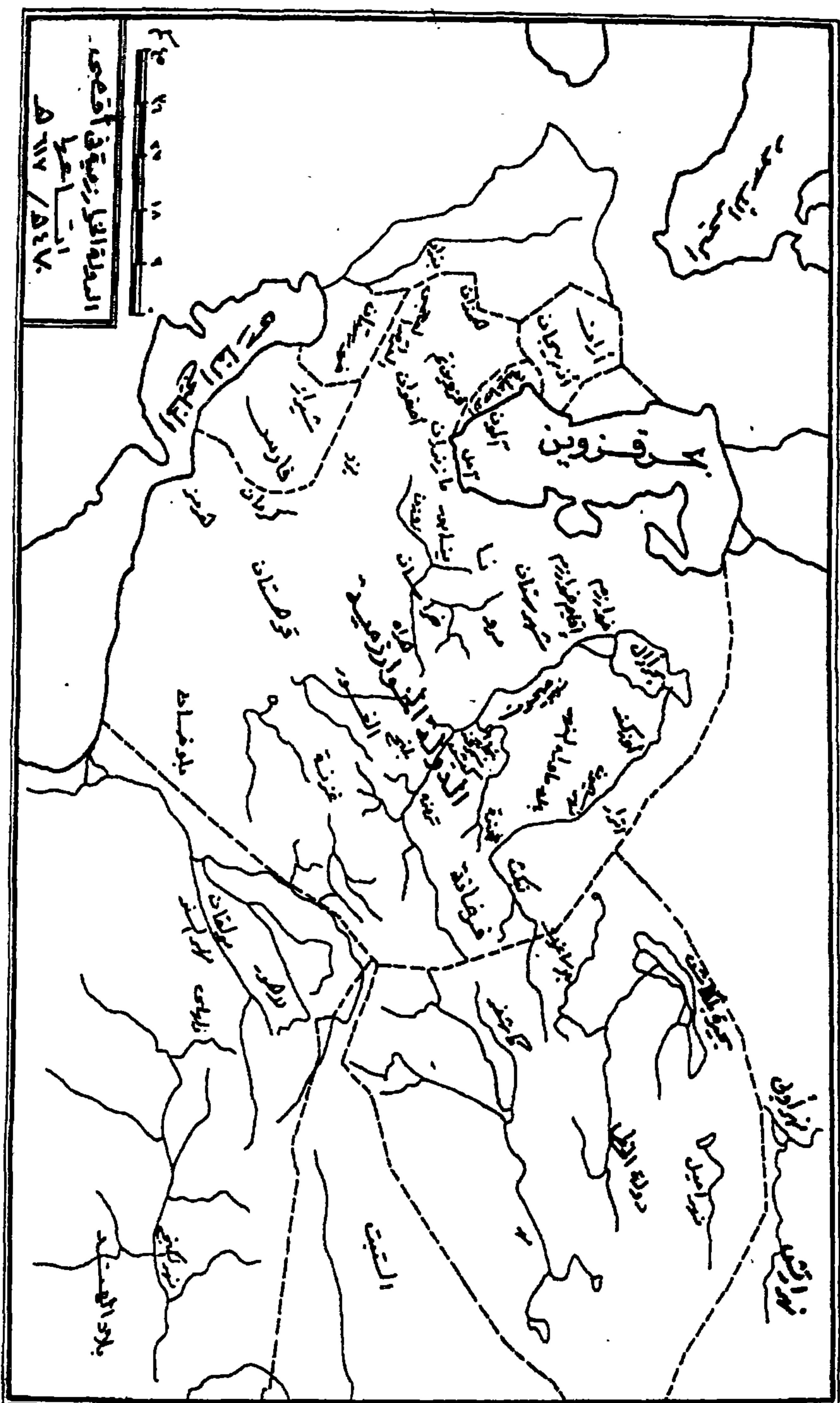
ثم ما لبث أن تبدلت الأحوال في الدولة الخوارزمية ، وذلك بظهور الخطر المغولي الذي هدد تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف إلى الزوال ، وذلك عام ٦١٧هـ / ١٢١٩م^(٤).

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤٩.

(٢) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٢١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٣١٨ ؛ الجويني : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٤٦ ؛ سعد بن محمد حذيفة مسفر الغامدي : سقوط الدولة العباسية ، ص ١٤٧.

(٣) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٧٤-٧٥.

(٤) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٠.



الفصل الثالث

نظم الحكم والإدارة في

الدولة الخوارزمية

محتويات الفصل

مقدمة تمهيدية.

١ - نظم الحكم والإدارة المتوارثة في خوارزم حتى قيام الدولة الخوارزمية.

٢ - نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية.

أولاً : البلاط السلطاني :

١ - السلطان الخوارزمي.

٢ - الوزير الأعظم.

٣ - عميد السلطان.

٤ - كبير الحجاب.

٥ - وكيل البلاط.

٦ - صاحب الشحنة.

ثانياً : الدواوين :

١ - ديوان الوزارة.

٢ - ديوان الرياسة.

٣ - ديوان الرسائل.

٤ - ديوان البريد.

٥ - ديوان المشرف.

٦ - ديوان الاستيفاء.

٧ - ديوان الحفظة «الشرطة».

٨ - ديوان الحسبة.

٩ - ديوان الأوقاف.

١٠ - ديوان القضاء.

١١ - ديوان المظالم.

ثالثاً : حكام الأقاليم.

الفصل الثالث

نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية

مقدمة تمهيدية :

١ - نظم الحكم والإدارة المتوارثة في خوارزم حتى قيام الدولة الخوارزمية :

لقد ذكر الجويني أن التنظيمات الغزنوية الإدارية قد ظلت زمنياً في خوارزم ، ومن المرجح أن يكون ذلك أثناء تبعية الأسرة الثانية «الألتونناشية» للغزنويين وذلك عام ٤٠٨-٤٢٩هـ/١٠١٧-١٠٣٧م ، مما يؤكد أن الإمارة التابعة تطبق عليها الدولة الحاكمة نظمها الإدارية.

ثم يستطرد الجويني قائلاً : إنه على الرغم من استفادة الخوارزميين من التنظيمات السلجوقية الإدارية إلا أنها قد طبعتها بالطابع المحلي الخاص بها ، يتضح ذلك من اعتمادهم على القبائل التركية وقوتها مما ترتب عليه ازدياد نفوذ رؤسائها ، والذي كان سلاحاً ذا حدين ، أحدهما ساهم وساعد على ظهور تلك الإمبراطورية ووصولها إلى أقصى اتساع لها ، والآخر سبباً في إضعاف الدولة المركزية فيما بعد ، وذلك عكس السلاجقة الذين شاركوا الشعب في الأعمال الإدارية التابعة لهم^(١).

٢ - نظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية :

أولاً : البلاط السلطاني :

١ - السلطان الخوارزمي :

والذي كان على رأس البلاط السلطاني ، وذلك بصفته القائد الأعلى للقوات العسكرية ، وخاصة أن تكوين الحكومة الخوارزمية شأنها شأن الحكومات الأخرى التركية تقام على أساس القوات المقاتلة والجيش ، لذا كان حكمه حكماً مطلقاً ، وإن كان ذلك لم يمنع من استعانته في إدارة دولته بعدد من الموظفين من أهل الكفاءة والقدرة^(٢). ومن هؤلاء الوزراء الأعظم.

(١) عطا ملك الجويني : جهان گشا ، ص ١٦٨.

(٢) مريم ميرأحمدي : نظام حكومت ایران در دوران إسلامي ، (مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرينكي ، د.ت) ، ص ٢٨٤.

٢- الوزير الأعظم «خواجه بزرگي»:

والذي يحتل المرتبة الثانية بعد السلطان «الشاه» الخوارزمي ،
ويلقب بالوزير الأعظم أو سيد الدنيا في ديوان الوزارة ، وفي بعض
الأحيان يكون نيابة عن السلطان في إدارة شئون الدولة.

ومن الشروط الواجب توافرها في الوزير : «الإيمان والصدق ،
والتدين» ، وذلك لأن أمان السلطنة ينحصر في سلوك الوزير الحسن ،
حيث صلاح السلطان والرعية وفسادها رهينان بالوزير وحين التصرف
في الأمور والدقة في تنفيذ أوامره وأحكامه ، وسلامه البديهة ، وحسن
السياسة^(١).

وزراء الدولة الخوارزمية :

١. نظام الملك سعد الدين مسعود بن علي الأبهري :

من الوزراء العظام على عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين
تكش ، ومن صفاته إصابة الرأي وصفاء الضمير ، ولقد ظهر ذلك
بصورة جلية عندما اضطربت الأمور بسبب ما نتج عن الصراع على
العرش بين الأخوة ، فاخذ على عاتقه استتباب الأمن في البلاد ، وذلك
بقيادة جيش الدولة^(٢).

٢. نظام الملك صدر الدين علي بن سعد الدين مسعود :

تولى الوزارة نيابة عن والده من قبل السلطان تكش ، وذلك تخليداً
وإكراماً لوالده بعد استشهادهِ على يد الإسماعيلية الحشيشية ، لذا كان

(١) نظامي عروضي السمرقندي : جهار مقالة ، ص ١٦٩ ؛ نظام الملك الطوسي :
سياست نامه ، ص ٥١ ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ؛ هند
حسين عطية : الألب العربي في إقليم خوارزم ، ص ٨١ ، ٣٠٧.

(٢) غياث الدين خواندمير : دستور الوزراء ، ترجمة وتعليق : حربي أمين سليمان ،
تقديم : فؤاد عبد المعطي الصياد ، ص ٣٠٩.

حريصاً على تنفيذ ما كان يقوم به والده من تدبير شئون الديوان والاهتمام بالرعية وحل مشاكلهم ، وعلى رأسهم رجال العلم وأهل الفضيلة ، وهو ما اشتهر به بلاط الخوارزميين وظل بالوزارة حتى عهد علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه.

٢. نظام الملك محمد بن صالح :

تولى الوزارة بعد وفاة الوزير السابق وظل بها ما يقارب من سبع سنوات ، ولكنه اتهم بسوء التصرف والإسراف في أموال الديوان ، على الرغم من كرمه وجوده ، لذا عزله السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، ثم أعاده للوزارة مكرهاً بناء على طلب والدته «والتي كان محمد بن صالح أحد غلمانها» وذلك بعد أن علمت بمؤامرة السلطان محمد من أجل قتل ذلك الوزير والتخلص منه نهائياً^(١).

وترتب على تصرف ترکان خاتون هذا وعلى الرغم من وجود العديد من الشخصيات الملائمة لهذا المنصب وهم موجودون في بلاطه ، ومنهم : تاج الدين كريم الشرف النيسابوري ، وضياء الدين السمناني ، والشريف محمد النسوي ، ونجم الدين كيلابادي ، ومجير الدين المنشي ، لكنه لم يول أحداً من هؤلاء لمنصب الوزارة ، ونتج عن ذلك وقوع الناس

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٤٠ ، ٥٤٢ ؛ خواندمير : المرجع السابق ، ص ٣١٠-٣١١ ، حيث ذكر نهاية هذا الوزير قائلاً : وفي الوقت الذي كان أمراء جنكيزخان يحاصرون فيه قلعة أبلال كان محمد بن صالح موجوداً داخلها بصحبة والده السلطان ، وبعد أن تم إخضاع القلعة حمله الأمراء إلى الخان ، وقالوا : أن هذا الوزير كان مطروداً ومغضوباً عليه من قبل السلطان محمد ، وألحوا عليه أن يجعله من بين رجال الخان ، وبناء على ذلك اعتمد جنكيزخان على محمد بن صالح كواحد من رجاله ، وكان يكلفه أحياناً بتنظيم حسابات بعض الولايات ، وخلال تلك الظروف حدثت علاقة بينه وبين ابنه «زينكيجة جنكي» وعلم بهذه العلاقة الخان لذا غضب عليه وقتله.

في حيرة من أمرهم حيث لم يجدوا من يرجعوا إليه في تدبير شئون الديوان ، وظل هذا الوضع قائماً حتى نهاية حكم السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه^(١).

٤. شرف الملك فخر الدين علي الجندي :

كان متولياً لرئاسة ديوان مدينة «جنبد»^(٢). من قبل السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد ، وارتكب بتلك المدينة العديد من المظالم حتى استغاث الأهالي بالسلطان الذي أمر بالقبض عليه وسحبه كما يسحب الطائر على السيخ ويلقي في النار ، وما أن علم بذلك حتى فر هارباً^(٣). ويتضح مما سبق أن تعيين وزراء الولايات - وخاصة تلك التي ينوب فيها عن السلطان أحد أبنائه - يتم عن طريق السلطان «أي من حق العرش»^(٤).

٥. محمد بن أحمد بن علي بن محمد المنشي النسوي :

من أشهر وزراء الدولة الخوارزمية ، والذي كان في البداية يعمل بوظيفة سكرتير الديوان ، ثم تولى أمر الديوان ، وتحمل كل مسئولياته^(٥). ويتضح من خلال دراستنا لهؤلاء الوزراء عدة أشياء ، منها :

١- ورائة ذلك المنصب ، والذي ظهر بصورة جلية على عهد السلطان الخوارزمي علاء الدين تكش كما سبق وذكرنا^(٦).

(١) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣١٠-٣١١.

(٢) جنبد أو جنبد : من قرى نيسابور بمنطقة خراسان وتقع الآن في أفغانستان والعجم ، وتطلق «كنبد» عندهم ، (وتعني الأزج المدور كالثبة ونحوها) ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١٦٨.

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣١١.

(٤) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٣٩.

(٥) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٤.

(٦) انظر الفصل الحالي من الكتاب ، ص ٢٨٧.

٢- وجود بعض الوزراء - وإن كان ذلك نادراً - يجمع ما بين السيف
«أي قيادة الجيش» والقلم «إدارة شئون البلاد» ، ومنهم الوزير سعد
الدين مسعود بن علي الأبهري.

٣- كذلك الاحترام والتقدير الذي يلقاه هؤلاء الوزراء من قبل سلاطين
تلك الدولة وتمثل ذلك في السماح لهم بالجلوس على ميمنة السلطان
في المجالس العامة ، إلى جانب عدم وقوفه لمن يدخل عليه في
مجلس الوزراء مهما علت مكانة ذلك الشخص.

٣ - عميد السلطان «خواجة عميد» :

وهو من الشخصيات البارزة في البلاط السلطاني ، وتتركز
أعماله في شيئين : «تنفيذ فرمانات السلطان الخوارزمي وأوامره ، ثم
ختم تلك القرارات السلطانية وذلك يعنى أنه الشخص الوحيد الذي يحمل
الختم الملكى ، لذا يتحتم عليه الاتصاف بالأمانة والنقطة إلى أبعد الحدود^(١).

٤ - كبير العجائب «سبهسلار الكبير»^(٢) :

لقد كانت تلك الوظيفة رائجة في الدولة الخوارزمية ، وخاصة في
أواخر أيامهم فهو معروف بأنه مستشار (أو مشرف على رأس العمل)
«ببش كار» في قصر السلطان ، وصاحب ذلك المنصب يكون في بعض
الأحيان خلفاً للوزير ومختاراً للوزارة من بعده^(٣).

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٤.

(٢) سبهسلار : وتعنى أميراً صاحب قبضة قوية ، ورئيساً ذا شأن ، ووظيفته تتمثل
في السيطرة والمراقبة وإحكام السيطرة على الأمور ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع
السابق ، ص ٢١٩.

(٣) نظام الملك الطوسي : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ؛ محمد بن أحمد النسوي :

سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٦٢ ، حاشية ٢ ؛ البيهقي : تاريخ بيهق

، ص ٨٩-٩٠ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب

آسيا في العصر التركي ، ص ١٥٢ ، ١٥٤ ؛ محمد محمود إدريس : رسوم

السلافة ونظمهم الاجتماعية ، (الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٣م) ، ص ٩٣.

• ومن أهم اختصاصاته :

أ - نقل أوامر السلطان إلى الوزير وكبار رجال الدولة ، ومن ناحية أخرى ينقل أوامر الوزير وكبار الموظفين إلى السلطان.

ب- الإشراف التام على المقر الملكي للسلطان ومجلسه وكل شئونه الخاصة.

ج- استشاره السلطان له في كل مهام الدولة صغيرها وكبيرها ، ويمكن أن يسند إليه السلطان مهمة قيادة الجيوش والحمالات العسكرية ، ويعرض هو بدوره على السلطان الأمور الهامة التي يجب عليه بحثها وإبداء الرأي فيها.

ولقد ازدادت أهمية صاحب هذا المنصب لدرجة قيامه بتدبير أمور الدولة في حالة غياب السلطان ، وكذلك تنظيم بلاطه ، فينظم أماكن وقوف العبيد والخدم والأصاغر فكل منهم مكان معلوم ، وكذلك أماكن الجلوس ويراعي في ذلك حسن التنظيم فيقف الخواص من حول العرش مثل حمله السلاح والسقاة ، ويبعد من دون ذلك ويضاف إلى ذلك إشرافه على إتمام المراسم السلطانية دون إحداث أي خلل بها.

ونظراً لأهمية تلك المناصب كان هناك لكل واحد من أصحاب تلك الوظائف نائب ومعاون له في مهامها ، ويعهد إليه بإتمام بعض المهام والأعمال^(١). لذا كان للحاجب نواب يساندونه في الأمور الجسام الواقعة على كاهله^(٢).

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٥.

(٢) عصام الدين عبد الرعوف : المرجع السابق ، ص ١٥٣ ؛ محمد محمود إدريس السابق ، ص ٩٣.

ومن أشهر حجاب الدولة الخوارزمية وخاصة في عهد السلطان علاء الدين تكش «شهاب الدين مسعود الخوارزمي» ذلك الذي اتهمه الوزير نظام الملك سعد الدين مسعود بن علي الابهرى بأمور غير لائقة في المجلس ووفق في الحصول على أمر من السلطان بقتله ولكن حال دون ذلك مقتله «أي الوزير» على أيدي الإسماعيلية الفداوية^(١).

وذكر ابن خلدون وظيفة «أمير الأمراء والحجاب» ويبدون أنها متعلقة بالحاجب الكبير ، وممن تولى تلك الوظيفة آينانج نائب علاء الدين محمد وواليه على بخارا^(٢).

وترى الباحثة أن تلك الوظيفة ما هي إلا تطور لوظيفة كبير الحجاب في الدولة الخوارزمية.

٥ - وكيل البلاط «أو الباب» «وكيل در» :

وهو المندوب المباشر للولايات والأقاليم في البلاط ومن حقه الاستقرار في العاصمة مندوباً عن الأمراء التابعيين ، وكذلك الولاية في كل الأقاليم المختلفة بصفته وكيلهم في انجاز الأعمال وكذلك مراقبة مصالحهم ويقوم كذلك السلطان الخوارزمي نفسه باختيار وكيل بلاطه الخاص لانجاز أعمال البلاد ويكون معاوناً له أو همزة الصلة بينه وبين الوزير في توصيل التعليمات والأوامر الشفهية للوزير وبمجرد وصولها يقوم الوزير بتحريرها ليتم تنفيذها^(٣).

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٧٣ ؛ غياث الدين خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٠٩ ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٦.

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الخامس ، القسم الثاني ، ص ٢٥٣.

(٣) مريم ميرأحمدي : نظام حكومت إيران دوران إسلامي ، ص ٢٨٥.

٦ - صاحب الشحنة^(١):

وهو ذلك الشخص المسئول عن الأمن والاستقرار ومطاردة العابثين ومعاقبتهم وهو تابع للوزير فمن حق الوزير عزله في حالة عدم كفاءته أو حتى سوء تصرفه ، وبالتالي من واجبه تنفيذ أوامر السلطان والوزير ورفع التقارير إليهما ولقد تمتع بسلطات إدارية وبوليسية واسعة النطاق^(٢). وممن تولى تلك الوظيفة شخص ما في مدينة دهستان بعد أن تغلب عليها سلاطين خوارزم^(٣).

ثانياً : الدواوين^(٤):

١- ديوان الوزارة :

يرأس هذا الديوان الوزير الأعظم الذي سبق وتحدثنا عنه في بداية الفصل ومن الشخصيات التي تسانده في أمور الديوان الأمين وهو

(١) الشحنة : هي الرابطة من الخيل في البلد لضبطه وليس باسم للأمير أو القائد كما تذهب العامة ، والنسبة إليه شحتى وشحنة ولا تقل شكنكية ولا شحنةية ، وهذه الكلمة عربية صحيحة واشتقاقها من شحنت البلد بالخير إذا ملأته بها ، وقال الأزهري : في كتاب لسان العرب لابن منظور : شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان ؛ ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الرابع ، ٢٢٠٩ ؛ الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، القاهرة ، ١١٨٧ هـ ، ج ٩ ، ص ٢٥١ ؛ أبو الحسن هلال بن المحسن الصابي : رسوم الخلافة ، عنى بتحقيقه والتعليق عليه : ميخائيل عواد ، (دار الرأي العربي ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٦م) ، ص ٩.

(٢) محمد محمود إدريس : رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، ص ١٠٩-١١٠.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣١٦.

(٤) الدواوين : من المصطلحات الديوانية في المتون الخوارزمية ، وخاصة في سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ويستنتج أن الدواوين الماضية مثل ديوان الاستيفاء ، وكذلك ديوان الرسائل والبريد ، وديوان المصاهرات ، وغيرها من الدواوين كانت تقوم بالوظائف السابقة نفسها ، وكان من يكلف برئاسة أعمال هذه الدواوين يطلق عليه «خاجية» أو «خاجية جهان» وهو يطلق بشكل خاص على ديوان الوزارة ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٤.

الشخصية التالية للوزير ، ومن الواجب أن يتصف بالتدين ، والوفاء ،
ومعاملة الناس بالحسنى وبجانب راتب الوزير له كذلك « ١٠٪ » من دخل
البلدة التي يتولى وزارتها.

٢ - ديوان الرياسة «أمور السلطان» :

يرتبط ذلك الديوان بديوان الوزارة ، وتتركز مهامه في حفظ
جميع الأحكام والأوامر الملكية ، ويرأسه عميد الملك^(١).

٣ - ديوان الرسائل «الإنشاء» :

سبق وتحدثنا عن الاتساع الذي وصلت إليه الدولة الخوارزمية^(٢).
التي أصبحت بحكم موقعها ومجاورتها لكثير من الدول والأتابكيات تقوم
بتنظيم العلاقات الخارجية بإرسال مبعوثيها وسفرائها وتبادل المعاهدات
مع القوى المجاورة ، أمثال : القراخطاي والغوريين وغيرهم ومن هنا
جاءت أهمية هذا الديوان الذي اختص بتنظيم تلك الأمور ، وإرسال
الفرمانات الشاهية إلى الأقاليم.

وكان يعرف صاحبه - كما ذكر النسوي في كتابه -
بـ «صاحب ديوان الإنشاء» ويطلق على من يتولى الكتابة لقب «كاتب
الإنشاء»^(٣).

وكان رشيد الدين العمري المعروف بالوطواط أشهر من تولى
رئاسة ديوان الإنشاء ولقد تولاها ما يقارب من سبعة عشر عاماً^(٤). ومن

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٤.

(٢) انظر : الفصل الثاني من الباب الثاني من الكتاب ، ص

(٣) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول «غزو جنكيز خان للعالم

الإسلامي وأثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية» ، ص ٨٣ ؛ محمد بن

أحمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٢ ؛ حسين أمين :

تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، ص ٣٦٧.

(٤) رشيد الدين الوطواط : حقائق السحر في دقائق الشعر ، ص ١٦.

أشهر السفراء في الدولة الخوارزمية كذلك محمد النسوي المؤرخ لحياة السلطان جلال الدين منكبرتي^(١).

• مهام ديوان الإنشاء :

تحرير المراسم ، وكذلك وثائق التولية والعقود والرسائل السرية ، وأيضاً السياسية ، ومن خلال تلك المهام ازدادت أهميته ، وتمثل ذلك في حضوره في مجلس السلطان الذي يعقد للتشاور في الأمور الداخلية والسياسية للدولة^(٢).

وذلك يعنى اختصاص هذا الديوان بالمكاتبات الرسمية للخلافة أو لعمال الولايات^(٣). مما يجعله يختلف بعض الشيء عن ديوان البريد كما سنوضح فيما بعد.

• مساعلو صاحب^(٤). ديوان الإنشاء :

يستعين صاحب الإنشاء بعدد من الكتاب والموظفين لكي يكتمل الشكل الوظيفي لهذا الديوان ومنهم :

أ - كاتب الإنشاء : ويشترط فيه الدقة في التلخيص ، والمهارة في قراءة الخطوط الغريبة ، وحسن العرض للموضوعات ، وغير ذلك من المؤهلات التي تتطلبها الأعمال الكتابية. ومن أهم اختصاصاته : ترتيب الكتب وتلخيصها وعرضها على صاحب الديوان.

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٣.

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : المرجع السابق ، ص ١٦٦.

(٣) فتحى أبو يوسف : خراسان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الحكم الطاهري إلى بداية الحكم الغزنوي ، ص ٢٠٧.

(٤) صاحب : يطلق على رؤساء الدواوين مثل : صاحب ديوان الإنشاء ، وكذلك صاحب ديوان البريد ، ولقد كان من صفات الخواص والعظماء في تلك العصر ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٧.

ب- المراجعون : ومن أعمالهم قراءة كل ما يكتب في الديوان ومراجعته .
وتصفحه ، وذلك قبل مراجعة صاحب الديوان له .

ج- الخطاطون : يختصون بنقل الكتب من سواد النسخة الأولى وتبييضها .

د - الخازن : ذلك الذي يحفظ أصول المكاتبات التي ترسل إلى الديوان ،
وخاصة الأمور الرسمية التي تصدرها الدولة ، وكان يحتفظ بسجل
خاص للمنشورات ليسهل العثور عليها في وقت الاحتياج إليها ،
وكذلك يسهل حصرها^(١) .

هـ - السكرتير : تتركز وظيفته في التسجيل وتنظيم الإحصاء وإعدادها
وإظهار ذلك في السجلات المعينة ، ومن المؤكد وجود مناصب
أخرى ، منها : «منشى النظر» ووظيفته إنشاء قواعد المناظرة
وتسجيلها^(٢) .

٤ - ديوان البريد :

من الدواوين الهامة في أية دولة ، ويقترن بهذا الديوان بعض
المصطلحات الإسلامية مثل صاحب الخبر والنهى وغيرها^(٣) .

ويعرف رئيس ديوان البريد بـ «صاحب البريد» ومقره في
عاصمة الملك ويعد عمل رئيس الديوان من الناحية النظرية من الأعمال
الدقيقة المهمة ، لذا فعليه أن يعهد لمن يعمل معه من أناس لا يرقى إليهم
الشك بأي شكل من الأشكال إلى أيديهم ، وألسنتهم ، وأقلامهم .

وهذا ويربط نظام الملك الطوسي ما بين قوة الدولة الحاكمة ومدى
عنايتها واهتمامها بتتصيب أصحاب الخبر والمنهيين ، ومن اختصاصاته
- أيضاً - اطلاع السلطان على كل الأخبار التي ترد إليه من موظفيه
المنتشرين في كل أنحاء البلاد^(٤) .

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

(٣) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٣١ .

(٤) نظام الملك الطوسي : سياست نامه ، ص ١٢٩ ؛ فتحي أبو سيف : المرجع

السابق ، ص ٢٠٩ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

ولهذا الديوان عمال ونواب على كل الإقاليم لنقل أخبار تلك الولايات والأقاليم التابعة للدولة ، وذلك بكتابة التقارير وإرسالها إلى مركز الدولة حيث صاحب رئيس ديوان الإنشاء التابعين له^(١).

ولديوان البريد محطات يطلق عليها «السكك» تزود بالخيول وراكبيها ، وكل ما يحتاج إليه من أجل السرعة في إرسال تلك الرسائل^(٢).

• وظيفة الرسول «إيلجى» :

وهي من الوظائف المتعلقة بديوان الإنشاء ، وكذلك ديوان البريد ، وهي وظيفة هامة تحتاج إليها الحكومة المركزية وكذلك الولايات والأقاليم من أجل توصيل الرسائل الرسمية ، وكذلك التقارير وأخبار المملكة ، وعلى الرغم من اعتباره منصباً إلا أن هذا المصطلح من الممكن أن يبقى في أسرة لقبا لها^(٣).

٥ - ديوان المشرف :

ويقصد به الإشراف على الأمور المتعلقة بالدواوين ، ويتولى أمر ذلك الديوان مشرف مهمته مراقبة ما يحدث في الدواوين ، وكتابة التقارير للسلطة المركزية إذا احتاج الأمر ذلك ، وله مندوبون في كل الولايات ، ويعنى ذلك تركيز أعماله في مراقبة الأجهزة الحكومية المسئولة عن الأموال الخاصة للأمراء وأوجه الصرف فيها^(٤).

(١) نظام الملك الطوسي : المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ فتحي أبو سيف : المرجع السابق ، ص ٢٠٩.

(٢) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٤٣٧ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف : المرجع السابق ، ص ١٦٨.

(٣) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٨.

(٤) حسن أمين : المرجع السابق ، ص ٣٧٠ ، ملحق رقم (١٨) ، ويذكر أن ذلك الديوان مكمل لديوان الاستيفاء ، وكون هذا المشرف مثل المستوفي ، ويستطيع أن ينوب عنه في كل ولاية نائب بسمي «المشرف النائب» ، وهو بمثابة رئيس التفتيش المالي.

ومن الوظائف المتعلقة بذلك الديوان ما يلي :

أ - وظيفة مهردار : وهو المسئول عن الأختام السلطانية في البلاط الكبير فنظراً لانشغال السلطان عن توقيع بعض الأوامر ، وكذلك مندوبي ومسئولي الدولة الرسميين - حيث يتم إرسالهم في مهمات خاصة - بتصريح أو سند يطلق عليه اسم «بروانكى» وهو بمثابة تصريح مرور بداخل هذا التصريح يسجل اسم الشخص أو المندوب وكذلك وظيفته ، ولكي يكتسب هذا السند صفته الشرعية كانوا يختمونه بالختم السلطاني.

ب- الطشتدار : وقد تحدثنا عنه من قبل^(١).

ج- آبدار : وهم السقاة.

د- دوتدار أو الدوادار^(٢): المسئول عن تحرير الكتابة.

٦ - ديوان الاستيفاء :

وظيفة صاحبه - وذلك بمساعدة معاونيه وموظفيه - حصر أموال من يتولى الولاية أو منصباً كبيراً حيث يكتب هذا الشخص إقراراً على نفسه بالأموال والممتلكات التي في حوزته ، فإذا ما تم عزلهم يتولى المحتسب «والذي سوف نتحدث عنه في وقته» أو المستوفي بحصر

(١) انظر : الفصل الأول من الباب الثاني من الكتاب ، ص ، حاشية

(٢) الدوادار : اسم فارسي مركب من لفظين ، أحدهما عربي وهو الدواة ، والآخر دار ومعناه ممسك ، وصاحب تلك الوظيفة هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير وغيرهما ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من المهمات مثل تبليغ الرسائل من السلطان أو الأمير وإيلاغ عامه الأمور ، وتقديم البريد وغيرهما من المهام ؛ محمد النسوى : المرجع السابق ، ص ٢١٨ ، حاشية (٥) ؛ المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ١٤١ ، حاشية ١ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٥ ، ١٩ ، ٤٦٢ ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

أموالهم ، فإذا ما ثبت حصوله على ذلك المال دون وجه حق تصدر تلك الأموال وتعاد إلى خزانة الدولة^(١).

وذلك يعنى أن من مهام هذا الديوان - بجانب ما سبق - جمع الضرائب ، وضبط دخل الدولة وخارجها ، فهو لذلك اشمل من ديوان الخراج^(٢).

وممن تولى منصب المستوفي في خوارزم «محمد بن منصور أبو سعد المستوفي» الذي لقب بـ «شرف الملك» ، وتوفي عام ٤٩٤هـ / ١١٠٠م^(٣).

• أهم موظفي الديوان صاحب الخزانة «الخاندار أو الخازن» :

وهو المشرف على ديوان المال ، ويساعده في ذلك محاسبون يقومون بتسجيل الوارد والمنصرف من الأموال^(٤). وذلك يعنى أن موارد الدولة كانت عبارة عن تلك الضرائب التي تفرض من قبل السلطان على حكام الأقاليم التابعين للدولة وكانت قيمة تلك الضرائب تختلف من إقليم إلى آخر حسب ثروته ، وإن كان الجزء الأكبر من الضرائب المفروضة على تلك الأقاليم يدخل معظمها في خزانة حكام الأقاليم ، وخاصة في الفترة الأخيرة من الدولة عندما كانت تعاني من الضعف والانهيار^(٥).

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ١٣٦ ؛ عصام الدين عبد الرؤوف : المرجع السابق ، ص ١٦٧.

(٢) فتحى أبو سيف : المرجع السابق ، ص ٢١١.

(٣) ابن الجوزى : المنتظم من تاريخ الملوك والأمم ، ج ٩ ، ص ١٣٨.

(٤) محمد النسوى : المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، ٢٤٩ ، حاشية ٧.

(٥) نظام الملك الطوسي : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٤.

ولقد كان لدى العاملين بديوان الاستيفاء دفاتر مقيد بها أسماء من يدفعون الخراج ، ويسجل أمامهم كذلك كمية الخراج الذي ينبغي عليهم دفعه وما تبقى عليهم ... إلى غير ذلك ، وكان يطلق على تلك الدفاتر اسم «أوارج»^(١).

ويذكر نظام الملك الطوسي أن لكل دولة خزانتي الأولى : يطلق عليها خزانة الأصل ، وهي التي يحول إليها كل الأموال المحصلة من الضرائب وغيرها ، ولا يتم الإنفاق منها إلا في الضرورة القصوى ، أو على سبيل القرض الذي يعاد إليها مرة أخرى ، والثانية : يطلق عليها خزانة الإنفاق.

ولم يكن الملوك ينفقون مما كان يدخل خزانته من دخل الولاية ، وذلك لكي تؤدي النفقات في أوقاتها ، وبالتالي لا يحدث أي خلل أو أي تقصير في أداء العطاءات لذلك تظل الخزانة عامرة دائماً^(٢).

٧ - ديوان الحفظة «الشرطة» :

في البداية نجد أن المهام الدينية ، وكذلك السياسية تحتم على الولاة والأمراء والسلاطين إعداد جيش قوى قادر على حماية أطراف البلاد وفرض سيطرته على ما حوله من المناطق المجاورة ، وتعتمد القوة العسكرية في الدرجة الأولى على القوة البشرية وأكثر المناطق التي تتواجد فيها تلك القوى هي الأقاليم الشرقية الخام البكر ، كما يطلق عليها في منطقة خوارزم وما وراء النهر^(٣).

(١) آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ١٩٢ ؛ فتحي أبو

سيف : المرجع السابق ، ص ٢١١.

(٢) نظام الملك الطوسي : سياست نامه ، ص ٢٩٧.

(٣) قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ١٥٩.

وخاصة أن من السمات المميزة للدولة الخوارزمية أنها دولة عسكرية من الطراز الأول ، استطاعت بقوتها العسكرية البشرية أن تصل إلى أقصى اتساع لها على مدى قرن ونصف القرن تقريباً.

من النقاط الهامة التي نتناولها في ديوان الشرطة ، ما يأتي :

أ - كيفية الانضمام إلى الجيش :

يعد هذا الديوان من أهم الدواوين وأعظمها في الدولة الخوارزمية ، وذلك لكونها دولة عسكرية - كما سبق وذكرنا - من الدرجة الأولى ، حيث أخذ سلاطينها على عاقبتهم توسيع أركان الدولة حتى صارت شاسعة ممتدة الأرجاء. ويختص هذا الديوان بتدبير كل ما يلزم الجيش من أسلحة وذخائر وعتاد وأموال^(١).

أما عن الانضمام إلى هذا الجيش فيتم عن طريق الاندماج في الخدمة العسكرية حباً في الجهاد وسعياً وراء الأجر^(٢). أو عن طريق الرق والشراء بالمال^(٣). وهناك من ينضم إلى الجيش المنظم بمحض إرادته لإثبات فروسيته ، وإن كان ذلك من فحلة الأمراء^(٤).

ب - العناصر البشرية التي يتكون منها الجيش :

يتضح من خلال أسماء القواد العسكريين أن معظمهم من الترك. ودليلنا على ذلك أننا نجد في عهد الأمير أبي الحارث محمد بن علي بن مأمون بن محمد خوارزمشاه قائداً في الجيش الخوارزمي ، وهو «خمارتاش» والذي كان عدد جيشه في ذلك الوقت ما يقارب من ٥٠ ألف فارس^(٥).

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٤.

(٢) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٩١.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٣٩٠.

(٤) الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص ٢٩٢ ؛ قطحان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص ١٥٩.

(٥) المنيني : تاريخ العتبي ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ ؛ البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٧٤٤.

ويقصد بهم - على وجه أوضح وأشمل - القبائل التركية التي كانت تتجمع حول رئيسها وتفعل ما يميله عليها ، وهم جند مرتزقة مأجورون يحاربون مع الجيش الذي يقدم لهم أكثر الأموال ، وكان السبب وراء الاستعانة بهم هو ما كانوا عليه من الجرأة في القتال والاعتزاز بالنفس والكبرياء والاستقلال في الفكر إلى جانب ما كان فيهم من صفات البدو إلى جانب ميلهم إلى السلب والنهب ، وبالتالي فهم في حاجة إلى يد من حديد من أجل السيطرة عليهم ، ومن تلك القبائل نجد : «كجات - جغراق - خفجاق»^(١).

وبالتالي فقد كان جيش المرتزقة هو الدعامة الوحيدة «للعرش» لذا فقد اضطر السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد من أجل مصلحته ومصلحة بلاده أن يمنحهم الأسبقية على العناصر الدينية^(٢).

وبجانب القبائل التركية هناك عنصر آخر كان له تاريخه منذ أن وطئت أقدام العرب إقليم خوارزم ، ألا وهو عنصر الخوارزميين الذين اشتهروا بالمقدرة العسكرية في إقليمهم ومدينتهم خوارزم التي تعتبر من مدن الثغور الهامة التي تحرص على حماية حدودها ، ودليلنا على ذلك ما حدث أيام القائد قتيبة بن مسلم الباهلي عند ذهابه إلى الإقليم ومحاولة فتحه ونشر الدين الإسلامي ، وتثبيت التواجد العربي به ولقد تم له ذلك إلى حد ما ، لذا فقد كان في جيشه الأساسي من العناصر المحلية ، وإن كان لم يحدد عدد من خرج معه من خوارزم بل نمجه مع خرج من بخارا تحت بند العناصر المحلية ، ويتمثل في ٢٠٠٠٠٠ مقاتل تقريباً^(٣).

(١) البيهقي : تاريخ بيهق ، ص ٣٤ ، ٨٨.

(٢) بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٥٣٨.

(٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٤٧٣ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الثالث ، القسم الأول ، ص ١٣٨ ؛

Gibb : the Arab conquest in central Asia, p.48.

• الجيش المركزي «الملكي» :

يتمثل في تلك الفرقة الخاصة بالملك أو السلطان التي تدافع عنه وعن البلاد وفي حالة احتياجهم إلى مدد فليس هناك قوانين لجمع الجيش فيرسلون إلى الأقاليم التابعة لهم ، وفي بعض الأحيان وعند اشتداد الأزمات يتم الجمع لهذا الجيش من الأقاليم المجاورة بصورة إجبارية وتكون السلطة تحت يد الحاكم الأعلى وهو الملك.

ونظراً لكونه الدولة دولة عسكرية من الدرجة الأولى فقد كان الاهتمام كبيراً بتلك الشخصيات التي تتولى تلك المناصب.

الوظائف الهامة في ديوان الشرطة :

أ - القائد الأعلى «صاحب الشرطة» :

يعتبر صاحب الجيش أو «صاحب الشرطة» المسئول عن جيوش الدولة^(١). فيشرف على الأجناد وخيولهم إذا ما خرجوا للقتال ، ولكن يجب إلا نعتقد أن هناك جيشاً ثابتاً قوياً للخوارزميين ، وذلك لاحتوائه على عناصر مختلفة لا يربطها رابط ، لذا لم يثق الخوارزميون في جيشهم كل الثقة ، وكان السلطان في الغالب يقود الجيش بنفسه ، ويلزمه حرسه الخاص به^(٢). وكذلك حامل المظلة.

وعلى الرغم من أن للجيش ديواناً خاصاً به يشرف على شئونه العسكرية وكذلك مهامه الإدارية إلا أن المصادر لم تذكر أية معلومات عن رواتب هؤلاء القواد وجنودهم^(٣).

(١) محمد النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٠٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٤.

(٢) الرواندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص ٥١٢ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٨٥.

(٣) الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج ٤ ، ص ٧٠ ؛ قطحان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص ١٨٢.

ب - وظيفة اسفهلار :

وهو قائد الجيش ويلي في مرتبته مرتبة صاحب الجيش «القائد الأعلى»^(١).

ج - العارض :

من الوظائف الهامة في الجيش ولقد ذكر في المرجع الفارسي صاحب أعلى منصب في الجيش بعد السلطان وذلك يتعارض مع ذكره النسوي المعاصر للدولة كما سبق وأوضح^(٢).

أهم مهامه :

إعداد الخطط الحربية ، وكذلك الإحصاء الدقيق لأفراد الجيش ، ومسئوليته الكاملة عن الأمور المالية للجيش ، إلى جانب صلاحيته لعزل الجنود وتولييتهم وإنقاص أجورهم ورواتبهم^(٣). ولا بد أن يكون ملماً بحوائج الجند ومطالبهم الحربية ، وكذلك أسلحتهم ، وعلى هذا الأساس يطالب خزائن السلاح بإمدادهم بأدواتهم العسكرية ، وغير ذلك من المهمات العسكرية^(٤).

ويقع تحت إشرافه طائفة الفرسان والرجالة تلك التي تقوم بوظائفها كاملة وبالنسبة للجند المؤقتين «الجنود المرتزقة» فكانوا تابعين للحكام المحليين أو زعماء قبائلهم.

(١) أسفهلار : لفظ مركب من لفظين ، الأول فارسي وهو «أسفه» بمعنى المقدم ، والثاني تركي «سلار» ويعني العسكر فيكون معناه مقدم العسكر «أي قائد الجيش» ؛ حسن باشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ص ١٥٦ ؛ النرشخي : تاريخ بخارى ، ص ١٣٢ ؛ قطحان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص ١٧٨.

(٢) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩٠.

(٣) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩٠ ؛ قحطان عبد الستار الحديثي : أرباع خراسان ، ص ١٨٣.

(٤) قحطان عبد الستار الحديثي : المرجع السابق ، ص ١٨٣.

وفي العصر الخوارزمي كان «ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود النسوي» متولياً منصب عارض الجيش أو صاحب الجيش ، كما كانوا يطلقون عليه تلك الصفة الأخيرة^(١).

د - قاضي الجيش :

وتتركز وظيفته في مراقبة الأمور الشرعية للجيش وكذلك رفع المشكلات المذهبية ثم تدرجت بعد ذلك وشملت تنظيم دفاتر الجيش العسكري وشئون المالية حسب الأمور الشرعية وذلك بناءً على القرار الذي أخذه على نفسه من أجل الأمور الشرعية ، ولقد ظل هذا المنصب متواجداً في العصر الخوارزمي ، إلى جانب مسئولياته الملكية المسالفة الذكر ، ومن قضاءه الجيش : صدر الدين خجندی «قاضي الجيش بنيسابور»^(٢).

هـ - مين دار ، يونددار ، واون دار :

من الوظائف الهامة في الجيش ، ويكون تحت إمره الأول «مين دار» ١٠٠٠ شخص ، والثاني «يونددار» ١٠٠ شخص ، أما الثالث «أون دار» ١٠ أشخاص في الجيش تقريباً ويكون الثلاثة متصدين للخاصة وتعتبر وظائفهم تلك عهداً ملكياً وذلك يعنى أن وضعهم في تلك الوظيفة يتم عن طريق السلطان أو من ينوب عنه.

ولقد ظلت تلك المناصب النظامية موجودة في حكومة الترك ، وظل استعمالها حتى عصر قاجار في الشئون الملكية^(٣).

وبجانب ما سبق من الوظائف الهامة في ديوان الشرطة توجد بعض العناصر الأخرى التي يمكن اعتبارها عناصر مساعدة ومساندة بسيطة ، ولكن لا يمكن الاستغناء عنها.

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩٠.

(٢) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩٠.

(٣) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩١.

جريكجى :

وهو من الاصطلاحات العسكرية ، فيكون له مطلق اليد على الجنود الذين يخرجون في الحملات العسكرية ويكون صاحب ذلك المنصب مثل سابقة بعهد ملكى^(١).

نقبجى :

وهم النقبون ، وهو ذلك الشخص صاحب القبضة العليا على القلعة ، إلى جانب جماعة من المهندسين وصانعى وممهدى الطرق المرافقين للجيش ، ولهؤلاء النقبين مساعدون وآلات خاصة بهم^(٢).
الجلاد «جاندان»^(٣).

من الوظائف المهمة بين المناصب العسكرية في دولة خوارزمشاه ، ففي وثيقة تحمل اسم السلطان علاء الدين تكش يرد ذكر ذلك الشخص بين كبار حشم السلطان الخوارزمي ، وفي عهد السلطان علاء الدين محمد كان يعمل بتلك الوظيفة شخص يدعى «إياز» وهو ذلك المكلف بتنفيذ أحكام الإعدام ولقد لقب «جهان بهلوان» أي : «بطل العالم» ، وكانت تحت قيادته فرقة مكونة من ١٠ آلاف فارس^(٤).

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩٢.

(٢) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩٢.

(٣) الجاندارية : لفظة مركبة من لفظين فارسيين ، أحدهما : جان ، ومعناه سلاح ، والثاني : دار ، ومعناه ممسك ، أي «حامل السلاح» وهناك أيضاً وظيفة أمير جاندان السلطان ، تعنى أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ، ويدخل أمامهم في الديوان ؛ المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ١٣٣ ، حاشية (١) ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢ ، ج ٥ ، ص ٤٥٩ ؛ محمد النسوى : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ ، حاشية (٣).

(٤) بارتولد : تركستان من الفتح العربى حتى الغزو المغولى ، ص ٥٣٩.

ويرتبط بتلك الوظائف وأشخاصها نظام :

• الاقطاعات العسكرية :

لقد اتسع نطاق الاقطاعات العسكرية على عهد السلاطين السلاجقة ، ثم ظل معمولاً به في دولة شاهات خوارزم ، وخير مثال على ذلك ما حدث في عهد السلطان علاء الدين تكش ، من وجود أحد القواد والذي تم بتعيينه حاكماً لمدينة «بارجنلفكنت» وكذلك منح قرية من كبريات قرى المقاطعة ، وهي «رباط طغاغيين» عن طريق ديوان الشرطة بمرسوم على سبيل الإنعام.

ومثال آخر : وهو تسلم ابن السلطان الخوارزمي تكش ، وهو الأمير «يغان دغدي» أرض ملك خاصة له معفاة من الضرائب «قرية نوخاس» تلك التي أعلنت بموجب الشرع ملكاً مطلقاً لا صاحب له. وأمثلة أخرى عديدة قد ذكرت لدى محمد النسوي ، ومنها : مقطع ساوه لبهاء الدين لـ «شكر» ومقطع كاشان لـ «نور الدين جبرئيل» ، ومقطع سنان لـ «شامي» وأخيراً مقطع كرج لـ «سيف الدين»^(١).

• بيت السلاح «السلاح خانه» :

وهو يتبع ديوان الشرطة وهو أعظم البيوت وأهمها ، ويتولى أمرها رجل يعرف بـ «السلاح دار» وتتركز مهمة هذا الشخص في حفظ ما يدخل إليها وكذلك ضبط ما يخرج منها مما يتسلمه من أنواع متعددة من السلاح ويقوم بالعمل معه عدد من كبار الصنائع الذين يعملون بإصلاح الأسلحة وإعدادها^(٢).

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ ؛ بارتولد : المرجع السابق ، ص ٥٣٩.

(٢) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء الثامن ، ص ٢٢٧ ؛ محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٦ ، حاشية (١) ، ص ١٤٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٤.

• جريدة لشكر «جريدة الجيش» :

وهي جريدة خاصة لاستقصاء الأمراء النظامي ، وتعداد الجنود الموجودين في الجيش وتثبيت أسمائهم في هذه الجريدة ، ويقيد بها أسماء الأفراد الحاضرين وكذلك الغائبين ، وواقع الوفيات ، والفارين وغير ذلك من الأعضاء الدائمين ، وكذلك رسوم الجيش في العاصمة أو «دار الملك» ، ومراكز أخرى مختلفة.

ولقد كان هذا السجل مهيباً للعمل على الدوام ، حيث يحفظ في الإدراج لحين إرساله في وقت التعهد ، أو إرساله للملكية ، ويدون بها أيضاً مقدار العلوفات والتجهيزات والتداركات وهناك أمور أخرى مرتبطة بالجيش ومن هذه المشاغل الخاصة بالاصطبل والمربين والأفراد الموجودين في خدمة ذلك^(١).

٨ - ديوان الحسبة «الحساب أو الاحتساب» :

يرتبط نظام الحسبة عند الخوارزميين بنظامهم القضائي «والذي سوف نتحدث عنه فيما بعد».

وتتمثل مهام هذا الديوان في المحافظة على النظام في الشوارع والأسواق ومحاسبة من يخرج عن الشريعة الإسلامية ، وكذلك تحديد أسعار الأشياء ومنع الغش وأحكامه تكون علنية^(٢).

المحتسب «والى الحسبة ومهامه» :

وهو موظف يتم تعيينه عن طريق الخليفة أو الوزير أو القاضي من أجل النظر في شئون الحسبة في الدولة الإسلامية^(٣). وكذلك بشكل

(١) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٩١.

(٢) سهام مصطفى أبو زيد : الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي ، تقديم : سيدة إسماعيل الكاشف : (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م) ، ص ١٠٥.

(٣) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ١٧٢ ؛ سهام مصطفى أبو زيد : المرجع السابق ، ص ١٠٥.

محدود النظر في شئون الرعية ، وذلك بما يتوافق مع الشرع وبنهاهم
عمنا يخالف أعمالهم سواء الدنيوية ، وكذلك الدينية ، وهو ما ليس من
اختصاص الولاية والجباه والقضاة ، ويدخل في نطاقه الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر في كل ما يتعلق بالمسلمين في الأسواق ومجتمعاتهم
وعلاقاتهم ببعضهم البعض.

ويقع على عاتقه أيضاً تعيين من يراه مناسباً لذلك من الأعوان
والأنصار^(١). كذلك مراقبة حركة البيع والشراء وذلك من خلال صحبته
لبعض رجال الشرطة في الأسواق من أجل مراقبة المكاييل والموازين ،
لضبط من يحاول الغش فيها ، ويشمل ذلك مراقبة المأكولات المختلفة ،
ويوقع العقوبات على من يبيع طعاماً فاسداً ، كذلك المحافظة على النظام
في الأسواق ، وذلك بأن يحول دون بروز الحوانيت في طرقاتها مما
يعوق نظام المرور^(٢). إلى جانب نظره في تلك القضايا التي تتعلق بالنظام
العام ، وأيضاً الجنايات ، وهي التي يحتاج الفصل فيها إلى السرعة ،
وهذا يخالف اختصاصات القاضي الذي يقوم بفض المنازعات التي ترتبط
بالدين بوجه عام^(٣).

الشروط الواجب توافرها في المحتسب :

أ - أن يكون مؤمناً ، مكلفاً من أولى الأمر حتى يشعر أنه يؤدي واجبه
على الوجه الأكمل ويحاسب إذا قصر في أداء واجبه ، ولكن في
حالة عدم تكليفه لا يكون ملزماً بالقيام بالأمر والنهي ولا يجد من
يحاسبه.

(١) محمد النسوى : المرجع السابق ، ص ١٧٢ ، حاشية (١) ؛ مهام الدين مصطفى
أبو زيد : المرجع السابق ، ص ١٠٥.

(٢) حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٣٥٥ ؛ حافظ
أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٥.

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ٣١٦ ؛ حافظ أحمد
حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٥.

ب - أن يكون قادراً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذا رأي وصرامة وأن يكون أمره عن علم ومعرفة وفقه بالدين وبأحكام الشريعة وذلك لكي يعلم ما يأمر به وينهى عليه الحسبة.

ج- أن يكون عارفاً بكل أنواع المهن والوظائف والحرف ، خبرة في الموازين والمكاييل ، وذلك لكي يتوصل إلى حل مع الباعة في حالة الغش والتدليس ، ويتمكن من التمييز ما بين الصحيح وغير الصحيح يتصف بالعفاف والثقة عفيفاً عن أموال الناس وهداياهم.

د - أن يكون قاصداً في قوله وفعله وجه الله تعالى وطلب مرضاته ، خالص النية ، شيمته الرفق ، لين القول طلق الوجه بشوش ، حسن الخلق عند أمره للناس ونهيه لهم ، فذلك أبلغ لاستماله القلوب متأنياً غير مبادر في العقوبة ، وبالتالي لا يؤاخذ أحد من أول ذنب يصدر منه ، ولا يعاقب بأول ذلة.

هـ- وأخيراً يكون متحلياً بالحلم والصبر على ما يصيبه من الأذى ، مواظباً على سنن الرسول ، وذلك من حيث الطهارة والنظافة في أداء الفرائض والواجبات^(١). ولقد تولى الفقيه الفاضل «عالي الدين الخياطي» وظيفة المحتسب في خوارزم^(٢).

أعوان المحتسب :

نظراً لتضخم واجبات المحتسب الدينية والاقتصادية ، وكذلك الصحية وبالتالي يكون له الحق في اتخاذ المساعدين والأعوان ، وهو

(١) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ، (الطبعة الأخيرة منقحة ومضبوطة وفيها زيادات ، للقاهرة ، دت) ، ج ١٩ ، ص ٣٢-٣٣ ؛ رشيد الدين اللوطواط : مجموعة رسائل اللوطواط ، ج ١ ، ص ٨٠ ؛ سهام مصطفى أبو زيد : الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي ، ص ١٠٦-١٠٩.

(٢) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال منكبرتي ، ص ١٧٢.

الوحيد الذي له الحق في تعيينهم وفي بعض الأحيان يطلق عليهم العرفاء أو النواب^(١).

ويتم اختيار من توفر فيهم الخبرة في الصناعة أو التجارة وله الحق أيضاً في أن يتخذ عيوناً في الأسواق لتوصيل الأخبار إليه متضمنة أحوال السوق والتجار والصناع هذا ومن واجب المحتسب أن يعرفهم كيف يتصرفون ويعملون إذا أرادوا طلب أحد التجار حيث يجب عليهم ألا يرسلوا في استدعائه إلا بعد مشاورة المحتسب إلى جانب عدم أخباره بسبب طلبه للحضور. ومن حقه أن يحاسبهم إذا أخطأوا ويكون راتبهم من بيت المال نظير تلك الأعمال التي يقومون بها^(٢).

٩ - ديوان الأوقاف :

يتولى أمر هذا الديوان شخص يطلق عليه «مهتم الأوقاف» ويندرج تحت هذا الديوان المؤسسات الدينية والخيرية ، ومنها المدارس والمكتبات والمستشفيات ، حيث يصرف عليها من خلاله ، وكانت الحكومة علاوة على ذلك تخصص مبلغاً محدداً كل عام لتتفق منه على المرافق العامة لرفاهية الناس.

١٠ - ديوان القضاء :

نظراً لأهمية القضاء وديوانه في الدولة الخوارزمية فقد عين الخوارزميون في كل مدينة قاضياً يحكم بين الناس حسب الشريعة الإسلامية ، وإن كان الأمر يختلف في المدن الكبرى ، والتي تشمل على أكثر من مذهب بين سكانها ، لذا فقد عين الخوارزميون أكثر من قاض حتى يتناسب ذلك مع تعدد المذاهب^(٣).

(١) حسن إبراهيم حسن ، على إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ٣٥٥ ؛ سهام مصطفى أبو زيد : المرجع السابق ، ص ١٢٥.

(٢) سهام مصطفى أبو زيد : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، ١٢٨ - ١٢٩.

(٣) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٧٧ ، حاشية (٧) ؛ حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٥ ؛ محمد أحمد الحوفي : الزمخشري ، ص ٢٥.

• صفات القاضي :

النجابة ، والزهد ، والورع ، والتدين ، والعفة ، والإقبال على العلم الرفيع وتجنب مواضع الآثام ، والعدل^(١).

• مهام القضاة :

يعتبر القاضي هو الحكم في القضايا المذهبية ، وإصدار الأحكام الشرعية ، وأيضاً كل ما يتعلق بالإرث والزواج ، وفي بعض الأحيان يمكن أن يكون القاضي خطيباً إذا دعت الظروف إلى ذلك ، وخاصة أن الخطباء يتولون الوعظ والإرشاد والخطابة. وكان بداخل البلاط السلطاني خطباء من أجل إنشاد الشعر وقراءة الرسائل ، وكان الخطيب يتمتع في الولايات بسلطات أكبر ومن أشهر هؤلاء «برهان الدين صدر جهان» الذي كان له شهره كبيرة وطيبة.

وفي بعض الأحيان تكون الصلات طيبة ما بين القاضي ورئيس الناحية والبعض يتمردون على حاكم المدينة.

وهناك إشارة في الدولة الخوارزمية إلى قاضي المنطقة ، وكذلك قاضي المدرسة ؛ وهو من يقوم بتدريس العلوم الدينية في المدارس والمساجد^(٢).

ومن قضاة خوارزم : «صاعد بن إسماعيل بن صاعد» والمقلب بـ «أبي العلاء الخطيب» ، من أهل نيسابور ، توفي عام ٥٠٦/١١١٢م^(٣).

(١) رشيد الدين الوطواط : مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ، ط ١ ، القاهرة ،

١٣١٥ هـ ، ج ١ ، ص ٧٩.

(٢) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٢٩ ؛ مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ،

ص ٢٨٨.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك ، ج ٩ ، ص ١٧٢.

رئيس ديوان القضاء «قاضي القضاة» :

ويشترط فيه أن يكون على درجة عالية في فهم أمور الدين وأحكامه وكان أغلب من شغل تلك المناصب فقهاء المذهب الفقهية المعروفة من شافعية وحنفية ومالكية وحنبلية^(١). ومثال على ذلك القاضي «صدر الدين محمد بن الوزان» رئيس الشافعية بمدينة الري ، والذي عينه السلطان علاء الدين تكش^(٢).

كذلك ينظر في القضايا الخاصة ذات الأهمية العظمى في الدولة مثل نظرة في تعسف عمال الولايات وجورهم ، وخاصة إذا لم ينظر فيها أمراء تلك الدولة^(٣).

أما عن بقية الجهاز القضائي فنجده يمارس مهامه في تلك القضايا التي تعرض عليه ، حيث يمكن تصنيفها إلى : قضايا تتعلق بالدولة وشئون مالياتها ، مثل : امتناع شخص عن دفع الخراج أو بعض الضرائب ، حيث يحكم القاضي بإجباره على الدفع أو السجن ، وقضايا أخرى تتعلق بحدود الدين ، وفيها يأمر القاضي بإقامة الحدود ، وأخرى تتعلق بالمعاملات بين الناس حيث يعتمد القضاة فيها على الشهود العدول من أجل الوصول إلى البيئة التي هي أساس الحكم^(٤).

١١- ديوان المظالم :

ويرتبط بديوان القضاء السابق ، وهو هيئة قضائية عليا «تشبه في الوقت الحاضر محكمة الاستئناف» ويطلق على رئيس ديوان المظالم «صاحب المظالم» وسلطته أعلى بكثير من سلطة القاضي^(٥).

(١) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ٧٧ ، حاشية (٤) ؛ بارتولد : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ص ٢٣٢ ؛ فتحى أبو زيد : المرجع السابق ، ص ٢١٠.

(٢) الرواندي : المصدر السابق ، ص ٥٣٤.

(٣) فتحى أبو سيف : المرجع السابق ، ص ٢١٠.

(٤) فتحى أبو سيف : المرجع السابق ، ص ٢١١.

(٥) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ٣١٤ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٨٦.

أما بالنسبة للقضايا الكبرى التي لها أهمية قصوى فيتولى السلطان أمرها وينظر فيها في أغلب الأمور بنفسه حيث يعرضها عليه رجل يدعى «القصة دار» وذلك كل ليلة جمعة من كل أسبوع^(١).

ثالثاً : حكام الأقاليم :

لقد عهد شاهات خوارزم بحكم الأقاليم التابعة لدولتهم إلى رجال قد أطلق على الكثير منهم لقب الوزير ، وهم حكام لتلك الأقاليم ، هذا ولقد كان الوزراء في تلك الأقاليم تسند إليهم الوزارة ، وهي إقطاعات خاصة بهم ، ومنحة من السلطان لهم فيستولون على دخلها وتكون لهم بمثابة الضيعة إلى جانب مرتباتهم^(٢).

ونجد وزير تلك المقاطعة ملزماً بالدفع لخزانة الدولة سنوياً عشر خراج الإقليم الذي يحكمه^(٣).

وهناك مصطلحات خاصة بحكام الأقاليم ، ومنها : الرئيس : وهو حاكم المنطقة الذي تم انتدابه رسمياً للحكومة في الولايات والأقاليم ، وكان واجبهم تنظيم الأمور العامة الإدارية والعسكرية ، وخاصة فيما يتعلق بالعاصمة الأم ، ومن هؤلاء في العصر الخوارزمي : رئيس أصفهان «صدر الدين خجندی».

وذلك يعنى أنه منصب من المناصب الهامة في الدولة ، إلى جانب أنه يمكن أن يطلق اسم «الرئيس» على حاكم المدينة أيضاً ، ومن المحتمل أن يكون لديه رخصة بجمع أموال الجباية من المدينة^(٤).

(١) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٦.

(٢) محمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٨١ ، حاشية ٣ ،

ص ١٤٩ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ، ص ٨٢.

(٣) محمد النسوي : المرجع السابق ، ص ١٥٣ ؛ حافظ أحمد حمدي : المرجع السابق ،

ص ٨٢.

(٤) مريم ميرأحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٦.

كذلك من الوظائف المتعلقة بحكام الأقاليم وظيفة صاحب «أي الأمير» أو الشخص الاقطاعي المسئول عن حكم تلك الولاية ، ومن الممكن أن يكون مندوباً عن الدولة ، أو عن جيش في الولاية ، لذا فقد كان نفوذه ممتداً ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها : صاحب بلخ «عماد الدين» وصاحب ترمذ «ملك بهرامشاه» ، وصاحب باميان «علاء الدين»^(١).

وكل ما سبق - بالنسبة لتلك الوظيفة - يدل على مدى الاتساع الذي وصلت إليه تلك الدولة ، ولكن ما إن زالت هيبة الدولة أصبح حكام الأقاليم شبه مستقلين عن السلطان ، لا يبعثون إليه إلا النذر القليل ، ونجد السلطان ليس أمامه في تلك الحالة إلا الموافقة مجبراً.

ومن الممكن أن يكون هناك سبب آخر لتصرف حكام الأقاليم هذا ، وهو أن الدولة كانت تجمع الأموال من البلاد التي تدخل تحت أيديهم بحد السيف ، سواء أكانت تلك البلاد قد دخلت تحت حكم الخوارزميين المباشر أم تلك التي ترك فيها الخوارزميون حكامها في مناصبهم وذلك نظير جزية سنوية مثل : أتابكي فارس وآذربيجان^(٢).

يتضح من خلال عرضنا السريع لنظم الحكم والإدارة في الدولة الخوارزمية أنها إلى جانب كونها دولة عسكرية من الدرجة الأولى استطاعت بجيوشها توسيع أملاكها - أيضاً - أنها دولة امتازت بسلطين عظام اهتموا إلى حد كبير بشئون الدولة الداخلية من خلال تعيين موظفين لهم مكانتهم ومساندين للسلطان الخوارزمي «رأس الدولة» في كل شئونها ، ومن خلال كذلك مجموعة من الدواوين لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقامت بمعالجتها وترتيب أمورها فظهرت دولة قوية ذات كيان متماسك ما يقارب قرن ونصف القرن.

(١) مريم مير أحمدي : المرجع السابق ، ص ٢٨٧.

(٢) حافظ أحمد حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٨٤.

الخاتمة

الختمة

نختتم تلك الدراسة ببعض النتائج الآتية :

١- تمتع تلك المنطقة ، وخاصة خوارزم بموقع جغرافي ممتاز ، فعلى الرغم من تطرفها وبرودتها الشديدة إلا أنها منطقة وصل ، ونقطة تلاقي لأغلب الطرق التجارية سواء الآتية من الهند أو السند ، وكذلك تمتعها بكثرة الثروات سواء أكانت زراعية أم حيوانية أم معدنية إلى حد ما لقلة المعادن بها إذا ما قورنت ببلاد الصغد.

٢- امتازت أيضاً بالتعدد الجنسي لسكانها وهم الفرس من الجنس الآري القديم ، والذي كان له دور واضح وجلي في التاريخ المبكر لتلك المنطقة ، حيث اعتمدوا في تاريخهم على تأريخ الفرس ، وظلوا على ذلك حتى اقتدوا بتأريخ المسلمين ، ثم الترك ، وخاصة الترك الخوارزميين الذين جاهدوا من أجل تلك الإمارة ، وتمتع هؤلاء بقدرات عسكرية فائقة الحد قد ظهرت بصورة جلية منذ مقدم القائد العربي قتيبة بن مسلم الباهلي لإقليم خوارزم واستعانت بهم في فتحه لبعض مدن ما وراء النهر.

ثم العرب وتواجههم في خوارزم أثناء الفتوحات العربية ، وبقائهم في تلك المنطقة ، عن طريق الحامية العسكرية العربية ، والتي كانت البذرة الأولى لهذا التواجد العربي ، ثم توافدهم للتجارة حرفتهم الأولى ، وكذلك الموقع الجغرافي وأهميته لهم ، ثم رسوخ ذلك التواجد العربي إلى حد ما من خلال مجموعة الولاة العرب الذين تولوا أمر تلك المنطقة في عهد الأمويين ، وكذلك العباسيين، وفي عهدهم بدأ العنصر الفارسي يستحوذ على زمام الأمور والنفوذ والمكانة الأولى ، وحرصهم على إقامة دول مستقلة مع احتفاظهم بتبعيتهم الاسمية للخلافة العباسية في بغداد ، وبجانب ما سبق وجود طوائف أخرى عديدة منها اليهود والمسيحيين وما بينهما من تجانس.

٣- كذلك تمتع سكان تلك المنطقة وخاصة الفرس بمقدرتهم وبراعتهم في الزراعة ، وكذلك الرعى وتغلبهم على الظروف الجوية القاسية وخلق مناخ جديد خاص وملامح لزراعة بعض المحاصيل ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل نجد تفوقهم في تصنيع المادة الخام وتحويلها لصناعات متعددة يشترك في صناعاتها النساء والرجال باعتبارها مصدر دخل لهم ، ولتغطية احتياجاتهم ويصدر الفائض منها للبلدان المجاورة.

٤- ظهور بعض الكيانات شبة المستقلة في خوارزم ، والتي لم تعطها المصادر السابقة حقها في الدراسة ومنها تلك الأسر التي تحدثنا عنها على مدار البحث سواء أكانت المأمونية والألتونناشية وأمراء كل من الأسرتين وأحداثهما السياسية ودورهم المباشر في نشأة الدولة الخوارزمية وبداية قيامها.

٥- امتاز أمراء تلك الكيانات السياسية وكذلك سلاطين الدولة الخوارزمية بسيرهم على سياسة واحدة وهدف واحد متمثل في رغبتهم في الحصول على استقلال دولتهم وإنهاء تبعيتها لتلك الدول التي تعاقبت عليها سواء غزنوية أو سلجوقية ، ونجاحهم في تحقيق ذلك الهدف بقيام دولة شاهات خوارزم واستمرارها ما يقارب قرن ونصف القرن تقريباً.

٦- كذلك حرص سلاطين الدولة على اتباع سياسة الود والتعاون مع الدول المجاورة وذلك حتى تقوى شوكتهم ، ثم تتحول إلى حرب وصراعات وبعد جهاد طويل تصل إلى هدفها المرسوم وهو الاستقلال وفرض النفوذ على تلك الدول ولقد اتضح ذلك بصورة جلية من خلال علاقاتهم - على سبيل المثال - بدولة القراخطاي ،

فكانت بدايتها تتسم بالود والتعاون وذلك منذ عهد الأمير آتسر الخوارزمي ، وكذلك ابنه من بعده وهو السلطان أيل أرسلان وبقية سلاطينها حتى عهد علاء الدين محمد الذي استولى في النهاية على أراضيهم بالرغم من ذلك التعاون الذي كان بينهما في بداية عهده.

٧- من أهم السمات والصفات التي امتاز بها سلاطين تلك الدولة كونهم رجالاً عسكريين من الدرجة الأولى اتضح ذلك من خلال عنصرين ، أولهما : حرصهم الشديد والأکید على قيادة الجيوش ، فهو القائد العام والمخطط والمطاع في أوامره يسانده في تلك الأمور قائد الجيش والتابع له ، والعنصر الآخر : ويتمثل في ذلك الاتساع الذي وصلت إليه تلك الدولة من خلال جهودهم.

٨- حرصهم الشديد على استمرار علاقاتهم الأكيدة مع الخلافة العباسية في بغداد من أجل صبغ الدولة بالصبغة الشرعية والروحية ، ولقد ظهر ذلك بصورة جلية من خلال تبادل الهدايا والخلع من كل من الطرفين ثم ما لبثت أن تبدلت الأحوال بين الخليفة الناصر لدين الله والسلطان الخوارزمي تكش ومن بعده السلطان علاء الدين محمد ، وذلك لسببين الأول : وهو سوء فهم كل منهما للآخر وتصرفه معه ، والآخر تدخل الحاقدين الذين وشوا لكل منهما برغبة الآخر في التخلص من الثاني ، حتى وصلت الأمور إلى ذروتها في أواخر عهد السلطان علاء الدين محمد ، وإن كانت في بدايتها اتسمت بالود والتعاون وتبادل المرسلات والرسل ولكن لعدة أسباب سبق وذكر في متن الكتاب مهدت السبيل للسلطان الخوارزمي لإعداد حملة اتجهت إلى بغداد طمعا في ملك العباسيين وعاصمتهم ، وفشله الذريع في ذلك وندمه على ما اقترفه في حق الخلافة والخلفاء.

٩- كان السلطان الخوارزمي على رأس الجهاز الإداري المركزي الذي يديره ويتحكم في كل صغيرة وكبيرة من بلاطه إلى جانب وجود شخصيات لها وزنها تقوم بدور عظيم في إدارة الدولة وتابعين للسلطان الأعظم في البلاط السلطاني.

هذا ويتضح من خلال تناولنا لنظم تلك الدولة أنهم إداريون من الدرجة الأولى ، فعلى الرغم من قلة المادة العلمية المعالجة لنظم الحكم والإدارة والتي لم تذكر في الدراسات السابقة إلا في دراسة حافظ أحمد حمدي بإشارات بسيطة لا تتعدى صفحتين حول ذلك ، فقد وقفنا إلى حد ما في تغطية ذلك الجانب من خلال الإشارات التي ذكرت في المراجع والمصادر العربية والفارسية والتي وفقت في تغطية ودراسة ذلك الجانب. والتي تمثلت في مجموعة الموظفين الإداريين التابعين للسلطان الخوارزمي صاحب الحق المطلق في كل نظم الدولة ، وكذلك مجموعة الدواوين التي ظهرت وتجلت في تلك الدولة ، والتي تدل على مدى براعة سلاطينها ورجالها ، وذلك من خلال تخصيصهم لكل جانب من جوانب الدولة ديوانا خاصا يتولى شئونها ، ومتولى أمره شخص يكون رئيس ذلك الديوان ، يساعده مجموعة من الموظفين البارعين في إدارة تلك الدولة ، مما ساعد على صبغ الدولة بالصبغة الإدارية ، فصارت بجانب قوتها العسكرية واهتمامها بضرورة توسيع أرجائها دولة ذات نظم إدارية منسقة صارت جنبا إلى جنب مع الجانب الآخر.

١٠- لقد كان للنساء «الملكات» دور واضح في تلك الدولة ، وهو يتجلى في أمرين ، أولهما : الشخصية القوية لهن وكذلك تسلطنهن الشديد في بعض الأمور مثلما حدث مع زوجه السلطان عثمان خان حاكم سمرقند وابنه علاء الدين محمد خوارزم شاه وتصميمها على قتل زوجها الذي أهانها بزواجه من ابنه ملك القرخطاي والآخر : هو

حسن تصرفهن في بعض الأمور البسيطة الشكل الجوهرية
المحتوى مثلما فعلت ترکان خاتون عند استقبالها لرسول الخطا من
أجل الحصول على الفدية السنوية المقررة عليهم.

١١- تمتع ذلك الإقليم بازدهار ثقافي واسع المدى ، وذلك من خلال تلك
السمة التي امتاز بها هؤلاء السلاطين وهي اهتمامهم البالغ بالعلم
والعلماء ، واحتواء بلاطهم على نخبة لا بأس بها من العلماء في
مختلف التخصصات ، مثل : الطب والهندسة والرياضيات والفلك
والعلوم العقلية ، وكذلك العلوم النقلية.

ولقد كان لذلك الازدهار أسبابه ، منها ما ذكرناه سالفاً من اهتمام
سلاطين تلك الدولة بالعلم والعلماء ، موقعها الجغرافي الممتاز ، وما تمتع
به من حماية طبيعية ، وكذلك التنوع البشري والتجانس فيما بينهما ، وما
ترتب على ذلك التنوع والاختلاط من تبادل الثقافات واللغات والإنتاج
العلمي وخاصة ما بين الفرس والعرب وحرص كل منهما على تعلم لغة
الآخر وترجمة أعماله كذلك.

كذلك تلك الدول التي تعاقبت على إقليم خوارزم وذلك منذ عهد
السامانيين الذين اهتموا بالثقافات العربية والعمل على نشر الإسلام ، ومع
تعاقب تلك الدول تعاقبت الثقافات المتعددة ، وصارت تلك التيارات
المتنوعة داخل الإقليم.

كذلك حرص السلاطين العظام على تثقيف الطبقة العامة من
الشعب ، لكي تيسر لهم فرصة نشر العلم والتعلم بين الناس لذا أنشأوا
المدارس في المدن الرئيسية وكذلك دور الكتب ، والتي يدرس بها نخبة
من العلماء والأدباء الذين كان لهم دور واسع في ازدهار الحياة الثقافية
في ذلك الإقليم وهو ما سوف نفرده له حديثاً خاصاً في دراسة قادمة أن
شاء الله.

وبعد فهذه هي أهم النتائج التي خرج بها البحث بعد دراسته.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

- ابن الأثير

: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، «ت ١٢٣٣/هـ ٦٣٠» .

١- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦/هـ ١٩٦٦م .

٢- اللباب في تهذيب الأنساب ، عن نسخة الخزانة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ .

- الإدريسي

: أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس بن يحيى بن علي الحمودي الحسيني ، «ت ١١٦٦/هـ ٥٦٠» .

٣- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- الإصطخرى

: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، «ت ٩٥١/هـ ٣٤٠» .

٤- المسالك والممالك ، مجلد ١ ، بيريل ١٩٣٧م .

- الأصفهاني

: حمزة بن الحسن

٥- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، د.م ، د.ت .

- الأنطاكي

: داود بن عمر «ت ١٠٠٨هـ / ١٤١٨م».

٦- تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب
العجائب ، دسم ، الطبعة الأخيرة ،
١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.

- بدر الدين العيني

: شيخ المحمدي أبو محمد محمود بن أحمد
بن موسى ابن الحسين بن يوسف بن محمود
بن أحمد

٧- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ،
حققه وقدم له : فهم محمد شلتوت ،
راجعه : محمد مصطفى زيادة : دار
الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة
، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

- ابن بطوطة

: أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي ،
«ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م».

٨- تحفة النظار في غرائب الأمصار
وعجائب الأسفار ، شرحه وكتب
هوامشه : طلال حرب : دار الكتب
العلمية الطبعة الثانية ، بيروت ،
١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- البغدادي

: عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفراييني
التميمي ، «ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م».

٩- الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي
الدين عبدالحميد : المكتبة العصرية ،
ط ١ ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

- البلاذري

: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ، «ت
٢٧٩هـ/٨٩٢م».

١٠- فتوح البلدان ، حققه وشرحه وعلق
على حواشيه وأعد فهرسه وقدم له :
عبدالله أنيس الطباع ، وعمر أنيس
الطباع : بيروت ، لبنان ،
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- البيروني

: أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي ،
«ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م».

١١- الآثار الباقية عن القرون الخالية ، دار
صادر ، بيروت ، ١٩٢٣م.

- الثعالبي

: أبو منصور عبد الملك ،
«ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م».

١٢- التمثيل والمحاضرة ، تحقيق : محمد
عبد التفاح محمد الحلو ، دار إحياء
الكتب العربية ، القاهرة ،
١٣٨١هـ/١٩٦١م.

١٣- يتيمة الدهر ، ج ٤ ، ط ١ ، القاهرة ،
١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

- الجاحظ

: أبو عثمان عمرو بن بحر البصري ،
«ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م».

١٤- التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق :
أحمد زكي باشا : القاهرة ،
١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

١٥- التبصر بالتجارة في وصف ما
يستطرف في البلدان من الأمتعة
الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر
الثمينة ، مكتبة الخانجي ، ط٣ ،
القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤.

١٦- فضائل الترك «رسائله» ، أبو الفتح بن
خاقان وزير المتوكل وما اختصوه من
الشجاعة وعلو الهمة وحسن البلاء في
خدمة الإسلام ، القاهرة ، ١٨٩٨م.

- الجواليقي

: أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن
الخضر ، «ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م».

١٧- المعرب من الكلام الأعجمي على
حروف المعجم ، تحقيق وشرح :
أحمد محمد شاكر ، دار الكتب ، ط٢ ،
القاهرة ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

- ابن الجوزي

: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن
علي القرشي ، «ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م».

١٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار
صادر ، ط١ ، بيروت ، ١٣٥٨هـ.

- حاجي خليفة

: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الحنفي
الشهير بكاتب جليبي ،
«ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م».

١٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب
والفنون ، أربعة مجلدات ، دار الفكر
، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

- الذهبي

: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن
عثمان بن قايمار ابن عبدالله التركماني
الأصل الدمشقي الشافعي ،
«ت ١٣٤٧/٥٧٤٨ - ١٣٤٨م».

٢٠- العبر في خبر من غير ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، بغداد ، د.ت ، ج ٣
؛ تحقيق : فؤاد سيد : الكويت ،
١٩٦١م ، ج ٤ ؛ تحقيق : صلاح الدين
المنجد : الكويت ، ١٩٦٣م.

٢١- تاريخ دول الإسلام ، جزءان ، وهو
محقق على ترتيب السنين منتهي إلى
٧٤٠هـ ، ثم ذيله السخاوي إلى ١٠٩
ذيلا مختصرا وسماه الذيل التام لدول
الإسلام ، مدينة حيدر أباد ، ط ١ ،
١٣٣٧هـ.

- ابن حزم

: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن
غالب الأندلسي ، «ت ٤٥٦/١٠٦٤م».
٢٢- جمهرة انساب العرب ، باريس ،
١٩٤٨م.

- الحسيني

: صدر الدين علي بن ناصر.
٢٣- زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك
السلجوقية ، تحقيق : محمد نور الدين
، دار اقرأ ، الطبعة الأولى ، بيروت ،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الحميري : محمد بن عبد المنعم ،
«ت ٩٠٠/١٥٠٠م».

٢٤- الروض المعطار في خير الأقطار
«معجم جغرافي» ، حققه : إحسان
عباس : مؤسسة ناصر للثقافة ،
الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م.

- ابن حوقل : أبو القاسم محمد النصيبي البغدادي الموصل
«ت ٣٦٧/٩٧٧م» ،

٢٥- صورة الأرض ، مجلدان ، ط ١ ،
ببريل ، ١٩٣٨م.

- ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة ،
«ت ٢٧٢/٨٨٥م».

٢٦- المسالك والممالك ، دار صادر ، ط ١ ،
بيروت ، ١٨٨٩م.

- ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ولي
الدين التونسي الاشبيلي المالكي ،
«ت ٤٠٦/٨٠٨م».

٢٧- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام
العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من نوي السلطان الأكبر ، علق عليه
: شكيب أرسلان : بيروت ،
١٣٣٥/١٩٣٦م.

- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن
أبي بكر ، «ت ٦٨١/١٢٨٢م».

٢٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،
المجلد الثالث ، دار الثقافة ، بيروت ،
لبنان ، ١٩٧٠م ، المجلد الرابع ، دار
الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١م.

- الخوارزمي : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف ،
«ت ٩٧٧/٣٨٧هـ»

٢٩- مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق ، ط ١ ،
القاهرة ، ١٣٤٢هـ.

- خليفة بن خياط : «ت ٢٤٠/٨٥٤هـ»

٣٠- تاريخ خليفة بن خياط ، حققه وقدم له
: أكرم ضياء العمرى : جزءان ،
مطبعة الآداب في المتحف الأشرفي ،
ط ١ ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

- الديار البكري : حسين بن محمد بن الحسن ،
«ت ٩٦٦هـ/١٥٥٨م».

٣١- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ،
ج ٢ ، القاهرة ، ١٢٨٣هـ.

- الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود ،
«ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م».

٣٢- الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم
عامر : راجعة : د/ جمال الدين
الشيال : بغداد ، بدون تاريخ.

- ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر ،
«ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م».

٣٣- الأعلق النفيسة ، المجلد السابع ،
طبعة بيريل ، ١٨٩١م.

- الرواندى

: محمد بن على بن سليمان

٣٤- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ
الدولة السلجوقية ، نقلة للعربية :
إبراهيم أمين الشواربي ، وعبدالنعيم
محمد حسنين ، وفؤاد عبد المعطى
الصياد ؛ مراجعة ونشر : إبراهيم
أمين الشواربي : مؤسسة الثقافة
الجامعية ، ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

- الزبيدي

: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق
الحسينى ، «ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م» .
٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس ،
القاهرة ، ١١٨٧هـ .

- الزركلى

: خير الدين الزركي .

٣٦- الأعلام «قاموس تراجم لأشهر الرجال
والنساء من العرب والمستعربين
والمستشرقين» ط ٢ ، د.م ، د.ت .

- الزهري

: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر «توفي أواسط
القرن السادس الهجرى»

٣٧- كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد حاج
صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت .

- ابن الساعى الخازن

: أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين ، «ت
١٢٧٤هـ / ١٢٧٥-١٢٧٦م

٣٨- الجامع المختصر في عنوان التواريخ
وعيون السير ، عنى بنسخة ونشره
وإصلاح تصحيحه وتعليق حواشيه
وعمل فهرسه : مصطفى جواد :
المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ،
١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م.

- السبكي

: تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن
عبد الكافي ، « ٧٧١هـ / ١٣٦٩م »
٣٩- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد
التفاح محمد الحلو ومحمد محمود
الطناحي : ط ١ ، القاهرة ،
١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م.

- السيوطي

: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،
« ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م » .
٤٠- تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محيى
الدين عبد الحميد : مطبعة المدنى ،
ط ٤ ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

- أبو شامة

: شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن
إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي .
٤١- الروضتين في أخبار الدولتين النورية
والصلاحية رواية الشيخ الإمام مجد
الدين أبي المظفر يوسف بن محمد بن
عبدالله الشافعي سمعا عنه ، نشر
وتحقيق : محمد حلمي محمد أحمد :
ج ١ ، القاهرة ، ١٢٨٧هـ .

- الشهرستاني : أبو الفتح عبد الكريم ،
«ت ٥٤٨/١١٥٣م».
- ٤٢- الملل والنحل ، جزءان ، مكتبة المثنى
، بغداد ، د.ت.
- شيخ الربوة : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب
الأنصاري الصوفي الدمشقي ،
«ت ٧٢٧/١٣٢٧م»
- ٤٣- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ،
بتربورغ ، ١٢٨١/١٨٦٥م.
- الصابي : الحسين بن هلال بن المحسن بن إبراهيم
الصابي الكاتب ، «ت ٤٤٨/١٠٥٦م».
- ٤٤- تاريخ أبي الحسين هلال بن المحسن
بن إبراهيم الصابي الكاتب ، ج ٨ ،
القاهرة ، ١٣٣٧/١٩٨٩م.
- ٤٥- رسوم دار الخلافة ، عنى بتحقيقه
والتعليق عليه : ميخائيل عواد : دار
الرائد العربي ، ط ٢ ، بيروت ، لبنان
، ١٤٠٦/١٩٨٦م.
- ابن صاعد الأندلسي : أبو القاسم صاعد بن أحمد.
- ٤٦- طبقات الأمم ، بيروت ، ١٩١٢م.
- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك ،
«ت ٧٦٤/١٣٦٣م»
- ٤٧- الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، اعتناء
س.ديدرنيغ : ط ٢ ، ١٤٠١/١٩٨١م
، اعتناء س.ديدرنيغ : الطبعة الثانية ،
د.ت.

- الطبري

: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ،
«ت ٩٢٣/٥٣١٠م».

٤٨- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد
أبو الفضل إبراهيم ، ط٤ ، منقحة
ومعدلة ، ١٩٦٥م.

- ابن العبري

: أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس بن
هيارون الملطبي السرياني ،
«ت ١٢٨٦/٥٦٨٥م».

٤٩- تاريخ الزمان «نصوص ، دروس ،
المجموعة التاريخية» ، نقلة للعربية
الأب إسحق أرملة : قدم له الأب
الدكتور/جان موريس فييه : دار
المشرق ، بيروت ، لبنان ، ١٩٤٩-
١٩٥٦م.

٥٠- تاريخ مختصر الدول ، دار المشرق ،
ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٢م.

- ابن عربشاه

: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالله
الدمشقي الانصاري.

٥١- عجائب القدور في أخبار تيمور ، ط١
، القاهرة ، ١٢٨٥هـ

- ابن العماد الحنبلي

: أبو الفلاح عبدالحى بن أحمد بن محمد
الدمشقي الصالحى الحنبلى ،
«ت ١٠٥٦/٥٤٤٨م»

٥٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،
٥ أجزاء ، الطبعة الثانية منقحة ،
بيروت ، ١٣٩٩/١٩٧٩م.

- ابن غازي الحلبي

: جمال الدين أبو الحسن علي بن الفقيه الإمام
أبي منصور ظافر بن الحسين الأزدي ،
«ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م».

٥٣- أخبار الدول المنقطعة «تاريخ الدولة
العباسية» ، مكتبة الدار ، المدينة
المنورة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- الفارقي

: أحمد بن يوسف بن علي الأزرق
٥٤- تاريخ الفارقي ، حققه وقدم له : بدوي
عبداللطيف عوض ، بيروت ، د.ت.

- أبو الفداء

: عماد الدين إسماعيل ، «ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م»
٥٥- تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ،
د.ت.

٥٦- المختصر في أخبار البشر ، ٣ أجزاء
، المطبعة الحسينية ، د.ت.

- ابن فضلان

: أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن
حماد ، «ت ٣٩٠هـ / ٩٩٩م».

٥٧- رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة
إلى بلاد الترك والخزر والروس
والصقالبة ، حققها وعلق عليها وقدم
لها سامي الدهان ، دار صادر ،
بيروت ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م.

- ابن الفقيه

: أبو بكر أحمد بن محمد ، «ت
٢٩٠هـ / ٩٠٣م»

٥٨- مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ،
بيريل ، ١٣٠٢هـ / ١٨٩١م.

- قدامة بن جعفر

: «ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م».

٥٩- نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ،
وهو مذيّل في نهاية كتاب ابن
خرداذبة «المسالك والممالك» ،
بيروت ، ١٨٨٩م.

- القرمانى

: أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد
الدمشقي ، «ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م».
٦٠- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ،
بيروت ، د.ت.

- القزوينى

: زكريا بن محمد بن محمود ، «ت
٦٨٢هـ/١٢٨٣م».
٦١- آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ،
١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

- القلقشندي

: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله
، «ت ٨٢١هـ/١٤١٨م».
٦٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،
نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية
ومذيلة بتصويبات واستداركات
وفهارس تفصيلية مع دراسة وإفية ،
المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والطباعة والنشر والترجمة ، د.ت.
٦٣- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب
، دار الكتب العربية ، بيروت ، لبنان
، د.ت.

- ابن كثير

: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ،

«ت ٥٧٧٤/١٣٧٣م»

٦٤- البداية والنهاية في التاريخ ، ط ١ ،

بنفقة المطبعة السلفية ، ومطبعة

السعادة ومكتبة الخانجي ،

١٣٥١/١٩٣٢م.

- الماوردي

: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري

البغدادى ، «ت ٤٥٠/١٠٥٨م».

٦٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،

بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥/١٩٨٥م.

٦٦- الوزارة - أدب الوزير ، تحقيق :

محمد سليمان داود ، وفؤاد عبدالمنعم

أحمد : دار الجامعات المصرية ،

١٣٩٦/١٩٧٦م.

- العظيمي

: أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن أحمد

بن نزار التتوخي الحلبي ، «ت

٥٣٢/١١٣٨م»

٦٧- تاريخ العظيمي ، باريس ، ١٩٣٨م.

: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ،

«ت ٣٤٥/٩٥٦م»

- المسعودي

٦٨- التتبيه والأشراف ، عني بتصحيحه

ومراجعته عبدالله إسماعيل الصاوي ،

بغداد ، ١٣٥٧/١٩٣٨م.

٦٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط ١ ،
بيروت ، ١٩٨٢م.

- مسكويه

: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الخازن
الرازي الأصل الاصبهاني المسكن ، «ت
٤٢١/١٠٣٠م».

٧٠- تجارب الأمم ، ج ٢ ، القاهرة ،
١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

- مطهر بن طاهر : «ت ٥٠٧/١١١٣م».
المقدسي

٧١- البدء والتاريخ ، اعتنى بنشره
وترجمته من العربية إلى الفرنسية :
كلمان هوار ، ١٩٠١م ، طهران ،
١٩٦٢م.

- المقدسي

: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف
بالبشاري ، «ت ٣٧٥/٩٨٥م»

٧٢- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،
الطبعة الثانية ، بيريل ، ١٩٠٦م.

- المقرئ

: تقي الدين أحمد بن علي ، «ت
٨٤٥/١٤٤٢م».

٧٣- السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه
 ووضع حواشيه : محمد مصطفى
زيادة Ph. d ، الجزء الأول ، القسم
الأول ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

- ابن منظور

: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم
الخيرجي الإفريقي ، «ت ٧١١هـ/١٣١١م».

٧٤- لسان العرب ، المجلد التاسع والعاشر
، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت
، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

- المنيني

: أحمد بن علي بن عمر بن صالح بن أحمد
بن سليمان بن إدريس بن إسماعيل ابن
يوسف بن إبراهيم الحنفي الطرابلسي الأصل
المنيني المولد الدمشقي المنشأ
٧٥- الفتح الوهبي في شرح تاريخ أبي
نصر العتبي ، جزءان ، د.م ، د.ت.

- مؤلف مجهول

٧٦- حدود العالم من المشرق إلى المغرب ،
تحقيق : يوسف الهادي ، الدار الثقافية
للنشر ، ط ١ ، القاهرة ،
١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- ابن النديم

: أبو الفرج محمد بن إسحق ،
«ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م».

٧٧- الفهرست ، دار المعارف للطباعة
والنشر ، تونس ، سوسة ، د.ت.

- النسوي

: محمد بن أحمد ، «ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م».

٧٨- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ،
تحقيق ونشر : حافظ أحمد حمدي :
دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م.

- النويري

: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ،
«ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م».

٧٩- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ١ ،
٨ ، ١٠ ، ١١ ، القاهرة ، وزارة
الثقافة والإرشاد القومي ، نسخة
مصورة عن طبعة دار الكتب ،
المؤسسة المصرية العامة للنشر
والتأليف والترجمة والطباعة ، د.ت ،
ج ٢٦ ؛ تحقيق : محمد فوزي العنتيل
، مراجعة : محمد طه الحاجري :
الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
القاهرة ، ١٤٠٥/١٩٨٥ م ، ج ٢٧ ؛
تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ،
ومراجعة : محمد مصطفى زيادة ،
وفؤاد الصياد : الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٥/١٩٨٥ م.

: زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن أبي
الفوارس على المعري الحلبي ، «ت
١٣٤٨/٥٧٤٩ م».

- ابن الوردي

٨٠- تاريخ ابن الوردي ، د.م ، جزءان ،
١٢٨٥/١٨٦٨ م.

: رشيد الدين محمد العمري الكاتب البلخي ،
«ت ١١٧٧/٥٥٧٣ م».

- الوطواط

٨١- مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط
، جزءان ، الطبعة الأولى ، القاهرة ،
١٣١٥ هـ.

- ياقوت الحموي

: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله
الحموي الرومي البغدادي ، «ت
١٣٢٩/هـ ١٢٢٧م».

٨٢- المشترك وضعاً والمفترق صقلاً ،

مكتبة المثنى بغداد ، بدون تاريخ.

٨٣- معجم الأدباء ، ج ١٩ ، الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات ،

القاهرة ، د.ت.

٨٤- معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، دار

صادر ، بيروت ، ١٣٧٦/هـ ١٩٥٧م.

: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن

- اليعقوبي

واضح الكاتب ، «ت ٢٧٨/هـ ٨٩١م»

٨٥- البلدان ، طبعة بيريل ، ١٨٩١م.

٨٦- تاريخ اليعقوبي ، مجلدان ، بيروت ،

د.ت.

ثانياً : المراجع

١- المراجع العربية

- آدم متر

١- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع

الهجري ، نقلة للعربية : محمد عبد

الهادي أبو ريدة ، جزءان ، القاهرة ،

١٣٦٠/هـ ١٩٤١م.

- أحمد أمين

٢- فجر الإسلام ، الهيئة المصرية العامة

لكتاب ، ١٩٩٦م.

٣- ظهر الإسلام ، ج ٤ ، الطبعة الأولى ،
القاهرة ، ١٩٥٥م.

- أحمد السعيد سليمان

٤- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات
الحاكمة ، جزءان ، دار المعارف ،
القاهرة ، د.ت.

- أحمد شلبي

٥- كيف تكتب بحثاً أو رسالة ، ط ٢ ،
القاهرة ، ١٩٥٤م.

٦- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة
الإسلامية ، ج ٣ ، ط ٨ ، القاهرة ،
١٩٨٥م.

- أحمد عطية الله

٧- القاموس الإسلامي ، المجلد الأول ،
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،
١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

- أحمد محمود الساداتى

٨- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية
وحضاراتهم ، الجزء الأول من الفتح
العربي حتى قيام الدولة المغولية ، ٨٩-
٩٣٢هـ/٧٠٧-١٥٢٦م ، مكتبة الآداب ،
القاهرة ، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

- إدوارد بروى

٩- موسوعة تاريخ الحضارات العام ،
المجلد الثالث ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٤م.

- إسعاد عبد الهادى قنديل

١٠- فنون الشعر الفارسي ، دار الأندلس ،
ط٢ ، بيروت ، لبنان ،
١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.

- أسعد السحرانى

١١- الصابئة ، الزرادشتية ، اليزيدية ، دار
النفائس ، ط١ ، بيروت ،
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

- أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكى

١٢- تاريخ الأدب الجغرافي ، ترجمة
صلاح الدين عثمان مجلدان ، القاهرة
، ١٩٦٣م.

- بدر الدين حي الصيني

١٣- العلاقات بين العرب والصين ، القاهرة
، ١٩٥٠م.

- بدرى محمد فهد

١٤- تاريخ العراق في العصر العباسي
الأخير ، ٥٥٢-٦٥٦هـ / ١١٥٧-
١٢٥٨م ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ،
١٩٧٣م.

- بديع محمد جمعة

١٥- دار سات في الأدب المقارن ، ط٢ ،
بيروت ، ١٩٨٠م.

١٦- من روائع الأدب الفارسي ، دار
النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط٢
، بيروت ، ١٩٨٣م.

- بروكلمان

١٧- تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله
للعربية : نبيه أمين فارس ، ومنير
بعلبكي : ط٥ ، بيروت ، ١٩٦٨م.

- بطرس البستاني

١٨- كتاب دائرة المعارف ، «قاموس عام
لكل فن ومطلب» ، المجلد الرابع ،
مطبعة المعارف ، بيروت ، ١٨٨٠م.

- بوكشيشيفسلي

١٩- جغرافية الاتحاد السوفيتي ، الطبعة -
السكان - الاقتصاد ، بإشراف :
كازانسكي ، دار التقدم ، موسكو ،
١٩٧٦م.

- جرجي زيدان

٢٠- تاريخ التمدن الإسلامي ، مطبعة
الهلل ، القاهرة ، ج١ ، ١٩٠٢م ؛
ج٢ ، ١٩٠٣م ؛ ج٣ ، ١٩٠٤م ؛ ج٤
، ١٩٠٥م ؛ ج٥ ، ١٩٠٦م.

- حافظ أحمد حمدي

٢١- الدولة الخوارزمية والمغول «غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية» ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

٢٢- الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠م.

- حسين إبراهيم حسن

٢٣- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس ، (٢٣٢-٥٤٤٧هـ/٨٤٧-١٠٥٥م) ، ج ٢ ، ط ٣ ، القاهرة ، بدون تاريخ ؛ ج ٣ ، ط ٧ ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

- حسن أحمد محمود

٢٤- الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م.

- حسن الباشا

٢٥- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، جزءان ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧م.

- حسين أمين

٢٦- تاريخ العراق في العصر السلجوقي ،
بغداد ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

- حسين مجيب المصري

٢٧- من أدب الفرس والترك ، القاهرة ،
١٩٥٠م

- حسين مؤنس

٢٨- ابن بطوطة ورحلاته ، تحقيق ودار
سة وتحليل : دار المعارف ، القاهرة ،
بدون تاريخ.

- زامباور

٢٩- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في
التاريخ الإسلامي ، تأليف : زكى
محمد حسن ، سيدة إسماعيل الكاشف
، حسن أحمد محمود ، حافظ أحمد
حمدي : دار الرائد العربي ، بيروت ،
بدون تاريخ.

- زبيدة عطا

٣٠- الترك في العصور الوسطى «بيزنطة
وسلاجقة الروم والعثمانيون» ، دار
الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ.

- زكى محمد حسن

٣١- الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي
، مكتبة دار الكتب المصرية ، القاهرة
، ١٩٤٠م.

- سبرت ، و ، أرنولد توينبي

٣٢- الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة للعربية :

حسن إبراهيم حسن ، عبدالمجيد

عابدين ، إسماعيل النحراوي : القاهرة

، ١٩٤٧م.

- سعد بن محمد بن حذيفة مسفر الغامدى

٣٣- أوضاع الدول الإسلامية في الشرق

الإسلامي ، ٥٧٥-٦٢٩هـ/١١٨٠-

١٢٣١م ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ،

الرياض ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٤- سقوط الدولة العباسية «دارسة جديدة

لفترة حاسمة من تاريخ أمتنا الإسلامية

٥٤٩-٦٥٦هـ/١١٥٤-١٢٥٨م»

- سعد زغلول عبدالحميد

٣٥- تاريخ المغرب العربي من الفتح

العربي إلى بداية عصر الاستقلال

«ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب» ،

منشأة دار المعارف ، الإسكندرية ،

١٩٧٩م.

- سلطان طرنحيم المذهن السرحانى

٣٦- جامع أنساب قبائل العرب ، دار الثقافة

، قطر ، الدوحة ، د.ت.

- سميرة عبد السلام عاشور

٣٧- تاريخ الفرس الأسطوري عند الطبري

والفردوسي ، الإسكندرية ، ١٩٩٣م.

- سهام مصطفى أبو زيد

٣٨- الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح
العربي إلى نهاية العصر المملوكي ،
تقديم سيدة إسماعيل الكاشف : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م.

- السيد أحمد بن زيني دحلان

٣٩- الدول الإسلامية بالجدول المرضية ،
القاهرة ، ١٣٠٦هـ.

- السيد الباز العريني

٤٠- المغول ، دار النهضة ، بيروت ،
١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- شاهين مكاريوس

٤١- تاريخ إيران ، القاهرة ، ١٨٩٨م.

- شكري فيصل

٤٢- حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول
الهجري «دارسة تمهيدية لنشأة
المجتمعات الإسلامية» ، دار الكتاب
العربي ، القاهرة ، ١٣٧١هـ/١٩٤١م.

- شيرين عبد النعيم حسنين

٤٣- مسلمو تركستان والغزو السوفيتي من
خلال التاريخ والأدب ، القاهرة ،
١٩٨٥م.

- طه ندا

٤٤- دارسات في الشاهنامه ، دار الطالب
، الإسكندرية ، ١٩٥٤م.

٤٥- فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية
، بيروت ، ١٩٧٥م.

٤٦- النصوص الفارسية ، دار المعارف ،
الإسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م.

- عبد السلام عبد العزيز فهمي

٤٧- تاجيكستان : ماضيها وحاضرها ،
القاهرة ، ١٩٩٦م.

٤٨- كوروش الكبير ، مؤسسة
الإمبراطورية الهخامنشية ، القاهرة ،
١٩٧٢م.

- عبد العزيز الدوري

٤٩- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن
الرابع الهجري ، بغداد ، ١٩٤٨م.

- عبد المنعم ماجد

٥٠- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور
الوسطى ، الطبعة الرابعة ، مزيدة
ومنقحة ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

٥١- التاريخ السياسي للدولة العربية ،
الطبعة الثانية ، مزيدة ومنقحة ،
القاهرة ، ١٩٦٠م.

- عبد النعيم محمد حسنين

٥٢- الإيرانيون القدماء ، دار الرائد العربي
، القاهرة ، ١٩٧٤م.

٥٣- سلاجقة إيران والعراق ، ط ٢ ،
القاهرة ، ١٣٨٠هـ / ١٩٧٠م.

- عصام الدين عبد الرؤوف

٥٤- تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا
في العصر التركي ، دار الفكر العربي
، القاهرة ، ١٩٧٥م.

- عفاف السيد صبرة

٥٥- التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ،
القاهرة ، ١٣٠٨هـ / ١٩٨٧م.

- علي إبراهيم حسن ، وحسن إبراهيم حسن

٥٦- النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة
المصرية ، ط ١ ، القاهرة ،
١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.

- علي الشابي

٥٧- الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ،
تونس ، ١٩٦٥م.

- عم رضا كحالة

٥٨- معجم المؤلفين «تراجم مصنفى الكتب
العربية» ، مكتبة المثنى ، دار إحياء
التراث العربى ، بيروت ،
١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.

- فاسيلي فلاديمير وفنش بارتولد

٥٩- تركستان من الفتح العربى حتى الغزو
المغولى ، نقله عن : الروسية :
صلاح الدين عثمان هاشم ، أشرف
على طبعه قسم التراث العربى ،
الكويت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- فتحى أبو سيف

٦٠- خراسان : تاريخها السياسي
والحضاري من سقوط الحكم الطاهري
إلى بداية الحكم الغزنوي ، القاهرة ،
١٩٩٤-١٩٩٥ م.

- فؤاد عبدالمعطي الصياد

٦١- دار سات في الحضارة الإسلامية
«التقاء الثقافتين العربية والفارسية» ،
القاهرة ، ١٩٧٩ م.

- فون كريمر

٦٢- الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها
بالمؤثرات الأجنبية ، تعريب :
مصطفى بدر : دار الفكر العربي ،
القاهرة ، ١٩٤٧ م.

- ف. وستفاد

٦٣- جدول السنين الهجرية بلياليها
وشهورها بما يوافقها من السنين
الميلادية بأيامها وشهورها ، ترجمة :
عبدالمنعم ماجد ، عبد المحسن
رمضان : مكتبة الانجلو المصرية ،
القاهرة ، ١٩٨٠ م.

- فيليب حتى ، د. إدوارد جرجي ، د. جبرائيل جبور

٦٤- تاريخ العرب المطول ، ج ٢ ، دار
الكشاف للطباعة والتوزيع ، ط ٢ ،
١٩٥٠ م.

- قحطان عبدالستار الحديثي

٦٥- أرباع خراسان المشهورة ، وزارة
التعليم والبحث العلمي ، جامعة
البصرة ، ١٩٩٠م.

- كي لسترنج

٦٦- بلدان الخلافة الشرقية ، نقلة للعربية :
كوركيس عواد ، بشير فرنسيس :
مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ،
١٤٠٥هـ / ١٩٥٨م.

- مسيو ماسبيرو

٦٧- تاريخ الشرق ، ترجمة : أحمد زكي
بك : الطبعة الأولى ، بولاق ،
١٣١٤هـ / ١٨٩٧م.

- مجمع اللغة العربية

٦٨- المعجم الوسيط ، قام بإخراجه إبراهيم
مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ،
وحامد عبد القادر ، ومحمد علي
النجار ، وأشرف على طبعه : عبد
السلام هارون : ج ١ ، القاهرة ،
١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

- محمد أحمد الحوفي

٦٩- الزمخشري ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ.

- محمد جمال الدين سرور

٧٠- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق
من عهود نفوذ الأتراك إلى منتصف
القرن الخامس الهجري ، دار الفكر
العربي ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

- محمد علي حيدر

٧١- الدويلات الإسلامية في المشرق ،
القاهرة ، ١٩٧٤م.

- محمد فريد وجدي

٧٢- دائرة المعارف القرن ١٤ ، ٢٠ ، ج ٩
، الطبعة الثانية ، ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.

- محمد محمود إدريس

٧٣- تاريخ العراق والشرق الإسلامي خلال
العصر السلجوقي الأول الطبعة الأولى
، ١٩٨٣م.

٧٤- رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ،
ط ١ ، القاهرة ، ١٩٨٣م.

- محمد موسى هنداوي

٧٥- سعدي الشيرازي شاعر الإنسانية
«عصره ، حياته ، ديوانه البوستان» ،
مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥١م.

- نعيم زكي فهمي

٧٦- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين
الشرق والغرب في أواخر العصور
الوسطى ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، ١٩٧٣م.

- هارولد لامب

٧٧- جنكيزخان إمبراطور الناس كلهم ،
ترجمة : بهاء الدين نوري : بغداد ،
بدون تاريخ.

- هند حسين عطية

٧٨- الأدب العربي في إقليم خوارزم منذ
الفتح العربي ٩٣هـ حتى سقوط الدولة
الخوارزمية ٦٢٨هـ ، بغداد ، ١٩٧٦م.

- ول ديورانت

٧٩- قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدار
ن ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة ، ١٩٥٠م.

ب - المراجع المعربة عن الفارسية

- إدوارد جرانفيل براوان

١- تاريخ الأدب في إيران ، تعريب :
إبراهيم أمين الشواربي ، جزءان ،
مطبعة السعادة ، القاهرة ، جزءان ،
١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

- آرثر كريستسن

٢- إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة :
يحيى الخشاب : دار النهضة العربية ،
بيروت ، ١٩٤٦م.

- أرمنيوس فامبري

٣- تاريخ بخارى ، ترجمة : أحمد محمد
الساداتي ؛ مراجعة وتقديم : يحيى
الخشاب : المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،
١٨٧٢م.

- إقبال عباس الأشتياني

٤- تاريخ إيران بعد الإسلام : من بداية
الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة
الفاجارية ، ٢٠٥-٨٢٠هـ / ١٣٤٣-
١٩٢٥م ، نقله عن الفارسية وقدم له
وعلق عليه : محمد علاء الدين منصور
؛ راجعه : السباعي محمد السباعي : دار
الثقافة للنشر والتوزيع ،
١٤١٠هـ / ١٩١٠م.

- البيهقي

: أبو الفضل محمد بن حسين ،
«ت ١٠٧٧هـ / ١٠٧٧م»

٥- تاريخ نصر الدين محمود بن سبكتكين
وسماه الناصري «تاريخ بيهق» ، ترجمه
للعربية يحيى الخشاب وصادق نشأت ،
مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،
١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.

- خواندمير

: غياث الدين بن همام الدين الحسيني ،
«ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م»

٦- دستور الوزراء ، تأليف وترجمة وتعليق
: حربي أمين سليمان ؛ تقديم : فؤاد عبد
المعطي الصياد : الهيئة المصرية العامة
للكتاب ، ١٩٨٠م.

- ميرخواند

: محمد بن خواند شاه ،
«ت ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م»

٧- روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك
والخلفاء ، تاريخ الدولة الطاهرية
والصفارية والسامانية وآل بويه
والإسماعيلية والملاحدة ، ترجمه عن
الفارسية وعلق عليه وقدم له : أحمد عبد
القادر الشانلي : راجعه وقدم له :
السباعي محمد السباعي : الدار المصرية
للكتاب ، الطبعة الأولى ،
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

- دونالد ولبر

٨- إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة :
عبد النعيم حسنين : دار الكتاب المصري
، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية ،
بدون تاريخ .

: «ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م»

- عطا ملك الجويني

٩- جهان گشا ، سلسلة تاريخ المغول ،
ترجمة : السباعي محمد السباعي : دار
الزهراء للنشر ، القاهرة ،
١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

- ف. بارتولد

١٠- تاريخ الترك في آسيا الوسطى ،
ترجمة : أحمد السعيد سليمان ؛ راجعه
: إبراهيم صبري : مكتبة الأنجلو
المصرية ، القاهرة ،
١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

١١- تاريخ الحضارة الإسلامية ، نقلة إلى
العربية : حمزة طاهر ، وقدم له :
عبد الوهاب عزام : ط ٢ ، القاهرة ،
١٩٥٢م.

- ف هايد

١٢- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في
العصور الوسطى ، عربيه عن
الفرنسية : أحمد محمد رضا ؛
مراجعة وتقديم : عز الدين فودة : ج ١
، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
١٩٨٥م.

- الغردیزی

: أبو سعيد عبد الحی بن الضحاک بن
محمود «ت ٤٤٢-٤٤٣/هـ ١٠٥٠-١٠٥١م»
١٣- زين الأخبار ، ترجمة : عفاف السيد
زيدان ، ط ١ ، ١٤٠٢/هـ ١٩٨٢م.

- محمد التونجي

١٤- المعجم الفارسي الذهبي «فرهنگ
طلاتی» ، دار العلم للملايين ، الطبعة
الثانية ، ١٩٨٠م.

- محمد دبیر سیاقی

١٥- سلطان جلال الدين خوارزمشاه ،
ترجمة : حربي أمين سليمان : تهران
، د.ت.

- ناصر خسرو علوي

: «ت ١٠٨٨/٥٤٨١م».

١٦- سفر نامه ، ترجمة : يحيى الخشاب ؛
تصدير : عبدالوهاب عزام : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، الطبعة
الثانية ، ١٩٩٣م.

- النرشخي

: أبو بكر محمد جعفر ، «ت ٩٥٩/٥٣٤٨م»
١٧- تاريخ بخارى «ذخائر العرب» ،
عربة عن الفارسية وقدم له وحققه
وعلق عليه : أمين عبدالمجيد بدوى ،
ترجمة : نصر الله مبشر الطرازي :
دار المعارف ، القاهرة ،
١٣٨٥/١٩٥٦م.

- النظامى العروضى السمرقندى

١٨- جهار مقالة ، المقالات الأربع في
الكتابة والشعر والنجوم والطب ، نقله
للعربية عبد الوهاب عزام ، يحيى
الخشاب : الطبعة الأولى ،
١٣٦٨/١٩٤٩م.

- نظام الملك الطوسي

: «ت ١٠٧٩/٥٤٧٢م».

١٩- سياست نامه ، ترجمة وتعليق : السيد
محمد العزاوي : دار الرائد العربي ،
القاهرة ، ١٩٧٥م.

- الوطواط

: رشيد الدين محمد العمري الكاتب البلخي.
٢٠- حدائق السحر في دقائق الشعر ، نقله
لأول مرة للعربية مع تعريب مقدماته
وتوضيح حواشيه : إبراهيم أمين
الشواربي ، القاهرة ،
١٣٦٤/١٩٤٥م.

ج- المراجع الفارسية

- استاذ خليلي

۱- سلطان غزنويان ، د.م ، د.ت.

- حبيب الله شمالوئي

۲- تاريخ ايران از ماد تا بهلوي ، د.م ، د.ت.

- حمدالله بن ابي بكر بن احمد بن نصر مستوفي للقزويني

۳- تاريخ گزيده ، بسعي واهتمام إيوارد
بروان انگليسي ، المجلد الاول ، دار
السلطنة ، لندن ، ۱۳۲۸هـ/ ۱۹۱۰م.

- خواندمير : غياث الدين بن همام الدين الحسيني ،
«ت ۹۴۲هـ/ ۱۵۳۵م»

۴- حبيب السير في أخبار أفراد البشر ،
المجلد الثاني ، ج ۴ ، تهران ، ۱۳۵۳هـ.

- رشيد الدين فضل الله : «ت ۷۱۸هـ/ ۱۳۱۸م».

۵- جامع التواريخ «نكر تاريخ آل
سلجوق» به تصحيح وتحشيه : محمد
روشت ، مصطفى موسى : المجلد
الثاني ، الجزء الخامس ، تهران ،
۱۳۷۳هـ.

- علي اكبر دهخدا

۶- دائرة المعارف فارس ، تهران ،
دانشگاه طهران ، دانشكده ابيات وعلوم
إنساني ، ۱۳۴۹م.

- قاضي منهاج سراج : قاضي القضاة صدر الدين جهان أبو عمرو
منهاج الدين بن عثمان بن سراج الدين بن
عمر

٧- طبقات ناصري ، المجلد الأول ، د.م ،
١٣٤٢هـ.

- محمد حسين بن خلف تبريزي متخلص ببرهان
٨- برهان قاطع ، تهران ، المجلد الأول ،
١٣٤١هـ.

- مريم ميراحمدي

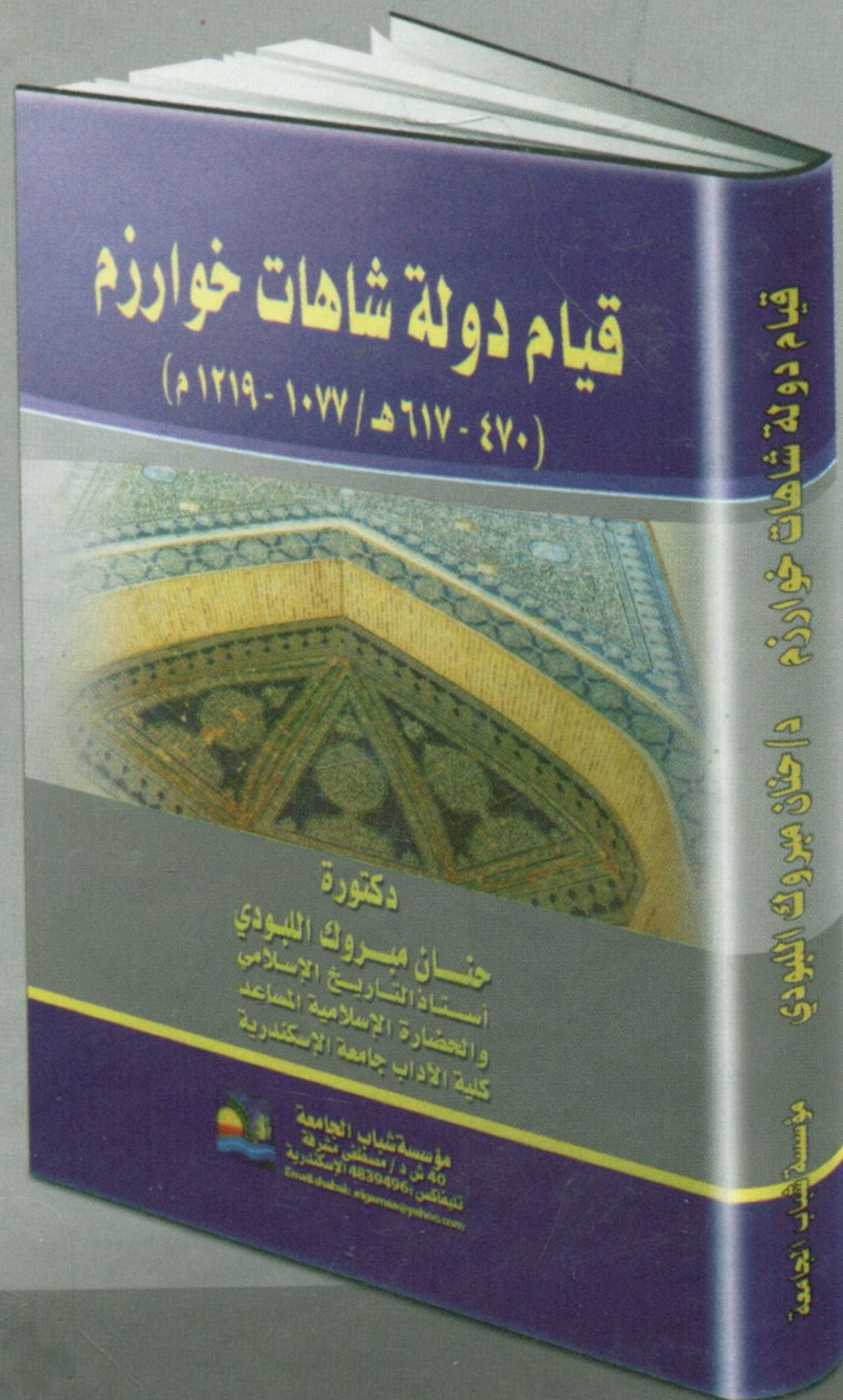
٩- نظام حكومت ايران در دوران اسلامي
پژوهشی در تشکيلات اداري کشوری
ولشکری ايران از صدر اسلامي تا عصر
مغول ، مؤسسة مطالعات وتحقيقات
فرنيکی ، د.ت.

- ميرخواند : محمدين سيد برهان الدين خواند شاه
«ت ٩٠٣هـ / ١٤٦٧م»
١٠- تاريخ روضة الصفا ، از انتشارات
کتابفروشيهای ، ١٣٣٩هـ.

د- المراجع الأجنبية

- (1) Lewis (Bernard), the Arabs In History, London, 1950.
- (2) Brigadier. general, Sir Percysykes, Persia, Oxford, 1922.
- (3) _____ A History of Persia, vol. 11, London, 1921.
- (4) Bosworth (C. E.), the Islamic dynasties, vol. 5, press, 1893.

- (5) Gibb, (H. A. R.), M. A, the Arab Conquests In central Asia, London, 1923.
- (6) _____ Mohammedanis-man Historical survey, London, n.d.
- (7) H. Howorth, Henry, (F. S. E), History of the Mangols from the 9th to the 19th century , London 1876.
- (8) Ibrahim Kafeso Glu, Hakkidu Rsum Yildiz Erdo GammerciL and Mehamet Saray , A short History of Turkish Islamic State Excluding the Ottomen State , Ankara, 1994.
- (9) John Malcolm, (K. C. B, K. L. S), the History of Persia from the most early Period to the Present time, vol. 1, London 1815.
- (10) Wellhausen (J.), Translated by Margaret Grahanweir, M. A, Calcmitta, the Arab Kingdom and its fall, n. p.1927.
- (11) Czaplicka (M. A.), the Turks of centraL Asia In History and at the Peresentday,Oxford, 1918.
- (12) Frye (R. N.), the Cambridge History of Aran, the Reriod from the Arab Invasion to the Saljuqs, vol., 1975.
- (13) Dozy (R P. A.), dictionnaire de Taille dis noms des vetements (Amsterdam, 1845).
- (14) Lanne - Pool (S.), the Mohammadn dynasties, n.p. n.d.
- (15) L - Langer (WiLLiam), An Encyclopedia of World History , (Boston, n..d).



قيام دولة شاهات خوارزم

(٤٧٠ - ٦١٧ هـ / ١٠٧٧ - ١٢١٩ م)

دكتورة

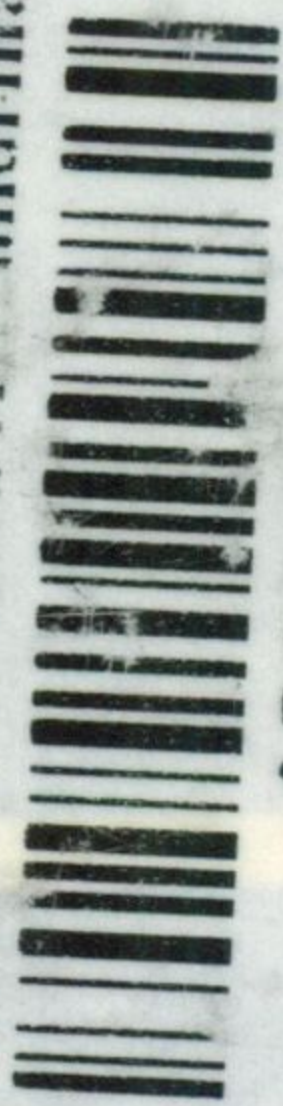
حنان مبروك البودي
أستاذة التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الآداب جامعة الإسكندرية

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش د / منشآت شرقية
المنيا ٤٨٣٩٩٦٠
Email: mshab@uak.edu.eg

قيام دولة شاهات خوارزم | د | حنان مبروك البودي

مؤسسة شباب الجامعة

Bibliotheca Alexandrina



1502766